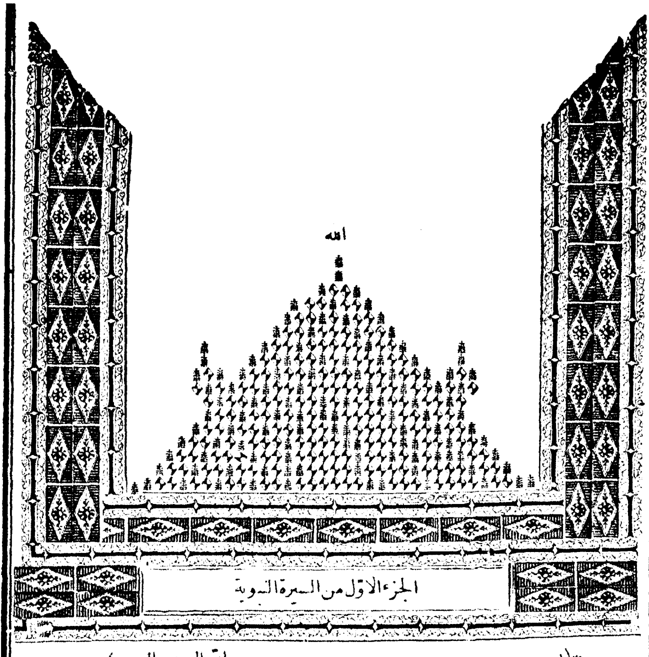
(فهرست الجزء الأول من السيرة النبوية)

صحيفه

تم فهرست الجزء الأول من السيرة النبوية

الجزء الاول من السيرة النبويه والآثار المحمديه
لمؤلفها الامام الفاضل والجهبذ الكامل
مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفه
السيد أحمد زيني المشهور
بدحلان نفع الله به
المسلمين
آمين



الجزء الاول من السيرة النبوية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين *(أما بعد)* فيقول العبد الفقير المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني بن أحمد دحلان غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين انه لما من الله تعالى علي بقراءة الشفا في حقوق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بمدينته المنورة في عام الثامن والسبعين بعد المائتين والالف يسر الله لي مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة الزرقاني ومع مراجعة شيء من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس وسيرة ابن هشام والسيرة الشامية والسيرة الحلبية وهذه الكتب هي أجمع الكتب المؤلفة في هذا الشأن فأحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق أشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم لأني رأيتها منتشرة في تلك الكتب مخلوطة بمباحث لها تعلق بها الا أنها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين في هذه الازمان أن يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه الا الراسخون في العلم مع ان الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من أعظم الاسباب التي يحصل بها قوة الايمان ورسوخه في القلوب لما في ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله كأنها مشاهدة للنظار * قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف في السير وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه ويقول يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وفي ذكر السير أيضا معرفة فضائل النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم وكمالاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب وكل ذلك من الاسباب المقوية للايمان ومنها معرفة معاني كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى غير ذلك من الفضائل التي لا يمكن حصرها وينبغي قبل الشروع في ذلك التبرك بذكر شيء من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه بالاولى لان العرب انما فضلوا بسببه صلى الله عليه وسلم والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة فمن ذلك ماروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قيل يارسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير مرفوعا قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة * وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على أصحاب الفيل وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لايلاف قريش * قوله وعبدوا الله سبع سنين في رواية عشر سنين قال بعضهم المراد منها السنين التي كانت في أول بعثته صلى الله عليه وسلم فان أول المؤمنين الذين اتبعوه كانوا من قريش وصبروا معه على كثير من الاذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الاسلام يتقوى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الاوس والخزرج وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس رضي الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر * وعن أبي هريرة رضي الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش وقال أيضا الائمة في قريش وقال أيضا لاتسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما قال جماعة منهم الامام أحمد رضي الله عنه هذا العالم هو الشافعي رضي الله عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفي رواية ولا تعالموها أي لا تغالبوها ولا تكاثروها وفيه وفي رواية ولا تعلموها أي لا تعلوا عليها بمعنى لا تجعلوها في المقام الادنى الذي هو مقام التعلم والقصد أن لا تحتقر وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر أي من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أي كبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وقال صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي رواية وشرار قريش شرار الناس والرواية الاولى أصح وأثبت وقال صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم * وروى الترمذي عن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يارسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله قال تبغض العرب فتبغضني وروى الطبراني عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وروى الترمذي عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم

ان لواء الحمد بيدي يوم القيامة وان أقرب الخلائق من لوائي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت في خيرهما وأفتى بعض العلماء بقتل من سب العرب وفي الصحيحين آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وروى الطبراني حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم من الكفر ومن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني * وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة قال بعض شراح الشفا والاحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة من أحب شيئا أحب كل شئ يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة من العرب والعجم لا سيما جنسه صلى الله عليه وسلم ولا يكون من الخوارج في بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض في بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا من الاروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملام ويرمونهم بسوء الكلام فانه يخشى منه سوء الختام

(باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه)
(صلى الله عليه وسلم مع ما ورد من ذلك على لسان آبائه)

يروى من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الهمه الله ان قال يارب لم كنيتني أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم في سرادق العرش فقال يارب ماهذا النور قال هذا النور نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا وروى الحاكم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه مرفوعا أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وأن الله تعالى قال لآدم عليه السلام لولا محمد ما خلقتك * وفي المواهب ان آدم عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى وهو لا اله الا الله محمد رسول الله فقال آدم يارب هذا محمد من هو فقال الله له هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم في أهل السماء والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب لانك لما خلقتني بيدك أي من غير واسطة أم وأب ونفخت في من روحك أي من الروح المبتدأة منك المتشرفة بالاضافة اليك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله * وروى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن صححه الحاكم وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أتاني جبريل فقال ان الله تعالى يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار * و روى ابن سبع عن علي رضي الله عنه ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من أجلك أسطح البطحاء وأموج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب قال العلامة الزرقاني وهذا ليس لغيره من نبي ولا ملك ولله در من قال

ومن عجب اكرام ألف لواحد * لعين تفدّى ألف عين وتكرم

وقال آخر

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا * وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهي ما الضياء الذي أرى * جنود السما تعشو اليه تردّدا
فقال نبي خير من وطئ الثرى * وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا * وألبسته قبل النبيين سوددا
وأعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في انقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا
وان له أسماء سميته بها * ولكنني أحببت منها محمدا
فقال الهي امنن علىّ بتوبة * تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي * خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلني عثاري يا الهي فانني * عدوّ العنا جار في القصد واعتدى
فتاب عليه ربه وحماه من * جناية ما أخطاه لا متعمدا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الايسر وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها فمدّ يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم تريد بذلك نهيه فقال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدّي مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وفي رواية ان آدم عليه السلام لما طلب منه المهر قال يارب وما أعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة * وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم علىّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وما أحسن قول العارف بالله سيدي علي وفا رضي الله عنه

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه عيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه * لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تختشي فقرا وعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها * أعلى علىّ صار أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد

لو أبصر الشيطان طلعة نوره * فى وجه آدم كان أوّل من سجد
أولو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد
فابشر بمن سكن الجوانح منك يا * أنا قد ملأت من المنى عتاويد
عين الوفا معنى الصفا سرّ الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد
هو للصلاة من السلام المرتضى * الجامع المخصوص مادام الابد

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لما نفخ فى آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس قال بعض العارفين لكن ابليس لم يبصر ذلك لخذلانه ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة وتلك القبلة المقصد الاعظم منها انما هو النور المحمدى الذى فى جبهته ولما حملت حواء عليها السلام بشيث انتقل ذلك النور اليها ثم لما وضعته عليه السلام ظهر ذلك النور فى جبهته وكان هو وصى آدم عليه السلام على ذريته وأوصاه آدم أن لا يضع ذلك النور الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن الى قرن الى ان وصل ذلك النور الى جده عبد المطلب ثم الى ابنه عبد الله ثم الى أمه آمنة وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية روى البيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدنى من سفاح الجاهلية شئ ماولدنى الا نكاح الاسلام اى نكاح كنكاح الاسلام يعنى بعقد صحيح وروى أبو نعيم فى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم وفى الشفاء أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فتاب الله عليه وغفر له وهذا تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقيل ان الكلمات هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب علىّ انك أنت التواب الرحيم قال بعضهم ولا مانع من كون آدم عليه السلام أتى بالجميع وصح فى أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم كان فى صلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة وفى صلب ابراهيم عليه السلام حين قذف به فى النار وانه هو المراد من قول ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام * واما مانقل عن آبائه من ذكره عليه السلام والتنويه بشأنه فكثير (فمن ذلك) ماروى عن جده كعب بن لؤى فانه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى يوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه فما كان يقوله لهم سيأتى لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وينشد أبياتا آخرها

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

ومن خطبه التى كان يخطبها أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والاوّلون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا

أصهاركم وغيروا أموالكم الدار أمامكم والظن غير ما تقولون وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل وعشرون وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فأرخوا به ثم بموت عبد المطلب ثم كان التاريخ في الاسلام بالهجرة ومن ذلك ما نقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة انه كان شيخا عظيما تقصده العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تفندوا أي لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده صلى الله عليه وسلم الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج وكان كبيرا عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا يقضون أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت وجاء في الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وجاء في الحديث أيضا لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسماعيل ومن كلامه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة وجاء أن خزيمة ومدركة ونزارا كل منهم كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وان نزارا لما ولد ونظر أبوه الى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر أي قليل بحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك وكان أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وجاء ان الله لما سلط بخت نصر على العرب أمر الله أرميا عليه السلام أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة وقال فاني سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بخت نصر وحكى الزبير بن بكار أن أول من وضع انصاب الحرم عدنان قيل وهو أول من كسا الكعبة أو كسيت في زمنه وجاء انه انما سمي عدنان من العدن وهو الاقامة لان الله أقام ملائكة لحفظه وسبب ذلك ان أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه روى أبو جعفر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وجاء أيضا أن مضر انما سمي بذلك لانه كان يمضر القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله ولم يره أحد الا أحبه لما كان يشاهد في وجهه من نور النبي صلى الله عليه وسلم ومن كلامه خير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين وهو أول من حدا للابل وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر مضر الحمراء وسبب ذلك انه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما نزار أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس قيل ان قبر مضر بالروحاء وجاء أن معدا سمي بذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر بسبب نور النبي صلى الله عليه وسلم الذي في جبهته وخزيمة قيل انه تصغير خزمة وانما سمي بذلك لانه خزم أي جمع فيه نور النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان في آبائه ومدركة سمي بذلك لانه أدرك كل عز وفخر بسبب نور النبي صلى الله عليه وسلم وكان ظاهرا بين آبائه والنضر انما لقب بذلك لنضارة وجهه واشراقه وجماله من نور النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان أم النضر برة بنت أد بن طابخة تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه أهل الجاهلية اذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم

من النساء الا ما قد سلف وهذا كله غلط فاحش قال أبو عثمان الجاحظ ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا أنثى فنكح بنت أخيها وهي برة بنت مر بن أد بن طابخة فولدت له النضر قال وانما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمي الزوجتين وتقارب النسب قال وهذا هو الذي عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك في هذا الخبر والحمد لله الذي طهره من كل وصم تطهيرا * قال الدميري وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في منقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه * قال الحافظ الشامي وهو من النفائس التي يرحل اليها وهو الذي يثلج له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره انتهى وقد أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدنان واسماعيل اختلافا كثيرا ومن اسماعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلف يسير في عدد الآباء وفي ضبط بعض الاسماء وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وقيل أقل وقيل أكثر وقال عروة بن الزبير ما وجدت أحدا يعرف بعد معد بن عدنان وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال على سبيل الانكار من أخبره بذلك فينبغي لمن أراد أن يذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصله الى عدنان ابن أدو يقف اقتداء به صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على أن عدنان ينتهي نسبه الى اسماعيل عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولله در القائل

وتسبة عز هاشم من أصولها * ومحتدها المرضي أكرم محتد
سمت رتبة علياء أعظم بقدرها * ولم تسم الا بالنبي محمد

ورحم الله آخر حيث قال

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

قال الماوردي في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وفهر اسمه قريش واليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كناني وسمي قريشا لانه كان يقرش أي يفتش على حاجة المحتاج فيسدها بماله وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم وكلاب اسمه حكيم سمي بكلاب لانه كان يكثر الصيد بالكلاب وقيل من المكالبة أي المضايقة لمضايقته على أعدائه وقيل من الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد أن الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء وقصي اسمه زيد أو يزيد ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرقها قال الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنجده

ن كربة وقعت له فوجده مربوطا ربطه ركب من جذام ادعوا عليه قتيلا قتله بمكة ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

الى أن قال

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

ومن كلام قصى من أكرم لئيما شاركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفى ولما احتضر قال لبنيه اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وتزوج قصى من خزاعة حبى بنت حليل الخزاعى فولدت له عبد مناف وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى حليل الخزاعى فأوصى بها لابنته زوج قصى فقالت لا قدرة لى على فتح البيت واغلاقه فجعل أبوها ذلك لابى غبشان الخزاعى فاشترى منه قصى أمر البيت وأمر مكة بزق من خمر ثم زاده أزوادا من الابل وأثوابا فنازعته خزاعة فدعا قريشا وبنى كنانة لاعانته فأعانوه حتى أزاح يد خزاعة وذلك بعد ان اقتتلوا أيام منى بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغى وذكرتهم ما صارت اليه جرهم حين ألحدوا فى الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل والجراح فى الفريقين الا انه فى خزاعة أكثر ثم تداعوا الى الصلح واتفقوا على انهم يحكمون بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا عريفا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال ألا انى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين فلا تباعة لاحد على أحد وقضى لقصى بأنه أولى بولاية مكة فتولاها وكانت خزاعة قد أزالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمى الاكبر ولى أمر البيت بعد ثابت بن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لانه كان جد ثابت وغيره من أولاد اسماعيل لامهم لان اسماعيل تزوج من جرهم فجاءه الاولاد منهم فأخذ ولاية البيت بعد ثابت بن اسماعيل مضاض بن عمرو الجرهمى واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام لا تنازعهم ولد اسماعيل فى ذلك لخؤلتهم واعظاما لان يكون بمكة بغى ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها فأجمعت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم وذهب من بقى الى اليمن مع عمرو بن الحارث الجرهمى آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو بن الحارث أبياتا منها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكنا ولاة البيت من بعد ثابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

بلى نحن كنا أهله فأبادنا * صروف الليالى والدهور البواتر

ثم استمر الامر فى خزاعة الى أن تزوج قصى منهم وحصل ما تقدم ذكره فأزاح يد خزاعة وولى أمر مكة وشرفها فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد قصى وأحبهم اليه وكان عبد مناف أشرفهم لانه شرف فى زمن أبيه وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش تسميه الفياض لكرمه فأعطى قصى تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال أما والله يابنى لالحقنك

قوله حبى ضبطه المؤلف بشكل القلم على الحاء فتحة وعلى النون شدة وفتحة وكنت رأيت فى بعض تعاليق انها حبى بضم ففتح الموحدة مشددة فليحرر اه قاله نصر الهورينى

يا قوم يعني بقية اخوته وبني عمه وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء للحرب الا أنت تعقده أنت ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الموسم الا من طعامك وهذا هو المراد من الرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا في دارك يعني دار الندوة ولا يكون أحد قائد القوم في قتال الا أنت فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف اختلف أبناؤهم فأراد بنو عبد مناف وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل أن يأخذوا تلك الوظائف من بني عمهم عبد الدار وأجمعوا على المحاربة وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لمن أراد أن يحالفهم ويكون معهم في المسجد عند باب الكعبة فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للاشارة الى انهم معهم وتحالفوا بعد أن تطيبوا منها معهم فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فالمطيبون قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا اتحالفهم بعد أن أخرجوا جفنة مملوءة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منها فهو منا ففعلوا ذلك ولذا سموا العقة الدم ثم اصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبني عبد مناف والحجابة واللواء لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم بالاشتراك وقيل ان دار الندوة بقيت في يد بني عبد الدار حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى بن قصي فاشتراها بزق خمر ثم باعها في الاسلام بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهد كم أن ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه وينقلب بها فتحجب وكانوا لا يعقدون عقد نكاح الا في دار قصي أعني دار الندوة ولا يعقدوا لواء حرب الا فيها وأما القيادة وهي امارة الركب فقام بها من أبناء عبد مناف عبد شمس ثم ابنه أمية ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو سفيان فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم أحد ويوم الاحزاب وأما يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لانه أكبر من أبي سفيان اذ هو ابن عم أبيه وأيضا كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضرا بمكة وقت خروج النفير وأما الرفادة وهي اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخوه العباس واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر وأما السقاية فقام بها أيضا عبد مناف ثم ابنه هاشم ثم ابنه المطلب ثم لما كبر عبد المطلب ابن هاشم فوض عمه المطلب السقاية اليه فلما مات المطلب وثب أخوه نوفل بن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه اركاحا أي أفنية ودورا فسأل عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله بني النجار بالمدينة بما فعل له معه عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي النجار على كتابه بكى وسار من المدينة في ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل يا خال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته في الحجر جالسا

في مشايخ قريش فأقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا أبا سعد أنعم صباحا فقال له أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختي اركاحه لأملأن منك هذا السيف فقال قد رددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فأقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة وبعد ان جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالف بنو هاشم بني المطلب وخزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب وقالوا له ان أم عبد مناف حبى بنت حليل الخزاعي فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب أي قام بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد قيل ان السقاية انتقلت من أبي طالب الى أخيه العباس في حياة أبي طالب وسبب ذلك ان أبا طالب كان يقذف في الماء التمر والزبيب تبعا لابيه عبد المطلب فانفق انه أملق أي افتقر في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها أبو طالب في الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شئ فقال لاخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لاكفلها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لاخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا وأما الحجابة فكانت في بني عبد الدار حتى جاء الاسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أن يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية فأنزل الله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فرده صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الحجبي ثم صارت بعده لاخيه شيبة ثم بقيت في بني شيبة وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها ولهذا قتل منهم جماعة يوم أحد كلما قتل واحد أخذ اللواء بعده واحد آخر منهم *(وأما عبد مناف بن قصي)* فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ووجد على بعض الاحجار كتابة منها أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء في وجهه وكان في يده لواء نزار وقوس اسماعيل واياه عنى القائل بقوله

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

(وابنه هاشم) اسمه عمرو ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أي اصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما الى أن اشتد الامر بين بني العباس وبني أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة وأول العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لامية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل

أن يخبروه خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارثت ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار أي الذهب ويقال لهم المجبرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب ووقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جزرا وجعل ذلك ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء قال الامام أبو سهل الصعلوكي في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد هاشم الذي عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره وقال ابن الصلاح الاولى حمل الحديث على العموم وان المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لان سائر بمعنى باقي فالمراد أي ثريد وهذا لا ينافي بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ولبعضهم

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

ولآخر

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه

جفانه كالجوابي للوفود اذا * لبوا بمكة ناداهم مناديه

او امحلوا اخصبوا منها وقد ملئت * قوتا لحاضره منهم وباديه

ولآخر

قل للذي طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف

الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه وقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم * منعوك من عدم ومن اقراف

الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وفي المواهب وشروحها ان نور النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوقد شعاعه في وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشئ الا خضع له تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه ان يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الي حتى

ازوجكها

أزو جكها لقد بلغنى جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم
فى الانجيل فأبى هاشم ذلك وكان هاشم يحمل ابن السبيل و يؤدى الحق و يؤمن الخائف وكان اذا هل
هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول فى خطبته يامعشر
قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أى عقولا واوسط العرب أى اشرفها
انسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يامعشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم
بجواره دون بقية بنى اسماعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم
أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه
وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم
ان يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار
بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون فى ذلك
ويخرجونه من أموالهم فيضعونه فى دار الندوة ومما نقل من شعر أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم
قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت انساب عبد منافها * ففى هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

(وأما عبد المطلب بن هاشم) فكان من حلماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما الخمر على
نفسه وهو أول من تحنث بحراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد كان اذا دخل شهر رمضان صعده
وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير
والوحوش فى رؤس الجبال ولذلك كان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولد وفى رأسه شيبة
فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك
فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش فى النوائب وملجأهم فى الامور وشريفهم وسيدهم كمالا
وفعالا عاش مائة وأربعين سنة قيل انما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه المطلب حين
حضرته الوفاة أدرك عبدك يعنى شيبة الحمد بيثرب وقيل ان هاشما تزوج بالمدينة من بنى عدى بن النجار
من الخزرج فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقى عند أمه فمر رجل على غلمان وهم يلعبون اى يتناضلون
بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت ياغلام فقال أنا شيبة
الحمد بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رآى فذهب
المطلب الى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وقال له يا ابن أخى أنا
عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم أمه حتى
كان الليل فقامت تدعوه فأخبرت أن عمه قد ذهب به وقيل انه استأذن أمه وقال لها ان ابن أخى غريب
فى غير قومه ونحن أهل بيت شرف فى قومنا وقومه وعشيرته و بلده خير من الاقامة فى غيرهم فأذنت له
فأردفه خلفه وكساه حلة يمانية فلما قدم به مكة قالت قريش هذا عبد المطلب وقيل ان الشمس أثرت

فى شيبة الحمد فقالت قريش هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم ويحكم انما هو ابن أخى هاشم وقيل انما قيل له عبد المطلب لانه تربى يتيما فى حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبد المن تربى فى حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات وانتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من أرض الشأم ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته أى فالظلوم شأنه ان تصيبه عقوبة فاذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهى معدة له فى الآخرة ورفض عبد المطلب فى آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان نقله الحلبى فى السيرة عن ابن الجوزى وزاد فى المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضىء فى غرته وفيه يقول القائل

على شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش اذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير يستسقى الله لهم لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبى صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى فكان يسأل الله لهم الغيث فيغيثهم ولما وجد النبى صلى الله عليه وسلم كان يحضره عبد المطلب معه فى الاستسقاء فيسقون به وأمر ابا طالب ان يحضر النبى صلى الله عليه وسلم معه فى الاستسقاء ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه فى ذلك اليوم

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ومن شعره حين أراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب بالقداح عليه قوله

يارب أنت الملك المحمود وأنت ربى الملك المعبود من عندك الطارف والتليد

وكان نديمه فى الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبى سفيان وكان فى جوار عبد المطلب يهودى فأغلظ ذلك اليهودى القول على حرب فى سوق من أسواق تهامة فأغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودى ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمى ويروى ان حربا كان لا يلتقى مع أحد من رؤساء قريش أو غيرهم فى عقبة أو مضيق الا تأخر وتقدم هو ولا يستطيع أحد ان يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بنى تميم فى عقبة فتقدمه التميمى فقال حرب أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه التميمى ومر قبله فقال حرب موعدك مكة فبقى التميمى دهرا ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرنى من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب

ابن

ابن هاشم فأتى التميمي ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لأخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير أو طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فأنشد الرجل

لاقيت حربا في الثنية مقبلا * والصبح أبلج ضوءه للساري

فدعا بصوت واكتنى ليروعني * ودعا بدعوته يريد فخاري

فتركته كالكلب ينبح وحده * وأتيت أهل معالم وفخار

ليثا هزبرا يستجار بقربه * رحب المنازل مكرما للجار

ولقد حلفت بمكة وبزمزم * والبيت ذي الاحجار والاستار

ان الزبير لمانعي من خوفه * ما كبر الحجاج في الامصار

فقال الزبير للتميمي تقدم فانا لا نتقدم على من نجيره فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب أخرج فقال كيف أخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب فألقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا انه أجاره فتفرقوا والى هذه القصة أشار ابن عباس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية رضي الله عنه في أيام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاما فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس رضي الله عنهما فمن اكفأ عليه أناءه وأجاره بردائه فسكت معاوية رضي الله عنه وكان عبد المطلب يكرم النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول ان لابني هذا لشأنا عظيما وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظما في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد ان يجلس على فراشه ولا ان يطأه بقدمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه فاذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبد المطلب ويقول دعوه ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد المطلب كان يقول لهم دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشيء أي بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي رواية ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال سمعت أبي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب مالابني يبكي قالوا أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي

الملوك وأبهة الاشراف *(ومما أكرم الله به عبد المطلب)* وكان من الارهاصات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم وحاصل القصة أن عمرو بن الحارث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم فعمد الى أنفس الاموال وهي غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن وقيل حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى أن رفعت الحجب عنها برؤيا رآها عبد المطلب دلته على حفرها بأمارات عليها روى ابن اسحاق باسناده الى علي رضي الله عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحارث فوجد قرية النمل بين اساف ونائلة أعني الصنمين اللذين ينحرون عندهما ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في محلهما وقوله برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها وهو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وسميت أيضا المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق وفي الحديث مرفوعا من شرب من زمزم فليتضلع فانما فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها رواه الدارقطني وروى الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك وقوله لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وقوله ولا تذم أي لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أي قليل ماؤها والغراب الاعصم فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الذي احدى رجليه بيضاء رواه ابن أبي شيبة فلما بين لعبد المطلب شأنها ودل على موضعها وعرف انه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحارث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له الطي كبر وقال هذا طي اسماعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر أبينا اسماعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظمئ عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فأمرهم فحفروا قبورهم وقال من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله ان القاءنا بأيدينا للموت عجز لنضربن في الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد

قوله باشراف الشام يعني مشارفه وهي البلاد التي تدنوا من أرض العرب نحو حمص والبلقاء اهـ

سقانا

سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ثم آذاه عدي بن نوفل بن عبد مناف وقال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبالقلة تعيرني فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما واشتد بذلك بلواه وكان معه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاء له عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة واحتفر عبد المطلب زمزم في عامه ذلك هو وابنه الحارث قال ابن اسحاق فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة التي كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت قريش والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ردّ عني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والاسياف والادراع التي دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك في هذا شركاء فقال لا ولكن هلم الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم وأقام سقايتها للحاج فكانت له فخرا وعزا على قريش وعلى سائر العرب قال الزهري انه اتخذ عليها حوضا يستقي منه فكان يخرب بالليل حسدا له فلما أغمه ذلك قيل له في النوم قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك فكان من أرادها بمكروه رمي بداء في جسده حتى انتهوا عنه وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام وبل بكسر الباء مباح وقيل شفاء قال ابن اسحاق فعفت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ولانها بئر اسماعيل وافتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفي قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قبض السقاية منه ثم ردّها اليه ولما تكامل بنو عبد المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله وأقر الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه

لساكين ثم نام فنودى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فقال وماهو أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك
الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بالنذر فقالوا انا نطيعك
فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بكسر القاف السهم قبل أن يراش ويوضع فيه
النصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتونى به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم عظيم كان
فى جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده وكان له قيم يدفعون القداح له فيضربها فدفع
عبد المطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم انى نذرت نحر أحدهم وانى أقرع
بينهم فأصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عبد
المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة تذبح وتنحر
عندهما النسائك وأصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له اساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت
زيد من جرهم أيضا وكان اساف يتعشقها فى أرض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس
وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما
الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام اليه سادات
قريش فقالوا ماتريد أن تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى نعذر فيه ولئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى
بابنه فيذبحه فابقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت
القوم والله لاتذبحه أبدا حتى نعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة
فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت
لهم ارجعوا عنى حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله
تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاء فى الخبر كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا
الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم أى أحضروه الى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا
عليها وعليه القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشرة ثم اضربوا أيضا وهكذا
حتى يرضى صاحبكم فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة من الابل وقام عبد
المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا وهى تخرج على عبد الله
حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضاء ربك ياعبد
المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى أضرب عليها القداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل
فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل
ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى
أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وروى الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن أبى سفيان
رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى فقال يارسول الله خلفت البلاد
يابسة والماء يابسا وخلفت المال عابسا هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يابن
الذبيحين قال معاوية رضى الله عنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ويعنى بالذبيحين
عبد الله واسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وفى هذا الحديث دلالة على أن الذبيح هو اسماعيل

لا اسحاق وفى ذلك خلاف مشهور ومما يدل على أن الذبيح اسماعيل عليه السلام ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشأن اسماعيل وأمه ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون اسحاق وأمه ولو كان الذبح بالشأم كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشأم لا بمكة وأيضا مما يدل على أنه اسماعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح حليما فى قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ولما ذكر اسحاق عليه السلام سماه عليما فى قوله انا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم وأيضا فان الله بعد ان قص فى كتابه قصة الذبيح قال وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فهذا يدل على تقدم قصة الذبح فتكون مع اسماعيل وأيضا فان الله تعالى أجرى العادة البشرية بأن أكبر الاولاد أحب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فأمر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا عليهما الصلاة والسلام ولبعضهم

ان الذبيح فديت اسماعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل

شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتأويل

وروى فيما ذكره المعافى بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سأل رجلا أسلم من علماء اليهود أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون أنه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحاق واعلم أن بعض العلماء ذكر ان أعمام النبى صلى الله عليه وسلم اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تأخرت ولادتهما عن قصة الذبح فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل رؤى فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن فقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لاحل فأستبينه

يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

وفى السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم

لقد حكم البادون فى كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض

وان أبى ذو المجد والسودد الذى * نشار به ما بين نشز الى خفض

أى ارتفاع وانخفاض وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خرج عبد المطلب بعد نحر

٣ قوله فديت الرواية المشهورة هديت اهـ

الابل بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية وكانت من أجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوة فى وجه عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبى قالت

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر
فلمائها نور يضىء به * ما حوله كاضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
ورأيتها شرفا أبوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت * منك الذى سلبت وما تدرى

وقد روى عن العباس رضى الله عنه انه لما بنى عبد الله بآمنة رضى الله عنهما أحصوا مائتى امرأة من بنى مخزوم وبنى عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على ما فاتهن من عبد الله وانه لم تبق امرأة فى قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة * (ومن الارهاصات) * التى وقعت قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم قصة أصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفا لقريش وتمهيدا لمولد النبى صلى الله عليه وسلم وبعثته وأمر أبرهة سائس الفيل أن يحضر فيله الاعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب اطلاق ابله التى أخذها جنود ابرهة فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وكان ابرهة قبل ذلك ارسل رجلا من قومه الى أهل مكة ليدخل الرعب فى قلوبهم فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربا فأتنى به فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة بعد ان أفاق من غشيته فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ثم ذهب معه الى أبرهة واستأذن له وقال أيها الملك هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة ويطعم الناس فى السهل والجبل والوحوش والطير فى رؤس الجبال فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فعظم فى عين أبرهة فأجله وأكرمه وكره أن يجلس تحته وان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه فقال عبد المطلب انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع منى قال أنت وذاك فرد عليه ماله فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هديا للبيت وبثها فى الحرم وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر ثم جاء بهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة ثم أقبل الحبشة يريدون دخول الحرم فأرسل الله عليهم

طيرا ابابيل واهلكهم كما قص ذلك في كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة ارهاصا له صلى الله عليه وسلم والصحيح أن قصة الفيل كانت قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم وكانت في عام الولادة على الصحيح أيضا وجاء في بعض الروايات ان نور النبي صلى الله عليه وسلم استدار في وجه عبد المطلب لما أقبل على ابرهة مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله بل الى آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم لانها في ذلك الوقت كانت حاملا به على الصحيح وأجاب المحققون عن ذلك بان النور وان كان قد انتقل عن عبد المطلب في ذلك الوقت الا انه كان يستدير في وجهه مثل ذلك النور الذي كان قبل انتقاله ويكون ذلك عند الاحتياج اليه كما في هذه القصة وذلك من جملة الارهاصات أيضا ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب روى ابو نعيم من طريق ابي بكر بن عبد الله بن ابي الجهم عن ابيه عن جده قال سمعت اباطالب يحدث عن عبد المطلب قال بينما انا نائم في الحجر اذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها اني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهري قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ومارأيت نورا ازهر منها اعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها وقوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم شاب لم ارقط احسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر اظهرهم ويقلع اعينهم فرفعت يدي لا تناول منها نصيبا فلم انل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس فقال عبد المطلب لابي طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج اي بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الامين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار أي أخشى أو يمنعني وروى أبو علي القيرواني في كتاب البستان ان عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه ويتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض وقد صح في أحاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه وفي السيرة الحلبية قال الحافظ السيوطي الذي تلخص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أي في الاحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب اربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال الاشبه انه لم تبلغه الدعوة لانه مات وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام اي لم يعبد الاصنام وقيل ان الله احياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات دليل على أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية حيث قال

لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة وفي رواية خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شئ ماولدني الا نكاح أهل الاسلام ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النور الى عبد الله وكان قد تزوج قبلها بزوجات قيل أول زوجة تزوجها قيلة بنت جندب ويقال صفية بنت جندب وهي أم ولده الحارث وأن سبب تزوجه أنه بعد أن بلغ الحلم نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل ذلك به فاخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا ان اله السماء قد أذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة بنت جندب فولدت له الحارث ثم لما تزوج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور اليه وكان أبي عبد الله احسن رجل في قريش خلقا وخلقا وفي رواية كان اكمل بني أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية يرى في وجهه كالكوكب الدري وفي شرح المواهب كان يتلألأ نورا في قريش وكان أجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن أن تذهل عقولهن * قال أهل السير فلقي عبد الله في زمنه من النساء من العناء مثل مالقي يوسف في زمنه من امرأة العزيز وقد هدى الله والده فسماه بأحب الاسماء الى الله في الحديث أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح كما تقدم وكان ذا عفة وكرم وسماحة ولما بلغ من العمر ثماني عشرة سنة خرج مع أبيه ليزوجه على آمنة بنت وهب فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يأبى لديانته وعفته فاتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن قصي وقيل ان وهبا المذكور أبوها لا عمها فزوج آمنة لعبد الله وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فسبقته فرس المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه وقال في بعض غزواته * أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة بالطيب أو الطاهرة وعن بعض الطالبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في يوم احد أنا ابن الفواطم واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل * وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة وأولاهن أم لؤي بن غالب واللواتي من سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبي أمه صلى الله عليه وسلم وهب وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم أبكار أرضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة وأما الفواطم من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصي وقيل لم يرد خصوص الامهات التي في عمود نسبه بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي هي أم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتي قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلي وقد دفع اليه ثوبا حريرا أقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ومن جداته الفواطم أم عمرو بن عابد وفاطمة

بنت

بنت عبد الله بن رزام وأمها فاطمة بنت الحارث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله اعلم *(والسبب)* الذى دعا عبد المطلب لاختيار بنى زهرة انه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال ممن الرجل فقال من بنى هاشم قال أتأذن لى أن أنظر بعضك قلت نعم مالم يكن عورة ففتح احدى منخرى فنظر فيها ثم نظر فى الاخرى فقال أشهد أن فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذلك قلت لا أدرى قال هل لك من شاعة أى زوجة من بنى زهرة قلت أما اليوم فلا فقال اذا تزوجت فتزوج منهم فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب بن عبد مناف أم حمزة وصفية قيل وأم العباس أيضا وقيل غير ذلك وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما أخبره به الحبر وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة فأمر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هنالك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى ذلك المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة أو تلد نذيرا له شأن وبرهان وقيل ان الكاهن الذى فى اليمن قال له أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة * ولما حملت به أمه صلى الله عليه وسلم ظهر لها كثير من خوارق العادات ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم منها أنها لم تشك لحمله ثقلا وأتاها آت فى المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها وتوفى أبوه وأمه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة فتخلف عند بنى عدى بن النجار وهم اخوال أبيه عبد المطلب لان أمه منهم فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا عند أخواله فبعث عبد المطلب اليه أخاه الحارث وقيل الزبير فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم * وجاور لحدا خارجا فى الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها * وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره أصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما توفى عبد الله قالت الملائكة يا الهنا وسيدنا بقى نبيك يتيما لا أب له فقال الله تعالى لهم أنا له حافظ ونصير وفى رواية أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق رضى الله عنه لم يتم النبى صلى الله عليه وسلم أى ما حكمة ذلك قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لان أمه ماتت وعمره ست سنين وليعلم أن العزيز من أعزه الله وأن قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقير واليتيم * ولما دنت ولادتها أتاها آت فى المنام فقال لها قولى اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وفى السيرة الحلبية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التى حمل فيها وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومثل هذا لا يقال من قبل الرأى انتهى ومن علامات حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم انتقال النور الذى

كان فى عبد الله اليها وعن كعب الاحبار أن فى صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة ووقع ذلك أيضا عند ولادته صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم باسناد صحيح أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يارسول الله اخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى أخى عيسى ورأت أمى حين حملت بى كانه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشأم وصح أيضا أنها رأت ذلك عند الولادة قيل ان الذى عند الحمل كان مناما والذى عند الولادة كان يقظة وكانت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك فى جدب وضيق عيش عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرعد والمطر من كل جانب فى تلك السنة وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولد صلى الله عليه وسلم مختونا أى على صورة المختون مكحولا نظيفا ما به قذر ولبعضهم

وفى الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم

وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم

ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وقيل ختنه جده وقد يجمع بأنه تمم ختانه جريا على المعتاد * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة اصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها وفى رواية عن أمه أنها قالت فلما خرج من بطنى نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل وفى رواية شاخصا ببصره الى السماء وفى رواية أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلا من بنى لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الغلام ليغلبن هذا المولود أهل الارض أى لانه قبض عليها وصارت فى يده وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمى حين وضعتنى أنه سطع منها نور أضاء له قصور بصرى وفى رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فاضاءت له قصور الشأم وأسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى ولذلك قال عمه العباس رضى الله عنه فى قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك

وانت لما ولدت اشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذلك الضياء وفى ذ * لك النور وسبل الرشاد نستبق

وقال البوصيرى فى الهمزية

وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

قال فى المواهب وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجىء به من النور الذى اهتدى به أهل الارض وزالت به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وروى السهيلى انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربى الرفيع وروى أيضا أنه قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وعن عثمان بن ابى العاص عن أمه رضى الله عنها أنها قالت شهدت ولادة النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فلم انظر من البيت الا نورا وانى لانظر الى النجوم تدنو حتى انى لاقول ليقعن على وقولها ليلا أى قرب الفجر جمعا بين الروايات قال بعض المفسرين ان الله أقسم بالليلة التى ولد فيها فى قوله تعالى والضحى والليل وقيل المراد ليلة الاسراء وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنها قالت لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فسمعت قائلا يقول رحمك الله والى ذلك يشير قول البوصيرى فى الهمزية .

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

قال بعضهم لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ويدل لهذا الحديث الذى فيه أنه قال حين خروجه الحمد لله كثيرا وعن آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها أنها قالت لما أخذنى ما يأخذ النساء أى عند الولادة رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى ما رأيت أضوء منهن وجوها وكأن واحدة من النساء تقدمت الى فاستندت اليها وأخذنى المخاض واشتد على الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الى وناولتنى شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لى اشربى فشربت ثم قالت الثانية ازدادى فازددت ثم مسحت بيدها على بطنى وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن لى أى تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين قال بعضهم لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وأم عثمان عندها ولعل الحكمة فى شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم فى الجنة مع كلثم أخت موسى عليه السلام وقد حمى الله هؤلاء النسوة ان يطأهن احد فقد روى أن آسية لما زفت الى فرعون أخذه الله عنها وكان هذا حاله معها وقد رضى عنها بالنظر اليها قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لان عادتهم اذا ولد لهم مولود فى الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه فى رواية تحت برمة ضخمة فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هى قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص ابهامه يشخب اى يسيل لبنا ولما ولد صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له يا ابا الحارث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال ليس بشر اسويا فقالت بلى ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعه الى السماء فأخرجته له فنظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال لجنوده قد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة فوقع بعدن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها عما سيقع فى الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع الا رمى بشهاب وازداد ذلك عند المبعث وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال انى لغلام يفعة أى غلام مرتفع ابن سبع أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودى بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة أى محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة أى الذى طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فى بعض الكتب القديمة وعن كعب الاحبار قال رأيت فى التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أى من بطن أمه وموسى أخبر قومه أن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بنى اسرائيل وعن عائشة رضى الله عنها تروبه عمن كان موجودا وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه فقال احفظوا

ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات أي متتابعات كانهن عرف فرس أي وتلك العلامة هي خاتم النبوة أي علامتها والدليل عليها انه لا يرضع ليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته وعند قول اليهودي ماذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا لليهودي فاخبروه الخبر أي قالوا له أعلمت ولد فينا مولود فقال اذهبوا معي حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقالوا أخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل أفرحتم به يامعشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وعن الواقدي انه كان بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم أي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به أحد من قريش قال يامعشر قريش قد ولد نبي هذه الامة هذه الليلة في بحرتكم أي ناحيتكم هذه وجعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبي والتوراة وكان بمر الظهران راهب من أهل الشأم يدعى عيص وكان قد آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس و يقول يوشك أي يقرب أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب أي تذل وتخضع ويملك العجم اي أرضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه أي أدرك بعثته واتبعه أصاب حاجته أي مايؤمله من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته فكان لا يولد مولود بمكة الا و يسأل عنه فيقول ماجاء بعد اي الآن فلما كان صبيحة اليوم أي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم به وان نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضا أنه وجع فيشتكي أي لا يرضع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ماقلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما بغي عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها وذلك جل أعمار أمته وتنكست الاصنام عند ولادته صلى الله عليه وسلم وتقدم أنها تنكست أيضا عند الحمل وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت من جدار الكعبة قائلا يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام وفي السيرة الحلبية أن نفرا من قريش منهم ورقة ابن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم و يتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أي مرتفع يقول

تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

قال في الهمزية

وتوالت بشرى الهواتف أن قد * ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول علامة رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وارتجس أي اضطرب وانشق

ايوان كسرى أنوشروان وكان مبنيا بناء في غاية الاحكام بحيث لا تعمل فيه الفوس وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة وليس ذلك لخلل في بنائه وانما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض يروى أن الرشيد أراد هدم الايوان فقال له وزيره يحيى ابن خالد البرمكي يا أمير المؤمنين لا تهدم بناء هو آية الاسلام وخمدت نار فارس أي مع ايقاد خدامها لها أي وكتب صاحب فارس لكسرى أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضا والى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ماتداعى البناء

وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء

وعيون للفرس غارت فهل كا * ن لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الاحكام في منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها وكان كسرى قد رأى ما أهاله وأفزعه من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فلما أصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى أنه لا يدخر هذا الامر عن مرازبته أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال تدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب ايليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشأم يخبره ان وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتاب صاحب طبرية ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فقال الموبذان فانا اصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال أي شيء هذا ياموبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما اريد أن أسألك عنه قال ليسألني الملك عما أحب فان كان عندي علم منه أعلمته والا أخبرته بمن يعلمه فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام أي أعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فأته فأسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى على الضريح أي الموت وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان وكان لسطيح سرير اذا اريد نقله من مكان الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير فيذهب به الى حيث يشاء واذا اريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته اذا لمست أثر اللمس فيها للينها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فأنشأ يقول عبد المسيح الابيات المشهورة التي أولها * أصم أم يسمع غطريف اليمن * فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أي سريع جاء الى سطيح وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان

لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشأم لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم مات سطيح من ساعته وذكر الطبرى أن ابرويز بن هرمز جاءه جاء في المنام فقيل له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا حتى كتب له النعمان بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى رحله وهو يقول ابياتا منها

شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير

والخير والشر مقرونان في قرن * والخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح قال كسرى الى ان يملك منا أربعة عشر ملكا كانت امور وامور فملك منهم بعضهم في خلافة عمر رضى الله عنه وملك الباقون في خلافة عثمان رضى الله عنه وكان مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستين سنة ومن ملوك بنى ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع اكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بنى تميم فروا منه ومن جيشه وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا في قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجىء به اليه واستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال يزعمون أن ملكنا سيصير اليهم على يدنبى يبعث في آخر الزمان فقال له عمير فأين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها ويعظمونك بها في دولتهم فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وعن العباس رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله دعانى الى الدخول في دينك اشارة أى علامة لنبوتك رأيتك في المهد تناغى القمر أى تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما اشرت اليه مال قال كنت احدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء واسمع وجبته أى سقطته حين يسجد تحت العرش وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وتقدم أن أمه رأت من يقول لها فسميه اذا ولدتيه محمدا وعن أبى جعفر محمد الباقر رضى الله عنه قال امرت أمه آمنة في المنام وهى حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد ولا مانع من رؤية الامرين فأخبرت جده فسماه وقيل ألهم ذلك أيضا ولا مانع منهما ولما سماه بمحمد قيل له ماحملك على أن تسميه بمحمد وليس من أسماء آبائك ولا قومك فقال رجوت أن يحمد في السماء والارض وقد حقق الله رجاءه *(فائدة)* جرت العادة أن الناس اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك كثير من علماء الامة الذين يقتدى بهم قال الحلبى في السيرة فقد حكى بعضهم ان الامام السبكى اجتمع عنده كثير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصرى في مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب

وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكى وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووى ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبى صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك

وشكر الله تعالى على ما من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين قال السخاوي ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزي من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب اربل وألف له الحافظ ابن دحية تأليفا سماه التنوير في مولد البشير النذير فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله في ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته في الملك الى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت في السنة وهو ما في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا فقال نحن أولى بموسى منكم وقد جوزي أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وانه يخرج له من بين أصبعيه ماء يشرب به كما أخبر بذلك العباس في منام رأى فيه أبا لهب ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافر جاء ذمه * وتبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

*(باب في ذكر شئ من الخوارق التي ظهرت في زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم) أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم أمه ثم ثويبة الاسلمية مولاة أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم واختلفوا في انها أدركت البعثة وأسلمت أم لا وكان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له فجاء نسوة من بني سعد الى مكة يلتمسون الرضعى ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة أخذت رضيعا الا حليمة قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم فلما أجمعنا الانطلاق أي عزمنا عليه قلت لصاحبي تعني زوجها والله اني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك فلآخذنه فقال لا بأس عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته وفي رواية قالت فاستقبلني عبد المطلب فقال من أنت فقلت امرأة من بني سعد فقال ما اسمك فقلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بني سعد فأبين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدي به فقلت ألا تذرني حتى أشاور صاحبي قال بلى فانصرفت الى صاحبي فأخبرته فكأن الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لي يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فأخذني وأدخلني بيت آمنة فقالت لي أهلا وسهلا وادخلتني في البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن

ونحته حريرة خضراء اقدا علينا على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك فاشفقت أي خفت أن أوقظه
من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الي تخرج منهما نور حتى
دخل عنان السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وحملته وما حملني على أخذه أي في ابتداء الامر الا اني
لم أجد غيره والا فما ذكرته من أوصافه مقتض لاخذه و في شرح الزرقاني على المواهب انها لما دخلت
عليه صلى الله عليه وسلم سمع جده هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا * خير الانام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع * نعم الامينة هي على الابرار
مأمونة من كل عيب فاحش * ونقية الاثواب والاوزار
لاتسلمنه الى سواها انه * أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة ثم أعطيته ثدي الايمن فأقبل عليه بما شاء من لبن ثم حولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله
بعد قال أهل العلم ألهمه الله ان له شريكا فعدل وفي رواية ان أحد ثديي حليمة كان لايدر اللبن فلما
وضعته في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب اخوه معه حتى روي ثم نام وما كا
ننام معه قبل ذلك أي لعدم نومه من الجوع قالت وقام زوجي الى شارفنا فاذا هي حافل أي ممتلئة الضرع
من اللبن فحلب منها ماشرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا وبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا
والله ياحليمة لقد أخذنا نسمة مباركة فقلت والله اني لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته معي
عليها فوالله انها قطعت بالركب مايقدر على مرافقتها شئ من حمرهم حتى ان صواحبي يقلن لي يابنت
أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليست هذه أتانك التي
كنت عليها تخفضك طورا وترفعك طورا آخر فاقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله ان لها لشأنا
قالت حليمة وكنت اسمع أتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا أي بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني
بعد هزالي ويحكن يانساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خير
النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره في السيرة الحلبية وذكر
انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أو خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت
رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازلنا بني سعد ولا أعلم أرضا من اراضي الله أجدب منها
فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا شباعا لبنا أي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي رواية فنحلب
ماشاء الله ومايحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان المقيم في المنازل من قومنا
يقول لرعاتهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت ابي ذؤيب يعنونني فتروح أغنامهم جياعا ماتبض
بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته
وكان يشب شبابا لايشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا أي غليظا شديدا وعن
حليمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبو الى كل جانب وفي
ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي وفي خمسة حصلت له القدرة على
المشي فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم
بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي بالسهام مع الصبيان وعن حليمة أيضا رضي الله عنها
قالت انه لفي حجري اذ مرت بنا غنيمات فأقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى
صواحبها قالت رضي الله عنها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه والى قصة ارضاعه
صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول

قوله لبنا بضم اللام جمع لبون كرسل جمع رسول والموحدة مضمومة أو ساكنة وكنت أسمع بعض اشياخي يشددها جمع لابن قاله نصر

وبدت في رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء

اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن ما في اليتيم عنا غناء

فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء

أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء

أصبحت شولا عجافا وأمست * ما بها شائل ولا عجفاء

أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبي منها غذاء

يا لها منة لقد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء

واذا سخر الاله أناسا * لسعيد فانهم سعداء

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطم الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وتكلم بهذا أيضا عند خروجه من بطن أمه كما تقدم وفي رواية أول كلام تكلم به في بعض الليالي وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيئا الا قال بسم الله وعن حليمة رضي الله عنها قالت لما دخلت به الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته في قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى في جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة قالت حليمة رضي الله عنها فقدمنا مكة على أمه أي بعد ان بلغ سنتين ونحن أحرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت ابني عندي حتى يغلظ وفي رواية قلنا نرجع به هذه السنة الاخرى فاني أخشى عليه وباء مكة أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان أمه آمنة رضي الله عنها قالت لحليمة رضي الله عنها ارجعي بابني على الفور فاني أخاف عليه وباء مكة أي كما تخافين أنت أيضا عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه تعني من الرضاع لفي بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يشتد أي يعدو فقال لي ولابيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أي يدخلان يديهما في بطنه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه أي متغيرا لما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق لانه بغير ألم قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يا بني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو قالت حليمة فرجعنا به الى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب يعني بشئ من الجن فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به واخرجي من أمانتك وفي رواية قالت قال زوجي أرى أن نرده على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه الا حسدا من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه وقدمنا به مكة على أمه قيل وهو ابن أربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن حليمة رضي الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يا أماه مالي لا أرى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاع وهم أخوه عبد الله وأختاه أنيسة والشيما أولاد الحارث قالت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا قالت فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني أخوه وفي رواية ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح عرقا باكيا ينادي يا أمه ويا أبت الحقا أخي محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قضيته قال بينا نحن قيام اذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا

ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا أدري ما فعل به قالت حليمة فاقبلت أنا وأبوه نسعى سعيا شديدا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خير يا أماه بينا أنا الساعة قائم اذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فعمد أحدهم فأضجعني الى الارض ثم شق من صدري الى عانتي وأنا أنظر اليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما الى آخر القصة وفي رواية انها لما قدمت به مكة لترده بعد هذه القصة أضلته في اعالي مكة فقالت اني قدمت بمحمد في هذه الليلة فلما كنت باعالي مكة أضلني فوالله ما أدري أين هو فقام عبد المطلب يدعو الله أن يرده عليه وأنشد

يارب رد ولدي محمدا * اردده ربي واصطنع عندي يدا

فسمعوا هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يجذب غصنا من أغصانها فقال له جده من أنت يا غلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال وأنا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم أهل مكة وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ان هذه القصة تكررت وانه حصل له ضياع مرة أخرى فوجده أبو جهل فاركبه بين يديه على ناقته وجاء به الى جده وقال ماتدري ماوقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت ان تقوم فأركبته امامي فقامت قالت حليمة فلما قدمت به قالت أمه ما أقدمك به ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك فقلت قد بلغ الله وقضيت الذي علي وتخوفت الاحداث فأديته عليك كما تحبين قالت ما شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت تخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني هذا شأنا ألا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أي علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة وعن حليمة رضي الله عنها انه مر بها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثوني عن ابني هذا حملته أمه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ما سمعته من أمه وكل ما رأته هي بعد ان أخذته وأسندت الجميع الى نفسها كأنها هي التي حملته ووضعته فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أو يتيم هو فقالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كان يتيما قتلناه لان ذلك عندهم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وعن حليمة أيضا رضي الله عنها انها نزلت به صلى الله عليه وسلم سوق عكاظ وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذا السوق شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون وانما سمي عكاظ لان المعاكظة المفاخرة فقال عكاظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة قيل كان سوق عكاظ لثقيف وقيس وعيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فزاغت أي مالت به وحادت عن الطريق فأنجاه الله *(وفي الوفاء للسيد السمهودي)* لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون أي صبي هذا

فقال

فقال هذا الصبي فلا يرون أحدا فيقال له ما هو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم يأتون اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر أمرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات وفي السيرة الهشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فأبت وأتت به الى أمه

(وقصة شق الصدر) جاءت روايات كثيرة ففي بعضها عنه صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر القصة قال بينا نحن كذلك اذا بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم أي بأجمعهم واذا بظئري أي مرضعتي امام الحي تهتف أي تصيح بأعلى صوتها وتقول واضعيفاه فأكبوا علي يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئري واوحيداه فأكبوا علي فضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت من وحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الارض ثم قالت ظئري وايتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني أمي وهي ظئري قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى أكبت علي وضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها وان يدي في أيديهم يعني الملائكة والقوم لا يعرفونهم أي لا يبصرونهم فأقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم أي طرف من الجنون أو طائف من الجن وهي اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هؤلاء ما بي مما تذكرون شئ ان آرابي أي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح وليس بي قلبة أي علة فقال أبي وهو زوج ظئري ألا ترون كلامه صحيحا اني لارجو أن لا يكون بابني بأس واتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه فقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فسألني فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فعمدت ظئري فنزعتني من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت أن هذا قولك ما أتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا الغلام ثم احتملوني الى أهلهم ثم أصبحت فزعا مما فعلوا يعني الملائكة وأصبح اثر الشق ما بين صدري الى منتهى عانتي ولعل الحكمة في بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأنت جدته وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء

اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بأنهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرها وكان لديها ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو دع مالم يذع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

(وقد تكرر شق الصدر) هذه المرة الاولى لينشأ على أكمل الحالات وأتم الصفات والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الامام أحمد عن أبي بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أبا هريرة اني في صحراء وانا ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسي واذا رجل يقول أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها للخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا الي يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لاحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعني بلا قصر ولا هصر أي من غير اتعاب فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا الذي أدخله يشبه الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت وعندي رأفة على الصغير ورحمة على الكبير قيل ان الصواب ان ذلك وعمره عشر سنين وان ذكر العشرين غلط من بعض الرواة والمرة الثالثة عند ابتداء الوحي والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة في الشق الثاني الذي كان وعمره عشر سنين قال في السيرة الشامية ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشئ مما يعاب على الرجال والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر الحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال من التطهير والحكمة في الرابع الزيادة في اكرامه ليتأهب للمناجاة *وعن حليمة رضي الله عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاع وهي الشيماء وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبي صلى الله عليه وسلم أيضا وكانت ترقصه وتقول

هذا أخ لي لم تلده أمي * وليس من نسل أبي وعمي * فأنمه اللهم فيمن تنمي

ومما كانت ترقصه به أخته الشيماء يا ربنا أبق لنا محمدا * حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه سيدا مسودا * واكبت أعاديه معا والحسدا * وأعطه عزا يدوم أبدا

قال الازدي ما أحسن ما أجاب الله به دعاءها فقالت حليمة في هذا الحر أي ما ينبغي أن يكون الخروج والوقوف في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظلل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى اذا انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقا يا بنية قالت اي والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما نحذر على ابني وفي كلام بعضهم أن حليمة رضي الله عنها في بعض الاوقات رأت الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ووفدت عليه حليمة رضي الله عنها بعد تزوجه بخديجة رضي الله عنها تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة رضي الله عنها فأعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات من الابل وفي رواية أربعين شاة وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه وفي رواية قدمت معزوجها وولدها فبسط لهم رداءه

وفى رواية وأجلسهم على ثوبه وفى كلام القاضى عياض ثم جاءت أبابكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك قال فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن الاثير فتكون قد عمرت دهرا طويلا وعن أبى الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وانا غلام شاب فأقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل أمه التى أرضعته وفى رواية استأذنت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمى أمى وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه قال ابن حجر فى شرح الهمزية من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هى وزوجها وبنوها وغلط من انكر اسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار رضى الله عنها وفى السيرة الحلبية أن بنتها الشيماء أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع كانت فى السبى يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يارسول الله أنا أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه وكلام المواهب يقتضى انهما قضيتان فى كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجىء أخته وواحدة عند مجىء أمه خلافا لمن وهم فى ذلك وأنكر مجىء الام وقال بل هى الاخت فقط قال ابن عبد البر فى الاستيعاب حليمة السعدية أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاع يقال لها الشيما أغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فأخذوها فيمن أخذوا من السبى الحديث وقد ألف الحافظ مغلطاى تأليفا فى اسلام حليمة رضى الله عنها ردا على من أنكره

(باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم) ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه روى الزهرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخوال جده وهم بنو عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بى أمى وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبى هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به أمه الى مكة وفى رواية أبى نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الى رجل من اليهود يختلف ينظر الى فقال ياغلام ما اسمك قلت أحمد ونظر الى ظهرى فسمعته يقول هذا نبى هذه الامة ثم راح الى اخوانه فأخبرهم فأخبر وا أمى فخافت على فخرجنا من المدينة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها وقيل بالحجون وقيل جمعا بين الروايتين انها دفنت أولا بالابواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت فى حدود العشرين سنة *(وروى أبو نعيم)* فى دلائل النبوة من طريق الزهرى عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت شهدت آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع أى مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذى من حومة الحمام

نجا بعون الملك العلام * فودى غداة الضرب بالسهام

بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث الى الانام * تبعث فى الحل وفى الحرام

تبعث فى التحقيق والاسلام * دين أبيك البر ابراهام

فالله أنهاك عن الاصنام * أن لاتواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق وولدت طاهرا قالت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

تبكى الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه

زوجة عبد الله والقرينه * أم نبى الله ذى السكينه

وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه

لو فوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة متينه

لاتبق ظعانا ولا ظعينه * الا أتت وقطعت وتينه

أما دلات أيها الحزينه * عن الذى ذو العرش يعلى دينه

فكلنا والهة حزينه * نبكيك للعطلة أو للزينه

* أو للضعيفات وللمسكينه *

قال الزرقانى فى شرح المواهب نقلا عن الجلال السيوطى بعد ذكر أبياتها السابقة وهذا القول منها صريح فى أنها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شئ غير هذا فان التوحيد هو الاعتراف بالله والاهيته وانه لاشريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف فى التبرى من الكفر وثبوت صفة التوحيد فى زمن الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة ولا يظن بكل من كان فى الجاهلية أنه كان كافرا على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف منهم انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من انه قرب بعث نبى من الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت فى حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذى خرج منها أضاءت له قصور الشأم حتى رأتها وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن فى كلمات أخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤيد أنها تحنفت فى حياتها وأما أبوه رضى الله عنه فنقل عنه كلمات وأشعار تدل على توحيده أيضا كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه

أما الحرام فالممات دونه * والحل لاحل فأستبينه

يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ولم ينلن منه شيئا وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم يضئ فى وجهه كالكوكب وقد قال صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات فالكافر لا يوصف بانه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر قال فى المواهب وقد روى أن آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبرانى وابن شاهين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيبا حزينا وفى رواية وهو باك حزين فأقام به ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال يخاطب عائشة رضى الله عنها سألت ربى فأحيا لى أمى فآمنت بى

ثم

ثم ردها أي الى ما كانت عليه من الموت وروى السهيلي من حديث عائشة رضي الله عنها أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ولفظه بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما قال السهيلي والله قادر على كل شئ وليس تعجز رحمته وقدرته عن شئ ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ورواه الخطيب البغدادي وقد جزم بعض العلماء بأن أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار بل في الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال السيوطي مال الى أن الله أحياهما حتى آمنا به طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث وادعى بعضهم أنه موضوع وهذا مردود والحق أنه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به في الفضائل ولقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي حيث قال

حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه * لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة قال الزرقاني في شرح المواهب بعد ذكر حديث أحيائهما وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية ان الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم

أيقنت ان أبا النبي وأمه * احياهما الرب الكريم البارى
حتى له شهدا بصدق رساله * سلم فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عار

قال الزرقاني الذي يظهر لي أن المراد صححوا العمل به في الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه في مرتبته فيرجع لكلام السيوطي وقال التلمساني روى اسلام أمه بسند صحيح وكذا روى اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له وسيذكر في المواهب في المعجزات ان الله أحيا على يده صلى الله عليه وسلم خمسة منهم الابوان قال القرطبي في التذكرة أن فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يرد ذلك اجماع ولا قرآن وليس احياؤهما وايمانهما يمتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله كما قص الله ذلك في سورة البقرة وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يده جماعة من الموتى قال الزرقاني فأحيا ابنة لرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقي في الدلائل وأباه وأمه وتوفي شاب من الانصار فتوسلت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فأحياه الله رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة الانصاري من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وأخرج ابن الضحاك ان أنصاريا توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ماذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد

احياؤهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم عاش نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد أطبقت الائمة الاشاعرة من أهل الاصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة قال الجلال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال انه ناج واياها اختار السبكي ومنهم من قال كأهل الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى المسلم وقد مشى على هذا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بانهما لم تبلغهما الدعوة قال السيوطي وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به اذا سئل عنهما قال وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهي كثيرة ومعانيها متقاربة والصحيح منها ثلاثة (الاول) حديث الاسود ابن سريع وأبي هريرة معا مرفوعا أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة الحديث أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقي وصححه وفيه وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (والثاني) حديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا وله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأي أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين (والثالث) حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي قال الحافظ ابن حجر والظن بآبائه صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقربهم عينه صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض في الاحاديث التي فيها انه صلى الله عليه وسلم جاء قبر أمه فبكى بكاء هائلا بكاؤه صلى الله عليه وسلم ليس لتعذيبها وانما هو وأسف على ما فاتها من ادراك أيامه والايمان به قال الزرقاني وقد رحم الله بكاءه فأحياها له حتى آمنت به ثم قال وما ألطف هذه العبارة من القاضي عياض فانها صريحة في أن البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية وقال الفخر الرازي في تفسيره ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه بل أن آباء الانبياء كلهم ما كانوا كفارا تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم وان آزر لم يكن أبا لابراهيم عليه السلام بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك في الساجدين مع قوله صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من

أصلاب

أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون منهم العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الامع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب وهذا لازم في جميع الآباء وقد أيد الجلال السيوطي كلام الفخر الرازي بأدلة كثيرة وألف في ذلك رسائل فجزاه الله خيرا وشكر سعيه فمن تلك الادلة حديث البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه مع ماثبت أن الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الارض وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي رضي الله عنه قال لم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك لهلكت الارض ومن عليها وأخرج الامام أحمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الارض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعني بعثت من خير قرون بني آدم الخ وأن الارض لم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ماقاله الامام لانه ان كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانهم ففيه المدعى وان كانوا غيرهم فاما أن يكونوا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فهو المدعى واما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وقال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض في زمانهم وساق نصوصا وأدلة كثيرة في ايمان الآباء الطاهرين من آدم الى ابراهيم عليهما السلام ثم قال وقد صحت الاحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر منهم أحد الى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي الذي يقال له عمرو بن لحي فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساق أدلة تشهد بأن عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على ملة ابراهيم ثم قال فتلخص من مجموع ماسقناه أن اجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ في جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرنا فقرنا * الى أن جاء خير المرسلينا

قال السهيلي ان عبد المطلب لم تبلغه الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بان عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وذكر ابن سيد الناس ان الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم لكن هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالاكثرون على انه لم تبلغه الدعوة أو انه كان على الحنيفية ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف ذكره في السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده أيضا ما اتضح له من المبشرات التي بشر بها على ألسنة الاحبار والكهان مع مارآه من المنامات والاشارات حتى تبين له أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الموعود به آخر الزمن حتى ذكره بعضهم في الصحابة منهم الحافظ ابن حجر في الاصابة وابن السكن لما جاء عنه أنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وان كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لانها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة وقد روي عن عبد المطلب

أخبار كثيرة تقتضي أنه عرف بها نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك أن قوما من بني مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له في حق النبي صلى الله عليه وسلم احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم الذي في المقام منه أي وهي قدم ابراهيم عليه السلام وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى في دينهم وذلك الاسقف يحدثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسماعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا فأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه والى عينيه والى ظهره وقدميه فقال هو هو ماهذا منك قال هذا ابني قال ماتجد أباه حيا قال هو ابن ابني وقد مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون مايقال فيه وعن أم أيمن رضي الله عنها قالت كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم أي أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يابركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابني قلت لا أدري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لاتغفلي عن ابني فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول عليّ بابني أي أحضروه ويجلسه بجنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره بأطيب طعامه وعن رقيقة بنت أبي صيفي ابن هاشم بن عبد مناف قيل ادركت الاسلام ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون أي أزمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال وأشفين أي أشرفن على الانفس فسمعت قائلا يقول في المنام يامعشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان أي وقت خروجه وبه يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أي أشرافكم نسبا طوالا عظاما اي طو بلا عظيما أبيض مقرون الحاجبين أهدب الاشفار أي طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أي لاشعر بهما رقيق العرنين أي الانف فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك وإماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ماترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أي البقر والابل والخيل والبغال والحمير فأشفت على الانفس أي أشرفت على ذهابها فأذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قالت وسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء وفي هذه القصة تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوّذ المطر
فجاء بالماء جوني له سبل * دان فعاشت به الانعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت حقا به مضر
مبارك الاسم يستسقى الغمام به * مافي الانام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وأولاده ومعه رسول الله صلى الله عليه

في القاموس الاسيل من الخدود الطويل المسترسل اه
وفي الصحاح ورجل أسيل الخد اذا كان لين الخد طويله وكل مسترسل أسيل اه

وسلم وهو صغير فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه وقال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فأتح لهم سحابا خوّاره وسماء خرّاره لتضحك أرضهم ويزول ضرّهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دوى وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يامعشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا وذكر ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال ياعبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولو لم أخرج اليك لخرّ على ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه وأعطاه مايعالج به وفي رواية أن الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال ياعبد المطلب هذا رمد قال نعم قال ان دواءه معه فخذ من ريقه وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب ياعبد المطلب وتالله هذا الذى أقسم على الله به فأبرأ المرضى وأشفى الاعين من الرمد وتقدم جملة من مناقب عبد المطلب وفيها مايدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الاخلاق وتجنبه بغار حرا واطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش فى رؤس الجبال من مائدته وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر وتحريمه الخمر على نفسه ومنعه من الزنا ومن نكاح المحارم وقتل الموؤدة وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن ذلك قوله والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لاهل مكة عند مجيء أصحاب الفيل

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك * وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

ومن ذلك قوله حين أراد ذبح ابنه عبد الله فكان يضرب القداح ويقول يارب أنت الملك المحمود * وأنت ربي الملك المعبود * من عندك الطارف والتليد * فهل التوحيد شيء غير هذا كلا والله وأما فروع الشرع فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف أحد بها قبل ذلك وتقدم انه كان يوضع له فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد غيره ويحدق به أشراف قريش فيجيء النبي صلى الله عليه وسلم ويجلس معه فأراد بعض أعمامه أن ينحيه فقال عبد المطلب ردّوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده ولما مات كان صلى الله عليه وسلم يبكي خلف سريره (وروى أبو نعيم في الحلية) والبيهقي أن سيف بن ذي يزن الحميري لما ولى على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ماكان عليه اباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية ابن عبد شمس وغالب رؤسائهم كعبد الله بن جدعان التيمي وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصي بن عبد الدار فأخبر بمكانهم وكان في قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فأذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب (وفي الوفاء للسيد السمهودي) وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذنه في الكلام فقال ان كنت

ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا وأنبتك نباتا طالت أرومته وعظمت جرثومته وأنت ملك العرب الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد وكهفها الذى يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت فهم خير خلف فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا من كشف الكرب الذى أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة أى التعزية فعند ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادن ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا محلا أى كثير العطاء قد سمع مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء أى العطاء اذا ظعنتم ثم أمرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الارزاق فأقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأدناه ثم قال يا عبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى لو غيرك يكون لم نبح له به ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعه أى عليه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه انى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد غلام بتهامه بين كتفيه شامه كانت له الامامه ولكم به الزعامه الى يوم القيامه فقال له عبد المطلب أيها الملك أبت بخير آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واعظامه لسألته من مساره اياى أى مسارته اياى بما أزداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أى جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان أى يزجره ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح فقد وضح لى بعض الايضاح قال والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب انك لجده يا عبد المطلب غير كذب ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لى ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعنى أبا طالب فقال له الملك ان الذى قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أى حفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره ثم قال له واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن أن تداخلهم النفاسة فى أن تكون لهم الرسالة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحى أى مهلكى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكه فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب احكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا انى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأعليت على أسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة من

الابل وكرسيا عملوه اعنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين قال الزرقاني في شرح المواهب وما ذكره الفخر الرازي من تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين بتنقله في أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه في تفسير الآية وليس مراده الحصر في هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الاولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه في الساجدين تقلبه في أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا في ذرية ابراهيم أوضح وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه أنها لا اله الا الله باقية في عقب ابراهيم عليه السلام وعن قتادة في الآية قال هي شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده قال الشهاب ابن حجر الهيتمي ان أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على ان آزر لم يكن أبا لابراهيم حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم أبا كما جزم به الفخر بل في القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسماعيل مع انه عم يعقوب وقد سبق الرازي على ذلك جماعة من السلف فقد روي بالاسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر في تاريخ ابن المنذر صرح فيه بأنه عمه قال الزرقاني وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتأخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم انه تبع الشيعة وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف في اسمه وأطال في بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه يجعل النزاع وتخطئته هي الخطأ وحصره القول به للشيعة باطل كيف وقد قال اولئك السلف انه عمه وحكاه الرازي ونقله حافظ السنة في عصره وأقره وأيده بما لا محيص عنه ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وقد وافق الرازي على الاستدلال بهذه الآية لهذا المعنى الماوردي من أئمة الشافعية وناهيك بهما وأما الاخبار الواردة في تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها انها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف اكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتأويل أو انها منسوخة بما ورد في الابوين مما يخالفها (فمن الاحاديث المعارضة) ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال في النار فكأنه وجد من ذلك فقال أين أبوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فأسلم الاعرابي بعد فقال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وأجمل صلى الله عليه وسلم الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته اذا سأله اعرابي وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب اجابه بجواب فيه تورية وايهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما تطييبا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة ورووه بالمعنى كرواية مسلم ان رجلا قال يا رسول الله

أن أبي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان أبي وأباك في النار فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقاني في شرح المواهب وأحسن ما يقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وان الصواب هي الرواية الاولى فهي في غاية الاتقان تبين بها ان اللفظ العام هو الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابي بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضا بالادلة القرآنية والادلة الواردة في أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضته ادلة أخرى وجب تأويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر في الاصول *(فان قيل)* حيث قررت ان أهل الفترة لا يقضي عليهم بشيء حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على أبي السائل بأنه في النار اجاب السيوطي بجواز انه يعصي عند الامتحان وأوحى اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فحكم بأنه من أهل النار وبأن حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها أو بجواز انه عاش حتى أدرك البعثة وبلغته وأصر ومات في عهده وهذا لا عذر له البتة قال الزرقاني وفي الثالث نظر لانه لو كان كذلك لما كان لسؤاله عن الاب الكريم وجه اذ الفرق لائح لان أباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه اللهم الا أن يجاب بان الاعرابي توهم انه لا يكفي بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن ح تفقه في الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به في حديث سعد وابن عمر رضي الله عنهما وبعضهم روى هذه القصة بأن السؤال عن الام وجمع بأنه سأل مرة عن أبيه ومرة عن أمه *(ومن الاحاديث المعارضة للنجاة)* حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا استأذنت ربي أن أستغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته ان أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وأجيب كما في الزرقاني بأن حديث عدم الاذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل انه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا في أول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له مع انه من المسلمين وعلل بأن استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل ثواب دعائه الى منزله في الجنة والمدين محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضي دينه فقد تكون أمه مع كونها متحنفة محبوسة في البرزخ عن الجنة لامور آخر غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار لها الى أن أذن الله فيه بعد ذلك قال واما حديث أمي مع امكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها في النار لجواز انه أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية وابهاما تطييبا للقلوبهما قال وأحسن منه انه صدر ذلك منه قبل أن يوحى اليه أنهما من أهل الجنة كما قال في تبع لا أدري تبعا ألعينا كان أم لا أخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال بعد أن أوحي اليه في شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس رضي الله عنهما فكأنه أولا لم يوح اليه في شأنهما شيء ولم يبلغه القول الذي قالته عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بأنها مع أمها جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحي اليه أمرها بعد قالت ويمكن الجواب بأنها كانت موحدة غير انها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك واصل كبير فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ وتقدم عن القاضي عياض ان الاحاديث التي فيها البكا عند قبر أمه تحمل على أن بكاه ليس لتعذيبها وانما كان أسفا على ما فاتها من ادراك أيامه أي بعثته والايمان به وقد رحم الله بكاه فأحياها حتى آمنت *(ومن الاحاديث المعارضة للنجاة)* ما رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أومأ الى المقابر أي أشار الى أنه يريد

الذهاب اليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبرمنها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واني استأذنته في الدعاء وفي رواية في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي "ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني ما يأخذ الولد للوالد اى من الرقة والشفقة والجواب عنه انه حديث ضعيف ضعفه ابن معين وغيره قال الذهبي فيه أبو أيوب بن هانى ضعيف قال السيوطي فهذه علة تقدح في صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع انه معارض بالاحاديث التي فيها ان الآية نزلت في أبي طالب واما مايذكره بعض المفسرين من أن قوله تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم نزلت في الابوين فذلك باطل لا أصل له بل الاية نزلت في اليهود والنصارى قال أبو حيان في البحر وسوابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل انها نزلت في أبي طالب وسيأتي الكلام عليه فان قلت قد صحت أحاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا ابصر به احد قال انما تعلق بمحجني وان غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك باجوبة أحدها انها أخبار آحاد تفيد الظن فلا تعارض القطع بأنهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الايات عليها وان صحت الثاني قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على هؤلاء اتباعا للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافي القاطع والله أعلم بالسبب الموقع لهم في العذاب وان كنا نحن لا نعلمه الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة كعمرو بن لحي فانهم فعلوا من الضلال والاضلال مالا يعذرون به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام *(القسم الاول) من أدرك التوحيد وعرف الله ببصيرته أي بعلمه وخبرته فنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الايادي فانه آمن بالبعثة في زمن الجاهلية وعرف الله بعقله وكان يقول سيعلم حق من هذا الوجه ويشير الى مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فأجيبوه ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه في كلام آخر وروى اليعمري عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا رحم الله قسا اني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وسيأتي شئ من أخباره وكزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة وكان يقول اني خالفت قومي واتبعت ملة ابراهيم واسماعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وأنا أنتظر نبيا من بني اسماعيل يبعث ولا أراني أدركه وانا أومن به وأصدقه واشهد أنه نبي وقال لعامر بن ربيعة ان طالت بك حياة فأقرئه مني السلام قال عامر فلما أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته في الجنة يسحب ذيولا ومن هذا القسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فانه ما كان يفعل ما يفعلون في الجاهلية وما سجد لصنم قط ولذا قال بعض المحققين كل من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما يلقب بالصديق وانه يقال فيه كرم الله وجهه لكن اشتهر الصديق في أبي بكر وكرم الله وجهه في علي رضي الله عنهما وكل منهما لم يسجد لصنم قط ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قال الزرقاني ولا بدع أن يكون الابوان الشريفان

كالقسم الاول أعنى زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الابوان أولى بذلك كما تقدم *(القسم الثانى)* من أهل الفترة من غير وبدّل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر من العرب كعمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر أوّل من سنّ للعرب عبادة الاصنام وغير دين ابراهيم وجدّه قمعة بن خندف أبو خزاعة وخندف زوج الياس بن مضر وقد ذكر ابن اسحاق فى سبب تغيير عمرو بن لحى وتبديله واشراكه انه خرج الى الشأم وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الى مكة فنصبه الى الكعبة وهو هبل وقيل كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة جاءه ليلة فقال أجب أبا ثمامه فقال لبيك من تهامه أدخل بلا ملامه فقال ائت سيف جدة تجد آلهة معده فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التى كانت تعبد زمن نوح فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام فى العرب وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحى فبيناهو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فأنكر ذلك عمرو فقال ماهذا فقال قل تملكه وما ملك فانه لا بأس به فقالها عمرو فدانت بها العرب وشرع لهم الاحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامى فكانوا اذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضى أو قدمت من سفرى فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم أو ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الاقسام يجعلونها لطواغيتهم وتبعته العرب فى غير ذلك أيضا مما يطول ذكره كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة *(القسم الثالث)* وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثانى لاجل كفرهم بما تعدوا به من الخبائث وقد سمى الله هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى فى مقام الردّ والانكار لما ابتدعوه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وانما قيل لهم لا يعقلون لانهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن أكثرهم بخلاف القليل منهم فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الاوّل وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقا اذا علمت ذلك تعلم ان والدى النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكونا من أهل القسم الاوّل كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم المنقوله عنهم فيما تقدّم واما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها الا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين فى أقطار الارض كالشأم وغيرها وما عهد لهما تقلب فى الاسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة أن أمه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم

نحا الطيهين الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أن ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينها أزيد من ثلاثة آلاف سنة وأما أهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة والسلام في كل منهما انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر بأنهما كانا على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى واذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع من حصول مثله لآبائه الكرام وأمهاته الفخام واختلفوا في ثبوت الصحبة لقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والاكثرون على عدم ثبوت الصحبة لان اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته وارساله الى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ولذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام انهم يبعثون بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذي دخلوا فيه مالم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين لكن تبع لم يدرك الاسلام قطعا وقال فيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه فيه لا أدري تبعا ألعينا كان أم لا ثم لما أوحى الله فيه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أي وحد الله وصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه قال الامام جلال الدين السيوطي اني لم أدع أن مسئلة الابوين اجماعية بل هي مسئلة اختلاف فيه فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير اني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لانه الانسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بأنه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذاني فقد آذى الله وروى الطبراني والامام أحمد والترمذي عن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء ولا ريب ان أذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب وعند المالكية يقتل وان تاب فاذا سئل العبد عن الابوين الشريفين فليقل هما ناجيان في الجنة اما لانهما أحييا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين واما لانهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابي في شرح مسلم واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيئا من ذلك وقد نقل العلامة الطحطاوي من علماء الحنفية المتأخرين في حواشيه على الدر المختار في كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ولا عبرة بمخالفة من خالف في ذلك قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد ائمة المالكية عن رجل قال ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فأجاب بأنه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم أن رجلا من كتاب الشام استعمل على كورة من كورة رجلا كان

أبوه يزن بالمنانة فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له ما حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلا كان أبوه يزن بالمنانة فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان ابوه كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تلي لي شيئا ما بقيت وعزله عن الدواوين ولقد أطنب الجلال السيوطي رضي الله عنه في الاستدلال لاعانهما فالله يثيبه على قصده الجميل وجملة مؤلفاته في ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنفا في نجاة آباء المصطفى صلى الله عليه وسلم قال في مسالك الحنفا وقد سئلت ان أنظم في هذه المسئلة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت

ان الذي بعث النبي محمدا * أنجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وأبيه حكم شائع * أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذى * آتاه خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة * أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم * والاشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة * وبنحو ذا في الذكر آي تعرف
ولبعض أهل الفقه في تعليله * معنى أرق من النسيم وألطف
ونحا الامام الفخر رازي الورى * منحى به للسامعين تشنف
اذهم على الفطر الذي ولدوا ولم * يظهر عناد منهم وتخلف
قال الالى ولدوا النبي المصطفى * كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لابيه عبد الله ما * فيهم أخو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة * نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب * في الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في * أسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه * وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهليـ * ـة فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكي بذاك مقالة * للاشعري وما سواه مزيف
اذ لم تزل عين الرضا منه على الصديق وهو بطول عمر احنف
عادت عليه صحبة الهادي فما * في الجاهلية للضلالة يعرف
فلامه وأبوه أحرى سيما * ورأت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا الى احيائه * أبويه حتى آمنا لا تعرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا * في ذاك لكن الحديث مضعف
هذي مسالك لو تفرد بعضها * لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته * أدبا ولكن أين من هو منصف
صلى الاله على النبي محمد * ما جدد الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله * أوفى رضاه بدوم لا يتوقف

(باب في وفاة جده عبد المطلب ووصيته لابي طالب). كان جده عبد المطلب هو الكافل له

صلى

صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده اذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكانت وفاة جده وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبد المطلب حين توفي مائة واربعين سنة وقيل مائة وعشرة وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصي ولما حضرته الوفاة أوصى به الى عمه شقيق ابيه أبي طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا وحين أوصى به جده لابي طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه أحدا من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه بأحسن الطعام وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما فخرجت القرعة لابي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له وقيل انه كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب يوم موت الزبير وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة في الكتب القديمة فهي من علامات نبوته ففي خبر سيف ذي يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيرا قال بعضهم لم يبك على أحد بعد موته ما بكي على عبد المطلب وكان صلى الله عليه وسلم يمشي خلف سريره ويبكي وهو ابن ثمان ولم يقم لموته سوق بمكة أياما كثيرة ومما رثته به ابنته أميمة قولها

اعيني جودا بدمع درر * على ماجد الخير والمقتصر

على ماجد الجد وارى الزناد * جميل المحيا عظيم الخطر

على شيبة الحمد ذي المكرمات * وذي المجد والعز والمفتخر

وذي الحلم والفضل في النائبات * كثير المفاخر جم الفخر

وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا وحدهم جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب أي القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم وحده يشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك وكان أبو طالب يقرب الى الصبيان أول بكرة النهار شيئا يأكلونه فيجلسون وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب معهم تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاما على حدته ولا ينافي ما قبله لانه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا صقيلا كأنه في أنعم عيش لطفا من الله به قالت ام أيمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان يغدو واذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وهذا في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس

عليها فقال ان ابن أخي ليحس بنعيم أي بشرف عظيم وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لايحب أولاده كذلك ولذا لاينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج *(وقد أخرج ابن عساكر)* عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط وشدة من احتباس المطر عنهم فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعمدوا لمناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسماعيل قالوا كأنك عنيت أبا طالب فقال ايها فقاموا بأجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام وهو النبي صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره الغلام بالكعبة ولاذ الغلام أي أشار بأصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجئ وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا واغدودق الوادي أي أمطر وكثر قطره وأخصب النادي والبادي وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالأوا على أذيته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده أبو طالب فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة أخرى قبل هذه فروى الخطابي حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا في الحال فقد شاهد أبو طالب ماد له على ماقال اعني قوله وأبيض يستسقى البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتا لابي طالب على الصواب خلافا لمن قال انها لعبد المطلب فقد أخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى الجدب والقحط وانشد أبياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بابراقها ثم بعد ذلك جاءوا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه كأنك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق صلى الله عليه وسلم بأن أبا طالب منشئ البيت وأول القصيدة

ولما رأيت القوم لاود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد جاهرونا بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالانامل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول

أعبد مناف أنتم خير قومكم * فلا تشركوا في أمركم كل واغل

فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم * تكونوا كما كانت أحاديث وائل

أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة * ومن ملحق في الدين مالم نحاول

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق لبر في حراء ونازل

وبالبيت حق البيت في بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل

قف———— على الاستسقاء الحاصل من أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم

قوله شمس دجن أي شمس ذات يوم دجن أي مظلم أو شمس ذات ظلمة لان الدجن كقفل الغيم المطبق المظلم اه

قوله ثمال اليتامى هو الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة وعصمة الارامل الذي يمنعهم مما يضرهم من ضياع أو حاجة والارامل المساكين من رجال ونساء اه

قوله كل واغل أي ضعيف نذل دخيل داخل على القوم في طعامهم وشرابهم اه

قوله كذبتم الخ أي كذبتم في قولكم نقهر محمدا ونغلبه اهـ

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال الزرقاني وما أحلى قوله في ختامها عن ابن اسحاق

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد * واحببته داب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش * يوالي الها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة * تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة * تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

قال الامام عبد الواحد السفاقسي في شرح البخاري ان في شعر أبي طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من أحواله ومنها الاستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت في كثير من الاخبار زيادة على أخذها من شعره وتمسك بها الشيعة في انه كان مسلما وألف علي بن حمزة البصري الرافضي جزءا جمع فيه شعر أبي طالب وقال انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ في سبهم والرد عليهم قال الحافظ ابن حجر قد أكثر في هذا الجزء من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبي طالب ولا يثبت شيء من ذلك واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه والحاصل أن مذهب أهل السنة من المذاهب الاربعة عدم اسلامه وانقياده على حسب ما نطق به القرآن وجاءت به السنة وان كان عنده تصديق قلبي بنبوته فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته قبل الغرغرة ياعم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة وفي رواية أحاج وفي رواية أشهد لك بها عند الله وفي رواية يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانه قال له يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ولو قلتها لا أقولها الا لاسرك بها وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا اله الا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفي رواية قال العباس انه أسلم عند الموت وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه لكن أجاب عنه القائلون بعدم اسلامه بأن شهادة العباس لابي طالب بالاسلام مردودة لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل أن يسلم مع أن الاحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد أثبتت لابي طالب الوفاة على الكفر فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه ان أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك مالم انه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين

ولو كانوا أولي قربى وقوله هو على ملة عبد المطلب لا ينافي ما تقدم أن المحققين على نجاة عبد المطلب لانه أراد حكاية ظاهر الحال لهم مع أن عبد المطلب له عذر وهو عدم ادراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وأنزل الله أيضا في أبي طالب خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي صحيح البخاري ومسلم عن العباس رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار وفي رواية لولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار قال الزرقاني لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسئل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية وقال الحافظ ابن حجر لو كانت طريقه يعني حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه فضلا عن انه لا يصح وروى أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموته فبكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وهذا قبل نزول ما كان للنبي الآية وفي رواية لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اغتسل وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه زاد في رواية حتى يسيل على قدميه قال البيهقي ان هذا الحديث يخصص قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة لعمه أبي طالب ويؤخذ من الحديث انه يجوز أن الله يمنع عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع قال السهيلي ان أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته متحيزا ناصرا له الا انه كان مثبتا لقدميه على ملة قريش حتى قال عند الموت انه على ذلك فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على تلك الملة فيكون من مشاكلة الجزاء للعمل ثبتنا الله على الصراط المستقيم قال القراني في قوله السابق لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الاباطل تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن وكان يقول اني لا علم أن ما يقوله ابن أخي حق ولولا أخاف أن يعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره من هذا النحو كثير كقوله حين اجتمعت قريش وجاؤه بعمارة بن الوليد وقالوا له خذه بدل محمد ويكون كالابن لك وأعطنا محمدا نقتله فقال ما أنصفتموني يا معشر قريش أخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ثم قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا المسبة أو حذار ملامة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وروى انه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا الى أبي طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء يعنون القتل للنبي صلى الله عليه وسلم فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب في رجال من

أشرافهم

أشرافهم فأخبر وهما جاؤاله فبعث أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فأخبره بمرادهم وقال يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك أعط سادات قومك ماسألوك فقد أنصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان أعطيتكم ماسألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لنعطيكها وعشر امعها فما هي قال تقولوا لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم وقالوا يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجيب فأنزل الله ص والقرآن ذي الذكر الآيات وفي رواية قالوا يسع لحاجاتنا جميعا اله واحد سلنا غير هذه الكلمة وقال أبو طالب يا ابن أخي هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها قال ياعم ما أنا بالذي يقول غيرها ثم قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فقال بعضهم لبعض والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم قالوا عند قيامهم والله لنشتمك والهك الذي يأمرك بهذا وفي رواية لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن الذي يأمرك بهذا وقال أبو طالب عند ذلك والله يا ابن أخي مارأيتك سألتهم شططا أي أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أي عم فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخي لولا مخافة السب عليك وعلى بني أبيك من بعدي وان يظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لاقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكني اموت على ملة الاشياخ فأنزل الله تعالى انك لا تهدي من أحببت الآية وفي رواية ان أبا طالب قال عند موته يامعشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن أخي قال اريد ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله فقال يا بن أخي قد علمت انك صادق لكن اكره ان يقال الخ الحديث واجتمعوا مرة اخرى عند أبي طالب فأوصاهم أبو طالب فقال يامعشر العرب أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة وامهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب واني أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة فان فيها امرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا ارحامكم فان في صلة الرحم منسأة أي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم اجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وأوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب وأهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفي رواية دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولا جلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك على كفره وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه

ترشدوا * قال الزرقاني فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق ومع ذلك سبق فيه قدر القهار ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار ولهذا الحب الطبعي كان أهون أهل النار عذابا كما في صحيح مسلم والحاصل ان ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كلها تدل على انه مات على كفره وانه كان عنده تصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه وأما حديث العباس رضي الله عنه الذي فيه انه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لا يعارض تلك النصوص وقالت الشيعة باسلامه تمسكا بذلك الحديث وبكثير من أشعاره لكن مذهب أهل السنة على خلافه ونقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الامام الشعراني والسبكي وجماعة ان ذلك الحديث أعني حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف وصح عندهم اسلامه وان الله تعالى أبهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييبا لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفارا لانه لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم كما تقدم نظيره في حديث الذي قال ابن أبي وأيضا لو ظهر لهم اسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبي صلى الله عليه وسلم ولما تمكن من حمايته والدفع عنه فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وانجاه في باطن الامر لكثرة نصرته للنبي صلى الله عليه وسلم وحمايته له ومدافعته عنه ولكن هذا القول أعني القول باسلامه عند بعض أهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغي التكلم به بين العوام بل لا ينبغي كثرة الخوض في شأنه وانما يفوض الامر فيه الى الله تعالى فانه أسلم للعبد قال في السيرة الحلبية نقلا عن الهدى النبوي لابن القيم وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها وكذلك أقر باؤه وبنو عمه الذين تأخر اسلامهم من أسلم منهم ولو أسلم أبو طالب وبادر اقرباؤه وبنو عمه الى الاسلام به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى أن الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم ان ذلك انما هو على بصيرة صادقة ويقين ثابت ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تجمعوا على أذيته قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال له يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت واتفق أن ابن الغيطلة سب النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا أبو عتبة يعني أبا لهب فأقبلت قريش على أبي لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقته وفي لفظ قالوا له أصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن اخي ان يضام حتى يمضي لما يريد قالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث صلى الله عليه وسلم اياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب الى أن جاء أبو جهل وعقبة بن أبي معيط الى أبي لهب فقالا له أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك يزعم انه في النار فقال أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج أبو لهب الى أبي جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم انه في النار فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفي رواية ومن مات على عبادة غير الله فهو في النار فترك أبو

لهب نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وحمايته وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى وانه مات فى الفترة أو انه كان موحدا وانما أجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم لانهم كانوا يعتقدون انهم على ما كان عليه عبد المطلب ولو أراد أن يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لربما كان سببا لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو صلى الله عليه وسلم يريد تنفيرهم عن عبادة الاصنام فاللائق بالمقام أن يجعل الكلام عاما وان يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم من غير ان يفصل لهم ويظهر الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لان ذلك أبلغ فى تنفيرهم ومن تأمل اجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم وفى رواية من مات على عبادة غير الله فهو فى النار وجاء فى رواية من مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل انها من تصرف الرواة ويحتمل انها مجاراة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب فى النار وهكذا كانت عادته صلى الله عليه وسلم فى اجابة الجاهلين يجيب كل انسان على حسب حاله اللائق به وبفهمه وعقله ويأتى بالكلام محتملا تحريا للصدق ومن تأمل الحديث السابق فى سؤال الرجل الذى قال له ابن ابى يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شئ من امثاله فالنبى صلى الله عليه وسلم كان أعقل العالمين واعلمهم فيخاطب كل واحد على حسب حاله وكانت وفاة أبى طالب سنة عشر من النبوة وانما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه الى ذكر الكلام على أبى طالب والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بما نحن فيه والله أعلم

*(ومن الارهاصات) التى ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهو صغير انه كان مع عمه ابى طالب بذى المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية فعطش عمه أبو طالب فشكى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى قد عطشت فأهوى بعقبه الى الارض وفى رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيئا قال أبو طالب فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فركضها فعادت كما كانت وسافر صلى الله عليه وسلم الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه فى ذلك السفر عمه الزبير فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الارض بصدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادى ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعونى ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا وفى السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى أبو طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه فلما فرغ قال على بالغلام وجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه أبو طالب الى الشأم فصب به النبى صلى الله عليه وسلم من الصبابة وكثرة الشوق وفى رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أى لزمه وقبض عليه وفى رواية مسك بزمام ناقة أبى طالب وقال يا عم الى من تكلنى لا أب لى ولا أم فأخذه معه وارد فه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ماهذا الغلام منك قال ابنى قال ماهو بابنك وماينبغى أن يكون له أب حى لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبى أى النبى المنتظر بدليل قوله ومن علامة ذلك النبى فى الكتب القديمة أن يموت أبوه وأمه حامل به وان تموت أمه وهو صغير قال أبو طالب لصاحب الدير وما النبى قال الذى يأتيه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض قال أبو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال ماهذا الغلام منك قال ابنى قال ماهو بابنك وماينبغى أن يكون له أب حى قال ولم قال

لان وجهه وجهني وعينه عين نبي أي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ماذكر علامته في الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي الا تسمع مايقول قال أي عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس أو جرجيس في صومعة له وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه السلام وقيل كان بحيرا من أحبار اليهود وكان قد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير أهل الارض ثلاثة رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد وفي رواية والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قريش كثيرا ماتمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وجدهم سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ماتقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير في أحد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا يا بحيرا ماتخلف أحد عن طعامك ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني أراه من أنفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب وما تخلف عن طعام من بيننا ثم قام اليه عمه الحارث ابن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه مع القوم وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر رضي الله عنه لانه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث انه أصغر من النبي صلى الله عليه وسلم فالظاهر هو الاول ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لانه سمع قومه يحلفون بهما وقال في الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فيخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ماعند بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر الزمن التي عنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش أن لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ماهذا الغلام منك قال ابني قال ماهو ابنك وماينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ثم قال فما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه يهود لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده

فى كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم أنى قد أديت اليك النصيحة فأسرع به الى بلده وفى رواية لما قال له ابن أخى قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشأم أى جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشأم الذى هو محل اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة وقال انه قال لذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو فى حصن من الله ثم تخوف عليه عمه على ماجرت به العادة من طلب التوقى فبعثه عمه مع بعض غلمانه وفى رواية فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة وفى رواية أن بحيرا قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما أعلمك فقال انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خرساجدا ولا يسجد الا لنبى وان الغمامة صارت تظله دونهم وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه وفى رواية أن سبعة من الروم عرفوه صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فردهم بحيرا وقال لهم أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوا بحيرا على مسالمة النبى صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه وأذيته وجاء فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة ومعه أبو بكر وبلال فقيل ان هذه الزيادة خطأ وقيل انها صحيحة وان بلالا كان مع أمية بن خلف فى تلك العير وكذا كان فى العير أبو بكر رضى الله عنه مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبى صلى الله عليه وسلم لمتاربتهما له فى السن وجاء فى بعض الروايات حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق بصرى من أرض الشأم وفى ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال من الذى فى ظل السدرة فقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبى هذه الامة مااستظل تحتها بعد عيسى بن مريم الا محمد أى وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدى الا النبى الهاشمى قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون سفر أبى بكر رضى الله عنه معه صلى الله عليه وسلم فى سفرة أخرى وهى سفرته مع ميسرة غلام خديجة وان ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطورا فاشتبه الامر على بعض الرواة واختلف العلماء فى بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بنبوته صلى الله عليه وسلم هل يعدون فى الصحابة والتحقيق أن من لم يدرك الرسالة لا يعد من الصحابة وبحيرا هذا غير بحيرا الذى قدم من الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فان ذلك صحابى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا فى التحذير من شرب الخمر وقد حفظ الله النبى صلى الله عليه وسلم عما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأعظمهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزها وأفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأكثرهم حلما وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة (فمن ذلك) ما ذكره فى السيرة الحلبية عن ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتنى أى رأيت نفسى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فانى لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمنى لاكم أى من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفى لفظ لكمنى لكمة شديدة لم تكن وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فأخذته فشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين أصحابى ووقع له مثل ذلك عند اصلاح أبى طالب بئر زمزم فعن ابن اسحاق وصححه أبو نعيم قال كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتانى آت عليه ثياب بيض وقال لى استتر فما رؤيت عورته من يومئذ ووقع له مثل ذلك عند

بنيان قريش الكعبة *(ومن ذلك)* ماجاء عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ماهممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بالنبوة الا مرتين من الدهر كلتاهما
عصمنى الله عزوجل من فعلهما قلت لفتى كان معى من قريش بأعلا مكة فى غنم لاهله يرعاها وفى رواية
قلت لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا أبصرلى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان
قال نعم وأصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف
ومزامير فقلت من هذا قالوا فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتنى عيناى فنمت فما أيقظنى
الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال مافعلت فأخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك *(ومن
ذلك)* ماجاء عن أم أيمن قالت كانوا فى الجاهلية يجعلون لهم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش
وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة فكان أبوطالب يحضر
مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك قالت حتى رأيت أبا
طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من
اجتناب آلهتنا وماتريد يامحمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم
رجع فزعا مرعوبا فقلن مادهاك فقال انى أخشى أن يكون بى لمم أى لمة وهى المس من الشيطان فقلن
ماكان الله عزوجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت
من صنم منها أى من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض طويل
يصيح بى وراءك يامحمد لاتمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم (ومن ذلك)* مارونه
عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب
كما ذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وأنزل لها الماء من السماء وأنبت لها من الارض
الكلاء ثم تذبحونها على غير اسم الله قال فما ذقت شيئا ذبح على النصب أى الاصنام حتى أكرمنى الله تعالى
برسالته أى فكان ماسمعه من زيد سببا لتركه ماذبح على الاصنام أى مؤكدا لما عنده فلا ينافى أن
السبب الاصلى حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية وزيد ابن عمرو هذا كان قبل النبوة زمن الفترة على
دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل فى يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التى تذبح للاوثان
ونهى عن الوأد وكان يحييها أى اذا أراد أحد ذلك أخذ الموؤدة من أبيها وكفلها وكان اذا دخل
الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد مستقبلا للكعبة قال ولده سعيد
رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم يوما يارسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال
نعم واستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة أمة وحده أى يقوم مقام جماعة وزيد بن عمرو بن نفيل رابع
أربعة تركوا الاوثان والميتة وماذبح للاوثان حتى ان قريشا كانوا يوما فى عيد لصنم من أصنامهم
ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به فى ذلك اليوم فقال بعض هؤلاء الاربعة لبعض تعلمون
والله ماقومكم على شئ لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما حجر يطوف به لايسمع
ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وهؤلاء الاربعة
هم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان
ابن الحويرث فأما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن اخى الخطاب والد سيدنا عمر رضى الله عنه ولم يدرك
البعثة وكذا ورقة بن نوفل على الصحيح وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة أيضا وقدم على قيصر
ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله بن جحش فأدرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من
المسلمين ثم تنصر هنالك ومات على نصرانيته وهو الذى كان متزوجا بأم حبيبة بنت أبى سفيان قبل

النبي صلى الله عليه وسلم وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش والذى نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة واسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الاحبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ثم أقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فسأله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن بأصل جبل حراء يروى انه قال لعامر بن ربيعة أنا أنتظر نبيا من ولد اسماعيل ولا أرى انى أدركه وأنا أدين به وأصدقه واشهد أنه نبى وان طالت بك حياة فرأيته فسلم منى عليه قال عامر فلما اسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم السلام عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين أى شجرتين عظيمتين

(ومن ذلك) ما روى عن على رضى الله عنه قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا ومازلت أعرف أن الذى هم عليه كفر وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الايمان أى كيفية الدعوة اليهما وعنه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاصنام وبغض الى الشعر

باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم

(باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم) لزيادة الرحمة فى قلبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وأنت يارسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط أى وهى من أجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة وقيل القراريط هنا اسم موضع بمكة وفى رواية بالقراريط بأجياد فالاول لبيان الاجرة والثانى لبيان المكان ومن حكمة الله ان الرجل اذا استرعى الغنم التى هى أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزى فيكون فى أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين اصحاب الابل وأصحاب الغنم عند النبى صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعى غنم وبعث داود وهو راعى غنم وبعثت أنا وانا راعى غنم أهلى بأجياد وهو موضع بأسفل مكة من شعابها وقال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال فى الغنم منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفى رواية سمنها معاش وصوفها رياش وفى الحديث الفخر والخيلاء فى اصحاب الابل والسكينة والوقار فى أهل الغنم وعن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث وهو النضيج من ثمر الاراك فقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فانى كنت أجتنيه اذ كنت أرعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يارسول الله قال نعم ومامن نبى الا وقد رعاها ولا ينبغى لاحد غير رعاية الغنم أن يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كمال فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغى الاحتجاج به ويجرى ذلك فى كل ما يكون كمالا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمى فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم أميا ادب * وحضر النبى صلى الله عليه وسلم حرب الفجار وكان له من العمر أربع عشرة سنة وكان يقول حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت وقيل لم يرم وانما كان يناول عمومته السهام وسببه ان بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز منى

فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأسقطها وقيل جرحه فقط فاقتتلوا أربعة أيام وكان أبو طالب يحضر ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت هوازن واذا لم يجئ هزمت كنانة فقالوا لا أبا لك لا تغب عنا ففعل ذلك وروى انه صلى الله عليه وسلم طعن في تلك الحروب أبا براء ملاعب الاسنة وكان رئيس بني قيس وحامل رايتهم والطعن يحتمل أن يكون برمح أو بسهم وسميت حرب الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام ويسمى الفجار الاول ولهم حروب تسمى حرب الفجار غيره وكلها أربعة وفي اليوم الثالث من حرب الفجار قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس أي الاسود وحرب والد أبي سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتي ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان التيمي وقيل كان الى حرب بن أمية والد أبي سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره وهو ابن عمه فضن أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلا ذريعا قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأت هوازن الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وقيل ودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافرا وهو والد هند أم معاوية زوج أبي سفيان رضي الله عنهم وكان يقال لم يسد مملق أي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وابو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس * وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار وأول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كان بنو تيم في حياته كأهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشا وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن فاتفق ان أمية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الحياء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أجحره الشتاء

وكان

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية بعد ان كان مغرما بها
وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه
بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبدا وممن حرمها على نفسه فى الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحى
وقال لا أشرب شيئا يذهب عقلى و يضحك بى من هو أدنى منى و يحملنى على ان أنكح كريمتى من لا أريد
فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع
المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفه وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف و يفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة
فقال لا لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين رواه مسلم أى لم يكن مسلما لان القول المذكور
لا يصدر الا من مسلم وكان يكنى أبا زهير وقال صلى الله عليه وسلم فى اسرى بدر لو كان أبو زهير حيا
فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة ابن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير وازدحم النبى
صلى الله عليه وسلم مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان فدفع النبى صلى الله عليه
وسلم أبا جهل فوقع على ركبته فخرجه جرحا أثر فيها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة
عبد الله بن جدعان فى صكة عمى أى فى الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمى تصغير أعمى على الترخيم
رجل من العماليق أوقع بالعدو والقتل فى مثل ذلك الوقت وكان عبد الله بن جدعان فى ابتداء أمره
صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجنى فيعقل عنه أبوه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف
لا يؤويه أبدا فخرج هائما فى شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا فى جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان
تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب أى رجع عنه فلا زال كذلك
حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم
دخل المحل الذى كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك موتى ووجد فى ذلك المحل أموالا
كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق
بعلامة وصار ينقل منه شيأ فشيأ ووجد فى ذلك الكنز لوحا من رخام مكتوبا عليه انا نفيلة بن جرهم
ابن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها و باطنها فى طلب الثروة
والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجى من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى أبيه بالمال الذى دفعه فى جناياته
ووصل عشيرته كلهم وجعل ينفق من ذلك الكنز و يطعم الناس ويفعل المعروف وفى رواية تحالفوا على
ان يردوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما زاد بعضهم
ما بل بحر صوفه ومارسى حراء وثبير مكانهما والمراد الابد وكان معهم فى ذلك الحلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان يقول ما أحب ان لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم أى الابل وانى أغدر به
بالغين المعجمة والدال المهملة أى لا احب الغدر به وان أعطيت حمر الابل فى ذلك وفى رواية لقد شهدت فى
دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لى حمر النعم أى بفواته ولو دعى به فى الاسلام لاجبت أى لو قال
قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم ووقع
فى بعض الروايات انه حضر حلف المطيبين وذلك خطأ لان حلف المطيبين كان قبل وجوده صلى الله عليه
وسلم لانه وقع بين بنى عبد مناف بن قصى وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل و بنى زهرة و بنى
أسد بن عبد العزى وبنى تيم و بنى الحارث بن فهر وهم المطيبون مع بنى عمهم عبد الدار بن قصى
واحلافهم بنى مخزوم و بنى سهم و بنى جمح و بنى عدى و يقال لهم الاحلاف وأجيب بأن الذين تعاقدوا
فى حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الاول فأطلق عليه انه هو والسبب فى هذا الحلف أعنى

قوله و بنى زهرة هو وما بعده مجرور
عطفا على بنى عبد مناف وليس
مرفوعا لان من ذكر ليسوا من بنى
عبد مناف بل بنو زهرة من كلاب
قاله نصر

حلف الفضول الواقع في دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل السهمي وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف بني عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاصي وانتهروه أي انتهروه فلما رأى الزبيدي الشر رقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردوا اليه حقه شريفا أو وضيعا ثم مشوا الى العاصي بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه وذكر السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من اضوأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمني في بنتي فنزعها مني قسرا فساروا اليه فقالوا اردها فقال أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا والله ولا شخب لقحة أي مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم وفي سيرة الحافظ الدمياطي قال كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول أي لحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله ابن الزبير لانه كان اذ ذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي والله أعلم

(باب سفره صلى الله عليه وسلم) الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها وذلك لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد علينا الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الي في ذلك فقال أبو طالب اني أخاف أن تولي غيرك فتطلب أمرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم اخلاقه فقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم اخلاقك وأنا اعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها في تجارة لها وقالت لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير ومن حين مسيره صلى الله عليه وسلم ظللته الغمامة وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشئ فسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سوق بصرى فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطورا الراهب

فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال لهم الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام الا نبي" وفى رواية ان الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف العلامات الدالة على نبوته المذكورة فى الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا اشهد انك الذى ذكر الله فى التوراة فلما رأى الخاتم قبله وفى رواية قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لى عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله و يقول أشهد انك رسول الله النبي" الامي" الذى بشر بك عيسى فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا النبي" الامي" الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ولا بعد فى بقاء الشجرة من زمن عيسى الى زمنه صلى الله عليه وسلم لاحتمال ان بقاءها معجزة أو انها كانت شجرة زيتون لان شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضا ان الله صرف الخلق عن النزول تحتها حتى نزل صلى الله عليه وسلم أو المراد بنزل تحتها فميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره وفى رواية قال لميسرة أفى عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه أبدا قال هو هو وهو آخر الانبياء و ياليتنى أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها وكان بينه و بين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وخلا به هذا نبي" والذى نفسي بيده انه الذى تجده احبارنا منعوتا فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه فى الشمس ولما رجعوا الى مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى علية أى غرفة عالية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلانه رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذى حالفه فى البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما كانت سمته له وفى رواية باعوا متاعهم و ربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط حتى قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سفرة ما رأينا ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك وقيل ان يصلوا الى بصرى عيي بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين ووضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا فى أول الركب ولهما رغاء وألقى الله محبة النبي صلى الله عليه وسلم فى قلب ميسرة حتى كأنه عبده ولما بلغوا مر" الظهران أمره النبي" صلى الله عليه وسلم بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة و يعجل البشرى لها وفى رؤية ميسرة للملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك ووقع رؤية جبريل عليه السلام لجمع من الصحابة رضى الله عنهم قال الغزالى فى كتابه المسمى المنقذ من الضلالة ان الصوفية يشاهدون الملائكة فى يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دائما وعملا مستمرا نقله الحلبي فى السيرة وذكروا أن خديجة رضى الله عنها استأجرت النبي صلى الله عليه وسلم أيضا سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين وهو موضع باليمن وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة وذلك يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها سفرات *(وتزوج)* صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين

يوما وكانت تدعى في الجاهلية والاسلام بالطاهرة لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضا سيدة نساء قريش وكانت تحت النباش ويكنى بابي هالة بن زرارة التميمي ومات في الجاهلية وكانت ولدت له هند بن أبي هالة وهو من الصحابة رضي الله عنه كان يروي عنه الحسن بن علي رضي الله عنه ويقول حدثني خالي لانه أخو فاطمة رضي الله عنها لامها وقتل رضي الله عنه مع علي يوم الجمل وولدت له أيضا ذكرا آخر يسمى هالة فهند وهالة ذكران ثم بعد موت أبي هالة تزوجها عتيق بن عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتا اسمها هند أسلمت وصحبت النبي صلى الله عليه وسلم ولم تروشيئا وقيل ان عتيقا تزوجها قبل النباش وكان لها حين تزوجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكانت عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك (وعن نفيسة بنت منية) قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخيرة وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فأرسلتني دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها من الشأم فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك فذهبت فأخبرتها فأرسلت اليه ان ائت لساعة كذا وأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لاعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الايات وقد ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تدين بشريعة عيسى عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة فان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي منتظر وهذا زمانه وذكر ابن اسحاق انه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فأيكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه بالحجارة وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رأى من الايات مع ما رأته هي قالت ان كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك الا هذا فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا وخرج معه أبو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب فخطبها أبو طالب من خويلد او عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم فرضي وأصدقها عشرين بكرة وقيل اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية وقيل على أربعمائة دينار وخطب أبو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضي الله عنه ذلك العقد فقال أبو طالب الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش باني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي يا معشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد فقبل النبي صلى الله عليه وسلم النكاح

وشهد

وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على ان الذى انكحها عمها عمرو بن أسد وان أباها خويلد مات
قبل حرب الفجار قيل لما تزوجها صلى الله عليه وسلم ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب
وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس ففعل وهى أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفى رواية
فأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت مر عمك ينحر بكرا من بكراتك وأطعم
الناس وهلم فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فأقر الله عينه وفرح أبو
طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم يروى ان النبى صلى الله
عليه وسلم جاء يوما عند خديجة قبل أن تتزوج به فأخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت بابى أنت وأمى
ما أفعل هذا لشئ ولكن ارجو ان تكون أنت النبى الذى سيبعث فان تكن هو فاعرف حقى
ومنزلتى وادع الاله الذى سيبعثك لى فقال لها والله لئن كنت أنا هو لقد اصطنعت عندى ما لا أضيعه
أبدا وان يكن غيرى فان الاله الذى تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا وقد أشار صاحب الهمزية
لبعض ما تقدم بقوله

ورأته خديجة والتقى والـ * ـزهد فيه سجية والحياء
وأتاها أن الغمامة والسر * ح أظلته منهما أفياء
وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما أحـ * ـسن ما يبلغ المنى الأذكياء

قال بعضهم وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة
(وحضر) صلى الله عليه وسلم بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وذلك انه جاء
سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق أصابها بسبب أن امرأة بخرتها
فطارت شرارة فى باب الكعبة فاحترقت جدرانها فلما أرادوا ان يضعوا الحجر الاسود واختصموا
فيه فقالوا نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم
أن يجعلوه فى ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وفى رواية انهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بنى
شيبة فكان صلى الله عليه وسلم أول من دخل منه فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر فى وسطه وأمر كل
فخذ من قبائل قريش ان يأخذ بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر ابن اسحاق
ان الذى أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو أمية المخزومى أخو الوليد بن المغيرة واسم أبى أمية
حذيفة وكان أسن قريش وهو والد أم سلمة وعبد الله بن أبى أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين
بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه احد بل يكفى كل من سافر معه الزاد ثم انه
مات على دين قومه ولم يدرك الاسلام ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو أحيحة بقوله

ألا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حاسد
ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

وذكر السهيلى أن ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أقد رضيتم أن
يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى اسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا وحضر
صلى الله عليه وسلم معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجارة من اجياد وكانوا يضعون ازرهم على عواتقهم
ويحملون الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة
ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء ونودى يا محمد غط عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك وبقى
بنيان قريش هذا الى أن هدمها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وبناها على قواعد ابراهيم ثم لما

قتله الحجاج ردها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن *(فائدة)* لما حوصر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قاتل قتالا شديدا وثبت معه أناس ثم اشتد الامر عليهم فانصرفوا وأخذوا لانفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق أحد معه الا عبد الله بن صفوان بن أمية فقاتل معه أشد القتال فأذن له عبد الله في الانصراف وان يأخذ لنفسه عهدا وذمة من الحجاج فأبى وقال اني أقاتل على ديني فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله رضي الله عنهما فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح رضي الله عنه

باب ماجاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود والرهبان من النصارى

*(باب ماجاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) عن احبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وصفته في الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما قال ابن اسحاق كانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمنه أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لاتحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لايزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقي العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرونها فعرفوها وفي هذا التصريح بأن الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم في السماء قبل وجوده فأما أخبار الاحبار من اليهود فمنها ماتقدم ذكره ومنها ماجاء عن سلمة بن سلامة رضي الله عنه وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بني عبد الاشهل فذكر عند قوم أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يافلان أوترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به ويود الشخص أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه أي وينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الي وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أي ذلك اليهودي بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يافلان ألست الذي قلت لنا ماقلت قال بلى ولكن ليس به (ومن ذلك) ماجاء عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية أي تركت عبادتها قال فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء وهي قرية بين المدينة والشام فقلت اني امرؤ ممن يعبد الحجارة فترى الرجل منهم ليس معه اله فيخرج فيأتي بأربعة احجار فينصب ثلاثة لقدره أي يستنجي بها ويجعل أحسنها الها يعبده ثم لعله يجد ماهو أحسن منه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ماهو أحسن منه تركه وأخذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطل لاينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتي بأفضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة آتي فأسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته أي شيء أنت قال نبي قلت من نبأك قال الله قلت وبم أرسلك قال بعبادته وحده

لاشريك له وبحقن الدماء وكسر الاوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني ان أمكث معك أو أنصرف فقال ألا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث معي كن في أهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في أهلي حتى خرج الى المدينة فسرت اليه وقلت يا نبي الله أتعرفني قال نعم أنت السلمي الذي أتيتني بمكة (ومن ذلك) ما حدث به عاصم ابن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله لنا وهداه ما نسمع من احبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث لان يقتلكم قتل عاد وارم أي يستأصلكم بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدونا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآية فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (ومن ذلك) ما حدث به شيخ من بني قريظة ان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا فوالله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا نظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه لان المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة فأقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أي حبس قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أهل الخمر بالتحريك الشجر الملتف الى أرض البؤس والجوع فقلنا أنت أعلم قال انما قدمت هذه الارض أتوكف أي أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه أي اقبل وقرب كأنه لقربه أظلهم أي ألقى عليهم ظله وهذه البلاد مهاجره وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هذيل اخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعيد وأسد بن سعيد ويقال أسيد بالتصغير وأسد ابن عبيد وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم (ومن ذلك) خبر العباس رضي الله عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه أبو سفيان ابن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبي سفيان ان محمدا قائم في ابطح يقول أنا رسول الله أدعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني أن فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت ان أقول نعم فخشيت من أبي سفيان أن يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت اليهود وقتلت اليهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك تؤمن به قال لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء أي بالفتح والمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على في الا اني أعلم أن الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر أبو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اي والله اني لاذكرها *(ومن ذلك)* ما جاء عن أمية بن أبي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت أظن اني هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم أجد من هو متصف باخلاقه

الا عتبة بن ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال أبو سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية فقال أمية أما انه حق فاتبعه فقلت له فما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف انى كنت أخبرهن أنى هو فكيف الآن أتبع فتى من بنى عبد مناف *(واما أخبار الرهبان)* من النصارى فنها ما تقدم ذكره ومنها خبر طلحة بن عبد الله رضى الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا اهل فيكم أحد من أهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه أى يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرة وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع فى قلبى ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر رضى الله عنه فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدهما فى حبل فلذلك سميا القرينين *(ومنها)* ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل أبى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمى أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشأم فمكث سنة ثم قدم فأول شئ سأل عنه ان قال مافعل محمد قال له عمى عبد الله بن سعيد هو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وأرسل الى سراة بنى أمية أى أشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة أى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هنالك يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال كم منذ خرج فقلت عشرين سنة فقال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ فى صفته شيئا ثم قال لى هو والله نبى هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال اقرأ على السلام وكان ذلك فى زمن الحديبية لانها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب *(ومنها)* ما حدث به حكيم بن حزام رضى الله عنه قال دخلنا الشأم لتجارة قبل أن أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أى العرب أنتم من هذا الذى يزعم انه نبى قال فقلت تجمعنى واياه الجد الخامس فقال هل أنتم صادقى فيما أسألكم عنه فقلنا نعم فقال هل أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا فى قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل قال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول هذا صاحبكم فنقول لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبى مرسل فاتبعوه ولوددت انى عنده فأشرب غسالة قدميه (ووقع) نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة أبى بكر رضى الله عنه آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب أبى بكر فقال هل تعرفون الذى أخذ بعقبه قلنا هو أبو بكر فقال هل تعرفون الذى أخذ بعقبه قلنا هو عمر بن الخطاب قال أشهد ان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا هو الخليفة من بعده (ومنها) ما حدث به سلمان الفارسى رضى الله عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من قرية يقال لها جى بفتح الجيم وشد الياء وفى لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفى لفظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبى فمن أصبهان وكان أبى دهقان قريته أى كبير اهل قريته وكنت أحب خلق الله الى أبى لم يزل حبه اياى حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية وأجهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار أى قاطنها يعنى خادمها الذى

يوقدها لا يتركها تخبو أى تطفأ ساعة وكانت لابى ضيعة عظيمة فشغل عنها فى بنيان له يوما فقال لى يا بنى انى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم فاذهب الى الضيعة وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى فان احتبست عنى كنت اهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شئ من أمرى فخرجت أريد ضيعته التى أمرنى بها وبعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت والله هذا خير من الذى نحن فيه فوالله مابرحت منهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى أين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيته من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا فخاف منى أن أهرب فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته وبعثت الى النصارى قلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبرونى فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وارادوا الرجعة فأخبرونى بهم فأخبرونى فألقيت الحديد من رجلى ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أجل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم فى الدين فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين وأحببت أن أكون معك فأخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلى معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فأبغضته بغضا شديدا لما رأيت منه ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا فقالوا لى وما أعلمك بذلك فقلت أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا وفى رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان نقيا من الشهوات ومن ثم قال فى الفتوحات المكية أجمع أهل كل ملة على أن الزهد فى الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا عليه من الدنيا التى حذرنا الله منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ومن قواعد الرهبان انهم لا يدخرون قوتا لغد ولا يكنزون ذهبا ولا فضة وقال رأيت شخصا قال لراهب انظر لى هذا الدينار هو من ضرب أى الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدينار منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا معه فلسا مربوطا على عاتقه فقلت ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم قال سلمان وعند ذلك جاؤا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى انه أفضل منه أى لا أظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا فأحببته حبا شديدا لم أحبه شيئا قبله فأقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان انى كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصى بى قال أى بنى والله ما أعلم أحدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فأخبرته خبرى وما

أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت عند خير رجل فلما احتضر قلت يا فلان ان فلانا أوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال لي أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبثت أن نزل به الموت فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا أوصى بي الى فلان ثم ان فلانا أوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تأمرني فقال يا بني والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فأته فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال أقم عندي فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فأوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان الى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني فقال أي بني والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل أي أقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى عليه السلام أربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وقيل أربعة وعشرون قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه فقالوا نعم فأعطيتهموها فحملوني حتى اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم أتحقق ذلك فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا أن رأيتها فعرفتها أي تحققتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله اني لفي عذق أي نخل لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة أي وهم الاوس والخزرج لان قيلة أمهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي قال سلمان فلما سمعتها أخذتني العرواء وهي الحمى النافض حتى ظننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لا شئ انما أردت ان أستثبته فيما قال قال سلمان وقد كان عندي شئ جمعته وهو محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له اني قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة أي من العلامات أعني كونه لا يأكل الصدقة قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فجئته فقلت اني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقباء

لما قدم المدينة قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان فجلس مع أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فالقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحوّل فتحوّلت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس رضى الله عنهما فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى شواهد النبوّة لما جاء سلمان الى النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبىّ صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فدح سلمان النبىّ صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودىّ وحرف الترجمة فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليلودنا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لليهودى ذلك أى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الىّ فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها قبل والآن علمنى جبريل أوكما قال فقال اليهودى يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله صلى الله عليك وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربىّ الفصيح وهذا الذى قدمه سلمان للنبى صلى الله عليه وسلم صرح فى بعض الروايات بأنه سأل سيده أن يهب له شيئا فوهبه له فجاءبه للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يشكل ذلك بأنه مملوك لاملك له ثم أسلم سلمان وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان صاحبك قال فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة ودية وهى الصغيرة أحييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أى الحفر أى احفرلها واغرسها بتلك الحفر وتصير حية وأتعهدها الى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقر أى احفرلها فاذا فرغت فأتنى أكن أنا أضعها بيدى قال ففقرت لها وأعانى أصحابى حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فخرج معى اليها فجعلنا نقرب اليه الودى فيضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما مات منها ودية واحدة وفى رواية فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضى الله عنه فأطعم النخل كله الا تلك النخلة التى غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فأطعمت من عامها وقيل الا نخلة غرسها سلمان بيده قال الحلبى يحتمل أن كلا من عمر وسلمان غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر أواشتركا فى غرسها قال سلمان فأديت النخل وبقى علىّ المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة أى بيضة الدجاج أو الحمام من الذهب فقال مافعل الفارسىّ فدعيت له فقال خذ هذه فأدها عن ما عليك يا سلمان قلت وأين تقع هذه يارسول الله مما علىّ فقلبها على لسانه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها فان الله سيؤدّى بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقى عندى مثل ما أعطيتهم والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فأعتق لما * اينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * أن عرته من ذكره العرواء

قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتنى معه مشهد وقيل شهد بدرا وأحدا قبل أن يعتق أى وهو مكاتب فيكون أوّل مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل شغل عنهما قبله بالرق

ووقع في بعض الروايات في قصة سلمان زيادة ونقص والذي تقدم هو أصح الروايات قال الحلبي في السيرة ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجري عليك رزقك فقال اني أحب ان آكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه *(وأما أخبار الكهان)* لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته وفي أيام رضاعه ومنها أيضا خبر عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج * والارض ذات الادراج * والريح ذات العجاج * ان هذا لامر آج * ولقاح ذات نتاج * قالوا وما نتاجه قال ظهور نبي صادق * بكتاب ناطق * وحسام فالق * قالوا ومن أين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح و يدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن الامور القباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد *(ومنها)* خبر قس بن ساعدة الايادي وهو أول من قال البينة على المدعي واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل احمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا * من عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * ان في السماء لخبرا * وان في الارض لعبرا * مهاد موضوع * وسقف مرفوع * ونجوم تمور * وبحار لا تغور * اقسم قس قسما حاتما لئن كان الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون * أرضوا بالمقام فقاموا * أم تركوا هناك فناموا * ثم قال صلى الله عليه وسلم أيكم يروي قوله فأنشدوه

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي * ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل و بشر بك ابن البتول وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا كنت بين يدي القوم اقفو أثره كان من اسباط العرب عمر سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو أول من ترك عبادة الاصنام من العرب وأول من قال أما بعد وأول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأني أنظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار * وليال خلالهن نهار

قوله آج هو من اجيج النار وهو التهابها اه

وجبال

و جبال شوامخ راسيات * وعيون مياهها غزار
ونجوم تلوح فى ظلم الليل تراها فى كل يوم تدار
والذى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال أبو بكر رضى الله عنه فانى أحفظه يا رسول الله كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال فى خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا * واذا وعيتم فانتفعوا * من عاش مات * ومن مات فات * وكل ما هو آت آت * مطر ونبات * وارزاق واقوات * وآباء وأمهات * وأحياء وأموات * وجمع واشتات * وآيات بعد آيات * ان فى السماء لخبرا * وفى الارض لعبرا * ليل داج * وسماء ذات ابراج * وأرض ذات فجاج * وبحار ذات امواج * مالى أرى الناس يذهبون * فلا يرجعون * ارضوا بالمقام فقاموا * أم تركوا هنالك فناموا * اقسم قس قسما حاتما * لا حانثا فيه ولا آثما * ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخاليه والقرون الماضيه يا معشر اياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعوّاد وأين الفراعنة الشداد * أين من بنى وشيد و زخرف ونجد وغرّه المال والولد أين من طغى وتمرد وبغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم التراب بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم باليه وبيوتهم خاويه عمرتها الذئاب العاويه كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة وفى رواية زيادة أن الصعب ذا القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلمحة عين وفى رواية قال فى خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا قال رجل أبلج أحور من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فأجيبوه ولو علمت انى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد روبت هذه القصة من طرق متعددة يقوى بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول ابن الجوزى ببطلان هذا الحديث ثم ان بعض طرقه يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان حافظا لكلامه وبعضها على انه نسى فيحتمل أنه كان ناسيا ثم لما ذكره أبو بكر رضى الله عنه أو غيره تذكره فرواه بعد ذلك واختلاف روايات الوفد تدل على تعدد مجىء وفد عبد القيس ففى كل مرة ذكر واشيئا وقد جاء فى الحديث رحم الله قسا انه كان على دين اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل انه أدرك الحواريين وكان على دين عيسى عليه السلام ومن شعره

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا * خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلبا فى الاسلام أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وكفر من لم يشهد وله أشعار كثيرة منها قوله

شهدت بأن الله حق وسامحت * بنات فؤادى بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عنى رسالة * بأنى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين من الهجرة *(ومن ذلك)* خبر نافع الجرشى نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير وتسمى به بلدهم أن بطنا من اليمن كان

لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع طرفه الى السماء طويلا ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل *(وألحق)* بعضهم بهذا الباب مانقل عن تبع من ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فى أشعاره يروى أن الانصار شكوا الى تبع مايلقون من اليهود من الاذى فأراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود الملك أجل من أن يطرقه فرق أو يستخفه غضب وامره أعظم من أن يضيق حلمه أو يخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فآمن تبع بالنبى صلى الله عليه وسلم ورجع وكسا الكعبة *

ومن شعر تبع قوله

شهدت على أحمد أنه * نبى من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور * وأمته هى خير الامم

ومن ذلك قوله أيضا

ويأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمدا ياليت أنى * أعمر بعد مبعثه بعام

وهذا الذى منع تبعا من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالما من علماء اليهود وقال لتبع فى رواية أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبى من بنى اسماعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذى أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبى قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكون النصرة قال له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته فأخبره بها ولما قال له شامول ماذكر وقص القصة كان معه أحبار قالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فسكنوا بالمدينة وأعد دار النبى صلى الله عليه وسلم قيل هى دار أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه التى نزل بها صلى الله عليه وسلم حين هجرته فما نزل الا فى داره وكتب كتابا أبقاه عندهم للنبى صلى الله عليه وسلم فصاروا يتوارثونه ويحتفظون عليه حتى بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر فأخرجوه اليه والقصة مبسوطة فى الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودى رحمه الله وسيأتى التعرض لها مع زيادة على ماهنا عند ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فى دار أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه *(وألحق بذلك)* بعضهم أخبار كعب بن لؤى جد النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يخطب الناس يوم العروبة أعنى يوم الجمعة ويذكر فى خطبته النبى صلى الله عليه وسلم ويبشر به فمن ذلك قوله أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل داج ونهار وهاج والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم اعلام الى أن قال حرمكم زينوه وعظموه فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وأنشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها
يئوبان بالاحداث حين تأوبا * وبالنعم الضافى علينا ستورها
على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

(ومن ذلك) خبر سفيان بن مجاشع التميمى جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه والموفور من والاه والموتور من عاداه فقال سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت

صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس ر ؤس ورابض شموس وماحق بؤوس وماهد رغوس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله أبوك من هو قالت نبي مؤيد قد أتى حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله أبوك أعربي أم عجمي فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فأمسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء أن يكون هو النبي المذكور وهو أحد من تسمى باسم النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وتقدمت قصة سيف ذي يزن أحد ملوك اليمن وتكلمه مع عبد المطلب وبشارته بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعبد المطلب أيضا أشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية *(ومن ذلك)* خبر زيد بن عمرو بن نفيل انه لقي راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج في أرضك أو هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه فصدقه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته فقال ياعم مالي أرى قومك قد أبغضوك فقال أما والله ان ذلك لغير نائرة مني اليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت أبغي هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله عليه وسلم وان كان لا يعلم انه هو النبي الموعود به *(ومن ذلك)* ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عسكلان الحميري وكان شيخا كبيرا وكنت أنزل عليه اذا جئت اليمن فسألني مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم أحد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكاني فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة الا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال أنبئك وأبشرك ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام ويأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من السرف ولا تباله هو من بني هاشم وأنتم اخواله ياعبد الرحمن أخف الوقعه وعجل الرجعه ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذي المعالي * وفالق الليل والصباح
أنك ذو السر من قريش * يا ابن المفدى من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين * يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك أرسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رضي الله عنها رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك فقلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بي وماشاهدني أولئك من اخواني حقا *(ومن ذلك)* خبر مخيريق اليهودي كان عالما حبرا بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يامعشر يهود انكم تعلمون ان نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لاسبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بأحد وعهد الى قومه ان مت هذا اليوم فأموالي

لمحمد يصنع بها ما رآه ثم أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل حتى قتل فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود *(ومن ذلك)* ما رواه كعب الاحبار في صفاته صلى الله عليه وسلم فانه كان من احبار اليهود فأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر أخبارا كثيرة في صفات النبي صلى الله عليه وسلم حفظها من الكتب القديمة المنزلة وسأله عمر رضي الله عنه مرة عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وآياته بها ثم يقبض ويدفن بها *(ومن ذلك)* خبر ضفاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبي لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عنده هرقل أدخلني عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي قال دحية فقال لي الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره اني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له ألم قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضفاطر كان أعظم عندهم مني وأخبار الاحبار والكهان وتصريحهم بصفاته صلى الله عليه وسلم وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه ومع ذلك أنكر ذلك منهم من أنكره الا حسدا او بغيا والله الهادي الى سواء السبيل *(وأما أخبار الكهان)* على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد ابن قارب رضي الله عنه وكان من دوس قوم أبي هريرة رضي الله عنه كان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذي أتاه رئيه أي تابعه من الجن الذي يتراآى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان هذا القول لعمر رضي الله عنه بعد أن قال وهو على المنبر أي منبر النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس فيكم سواد بن قارب فلم يجبه أحد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق قال أيها الناس فيكم سواد ابن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر رضي الله عنه هذا سواد فأرسل اليه عمر رضي الله عنه فجاء فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم أي ما كنا عليه من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك وفي رواية ان عمر رضي الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وفي كلام السهيلي ان عمر رضي الله عنه مازح سوادا رضي الله عنه فقال ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضي الله عنه اللهم غفرا ثم قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا انا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتاني رئيي وضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه

قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

فقلت دعنى أنام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها واحجارها

فقلت دعنى أنام فانى أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

فقمت وقلت قد امتحن الله قلبى فرحلت ناقتى حتى أتيت مكة وفى رواية المدينة قال البيهقى والرواية الاولى أصح فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله فلما رآنى قال مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يارسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتى فقال هات فأنشأت أقول

أتانى رئيى بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت عن ساقى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد ان الله لارب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

الذعلب بكسر الذال واللام الناقة السريعة اه قاموس

ففرح النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتى فرحا شديدا حتى رؤى الفرح فى وجوههم وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أفلحت ياسواد قال البراء فرأيت عمر رضى الله عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهى أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر رضى الله عنه لم يكن حاضرا عند النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم وخشى سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا وقال يامعشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقاوتهم أن لا يتعظوا الا بأنفسهم وان من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغى لاهل البلاء الا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ولست أدرى لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة *(ومن ذلك)* أن امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاء هابوما فوقف على جدارها فقالت له مالك لاتدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبى بمكة

بحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (واما ما سمع) من جوف الاصنام فكثير أيضا فمنها خبر عباس بن مرداس رضي الله عنه قال كان لابيه مرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده أي بني اعبد ضمار افانه ينفعك ولا يضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد

ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى

أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ أن عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال يا عباس ألم تر الى السماء قد تعب حراسها وان الحرب قد حرقت أنفاسها وان الخيل وضعت أحلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا قال العباس فراعني ذلك فخرجت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يعبد مرة * قبل الصلاة على النبي محمد

ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد فلما رآني صلى الله عليه وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت وأسلمت انا وقومي *(ومن ذلك)* خبر مازن بن الغضوبة قال كنت أسدن أي أخدم صنما بقرب عمان يدعى سمائل وسمال يقال له بادر وفي لفظ باجر بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول

يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر

بعث نبي من مضر * بدين الله الاعز الاكبر

فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر نار سقر

قال مازن ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتا منه يقول

أقبل الى اقبل * تسمع مالا تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل

آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي قال مازن فبينما نحن كذلك اذ قدم رجل من اهل الحجاز فقلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن اتاه أجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فأسلمت وقلت

كسرت بادر أجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ملأ بضلال

بالهاشمي هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيئا على بال

يا راكبا بلغا عمرا واخوتها * اني لما قال ربي بادر قالي

قال مازن فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب أي مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التي تمايل وتثنى عند جماعها وألحت أي دامت علينا السنون أي اعوام القحط والجدب فذهبن

بالاموال

بالاموال وهزلن الذرارى والعيال وليس لى ولد فادع الله أن يذهب عنى ما أجد و يأتينى بالحيا ويهب لى ولدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن و بالحرام الحلال و بالخمر رياء لا اثم فيه و بالعهر أى الزنا العفة وأته بالحيا وهب له ولدا قال مازن فأذهب الله عنى ما كنت أجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا وأخصب عمان يعنى قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لى حيان يعنى ولده وأنشأت أقول

اليك رسول الله حنت مطيتى * تجول الفيافى من عمان الى العرج
لتشفع لى ياخير من وطئ الحصى * فيغفر لى ذنبى وارجع بالفلج
الى معشر خالفت فى الله دينهم * ولا رأيهم رأيى ولا شكلهم شكلى
وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابى حتى أذن الجسم بالنهج
فبدلنى بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى * فلله ما صومى ولله ما حجى

قال مازن فلما رجعت الى قومى أنبونى أى عنفونى وشتمونى ولامونى وأمروا شاعرهم فهجانى فقلت ان هجوتهم فانما أهجو نفسى فتنحيت عنهم و بنيت مسجدا أتعبد فيه فكان لا يأتى هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا و يدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص أو غيره الا عوفى ثم ان القوم قدموا وطلبوا منى الرجوع اليهم فأسلموا كلهم ذكره الحلبى فى السيرة *(واماماسمع)* من أجواف الذبائح فمنه ماجاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كنا يوما فى حى من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا يقول يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا اله الا الله والمراد بالذريح العجل الذى ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر يقال أحمر ذريحى أى شديد الحمرة والذى فى البخارى يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا لانه قد جلح جلده أى كشف عنه جلده (واماماسمع) من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ماحدث به بعضهم وذكره للنبى صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لى حتى اذا عسعس الليل أى أدبر وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى هاتف يقول

يا أيها الراقد فى الليل الاحم * قد بعث الله نبيا بالحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

فأدرت طرفى فما رأيت شخصا فأنشأت أقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم
بين هداك الله فى لحن الكلم * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

فاذا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور * وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور * صاحب النجيب الاحمر * والتاج الاقمر * والطرف الاحور * صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر * أهل المدر والوبر * ثم أنشأ يقول

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا احمدا * خير نبى قد بعث
عليه صلى الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

قال فلاح الصباح واذا بالفنيق أي الفحل الكريم من الابل يشقشق أي يهدر الى النوق فمسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب أي تعب فنزلت في روضة خضراء فاذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به في الارض وهو يقول

يا ناعي الموت والملحود في جدث * عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا لحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فاذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به واذا بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي بيده وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذي قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت ماهذان القبران قال هذان قبران لاخوين لي كانا يعبدان الله عز وجل في هذا المكان لا يشركان بالله شيئا اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وأنشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده أي يقوم مقام جماعة ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أمر وحين من أعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام * (ومن ذلك) * ماذكره الواقدي باسناد له قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينما هم عند صنمهم اذ سمعوا هاتفا يقول

يا أيها الناس ذوو الاحكام * ومسند الحكم الى الاصنام
أما ترون ما أرى أمامي * من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك النبي سيد الانام * من هاشم في ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام * جاء يهد الكفر بالاسلام

قال أبو هريرة فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة أي جاءهم ذلك بغتة (وأما خبر) زميل بن عمرو العذري فهو انه قال كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون أي يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول

يا بني هند بن حرام * ظهر الحق وأودى خمام * أي هلك ورفع منا الشرك الاسلام * قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول * يا طارق يا طارق * بعث النبي الصادق * بوحي ناطق * صدع صدعه بأرض تهامه * لناصريه السلامه * ولخاذليه الندامه * هذا الوداع مني الى يوم القيامه * فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته

اليك رسول الله أعملت نصها * أكلفها حزنا وقوزا من الرمل
لانصر خير الناس نصرا مؤزرا * واعقد حبلا من حبالك في حبلي
واشهد أن الله لا شيء غيره * أدين له ما أثقلت قدمي نعلي

(ومن هذا النوع خبر تميم الداري الآتي) ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها وقد روى له صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال فقال حدثني تميم الداري الخ القصة المذكورة في غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار ومن رواية الكبار عن الصغار أيضا ما ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه مر يوما على ابنته عائشة رضي الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر أن عيسى بن مريم عليهما السلام كان يعلمه أصحابه ويقول لو كان على أحدكم جبل دين قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك قال ابو بكر رضي الله عنه فكان على دين وكنت له كارها فقلته فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته (رجعنا الى خبر تميم الداري) قال رضي الله عنه كنت بالشأم حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فأدركني الليل فقلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي فلما أخذت مضجعي اذ مناد ينادي عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله قال فقلت أيم أي شئ تقول فقال قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبه وأخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم أي مكة ومهاجره الحرم أي المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به وقيل ان ما ذكر غلط وان مسيره انما كان الى المدينة بعد الهجرة لان اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله أعلم *(ومن ذلك)* ما حدث به سعيد بن جبير رضي الله عنه ان رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيئا فقلت هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في منامي وبيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي فقام الفتى فأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يا فتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له وما محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت اين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وجددت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر له شيئا بما وقع لي ودعاني الى الاسلام فأسلمت *(ونظير هذا)* ما حدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم قال خرجت في طلب ابل لي فأدركتها ثم أردت النوم وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال * ومنزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال * ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ تذكر الله على الاحوال * وفي سهول الارض والجبال
قد صار كيد الجن في سفال * الا التقي وصالح الاعمال

فقلت له يا أيها القائل ماتقول * أرشد عندك أم تضليل
فقال جاء رسول الله ذوالخيرات * جاء بيسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات * يأمر بالصلاة والزكاة
و يزجر الاقوام عن مناة * قد كن فى الاسلام منكرات

فقلت أما انه لو كان لى من يؤدّى ابلى هذه الى أهلى لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وفى رواية فوافيت الناس فى صلاة الجمعة فبينما انا أنيخ راحلتى اذخرج الىّ أبوذر فقال لى يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآنى قال فما فعل الرجل وفى رواية مافعل الشيخ الذى ضمن لك أن يؤدّى ابلك أما انه قد أدّاها سالمة وقد قص الله على نبيه ماكان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهائه بقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن أى حين ينزلون فى أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أى زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن *(ومن ذلك)* ماحكاه وائل بن حجر الحضرمى و يكنى أباهنيدة كان أبوه من الملوك قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر أصحابه بقدومى فقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الله عزوجل و فى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فالقينى أحد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بى وأدنانى من نفسه وقرب مجلسى و بسط لى رداءه فأجلسنى عليه وقال اللهم بارك فى وائل ابن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامنى بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا فى الاسلام فقلت يارسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فمن الله على أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك فى وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودى على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لى صنم من العقيق فبينما أنا نائم فى الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذى به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهوليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذى نفع ولاذى ضر
لو كان ذاحجر أطاع أمرى

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرنى قال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلى * محمد النبى خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث *(وأما ماسمع من بعض الوحوش)* فمنه ماحدث به أبوسعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينما راع يرعى بالحرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعى بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقى الله تحول بينى و بين رزق ساقه الله الى فقال الراعى واعجبا من ذئب يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب منى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفى رواية بيثرب يحدث الناس بأنباء ماقد سبق وفى رواية يخبركم بما مضى وماهو كائن بعدكم فساق الراعى شياهه فأتى المدينة فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى

يكلم الرجل شراك نعله أي وهو أحد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه أي طرفه ويخبره بما فعل أهله وفي لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فأخبرهم وفي رواية أن راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية أن الذئب قال له أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم قدرا منه وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة *(وأما ما سمع من بعض الاشجار)* فكثير فمن ذلك ما روى عن أبي بكر رضي الله عنه انه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيئا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى علي غصن من اغصانها حتى صار على رأسي فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة يقول هذا النبي يخرج من وقت كذا وكذا فكن أنت أسعد الناس به *(وأما اخبار تساقط النجوم)* وطرد الجن بها عن استراق السمع وما جاء عن العرب فيه فكثير فمن ذلك خبر ابن اسحاق قال لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن أن ذلك لامر حدث من الله في العباد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء أي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا أي ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع أي صالحة للسمع خالية عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي أرصد له ليرمى به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل أن يلقيها للكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشئ من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم ان أول العرب فزعا من الرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا أي أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا يا عمرو ألم تر أي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر أراده الله لهذا الخلق ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك وقوله معالم النجوم أي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الشتاء والصيف *لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث صلى الله عليه وسلم أي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي وكان أعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف وهي التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا نجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر

محمد بن عبد الله يدّعى انه نبى مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التى تعرف الخ يؤيد هذا ماجاء فى الحديث مما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا أمنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لامتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون ولا منافاة فى سؤال ثقيف فلا مانع من تكرر سؤالهم مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل وان كلامنهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف فى اسم الذى سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وسماه بعضهم عبد ياليل بن عمرو وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما كان اليوم أى الوقت الذى تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب *(ومن ذلك)* خبر أبى لهب أو لهيب بن مالك وكان من بنى لهب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبى أنت وأمى نحن أول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له ياخطر هل عندك علم بهذه النجوم التى يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتونى بسحر * أى قبيل الفجر أخبركم الخبر * لخير أم ضرر * أولأمن أو حذر * قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد فى وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه ياخطر ياخطر فأومأ الينا أن أسكتوا فانقض نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعا صوته بقوله أصابه اصابه * وخامره عقابه * عاجله عذابه * أحرقه شهابه * زايله جوابه * ياويله ماحاله * بلبله بلباله * عاوده خباله * تقطعت حباله * وغيرت أحواله * ثم امسك طويلا ثم قال يامعشر بنى قحطان * أخبركم بالحق والبيان * أقسم بالكعبة والاركان * والبلد المؤتمن السدان * قد منع السمع عتاة الجان * بثاقب من ذى سلطان * لاجل مبعوث عظيم الشان * يبعث بالتنزيل والفرقان * وبالهدى وفاصل القرآن * تبطل به عبادة الاوثان * فقلنا له ويلك ياخطر انك لتذكر أمرا عظيما فماترى لقومك قال أرى لقومى ما أرى لنفسى * أن يتبعوا خير الانس * برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث بمكة دار الحمس * بحكم التنزيل غير اللمس * قلنا له ياخطر ومن هو قال والحياة والعيش * انه لمن قريش ما فى حكمه طيش * ولا فى خلقه هيش * فقلنا بين لنا من أى قريش * فقال والبيت ذى الدعائم * والركن ذى الاحائم * انه لمن نسل هاشم * من معشر أكارم * يبعث بالملاحم * وقتل كل ظالم * ثم قال هذا هو البيان * أخبرنى به رئيس الجان * ثم قال الله أكبر * جاء الحق فظهر * وانقطع عن الجن الخبر * ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام فقال لا اله الا الله فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أى وحى وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أى يقوم مقام جماعة كما تقدم نظيره وقوله الحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم وبالسين هم قريش من الحماسة وهى الشدة سموا بذلك لتشددهم فى دينهم ولذلك تركوا الغزو لما فيه من استحلال الاموال والفروج وما لوا للتجارة *(ومن ذلك)* مارواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن نفر من الانصار قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمى بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به فى الجاهلية أى قبل المبعث قالوا يارسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك وولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان اذا قضى فى خلقه أمرا اسمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت

ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء أي يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا وفي البخاري اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وربما يعارضه ما روى عن أبي بن كعب رضي الله عنه لم يرم بالنجوم بعد رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا العبد بالبل الحديث وكذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لابليس فقال لعله بعث نبي عليكم بالارض المقدسة أي لانها محل الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس اطلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا ومعه جبريل وفي رواية أن ابليس قال لما أخبروه بأنهم منعوا من خبر السماء قال ان هذا لحدث حدث في الارض فأتوني من تربة كل أرض فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأجيب بأن الرمي قبل الولادة والمبعث كان قليلا جدا وعند الولادة كثر ارهاصا وتخويفا وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفا للرمي به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذي أراده أبي بن كعب رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما فانه لم يكن معهودا من قبل وهو الذي أراده سبحانه وتعالى بقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وصار الرمي بعد المبعث لا يخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أي يصيره غولا يضل الناس في البراري فكان ذلك سببا لفزع العرب لانه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطئ فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الى كاهنه فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد وبعد المبعث من كل جانب والى هذا الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فهذا سبب الفزع حتى انقطعت الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى أسرعوا في اتلاف أموالهم فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم كما تقدم أيها الناس أمسكوا عن أموالكم فانه لم يمت من في السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذلك والمحققون على أن الذي يرمى به شعلة نار تنقض من الكوكب والكوكب كما هو وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء

تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحي ما لهن امحاء

(فائدة) وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت وتطايرت نطاير

الجراد ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجأوا الى الله بالدعاء ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي في السيرة أقول وقد وقع نظير ذلك في سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل فكان أمراً عظيماً لم ير مثله ووقع في سنة ثلثمائة تناثر للنجوم تناثراً عظيماً الى ناحية المشرق والله أعلم *(وأما ما جاء من ذكره)* صلى الله عليه وسلم أي ذكر اسمه وصفته وصفة أمته في الكتب القديمة كالتوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام وغيرهما قال تعالى وانه لفي زبر الاولين وقال الامام السبكي في تائيته

وفي كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر

من قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

فمن ذلك انه قد جاء أن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء والارض وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فأنزل الله تعالى الآية واسمه في التوراة أيضا حماطا أي يحمي الحرم من الحرام وقدوميا أي الاول السابق وأحيد وقيل أريد أي يمنع نار جهنم عن أمته وطاب طاب أي طيب وفيها أيضا محمد حبيب الرحمن ووصفه فيها بالضحوك أي طيب النفس وفيها أيضا محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة كلمة عبرية مأخوذة من التورية وهي كتمان السر بالتعريض لان أكثرها تعاريض من غير تصريح واسمه في الانجيل المنحمنا ومعناه بالسريانية محمد وعن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فأخذت الانجيل فقرأته حتى مرت بي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها وصف النبي أحمد فقال انه لم يأت بعد الى الآن وفي الانجيل أيضا اسمه خبط أي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بأنه صاحب المدرعة ويركب الحمار والبعير وفي الانجيل ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب ربي فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويأتيهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب أي وما جاء بذلك وأخبر بالحوادث والغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم *(ومن ذلك)* ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما أخطأ في حرف وفي رواية عن كعب واعطي المفاتيح ليبصر به أعينا عورا ويسمعن به آذانا صما ويقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما *(وعن بعض احبار اليهود)* انه قال وقفت على جميع ما وصف به في التوراة الا هذين الوصفين وكنت اشتهي الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به فذكر له انه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئت قبل الاجل بيومين أو ثلاث فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت ألا تقضيني يا محمد حقي انكم

يا بني عبد المطلب أهل مطل فقال لي عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وهم بي فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم وقال أنا وهو أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن الطلب اذهب وفه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته فأسلم اليهودي وذكر القصة *(وفي التوراة)* لا يزال الملك في يهود الى أن يجيء الذي اياه تنتظر الامم أي لا يزال أمرهم ظاهرا الى أن يجيء الذي تنتظره الامم أي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي التوراة أيضا سوف أقيم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلمتي في فيه وأيما انسان لم يطع كلامه انتقم منه وفي قوله من اخوتهم ردّ على النصارى الزاعمين أن الرسول المذكور في التوراة هو المسيح عليه السلام ووجه الردّ أن المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود وبمثل هذا يردّ على بعض اليهود الزاعمين أن النبيّ المذكور في التوراة هو يوشع بن نون عليه السلام وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرّمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي التي حرّمتها الجاهلية ويحرّم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وأن يقطعوا ما أصابه البول *(ومن ذلك)* ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله عنه وكان من احبار يهود اليمن قال لما سمعت بذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد صلى الله عليه وسلم وأمتك الحامدون يحمدون الله في السرّاء والضرّاء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدّقه فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوّله فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال أشهد اني رسول الله ثم ان النعمان قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوّة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم أحرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذي أحرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أخبر أصحابه فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل وفي التوراة في صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية أصواتهم بالليل في جوّ السماء كأصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار واذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة فان عملها كتبت له عشرا واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول أي بجنس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن وروى الامام أحمد وغيره باسناد صحيح ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يا عيسى اني باعث بعدك أمة ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم

وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ماذكره بعضهم ان هذه الامة آخر الامم فكان الحلم والعلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قل ودق حد انصيب هذه الامة منه فلم تدرك الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء انهم يسمون فى التوراة صفوة الرحمن وفى الانجيل حلماء وعلماء أبرارا أتقياء كانهم من الفقه أنبياء وروى الدارقطنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجدنى يعنى فى التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف فى الله لومة لائم ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد *(وفى صحف شعيا)* اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها انى باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة ويبكى لليتيم فى حجر الارملة لو يمر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشى على القضيب الرعراع يعنى اليابس لم يسمع من تحت قدميه وشعيا عليه السلام كان بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام ولما نهى بنى اسرائيل عن ظلمهم وعتيهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله بقوله وقفينا من بعده بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكى له الخراب والقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعنى عيسى وبعده راكب الجمل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك باعتبار الاغلب فى حقه صلى الله عليه وسلم من ركوبه للجمل فلا ينافى ذلك وصفه أيضا بانه يركب الحمار والجمل واسمه صلى الله عليه وسلم فى الزبور حاط حاط والفلاح الذى يمحق الله به الباطل والفارق أى يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط أو بارقليط وقيل معناه الذى يعلم الاشياء الخفية وذكر صاحب الدر المنظم باسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى بعثنى الله فى التوراة لموسى وفى الانجيل لعيسى وفى الزبور لداود ولا فخر أى لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدرى من أنا أنا اسمى فى التوراة أحيد وفى الانجيل البارقليط وفى الزبور حماط وفى صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وجاء فى الزبور انى أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولى ووصف بأنه يقوى الضعيف الذى لا ناصر له ويرحم المسكين ويبارك عليه فى كل وقت ويدوم ذكره الى الابد ووصف بالجبار فى الزبور تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار أجيب بأن الاول هو الذى يجبر الخلق الى الحق والثانى هو المتكبر وفى الزبور أيضا يا داود سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد لا أغضب عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء وقوله وقد غفرت له الخ أى على فرض وقوع ذنب منه أو المراد بالذنب خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين أى ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم *(وفى بعض)* ما جاء عن داود عليه السلام ان الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفى صحف شيث أحوناح ومعناه صحيح الاسلام وفى بعض الكتب المنزلة انى باعث رسولا من الاميين أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته أرفع به من الوضيعة وأهدى به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة وأجعل أمته خير الامم *(وأما ما جاء)* مما يدل على

وجود اسمه الشريف أعني لفظ محمد مكتوبا على الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير ومن ذلك ماجاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام كان سماويا أي من السماء ألقي اليه فوضعه في خاتمه وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي فعلى هذا يكون ماتقدم عن جابر رضي الله عنه رواه بالمعنى وكان سليمان عليه السلام ينزعه اذا دخل الخلا واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقي مصلح وسيد أمين وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل عليه السلام وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة أسطر الاول انا الله لا اله الا أنا فاعبدوني والثاني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث أنا الله لا اله الا أنا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي قال الحلبي ولم أنظر الرابع ثم نقل عن بعضهم أن في سنة أربعة وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس أن القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا واذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فسار وامعها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع وفيها ثلاثة أسطر سطر فيه لا اله الا الله فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه احذر واوقعة المغرب انها تكون من سبعة أوتسعة والقيامة قد أزفت أي قربت *(وجاء أن آدم عليه السلام)* قال طفت السموات فلم أرفي السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أرفي الجنة قصرا ولا غرفة الا واسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة قيل ان أول شئ كتبه القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم أن يكتب ما كان ومايكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله قال الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها أيضا قال الله تعالى ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر الملكوت أي من السماء والجنان ومافيها وسائر مافي الملكوت وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ماخلقت ارضا ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا ولله در القائل

لولاه ما كان فلك ولا فلك * كلا ولا بان تحريم وتحليل

(ومن ذلك) ماحدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقفت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم قال رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة

أسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعضهم أيضا قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد شيء كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة * ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فأرسينا في جزيرة فرأينا وردا أحمر زكي الرائحة مكتوبا عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله (ومن ذلك) ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة و يستسقون بها اذا منعوا الغيث وحكى الحافظ السلفي عن بعضهم أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها و يعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب زمن فأذابوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها و يستشفون بها من المرض اذا اشتد و يخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب *(ومن ذلك)* انه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ومنه ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوبا على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها في النهر احتراما لها وعن بعضهم قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فأدلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فاذا مكتوب بالاسود على احدى أذنيها لا اله الا الله وعلى الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فيه لؤلؤة خضراء فألقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوبا عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي في السيرة ومنه أيضا ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان في البلد من اليهود والنصارى *(ومن ذلك)* ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بلغني في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوح من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت أي بأنه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أي بأنه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقي وغيره عن علي رضي الله عنه أن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب أي يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي * قال الحلبي أقول قد يقال يجوز أن يكون ما ذكر أولا في أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكرناه في الوجه الثاني وان بعض الرواة زاد و بعضهم نقص و بعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده و بقعته التي هو فيها

والدوائر

والدوائر حوله فلا يزالون فى حفظ الله وستره ويذكر أن هارون الرشيد هم بقتل بعض العلوية فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى رضى الله عنهم *(ومن ذلك)* ما جاء عن جابر رضى الله عنه قال مكتوب بين كتفى آدم عليه السلام محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوبا لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله ومنه ما حكاه بعضهم قال ولد عندى فى عام أربعة وسبعين وتسعمائة جدى أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ومكتوب فيها محمد بخط فى غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم أيضا قال شاهدت فى بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا مكتوبا فى بياض عينه اليمنى الاسفل بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ الشعرانى نفعنا الله ببركاته فى كتاب لواقح الانوار القدسية فى قواعد السادة الصوفية قال وفى يوم كتابتى لهذا الموضع رأيت علما من أعلام النبوة وذلك ان شخصا أتانى برأس خروف شواها وأكلها وأرانى مكتوبا فيها بخط الهى على الجبين لا اله الا الله محمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق يهدى به من يشاء من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو الجانب للضلالة والغواية وعن الزهرى قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت مكتوبا على حجر بالعبرانى فأرشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

باب سلام الشجر والحجر عليه

(باب سلام الشجر والحجر عليه) صلى الله عليه وسلم قبل البعثة عن جمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث وانى لاعرفه الآن قيل انه الحجر الاسود وقيل انه الذى فى زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى يفضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا ولله در القائل

لم يبق من حجر صلب ولا شجر * الا وسلم بل هناه ماوهبا

وقال فى الهمزية

والجمادات أفصحت بالذى أخرس عنه لاحمد الفصحاء

وعن على رضى الله عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله والى ذلك اشار السبكى فى تائيته بقوله

وما جزت بالاحجار الا وسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وفى كلام السبكى يحتمل أن يكون نطق الشجر والحجر كلاما مقرونا بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتا مجردا غير مقرون بحياة وعلى كل هو علم من اعلام النبوة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات انها لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك بل سر من الحياة سار فى جميع العالم وقد ورد أن كل شئ سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال فى بيان ذلك وقال وقد أخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن وأضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل فى ذلك لكون الحق تعالى كشف لنا عن حياتها عيانا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ماندك كذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

باب بيان خبر المبعث

(باب بيان خبر المبعث) وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لما بلغ صلى الله عليه وسلم

أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فهم وأممهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم وأول مابدئ به صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى اكرامه ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح أى كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد فى وضوح ضياء الصبح ونوره وفى لفظ فكان لا يرى شيئا فى المنام الا كان أى وجد فى اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وانما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالنبوة أى الرسالة فلا تحملها القوى البشرية لان القوى البشرية لا تحمل رؤيا الملك وان لم يكن على صورته التى خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يجيء به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له والمراد بالملك جبريل عليه السلام ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التى خلقوا عليها لانهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم وعن علقمة بن قيس قال أول مايوفى به الانبياء فى المنام أى مايكون فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى فى اليقظة لان رؤيا الانبياء وحى وصدق وحق لا أضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام له حكم اليقظة فجميع ما يطلع فى عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر ثم أوحى اليه فى اليقظة وفى البخارى الرؤيا الحسنة أى الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة قال بعضهم معناه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحى اليه فى اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحى اليه فى المنام التى هى الرؤيا ستة أشهر فمدة الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ وحينئذ يكون المعنى ورؤياى جزء من ستة وأربعين جزأ من نبوتى ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم وانما هى أصل جعل غيرها مقيسا عليها وشبيها بها والحديث فيه روايات كثيرة أصحها روايته ستة وأربعين جزأ وحملوا الروايات الاخر على اعتبار الاشخاص لتفاوتهم فى مراتب الرؤيا ففى بعضها جزء من خمسين وفى بعضها تسعة وأربعين أو ستة وسبعين وغير ذلك (وجاء عن عمرو) بن شرحبيل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد وفى رواية أرى نورا أى يقظة لا مناما واسمع صوتا وقد خشيت أن يكون والله لهذا أمر وفى رواية والله ما أبغضت بغضى هذه الاصنام شيأ قط ولا الكهان وانى لاخشى أن أكون كاهنا أى فيكون الذى يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجنى بخبر السماء وفى رواية وأخشى أن يكون بى جنون أى لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفى رواية ان خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضى الله عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردى عن الشعبى ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه فعلمه الشئ بعد الشئ ولا يذكر له القرآن فكان فى هذه المدة مبشرا بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه وفى رواية ان مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا فلا يرى شخصه وسبع سنين يرى نورا ولم يرشيئا غير ذلك وان المدة التى بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التى هى اثنتان وعشرون سنة *(وبعد ذلك)* حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة قال الابوصيرى رحمه الله فى الهمزية

انف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء
واذا حلت الهداية قلبا * نشطت في العبادة الاعضاء

وقوله طفلا أي حين كان عند حليمة رضي الله عنها فقد قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم ولما قرب الزمن الذى أراد الله أن يرسله فيه ازداد محبة فى الخلوة لان الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهى تفرغ القلب عن اشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شئ أحب اليه من أن يخلو وحده وكان يخلو بغار حرا بالمد والقصر فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه أي يتعبد الليالى ذوات العدد أى مع أيامها وغلب الليالى لانها أنسب بالخلوة وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة تسع ليال وتارة شهرا رمضان أو غيره فالليالى ذوات العدد محمولة على القدر الذى يتزوّد له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزوّد الى غيرها وكانت خديجة رضي الله عنها تزوّده الكعك والزيت لانه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لان اللبن واللحم سريع الفساد وكان أول من تحنث بحرا من قريش جده عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حرا وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبى أمية بن المغيرة قال السراج البلقيني فى شرح البخارى لم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان يطعم من جاءه من المساكين لانه كان من نسك قريش فى ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين مع الانقطاع عن الناس وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس لاسيما ان كانوا على باطل لان فى الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة فى البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل الا انه أتم فيه من التفكر فى غيره لعدم وجود شاغل وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه بعضهم وقيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم عليه السلام وقيل بشرع موسى عليه السلام وفى كلام الشيخ محيي الدين بن العربى رضي الله عنه تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة ابراهيم عليه السلام حتى فجأه الوحى وجاءته الرسالة فالولى الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له فى قلبه عين الفهم عنه فيلهم معانى القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك أوّل ما يبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا جاء الشهر الذى أراد الله به ما أراد من كرامته وذلك شهر رمضان وقيل ربيع الاوّل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرا كما كان يخرج لجواره حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر أعنى شهر رمضان وقيل ثامن ربيع وقيل السابع والعشرين من رجب أتاه جبريل منا ما ليلة السبت أو ليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال اقرأ قال صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ أى أنا أمى لا أحسن القراءة وكنت نائما فجاءنى بنمط وهو نوع من البسط فغطنى به أى غمنى بذلك النمط بأن جعله على فمى وأنفى قال حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ماذا أقرأ وفى رواية فقلت والله ما قرأت شيئا قط وما أدرى شيئا أقرؤه قال اقرأ باسم ربك وفى رواية انه فعل ذلك به ثلاثا ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأتها وانصرف عنى وقد استقر ذلك فى قلبى وفى رواية فكأنما كتب فى قلبى كتابا أى حفظته فرجع الى خديجة فأخبرها وقال قد خشيت على نفسى فقالت كلا فوالله لا يخزيك الله ابدا قال الحافظ الشامى ومن اللطائف ان هذه الكلمة أى كلمة كلا

قوله فجئه يكتب بالياء على اللغة الفصحى التى بكسر الجيم كسمعه وعلى فتحها يكتب بالالف الا ان تعينت الرواية قاله نصر

التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ما ذكرها من القصة هي التي وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة جرت على لسانها اتفاقا لانها لم تنزل الا بعد في قصة أبي جهل على المشهور وفي بعض الروايات انه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل عليه السلام في الافق ورآه وهو يقول له يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فاخبر خديجة رضي الله عنها فجمعت عليها ثيابها التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى يعني جبريل وانه لنبي هذه الامة فقولي له يثبت وفي رواية قال وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت يا خديجة الخ فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة وفي رواية أن ورقة بعد ان أخبرته خديجة بذلك لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقال له يا ابن أخي اخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى عليه السلام ولتكذبنه *ولتؤذينه* ولتقاتلنه* ولتخرجنه* ولئن أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم وقبل يافوخه أي وسط رأسه ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى منزله *(وقد جاء)* أن أبا بكر رضي الله عنه دخل على خديجة رضي الله عنها وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة أي بعد ان أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل وذهب به الى ورقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة اذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد فانطلق هاربا فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني أي وهذا كان قبل أن يرى جبريل و يجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة فلا تنافي بين الروايات فيحمل سؤال ورقة الذي على يد أبي بكر رضي الله عنه على انه كان قبل أن يرى جبريل والذي وقع في المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به والمرة الثالثة بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن فذهبت اليه خديجة ثم أخذت النبي صلى الله عليه وسلم وذهبت به اليه فكل راوا اقتصر على شئ وقد اشتملت آية اقرأ على براعة الاستهلال وهي أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطي في الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة وأخذ منه القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات وذكر السهيلي أن في ذلك الغط اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم في الكلام على الرضاع ولما قرأ صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع وفي رواية يرجف بها فؤاده أي قلبه ولا مانع من الامرين حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملوني زملوني أي غطوني بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا أي لا يفضحك انك لتصل

الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أي الشئ الذي يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم أي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق أي على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة ابن نوفل فقالت له اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى أي هذا صاحب الوحي وهو جبريل عليه السلام ياليتني فيها جذعا أي ياليتني أكون في زمن الدعوة الى الله أي اظهارها شابا حتى أبالغ في نصرتها ياليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قال صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الا عودي أي فتكون المعاداة سببا لاخراجه وقد جاء أن كل نبي اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت وفي رواية قال ورقة وان أدركت يومك انصرك نصرا مؤزرا أي شديدا قويا من الازر وهو الشدة وفي رواية قال لخديجة ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشي أن لا تحمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا أولو العزم من الرسل وفي كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء في هذه الخشية على اثنى عشر قولا وأولاها بالصواب وأسلمها من الارتياب أن المراد بها الموت أو المرض أودوام المرض وقال الحافظ الاسماعيلي ان هذه الخشية كانت قبل أن يحصل له العلم الضروري بأن الذي جاءه ملك من عند الله وأما بعد حصوله فلا وجاء في بعض الروايات أن خديجة رضي الله عنها قبل أن تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له يا عداس أذكرك الله الا ما أخبرتني هل عندك علم من جبريل أي فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب فقال عداس قدوس قدوس ماشأن جبريل يذكر بهذه الارض التي أهلها أهل أوثان فقالت أخبرني بعلمك فيه قال هو أمين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام وعداس هذا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في الطائف وأسلم على يديه يروى أن خديجة رضي الله عنها حين جاءت عداسا قالت له أنعم صباحا يا عداس فقال كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال ادني مني فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت له ما تقدم يروى انه قال لها حين أخبرته بالخبر يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أمورا فخذي كتابي هذا وانطلقي به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك أبي وأمي امض معي الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس أنت والله النبي الذي بشر بك موسى وعيسى قال بعضهم الصواب أن هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لان اقرأ سابقة في النزول على نون والحاصل أن خديجة رضي الله عنها كانت في بدء الوحي تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتتثبت في الامر لشدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم وتثبتها في أمره صلى الله عليه وسلم ولتقوى قلبه

وتعينه على الحق فنعم الوزير كانت له صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وذكر ابن دحية انه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب وقيل سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه فقال لها انه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه *(وفي أسباب النزول)* للواحدي عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال لما سمع النداء صلى الله عليه وسلم يا محمد قال لبيك قال قل اشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين كما هو رواية وكيع وابن أبي شيبة فاتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر فاني أشهد انك الذي بشر بك عيسى بن مريم عليهما السلام فانك على مثل ناموس موسى عليه السلام وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن أدركني ذلك لاجاهدن معك وهذا يدل على أن الفاتحة أول ما نزل قال في الكشاف وعليه أكثر المفسرين واستبعده بعضهم فيحتمل أن المعنى انها من أول ما نزل لا انها أول على الاطلاق وأما ما روي من انها نزلت بالمدينة فيحتمل تكرر نزولها مبالغة في شرفها الا ان ذلك أول نزولها اذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وأيضا فان الصلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة قال الجلال السيوطي لم يحفظ انه كانت صلاة في الاسلام بغير الفاتحة فالحق انها من أول القرآن نزولا وان الاول على الاطلاق اقرأ باسم ربك فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الاحاديث وفي الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات وفي حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن *(ثم لم يلبث)* أن توفي ورقة قال سبط ابن الجوزي وهو آخر من مات في الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها والراجح عند المحققين انه لم يعد من الصحابة لعدم ادراكه الرسالة ولما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى وفي رواية أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة أو جنتين لانه آمن بي وصدقني وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة بناء على انه أدرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة فقد روي انه مات في السنة الرابعة من المبعث ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بي وصدقني وفي فتح الباري أن في سيرة ابن اسحاق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضي انه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس في الاسلام يروى أن ورقة قال لخديجة في أول ابتداء الوحي قبل نزول شئ من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ اذهبي الى المكان الذي رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحري فان يكن من عند الله لا يراه فتراآى له جبريل يوما وهو في بيت خديجة وكانت قد قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت

يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك ماهذا شيطان والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه فى بيتها جبريل * ولذى اللب فى الامور ارتياء
فأماطت عنها الخمار لتدرى * أهو الوحى أم هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الراس جبريل فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز الذى حاولته والكيمياء

وفى السيرة الحلبية روى ابن اسحاق عن شيوخه انه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا وهذا يدل على انه كان يصيبه قبل نزول القرآن مايشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ولعل ذلك كان تألفا ليتحمل أعباء الوحى حين نزوله عليه وانما كانت خديجة رضى الله عنها تفعل هذه الاشياء لتتثبت فى الامر ويصير عندها ضرورياً وأما هو صلى الله عليه وسلم فكان الامر ملتبساً عليه قبل ظهور الملك وأما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضرورى بأنه جبريل وان الله أرسله اليه وانه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم *(ثم بعد نزول اقرأ أى نزول أول السورة كما تقدم فتر الوحى ليذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الرعب وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزناً شديداً حتى غدا مراراً كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما وافى ذروة جبل كى يلقى نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جاشه أى قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا وافى لذروة جبل تبدى له مثل ذلك وفى فتح البارى جزم ابن اسحاق بأن مدة فترة الوحى كانت ثلاث سنين وجزم السهيلى بأنها كانت سنتين ونصفاً وقيل خمسة عشر يوماً وقيل غير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم فى مدة فترة الوحى يتردد الى غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحى وعن يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن ابتداء الوحى أى بعد فترته فقال لا أحدثك الا ماحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالى فلم أر شيئاً فنظرت من خلفى فلم أر شيئاً فرفعت رأسى فرأيت شيئاً بين السماء والارض وفى رواية فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثرونى وفى رواية زملونى زملونى وصبوا على ماء بارداً فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر أى المتلفف بثيابه قم فأنذر وربك فكبر ولم يقل بعد قوله فأنذر وبشر مع انه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد آمن من قبل وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وان نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيا أيها المدثر وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعنى انه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ولكنه ما أمر باظهار الدعوة الا بنزول يا أيها المدثر فبها حصل الجهر بالدعوة الى الله ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى قوله تعالى يا أيها المدثر اعلم أن التدثر انما يكون من البرودة التى تحصل عقب الوحى وذلك أن الملك اذا ورد على النبى صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانسانى وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فترد عليه الثياب ليسخن وذكر السهيلى أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو عليها فلاطفه الحق بقوله يا أيها المدثر قم فأنذر فبذلك علم رضاه الذى هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه

قوله تربد وجهه مصدر مضاف لفاعله من الربدة بالضم كغبرة وزناً ومعنى يقال اربد وجهه اذا تغير بالغبرة أى كلون الغبار وهو التراب قاله نصر

الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد نام وقد ترب جبينه قم أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام الى الاسفار قم يا نومان

(باب في مراتب الوحي واقسامه) قد كمل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم مراتب الوحي وأنواعه *(فاحدى تلك المراتب)* الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح روى ابن اسحاق أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أول سورة اقرأ منا ماثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة بل روى أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيه شئ يقظة الا وقد أريه قبل ذلك في منامه وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحي من الانبياء كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم شغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الى اصله وهو لصوقه بالارض *(الثانية)* ما كان يلقيه الملك في قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا يعلم به أنه وحي لا مجرد الهام *(الثالثة)* خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول فقد ثبت انه كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان جميلا وسيما أي حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه قال السراج البلقيني يجوز أن الآتي جبريل بشكله الاول الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال في فتح الباري والحق ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وقال العلامة القونوي يجوز أن الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الاصلي مدبرة له و يتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الاثر أي ان جسم الملك الاصلي باق بحاله لم يتغير وقد أقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد وقد قيل انما سمي الابدال ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها في صور مختلفة وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والجواب بأنه كان يندمج الى أن يصغر حجمه بقدر دحية ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية أحسن *(الرابعة)* كان يأتيه مخاطبا له بصوت في مثل صلصلة الجرس والجرس مثال يشبه الجلجل الذي يعلق على الجمال في رؤس الدواب والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحي وقيل صوت أجنحة الملك والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي وليس فيه مكان لغيره وكان هذا النوع أشده عليه لانه يرد فيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحي كله شديد وهذا أشد وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات ولان الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وفي حديث لابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة قال بعضهم وانما كان شديدا عليه ليجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهي عنه فكيف يشبه الوحي به لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها بل يكفي اشتراكهما في صفة ما ولما كان الوحي من المسائل العويصة التي لا يماط نقابها الثغور

باب في مراتب الوحي واقسامه

عن وجهها لكل أحد ضرب لها مثل في الشاهد فقلت بالصوت الذي يسمع ولا يفهم منه شيء تنبيها على ان الوحي يرد على القلب في هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقي من ثقل القول مالا علم له به مع وجود ذلك فاذا سري عنه وجد القول المقول بيناً ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وقد روى الامام أحمد والحاكم وصححه والترمذي والنسائي عن عمر رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فأفهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوي بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر رضي الله عنه والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه وجزم بعضهم بأن سماعه كدوي النحل حين يتمثل له رجلا وبه تعلم الصفة التي كان عليها حين خطابه بذلك الصوت وجاء في بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بان جبينه صلى الله عليه وسلم يتفصد عرقاً أي يسيل عرقاً مبالغة في كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطروه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ويحصل ذلك له في اليوم الشديد البرد فضلا عن غيره وان راحلته اذا أوحي عليه وهو عليها لتبرك به في الارض ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الانصاري رضي الله عنه فثقلت عليه حتى كادت ترضها وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي لم يستطع أحدنا يرفع طرفه اليه حتى ينقضي الوحي وفي لفظ كان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة وفي رواية كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها *(الخامسة)* أن يرى جبريل في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسد أفق السماء حتى مايرى في السماء شيء فيوحي اليه ماشاء الله ان يوحيه اليه وهذا وقع له مرتين احداهما في الارض حين سأله أن يريه نفسه في الافق وكانت هذه في أوائل البعثة بعد فترة الوحي والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج *(السادسة)* ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الازلي الذي ليس بحرف ولا صوت من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة *(السابعة)* ما أوحاه اليه بلا واسطة أيضا بل بسماع الكلام الازلي لكن بلا رؤية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وزاد بعضهم ثامنة فقال وكل به اسرافيل عليه السلام قبل تتابع مجيء جبريل عليه السلام فكان يتراآى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن وبعضهم نازع في هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث في الروع وزاد بعضهم عاشرة وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية كما في الحديث الذي فيه بيان الاسلام والايمان والاحسان والحق ان هذه داخلة في المرتبة الثالثة لان القصد منها التمثل في صورة رجل وان كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لاينافي انه قد يأتي بصورة غيره كما في الحديث المذكور فانه ذكر فيه انه جاءهم في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ودحية كان معروفا عندهم وبالغ بعضهم في تعديد انواع الوحي حتى أوصلها الى ستة وأربعين نوعا والتحقيق انها تعود الى ماذكر وقد روى أن جبريل

ظهر له صلى الله عليه وسلم فى أول ما أوحى اليه فى أحسن صورة وأطيب رائحة وهو بأعلى مكة وفى رواية بجبل حرا فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولى الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله أى ومحمد رسول الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيفية الطهور للصلاة ثم أمره أن يتوضأ كما رآه يتوضأ ثم قام جبريل يصلى مستقبلا نحو الكعبة وأمره أن يصلى معه فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم الى أهله فكان لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله فسار صلى الله عليه وسلم حتى أتى خديجة رضى الله عنها فأخبرها فغشى عليها من الفرح ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه السلام فكانت أول من صلى وفى رواية أنها قالت حين شاهدت ذلك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم توضأت وصلت فكان ذلك أول فرض الصلاة من حيث هى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى واليها الاشارة بقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا ان آية الوضوء مدنية لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لاصحابه ثم نزلت الآية ببيانه وقال بعضهم ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وانه قبل ذلك كان مطلوبا على وجه السنة والندب ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الاقوال

*(ذكر أول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم) قال فى المواهب اللدنية أول من آمن بالله وصدق برسوله صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة رضى الله عنها فقامت بأعباء الصديقية وكانت تقول للنبى صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقرى الضيف وحمل الكل وعرفت أن من كان كذلك لا يخزى أبدا وهو من بديع علمها رضى الله عنها قال ابن اسحاق وآزرته صلى الله عليه وسلم على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيئا يكرهه من رد وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بغار حرا وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها رضى الله عنها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وابدى السهيلى لنفى الصخب لطيفة هى انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها الى الايمان أجابت طوعا ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل ازالت عنه كل تعب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التى بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضى الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها وتميزت أيضا بانها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم ولم تغاضبه قط وقد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته وولدت له صلى الله عليه وسلم من الذكور القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ومن الاناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضى الله عنها وعنهن

*(وأول ذكر آمن بعدها صديق الامة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر رضى الله عنه) وكان رضى الله عنه صديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يكثر غشيانه فى منزله ومحادثته وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت أنا وأبو بكر على هذا الامر كفرسى رهان فسبقته فتبعنى ولو سبقنى لتبعته ففيه اشارة الى أن كلا منهما مجبول على التوحيد ولهذا المبعث صلى الله عليه وسلم كان أشد

ذكر أول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم

الناس تصديقا له أبو بكر رضي الله عنه روى الطبراني برجال ثقات أن عليا رضي الله عنه كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم الى عبد الله وقيل كان اسمه عبد الله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لانه كان لا يعيش لها ولد وقيل سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار وقيل لانه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لقدمه في الخير وسبقه الى الاسلام وكني بأبي بكر لا بتكاره الخصال الحميدة قال الزرقاني ولم أقف على من كناه هل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم أو غيره فلما أسلم آزر النبي صلى الله عليه وسلم في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله عنه أول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان رضي الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قدما صدق الرسلا

وقوله والثاني التالي أي الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار ففيه تلميح الى قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وقوله التابع أي التابع له صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه مفارقا أهله ورياسته في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التي لا تحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم عندي يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وقال ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجني ابنته وواساني بماله قال الشعبي عاتب الله أهل الارض جميعا في هذه الآية أي آية الا تنصروه غير أبي بكر وقد جوزي بصحبة الغار الصحبة على الحوض كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار فيا نعم الجزاء وقوله المحمود مشهده أي المحمود محل حضوره من الناس لانه كان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجرا وفي السيرة الحلبية كان أبو بكر رضي الله عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من أعف الناس رئيسا مكرما سخيا يبذل المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب وكذا عقيل بن أبي طالب الا أن أبا بكر كان يعلم خيرهم وشرهم ولا يعد مساويهم فلذا كان محببا اليهم بخلاف عقيل فانه كان يعد مساويهم وكان أبو بكر رضي الله عنه ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فلما أسلم وتبع النبي صلى الله عليه وسلم وآزره وشد عضده جعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فأسلم بدعائه فضلاء الصحابة رضي الله عنه وعنهم وسيأتي ذكر بعض من أسلم بدعائه وكان رضي الله عنه يتوقع ظهور نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه من ورقة ومن غيره من الاحبار والرهبان والكهان حتى انه أول من بادر الى التصديق به صلى الله عليه وسلم يروى ان أبا بكر رضي الله عنه كان يوما عند حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة لحكيم فقالت ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى عليه السلام فانسل أبو بكر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له وأخبره بأن الله أرسله فقال صدقت بأبي وأمي أنت وأهل الصدق أنت أنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله ولما سمعت خديجة رضي الله عنها مقالة أبي بكر رضي الله عنه خرجت وعليها خمار أحمر فقالت

الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أن الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه قال ابن اسحاق بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه ما عكم عنه حين ذكرته له أي انه بادر به قال السهيلي وكان من أسباب توفيق الله له وانه رأى القمر نزل مكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير في أسد الغابة عن ابن مسعود رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه خرج الى اليمن قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قال فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال احسبك حرميا قلت نعم قال واحسبك قرشيا قلت نعم قال واحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لي فيك واحدة قلت وما هي قال تكشف لي عن بطنك قلت لا أفعل أو تخبرني لم ذاك قال أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل أما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الايسر علامة وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ما خفي علي قال فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال أنت هو ورب الكعبة واني أوصيك بما هو في أمره قلت وما هو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لاودعه فقال أحامل أنت مني أبياتا الى ذلك النبي قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش فقلت نابكم أو ظهر فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم أبي طالب يزعم انه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شيء وذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الي فقلت يا محمد فقدت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الذي لقيته باليمن قلت وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذي أفادك الابيات قلت ومن أخبرك بهذا يا حبيبي قال الملك المعظم الذي يأتي الانبياء قبلي قلت مد يدك فأنا اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله صلى الله عليك وسلم فانصرفت وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي وفي رواية فانصرفت وما بين لابتيها أشد سرورا مني باسلامي ولا أشد سرورا باسلامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزرقاني يمكن الجمع بينه وبين ما تقدم من انه بلغه أمر النبي صلى الله عليه وسلم عند اجتماعه بحكيم بن حزام بأن سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه بعد اسلام خديجة وتحقق الامر عندها فلقي صناديد قريش عند وصوله ثم اجتمع بحكيم بن حزام وسمع الخبر عنده من الجارية فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر اسلامه بين يديه ولما أسلم أظهر اسلامه للناس ودعا الى الله ورسوله وفي السيرة الحلبية ان أبا بكر رضي الله عنه لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه رضي الله عنه نعم القادر الله وخاتم عمر كفى بالموت واعظا يا عمر وخاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وخاتم علي الملك لله وخاتم أبي عبيدة الحمد لله وفي المواهب وشرحها روى عن الحسن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنت أسبق سابقة الى الاسلام واورى منه منقبة فقال له علي رضي الله عنه ويلك ان ابا بكر رضي الله عنه سبقني الى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشيء سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه تستحقرني قريش وتستوفيه والله لو أن أبا بكر

زال عن مرتبة ما بلغ الدين العبرين أى الجانبين ولكان الناس كرعة كركرعة طالوت ولذلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وقوله سبقنى الى افشاء الاسلام يدل على أسبقية اسلام على رضى الله عنه وان أبا بكر رضى الله عنه انما سبقه الى الافشاء والتحقيق ان كلا من أبى بكر وعلى رضى الله عنهما بادر بالتصديق والاسلام وعلى رضى الله عنه كان عند النبى صلى الله عليه وسلم وفى بيته فيحتمل انه أسلم مع اسلام خديجة رضى الله عنها ويحتمل انه قارن اسلامه اسلام أبى بكر رضى الله عنه ومثل ذلك زيد بن حارثة رضى الله عنه فانه كان مولى النبى صلى الله عليه وسلم وكان من السابقين فى الاسلام وكذا بلال رضى الله عنه كان من السابقين فى الاسلام ففى بعض الاحاديث ان أول الناس اسلاما خديجة رضى الله عنها وفى بعضها أبو بكر رضى الله عنه وفى بعضها على رضى الله عنه وفى بعضها زيد بن حارثة رضى الله عنه وفى بعضها بلال رضى الله عنه قال الحافظ ابن الصلاح والاورع أن لا يطلق القول فى تعيين أول المسلمين بل يقال أول من أسلم من الرجال البالغين الاحرار أبو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة ومن الموالى زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وقال المحب الطبرى الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال أول من أسلم مطلقا خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين وأول ذكر أسلم على بن أبى طالب وهو صبى لم يبلغ الحلم وكان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربى بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة الكلبى وروى ابن منده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أبا بكر رضى الله عنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وهم يريدون الشأم فى تجارة فسمع أبو بكر رضى الله عنه كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال من هذا الذى تحت الشجرة فأجابوه بأنه محمد بن عبد الله فقال هذا نبى الخ ما تقدم فوقع فى قلب أبى بكر اليقين حينئذ وفى رواية لقد آمن أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اللغوى وهو اليقين بصدقه وهو ما وقر وثبت فى قلبه فلهذا كان يتوقع بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينافى انه أول المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة كما تقدم قال الحلبى فى السيرة وبنات النبى صلى الله عليه وسلم يكن موجودات عند البعثة فبعد تأخر ايمانهن فهن من أول الناس ايمانا بل هن ممن لم يتقدم لهن اشراك فلم يذكرن مع أول من آمن اكتفاء بذلك ولايمان أمهن ولذلك قال الحافظ ابن كثير ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا به قبل كل أحد خديجة وبناته وزيد وزوجته وعلى رضى الله عنهم وأما فاطمة رضى الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة فلا يحتاج الى التنبيه عليها وقد روى ابن اسحاق عن عائشة رضى الله عنها قالت لما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة أسلمت خديجة وبناته صلى الله عليه وسلم وكان أبو العاص زوج زينب عظيما فى قريش فكلمته قريش فى فراقها على أن يتزوج من أحب نسائهم فأبى ولا يشكل تزويجه زينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم ولدى أبى لهب مع صيانة النبى صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لان تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار بعد صلح الحديبية وقد كفاه الله ولدى أبى لهب فطلقاهما قبل الدخول ثم تزوجتا بعثمان رضى الله عنه واحدة بعد واحدة وأما أبو العاص فأسلم وهاجر وبقيت زينب رضى الله عنها عنده وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما كلمت أحدا الا راجعنى فى الكلام وأبى على الا ابن أبى قحافة فانى لم أكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا لخبر أتانى جبريل فقال ان الله أمرك أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفى عمر رضى الله عنهما وشاورهم فى الامر فكان أبو بكر رضى الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه

وسلم فكان يشاوره فى أموره كلها وقد جاء ان الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبى بكر وعمر وفى حديث صحيح ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر وأما ورقة ابن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وان بعضهم عده فى الصحابة وجعله أول من أسلم وبعضهم قال انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى عليه السلام وبعضهم جعله من أهل الفترة وأما عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسيأتى ذكر اسلامه فى باب بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة وسيأتى أيضا ان اسلامه انما كان بعد الهجرة الاولى وقيل الثانية فى السنة السادسة من المبعث وأما عثمان بن عفان رضى الله عنه فيأتى ذكر اسلامه قريبا فى عداد من أسلم بدعاية أبا بكر رضى الله عنه وأما حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فسيأتى ذكر قصة اسلامه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من كفار قريش من الاذايا لان بعض تلك الاذايا كان سبب اسلامه رضى الله عنه وسيأتى أيضا أن اسلامه كان فى السنة الثانية من النبوة وقيل فى السادسة *(ثم أسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه)* وتقدم أن بعضهم جعل اسلامه أسبق من اسلام أبى بكر رضى الله عنه وتقدم الجمع بين الاقوال بأنه أول من أسلم من الصبيان وان أبا بكر أول من أسلم من الاحرار البالغين وعن سلمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول الناس ورودا على الحوض أولها اسلاما على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما زوجه النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها قال لها زوجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وانه لاول أصحابى اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم كان سنه ثمان سنين وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لان قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ انت واحدا وأنا واحدا فجاآ اليه وقالا انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لى عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تولى تسمية على النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه وغذاه أياما من ريقه المبارك يمصه لسانه فعن فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنها انها قالت لما ولدته سماه صلى الله عليه وسلم عليا وبصق فى فيه ثم انه ألقمه لسانه فما زال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدى أحد فدعونا له محمدا فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله تعالى وعنها رضى الله عنها انها أرادت فى الجاهلية أن تسجد لهبل وهى حامل بعلى رضى الله عنه فتقوس فى بطنها ومنعها من ذلك وكان على رضى الله عنه أصغر اخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل وأخيه طالب كذلك فكل واحد أكبر من الذى بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم على وكلهم أسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل رضى الله عنه أحبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت أعلم من حب عمى اياك *(وسبب اسلام على رضى الله عنه)* انه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضى الله عنها وهما يصليان سواء فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال على رضى الله عنه هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه

سبب اسلام على رضى الله عنه

وسلم

وسلم أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره فقال له يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث علي ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فأصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة رضي الله عنها وهو يوم الثلاثا كما في سيرة الدمياطي لان صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضي الله عنها كانت آخر يوم الاثنين وكان علي رضي الله عنه يخفي اسلامه خوفا من ابيه الى أن اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فأظهره حينئذ وفي أسد الغابة لابن الاثير أن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه يصليان وعلي على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصل على يساره فأسلم جعفر رضي الله عنه وكان اسلامه بعد اسلام أخيه علي رضي الله عنه بقليل وكان اسلام علي رضي الله عنه قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سنين وقيل عشر ومما كتبه علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي * يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي * مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها * فمن منكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي رضي الله عنه حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام وزعم المازني وصوّبه الزمخشري أن عليا رضي الله عنه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمناني لتقتلني * فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ذكره في القاموس قال الزرقاني وهو مردود بما في مسلم في غزوة خيبر من قول علي رضي الله عنه مجيبا لمرحب اليهودي

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوي عن ام سلمة رضي الله عنها انها قالت قال علي رضي الله عنه

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

ولم يتقدم من علي رضي الله عنه شرك أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كأحد أولاده تبعه في جميع أموره وفي الحديث ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون وفي حديث آخر سباق الاسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم والمراد من عدم كفره انه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان أبا بكر رضي الله عنه كذلك ولما علم أبو طالب باسلام علي رضي الله عنه وصلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه أي بني ما هذا الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له أما انه لم يدعك الا الى الخير فالزمه ويذكر عنه انه كان يقول اني لاعلم أن ما يقوله ابن أخي لحق ولولا اني أخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته وعن ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك ثم ان أبا طالب عثر أي اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الذي

أراك تدين به قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني الى الله تعالى وأعانني عليه فقال له أبو طالب اني لا أستطيع أن افارق دين آبائي وما كانوا عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا تعلوني استي أبدا وهذا ينبغي أن يكون صدر منه قبل أن يقول لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروى عن علي رضي الله عنه انه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي ورآني أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الفعل الذي أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله أبدا الاني لا أحب أن تعلوني استي فلما تذكرته الآن ضحكت وتقدم الكلام على أبي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله رضي الله عنه أفردت بالتأليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل *(ثم أسلم بعد اسلام علي رضي الله عنه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم)* وهبته له خديجة رضي الله عنها لما تزوجها وكان اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد ممن سباه من الجاهلية لان عمته خديجة رضي الله عنها أمرته أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع وعمره ثمان سنين وقد أسر من اخواله طي قال السهيلي ان أمه خرجت به تريد أهلها فأصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رآته خديجة رضي الله عنها أعجبها فأخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة أي اشتراه لها فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها أعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي وقيل ان الذي اشتراه لخديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فانه جاء الى خديجة رضي الله عنها فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمن لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لي لأعتقته قالت هو لك فأعتقه قال أبو عبيد لم يكن اسمه زيدا ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حين تبناه وهو اسم جده قصي ثم انه خرج بابل لابي طالب الى الشام فمر بأرض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال عربي أنت أم عجمي قال عربي قال ممن أهلك قال من كلب قال من أي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال وأين أصبت قال في اخوالي قال من اخوالك قال طي قال ما اسم أمك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه وقال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرني على أهله وولده ورزقت منه حبا فلا أصنع الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه وفي رواية أن ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه قال الحلبي وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك الناس فلما جاء أهله في طلبه ليفدوه خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ لما قدم أبوه وعمه في فدائه سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون الاسير العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه فانا سندفع لك فقال وماذاك قالوا زيد بن حارثة قال أوغير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير

فداء وان اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على الذي اختارني فداء قالوا زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال أتعرف هؤلاء قال نعم أبي وعمي ولم يذكر أخاه لاستصغاره ولان الخطاب كان معهما وفي رواية ذكرها السهيلي أن زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم من هذان قال هذا أبي حارثة بن شرحبيل وهذا عمي كعب بن شرحبيل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا من علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني أو اخترهما فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ما أنا بالذي أختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى أخرجه الى الحجر الذي هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني أرثه ويرثني فطابت أنفسهما وانصرفا قال ابن عبد البر ان سنه حين تبناه النبي صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل يقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك تطلب بي واطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر أمر الاسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث وفي أسد الغابة أن حارثة أسلم وقيل لم يثبت اسلامه الا المنذري ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو رضي الله عنه في قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا قال ابن الجوزي الا ما روي في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي انه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم رضي الله عنها ولزيد أخ اسمه جبلة أسلم رضي الله عنه وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله أي لان زيدا أفضل منه لسبقه الى الاسلام *(وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضي الله عنها) أم الفضل زوج العباس وهي لبابة بنت الحارث الهذلية أخت ميمونة رضي الله عنها * ومن السابقات الى الاسلام أسماء بنت أبي بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنها وأم أيمن بل ينبغي أن تكون سابقة على أم الفضل *(بيان من أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه)* لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه دعا الى الله فأسلم بدعائه خلق كثير منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه قال عثمان رضي الله عنه أخبرتني خالتي سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية رضي الله عنها ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحثتني على اتباعه وكان لي مجلس من الصديق رضي الله عنه فجئته فأصبته وحده وصرت متفكرا فسألني عن تفكري فأخبرته بما سمعت من خالتي فقال لي أبو بكر رضي الله عنه ورغبني في الاسلام قال فما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي رضي الله عنه يحمل له ثوبا فقام أبو بكر رضي الله عنه فسار النبي صلى الله عليه وسلم فقعد ثم أقبل علي فقال أجب الله تعالى الى جنته فاني رسول الله اليك والى جميع خلقه قال فما تمالكت حين سمعته أن قلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم لم ألبث ان زوجني رقية رضي الله عنها وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان رضي الله عنه كذلك وكان يتمنى التزوج بها من قبل قال رضي الله عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة بن أبي لهب بنته رقية فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت اليها فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز فأخبرتني ان الله أرسل محمدا صلى الله

بيان من أسلم بدعاية أبي بكر

عليه وسلم وذكر قصة اسلامه ثم لم ألبث ان تزوجت رقية أى بعد ان فارقها عتبة قبل أن يدخل بها كما يأتى ثم بعد ان توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ولذا لقب بذى النورين ولم يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره رضى الله عنه وكان يختم القرآن كل ليلة فى الوتر وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان رضى الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية والد مروان فأوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته فى الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وقيل ان المعذب بالدخان الزبير رضى الله عنه ليرجع عن الاسلام ولا مانع من تعدد ذلك *(وممن أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى)* وهو ابن ثمان سنين أو اثنتى عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا *(وأسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه أيضا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة)* وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان امية بن خلف صديقا لى فقال لى يوما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال أنا لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك *(وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف الزهرى المذكور)* رضى الله عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان بن عوا كن الحميرى فكان يسألنى هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم فأقول لا حتى كانت السنة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لى بذلك قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها فى اخبار الكهان التى ليست على السنة الجان وفى آخرها فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأتيته فلما أتيت بيت خديجة رضى الله عنها رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لى أرى وجها خليقا ان أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى أولئك من اخوانى حقا وعن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنت أمين فى أهل الارض أمين فى أهل السماء وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار *(وممن أسلم بدعاية أبى بكر رضى الله عنه)* أيضا سعد بن أبى وقاص الزهرى احد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه لقيه أبو بكر رضى الله عنه فدعاه الى الاسلام ورغبه فيه وحثه عليه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله عن أمره فأخبره به فأسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بنى زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد هذا خالى فليرنى امرؤ خاله وفى كلام السهيلى انه عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت ألست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا آكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس اسافا ونائلة وكانوا يفتحون فاها أعنى أم سعد فى مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فأبى أن يمتثل قولها وفيه أنزل الله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفى رواية انها مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين محمد فكلى ان شئت أو لا تأكلى فلما رأت ذلك أكلت وفى الانساب للبلاذرى عن سعد رضى الله عنه قال أخبرت أمى انى كنت أصلى العصر يعنى الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشى فجئت فوجدتها

على بابها تصيح ألا أعوان يعنونني عليه من عشيرتي أو عشيرته فأحبسه وأطبق عليه بابه حتى يموت
أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها
حينا ثم أرسلت الى أن عد الى منزلك ولا تضيفن الناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني
بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني بأخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا
فلما أسلم عامر لقي منها مالم يلق أحد من الصياح والأذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما
والناس مجتمعون على أمي وعلى أخي عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك
عامرا وهي تعطي الله عهدا لا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبأته فقلت لها
والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار *(وممن أسلم بدعاية)*
أبي بكر رضي الله عنه أيضا طلحة بن عبيد الله التيمي رضي الله عنه احد العشرة المبشرين بالجنة لقيه
أبو بكر رضي الله عنه فدعاه الى الله تعالى ورغبه في الاسلام فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبي صلى
الله عليه وسلم فأسلم وله قصة كانت هي السبب الأول في اسلامه رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى
فاذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا قال هل ظهر
أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء
مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ماقال
فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الأمين يدعو الى الله
تعالى وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فأخبرته بما قال
الراهب فخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فسر به
فأسلمت ولما تظاهر أبو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام أخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى أسد
قريش فشدهما في حبل يريد أن يفتنهما ويرجعا عن الاسلام ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي أبو بكر
وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن
العدوية وقد شارك طلحة رجل آخر في اسمه واسم أبيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي فالأول
احد العشرة المبشرين بالجنة وهذا ليس كذلك وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا
رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قال لئن مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتزوجن
عائشة رضي الله عنها وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لأتزوجن عائشة من بعده
فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة احد العشرة
أجل مقاما أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه نقله عنه
الحلبي في السيرة والحاصل انه أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم
عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان كل من
أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص
يصنع النبل ثم دخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء *(ومن السابقين الى الاسلام)*
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل
أخت عمر رضي الله عنه فهي ثانية النساء اسلاما وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية
زوج العباس رضي الله عنهما ومن السابقات أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وأما عائشة رضي الله
عنها فما ولدت الا بعد البعثة ومن السابقين عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد يوم بدر

ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى زوج أم سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم أسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادى عشر ومنهم عثمان بن مظعون الجمحى وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن أبى الارقم المخزومى وهو الذى ينسب اليه دار الارقم *(ومن السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود)* الهذلى رضى الله عنه وسبب اسلامه ما حدث به قال كنت فى غنم لآل عقبة بن أبى معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضى الله عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل عندك من لبن فقلت نعم ولكنى مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص وهى التى لا ضرع لها وقيل لا لبن لها فمسح النبى صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبى صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقانى ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان والى ذلك أشار السبكى فى تائيته بقوله

ورب عناق ما نزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت

فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وقال يا رسول الله علمنى فمسح رأسه وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم وكان صلى الله عليه وسلم يكرم عبد الله بن مسعود ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشى أمامه صلى الله عليه وسلم ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما فى ذراعيه ولذلك كان مشهورا عند الصحابة أيضا بأنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لامتى ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد (ومن السابقين الى الاسلام أبوذر) الغفارى رضى الله عنه واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان ألقى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهنى ربى فبلغنا أن رجلا خرج بمكة يزعم انه نبى فقلت لاخى أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه وأتنى بخبره فلما رجع أنيس قلت له ما عندك قال والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفنى حتى أذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا حتى أقبلت وأتيت مكة فجعلت لا اعرفه وأكره ان أسأل عنه فمكثت فى المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لى طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى وما وجدت على سخفة جوع والسخفة بالتحريك حرارة يجدها الانسان من الجوع ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فطاف بالبيت ثم صلى فلما تمت صلاته أتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار فى وجهه ثم قال من الرجل فقلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لى من طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسر عكن بطنى وما أجد على بطنى سخفة جوع قال مبارك انها طعام طعم وشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وهى همزة جبريل وسقاية الله اسماعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم وجاء ان أباذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التى هى تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا تأخذه فى الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء أى السماء ولا أقلت الغبراء أى

الارض

الارض أصدق من ابى ذر رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه أبوذر يمشى فى الارض على زهد عيسى بن مريم عليه السلام وفى الحديث أبوذر زاهد امتى وأصدقها وقد هاجر أبوذر رضى الله عنه الى الشأم بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه واستمر بها الى أن ولى عثمان رضى الله عنه فاستقدمه من الشأم لشكوى معاوية رضى الله عنه وأسكنه الربذة فكان بها حتى مات وذلك ان أباذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لقيا أبى ذر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بدلالة على رضى الله عنه وانه قال له ما أقدمك هذا البلد فقال له أبوذر ان كتمت على أخبرتك وفى رواية ان أعطيتنى عهدا وميثاقا أن ترشدنى أخبرتك ففعل قال أبوذر فأخبرته فأرشدنى واوصانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت وفى رواية أن عليا رضى الله عنه استضافه أبوذر رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يسأله عن شئ وهو لا يخبره ثم فى الثالث قال له ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة قال ان كتمت على أخبرتك قال فانى أفعل قال له بلغنا انه خرج هاهنا رجل يزعم انه نبى فأرسلت اليه أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فأردت أن ألقاه فقال أما انك قد رشدت هذا وجهى أى خروجى اليه فاتبعنى أدخل حيث أدخل فان رأيت أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كأنى أصلح نعلى وفى رواية كأنى أريق الماء فامض أنت قال أبوذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له اعرض على الاسلام فاعرضه على فأسلمت مكانى الحديث ثم ان أبا بكر قال يارسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة قال أبوذر رضى الله عنه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فانطلقت معهما ففتح أبو بكر رضى الله عنه بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته أى من الزبيب فلا ينافى اضافة على رضى الله عنه له ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنه فأسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف فأسلم بأن يكون أبوذر دخل عليه أولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثانى الثبات عليه بتكرر الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة الثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله فى ليلة لم يطف بالبيت أحد الخ والا فيبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف فى مدة ثلاثين يوما وقوله من الرجل زيادة فى الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل وهو يظن انه قد سافر ولم يمكث هذه المدة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فأخبرهم يأتونى فاذا بلغك ظهورنا فأقبل قلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بهذا بين ظهرانيهم قال وكنت فى الاسلام خامسا وفى رواية رابعا أى من الاعراب فلا ينافى زيادة من أسلم غيره على خمسة قال أبوذر فلما اجتمعت قريش فى المسجد ناديت بأعلى صوتى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابى فقال على أهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فأكب على العباس وقال ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بى مثل ما صنع بالامس وأدركنى العباس وخلصنى فخرجت وأتيت أنيسا فقال ما صنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال مالى رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت مالى رغبة عن دينكما فانى أسلمت وصدقت فأتينا قومنا غفارا فأسلم نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثانى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر انى قد وجهت الى أرض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك و يؤجرك فيهم وقد ذكر ان أباذر رضى الله عنه وقف يوما عند الكعبة فى حجة

حجا أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لوان أحدكم أراد سفرا أليس يعد زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم فقالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور *(ومن السابقين للاسلام)* خالد بن سعيد بن العاص وهو أول من أسلم من اخوته فيحمل عليه قول ابنته أم خالد أوّل من أسلم أبى أى من اخوته وسبب اسلامه انه رأى فى النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى انه على شفيرها وان أباه يريد أن يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم أن نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فقال له أبو بكر رضى الله عنه أريد بك خير هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فأتاه فقال يا محمد ماتدعو اليه قال ادعو الى الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فأسلم خالد وفى الوفاء للسيد السمهودى عن أم خالد بنت خالد بن سعيد انها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبيناهو كذلك اذ خرج نور من زمزم ثم علا فى السماء فأضاء فى البيت ثم أضاء مكة كلها ثم تحوّل الى يثرب فأضاءها حتى انى لانظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على أخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى فقال يا أخى ان هذا الامر فى بنى عبد المطلب الاترى انه خرج من حفر أبيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فقال يا خالد أنا ذلك النور وأنا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد وعلم بذلك أبوه وهو سعيد أبو أحيحة وكان من عظماء قريش وكان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاما له ومن ثم قال فيه القائل

أبا أحيحة من يعتم عمته * يوما وان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد أرسل فى طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ثم قال اتبعت محمدا وأنت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يالكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتنى فالله يرزقنى ما أعيش به فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا الا يكلمه أحد منكم الا صنعت به مثله فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه فى نواحى مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد أوّل من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن أبى كبشة بمكة فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا أوّل من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص قيل وسبب اسلامه انه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت منه نخيل المدينة حتى رآى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤية وقعت لاخيه خالد وكانت سببا لاسلامه وانه قصها على أخيه عمرو المذكور فهو من خلط بعض الرواة الا أن يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولاخيه عمرو وانها كانت سببا لاسلامهما وأسلم من بنى سعيد أبان بن سعيد والحكم بن سعيد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله *(ومن السابقين للاسلام)* صهيب رضى الله عنه كان أبوه عاملا لكسرى فأغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ فى الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر اين تريد

قوله يوما كذا فى نسخة المؤلف ولعله يرمى بدل يضرب الذى فى الرواية المشهورة قاله نصر

يا صهيب قال أريد أن ادخل على محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا أريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على أمه وأبيه فسألاه أين كان فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فأعجبهما فأسلما على يده وكان اسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلا *(ومن السابقين للاسلام)* حصين والد عمران بن حصين رضي الله عنهما وكان اسلامه بعد اسلام ابنه عمران وسبب اسلامه أن قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة في الارض وواحد في السماء قال فاذا أصابك الضر من تدعو قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال قال الذي في السماء قال يستجيب لك وحده وتشركهم معه أرضيته في الشرك يا حصين أسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم وفي بحقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أي عتبته رأته قريش فقالوا قد صبأ وتفرقوا عنه *(ولما دخل الناس)* في الاسلام أرسالا أي جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله أن يصدع بالحق ويواجه المشركين بالجهر بالقرآن في الصلاة وأنزل عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فشق ذلك عليهم وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردوا عليه بل كانوا كما قال الزهري غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من من السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها وذلك انه دخل عليهم المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم وكان ذلك في سنة أربع من النبوة وقيل في سنة خمس فأجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال أي عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه حاجزا بينه وبينهم فاشتد الامر وتضارب القوم وأظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وبني هاشم بن عبد مناف ما عدا أبا لهب منهم وبني المطلب بن عبد مناف أخي هاشم وكانوا معهم بطلب من أبي طالب بخلاف بني أخويهم نوفل وعبد شمس ابني عبد مناف فانهم كانوا من أشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين فكان من أسلم اذا أراد الصلاة أي صلاة الركعتين بالغداة وبالعشي يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين فبينما سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو أول دم اهريق في الاسلام ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم واشتد الامر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه مستخفين في دار الارقم المعروفة الآن بدار الخيزران لان المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدي العباسي فوهبها المهدي المذكور لجاريته الخيزران وهي أم ولديه موسى

الهادى وهارون الرشيد فوقفتها مسجدا وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهما من اتقى الله وقاه كل شئ فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم و يعبدون الله تعالى واختلفوا فى مدة استخفائه فقيل أربع سنين وقيل أقاموا فى تلك الدار شهرا فقط وهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كانوا أربعين باسلام عمر وحمزة رضى الله عنهما *(ولما نزل عليه صلى الله عليه وسلم)* وأنذر عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم و بنو المطلب و بنو عبد شمس و بنو نوفل أولاد عبد مناف اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا أى عجز عن احتماله فمكث صلى الله عليه وسلم نحو شهر جالسا فى بيته حتى ظن عماته أنه شاك أى مريض فدخلن عليه عائدات فقال ما اشتكيت شيأ لكن الله أمرنى بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فأريد أن أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله فقلن له ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه أبا لهب قيل كنى بأبى لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ماتدعوا اليه وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبولهب فلما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله عليه أسمعه أبولهب مايكره فقال تبالك ألهذا جمعتنا وأخذ حجرا ليرميه به وقال مارأيت أحدا جاء بنى أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى ذلك المجلس قيل ان أبا لهب ظن فى أول الامر انه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى مايحبون فقال هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم انه ليس للعرب بقومك طاقة وأن أحق من أخذك وحبسك أسرتك و بنو أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به فلما سمع مقالة النبى صلى الله عليه وسلم قال تبالك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبى لهب وتب بمعنى خسرت وهلكت يداه والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازا ولما سمع أبولهب تبت يدا أبى لهب وتب قال ان كان مايقول محمد حقا افتديت منه بمالى و ولدى فنزل ما أغنى عنه ماله وما كسب ومن جملة ما كسب الولد الى آخر السورة وفى رواية الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذى نفسك من النار يا صفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيأ وفى لفظ فانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله أى لا تبقوا على الكفر اتكالا على القرابة فهو حث لهم على الاسلام وصالح الاعمال وترك الاتكال قال بعضهم ان ذكر فاطمة رضى الله عنها هنا من خلط الرواة بدليل قوله الا أن تقولوا لا اله الا الله وانما ذكرت فى حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن لا أغنى عنكن من الله شيأ حثا لهن على صالح الاعمال ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا و بالسوء سوءا وانها الجنة أبدا والنار أبدا يا بنى عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبى لهب فانه قال يا بنى عبد المطلب هذه

والله

والله السوءة خذوا على يديه أى اقبضوه وامنعوه عن هذا الامر بحبس أو غيره قبل أن يأخذ على يده
غيركم فان التموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
رضى الله عنها وهى أم الزبير رضى الله عنه أى أخى أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله مازال العلماء
يخبرون أنه يخرج من ضئضئ أى أصل عبد المطلب نبى فهو هو قال أبو لهب هذا والله الباطل والامانى
وكلام النساء فى الحجال فاذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها فما قوتنا بهم فوالله مانحن عندهم
الا أكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعنه مابقينا ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم جميع قريش
وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم
تكذبونى قالوا والله ماجربنا عليك كذبا فقال يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى
عنكم من الله شيأ انى لكم نذير مبين بين يدى عذاب شديد وفى رواية ان مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى
العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه أتيتم أتيتم أنا النذير
العريان أى الذى ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقيل الذى جرده العدو فأقبل عريانا
ينذر بالعدو فانه لايتهم بخلاف الذى لم يجرد فانه قد يتهم والمعنى أنا النذير الذى لا أتهم وفى رواية أنه وقف
على الصفا وفى أخرى على أبى قبيس وفى اخرى على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا يهتف ياصباحاه
قالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه قال ابن عباس رضى الله عنهما فجعل الرجل
اذا لم يستطع أن يأتى أرسل رسولا الحديث وفى رواية صاح يا آل عبد مناف انى نذير وفى أخرى
جمع بنى عبد المطلب فى دار أبى طالب وهم أربعون وفى رواية خمسة وأربعون وامر أن تصنع لهم
طعاما وهى شاة مع مد من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى
شبعوا وشربوا حتى نهلوا أى رووا وفى رواية قال ادنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول
القعب الذى فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس من
الشراب فى مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقهرهم ذلك فلما أراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما
وفى رواية سحركم محمد وفى رواية مارأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما كان الغد قال ياعلى عدلنا بمثل ماصنعت بالامس من الطعام والشراب قال على
رضى الله عنه ففعلت ثم جمعتهم له فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا فقال لهم يابنى عبد المطلب
ان الله قد بعثنى الى الخلق كافة وبعثنى اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين وأنا
أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله
فمن يجيبنى الى هذا الامر ويوازرنى أى يعاوننى على القيام به قال على رضى الله عنه أنا يارسول الله
وكان أحدثهم سنا وسكت القوم قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام على
وقال أنا يارسول الله فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه أحد منهم فقام على وقال
أنا يارسول الله قال اجلس فأنت أخى قال الامام أبو العباس بن تيمية زاد فى الحديث بعض أهل
الضلال زيادات لا أصل لها وهى كذب باطل قالوا فقال فمن يجيبنى الى هذا الامر يكن أخى ووزيرى
ووارثى وخليفتى من بعدى فقام على الخ وزادوا فى آخر الحديث قال اجلس فأنت أخى ووزيرى
ووصيى ووارثى وخليفتى من بعدى فتلك الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون
الطعن على أهل السنة والقدح فى خلافة الخلفاء قبل على رضى الله عنه وفى رواية عن على رضى الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة فصنعت طعاما ثم قال ادع لى بنى عبد المطلب فدعوت

أربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك و يجوز أن يكون على فعل ذلك عند خديجة رضى الله عنهما وجاء به الى بيت أبى طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم المتقدم ذكره و يشهد له السياق وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مر عليهم فى مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بنى عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته وجاؤا الى أبى طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا أى عقولنا بنسبتنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيننا و بينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله و يدعوا اليه لا يرده عن ذلك شئ والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبى يدعو الى الله وفى الكفر نجدة واباء
أمما اشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أى أضمروا العداوة والحقد وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وحض بعضهم بعضا على حربه وعداوته ومقاطعته ثم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا أى عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بأن يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى ان قومك جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر مالا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله وأنه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى حصلت له العبرة التى هى دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخى فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة انه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين أليق به والقمر النير المحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذى جاء به نور قال الله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره فلما أن عرفت قريش ان أبا طالب غير خاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أى أشد وأقوى فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك ولده بأن تبناه وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك

وفرّق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فقال لهم أبو طالب بئس ما تسوموني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم بن عدي والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل شيئا منهم فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكن قد أجمعت أي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم أي معاونتهم عليّ فاصنع ما بدا لك وعمارة بن الوليد هذا قدمات على كفره بأرض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار ومات المطعم بن عدي على كفره أيضا فعند عدم قبول أبي طالب اشتد الامر ولما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم و بني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فأجابوه الى ذلك غير أبي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم معه فما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله عنه قال كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل فقال لله عليّ ان رأيت محمدا ساجدا أن أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق الى ان بلغ آخر السورة فسجد فقال انسان لابي جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى وفي رواية رأيت بيني و بينه خندقا من نار وسيأتي أن قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل في أبي جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكرنا أن أبا جهل قال يوما لقريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم واني أعاهد الله لاجلس له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لشئ أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة وكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود وقريش جلوس في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أي متغيرا باصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكه منها فلم يقدروا وقامت اليه رجال من قريش وقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما رأيت مثله قط هم أن يقتلني فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

وفي رواية أن أبا جهل قال رأيت بيني و بينه خندقا من نار ولا مانع من وجود الامرين معا وذكروا في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أي رافعون رؤسهم لا يستطيعون خفضها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أن الآية الاولى نزلت في أبي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه أثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه أخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى ما وقع لابي جهل قال أنا أقتل هذا بالحجر عليه فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فأخبرهم

بذلك وعن الحكم بن أبي العاص وهو أبو مروان بن الحكم أن امته قالت له ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية فقال لا تلومينا يا بنية اني لا أحدثك الا ما رأيت لقد أجمعنا الليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلي ليلا جئنا من خلفه فسمعنا صوتا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا أي ظننا أنه يتفتت ويقع علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه وفي رواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره أبو جهل أي انتهره وقال انك لتعلم أن ما بها أكثر ناديا مني فأنزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله وقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فأنزل الله فيه ذق انك أنت العزيز الكريم قال الواحدي أي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ما ذكر توبيخا له ومن ذلك انه لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي أم جميل قال بعضهم الاولى بها أم قبيح واسمها العوراء وقيل أروى بنت حرب أخت أبي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر أي حجر يملأ الكف فيه طول تدق به الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذية أي تأتي بالفحش من القول فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر قال لا والله وما يقول الشعر أي ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي شاعر أي لا يحسن انشاءه فقالت له أنت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيد تعني عبد مناف جد أبيها أي ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لاحد أن يتجاسر على ذمه قال أبو بكر رضي الله عنه قلت يا رسول الله لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فسألها أبو بكر فقالت أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحدا وفي رواية انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأقبلت على أبي بكر رضي الله عنه فقالت له أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الحجر فيه فقال عمر رضي الله عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا أكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على أبي بكر رضي الله عنه لما تعلمه من لينه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم ترك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي رواية أقبلت ومعها فهران وهي تقول مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا * فقالت أين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لاضربنه بهذين الفهرين قال أبو بكر يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم ترك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين الروايات وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد اخرى كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة

دهد

بعد اخرى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كيف صرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد وفى الدر المنثور للجلال السيوطى انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى الملأ فقالت يا محمد علام تهجونى قال والله انى ماهجوتك ماهجاك الا الله قالت أرأيتنى أحمل حطبا أو رأيت فى جيدى حبلا من مسد وهذا يؤيد ماقاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أى ينم لانها كانت تمشى بين الناس بالنميمة وتغرى زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث لتحثهم بها على عداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار جهنم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله أعلم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول أفى مثلى من أحمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل معنى كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه فى طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف فيها وقوله كأنها الورقاء يعنى انها جاءت وهى فى غاية السرعة والعجلة كأنها فى شدة السرعة والعجلة الحمامة الشديدة الاسراع روى انها لما بلغتها سورة تبت يدا أبى لهب جاءت الى أخيها أبى سفيان أى بناء على ان امرأة أبى لهب هى أروى بنت حرب كما تقدم فدخلت فى بيته وهى مضطرمة أى محترقة غضبا فقالت له ويحك يا أحمس أى شجاع أما تغضب ان هجانى محمد فقال سأكفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا أختى أيسرك ان رأس أخيك فى فم ثعبان قالت لا والله فقال كاد ذلك يكون الساعة أى فانه رأى ثعبانا لو قرب أبو سفيان من النبى صلى الله عليه وسلم لالتقم ذلك الثعبان رأسه ولما نزلت هذه السورة التى هى تبت يدا أبى لهب قال أبو لهب لابنه عتبة بصيغة التكبير وقد أسلم عام الفتح مع أخيه معتب رضى الله عنهما رأسك من رأسى حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعنى رقية رضى الله عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوهما عتيبة بالتصغير متزوجا بنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها أيضا وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع فى صدر الاسلام ثم حرمه تعالى بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وبقوله تعالى فى صلح الحديبية فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلأوذينه فى ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم وفى رواية برب النجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم بصق فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته أى طلقها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفى رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها أبو طالب وقال ما أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فأخبره بذلك ثم خرج هو وأبوه الى الشام فى جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبى وحقى فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فأجمعوا امتعتكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفى رواية فضغ رأسه وفى رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفى رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال أبوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة

محمد صلى الله عليه وسلم والاسد يسمى كلبا فى اللغة ومما وقع للنبى صلى الله عليه وسلم من الاذية
ما حدثت به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى
وقد نحر بعض الناس جزورا وبقى فرثه أى روثه وكرشه فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى هذا القذر
يلقيه على محمد وفى رواية ألا تنظرون الى هذا المرائى ايكم يقوم الى جزور بنى فلان فيعمد الى فرثها
ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفى رواية ايكم يأخذ سلا جزور بنى فلان
لجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفى لفظ أشقى
القوم وهو عقبة بن أبى معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد
فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض من شدة الضحك قال ابن مسعود رضى الله عنه فهبنا أى خفنا
أن نلقيه عنه وفى لفظ وأنا قائم انظر لو كانت لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضى الله عنها بعد أن ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمر صلى الله
عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة
الموضوع ولما ألقته أقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلى اللهم اشدد
وطأتك أى عقابك الشديد على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف اللهم عليك بأبى الحكم بن
هشام يعنى أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد
وأمية بن خلف وفى رواية فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك
بعمرو بن هشام الخ ما تقدم وفى رواية فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال
اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال اللهم
عليك بأبى جهل بن هشام الحديث قال ابن مسعود والله لقد رأيتهم وفى رواية لقد رأيت الذين سمى صرعى
يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر والمراد انه رأى أكثرهم لان عمارة بن الوليد مات بأرض الحبشة
كافرا مسحورا مجنونا وعقبة بن أبى معيط أخذ أسيرا يوم بدر وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم
بدر ولكنه لم يطرح فى القليب بل أهالوا التراب عليه فى مكانه لانتفاخه وتقطعه ولا مانع أن يكون النبى
صلى الله عليه وسلم كرر هذا الدعاء وأتى به وهو قائم يصلى وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والمراد
بسنى يوسف القحط والجدب فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام
والعلهز وهو الوبر والدم أى يخلط الدم بأوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه
وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم أبو سفيان وقالوا
يا محمد انك تزعم أنك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسقوا الغيث فأطبقت السماء عليهم سبعا فشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا
فانحدرت السحابة وجاء انهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أى لا نعود لما كنا فيه فلما كشف
عنهم عادوا وقال بعضهم ان هذا انما كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم مكث شهرا اذا رفع رأسه
من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج الوليد بن الوليد
وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من العشاء قال البيهقى
قد روى فى قصة أبى سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين مرة قبل الهجرة
ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين وفى البخارى لما استعصت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم
دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفى رواية فى البخارى أيضا لما أبطئوا

على النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فأصابتهم سنة
حصت كل شيء وفي رواية اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام
فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى فارتقب يوم
تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فأتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية
عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر ومن ذلك ما حدث به
عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر
رضي الله عنه وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم
فدنوت منه ووسطته أي جعلته وسطا فكان بيني وبين أبي بكر فأدخل أصابعه في أصابعي وطفنا فلما
حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا على ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط
الرابع قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه فدفعت في صدره فوقع على
استه ودفع أبو بكر أمية ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل عليكم عقابه أي ينزل عليكم عاجلا
قال عثمان رضي الله عنه فوالله ما منهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال
أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون ممن يذبح منهم على أيديكم
عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر أي بأيدي الصحابة رضي الله عنهم يوم
بدر بالنظر الى غالبهم فلا ينافي كون عثمان رضي الله عنه تأخر بالمدينة لأجل مرض رقية بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لأنه في حاجة الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم ولا ينافي أيضا كون عقبة بن أبي معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا أي
ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر وجاء أيضا أن عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته
الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان وفي رواية دخل عقبة بن أبي معيط
الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فأقبل
أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن
يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وفي البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال قلت لعبد الله
ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي رواية قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ما صبرنا الامر قط كصبرنا الامر هذا الرجل ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينا هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه

ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يامعشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك ومابقى رجل الا كانما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون ياأبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم مابلغه منكم ومابلغكم منه حتى اذا ناداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم انا الذى أقول ذلك فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر رضى الله عنه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فأطلقه الرجل ووقعت الهيبة فى قلوبهم فانصرفوا فذلك اشد مارايتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قالوا ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به بأجمعهم فاتى الصريخ الى أبى بكر رضى الله عنه فقيل له ادرك صاحبك فخرج ابو بكر رضى الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على أبى بكر رضى الله عنه يضربونه وقالت بنته أسماء رضى الله عنها فرجع الينا فجعل لايمس شيأ من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت ياذا الجلال والاكرام وجاءانهم مرة اجتمعوا عليه صلى الله عليه وسلم وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم ياأبا بكر فوالذى نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه وعن فاطمة رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم قالت اجتمع مشركو قريش فى الحجر يوما فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله فسمعتهم فدخلت على أبى وأنا أبكى فقلت له تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا فى الحجر فحلفوا باللات والعزى ومنات واساف ونائلة اذاهم رأوك يقومون اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال يابنية اسكتى وفى لفظ لاتبكى ثم خرج بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم أصابه ذلك الاقتل ببدر *(وكان)* بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة يؤذونه منهم أبولهب والحكم بن أبى العاص وأمية والدمروان وعقبة بن أبى معيط فكانوا يطرحون عليه الاذى فى داره فاذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول يابنى عبد مناف اى جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم منهم الا الحكم وكان فى اسلامه شئ ونفاه النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذايا ليست منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هى مماتزيده رفعة وهى دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله

لاتخل جانب النبى مضاما * حين مسته منهم الاسواء

كل أمر نابت النبيين فالشد * ة فيه محمودة والرخاء

لو يمس النضار هون من النا * رلما اختير للنضار الصلاء

ومما وقع لابى بكر رضى الله عنه من الاذية ماذكره بعضهم كما فى السيرة الحلبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سرا أى كما تقدم وكانوا ثمانية

وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضي الله عنه في الظهور أي الخروج الى المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر رضي الله عنه بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب أبا بكر رضي الله عنه بنعلين مخصوفتين أي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر رضي الله عنه الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون في موته أي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبي بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالي علم بصاحبك فقال اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنه أي فانها كانت أسلمت وهي تخفي اسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها تريدين ان أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضي الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق واني لارجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر رضي الله عنه ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها أي انها لا تفشي سرك قالت سالم قال اين هو قالت في دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فأمهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما بي من بأس الا ما نال الناس من وجهي وهذه أمي برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فأسلمت وذكر الزمخشري في كتاب خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لابي بكر رضي الله عنه لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد ومما وقع لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه من الاذية ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القرآن جهرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش في أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا ما بال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءته حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذي خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون علي مثل اليوم ولو شئتم لآتينهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية انه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا بذلك وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سبب الاسلام عمه حمزة رضي الله عنه وهو ما حدث به ابن اسحاق قال حدثني رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم

عند الصفا وقيل عند الحجون فاذاه وشتمه ونال منه مايكرهه وقيل انه صب التراب على رأسه والقى عليه
فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك مولاة لعبد الله بن جدعان
فى مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش أى محل تحدثهم فى المسجد
فجلس معهم فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحا سيفه راجعا من قنصه أى من صيده وكان من عادته
اذا رجع من قنصه لايدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمرّ على تلك المولاة فأخبرته الخبر
فقالت له يا أبا عمارة وهى كنية لحمزة رضى الله عنه ويكنى أيضا بأبى يعلى لو رأيت مالقى ابن أخيك محمد
آنفا من أبى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل وجده هاهنا جالسا فاذاه وسبه وبلغ منه مايكره ثم انصرف
عنه ولم يكلمه محمد وقيل التى أخبرته مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على
رأسه والقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذى تقولين قالت
نعم وفى رواية لما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان يمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع
أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ماذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا
ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل
جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال اتشتمه
وأنا على دينه أقول مايقول فردّ علىّ ذلك ان استطعت وفى لفظ أن حمزة لما قام على رأس أبى جهل
بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف أباءنا فقال حمزة ومن
أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقامت رجال
من بنى مخزوم عشيرة أبى جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة مانراك الا قد صبأت فقال حمزة ومايمنعنى
وقد استبان لى منه انه رسول الله والذى يقول حق والله لا انزع فامنعونى ان كنتم صادقين فقال لهم
أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى والله قد اسمعت ابن أخيه شيئا وبقى حمزة على اسلامه بعد ان وسوس له
الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك
الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقى فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت
مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن أخى انى وقعت فى أمر لا اعرف المخرج منه واقامة مثلى على مالا أدرى ارشد هو ام غى
شديدة فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فالقى الله فى قلبه
الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك لصادق فأظهر يا ابن أخى دينك فوالله
ماأحب ان لى ما أظلته السماء وأنا على دينى الاول وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الواقعة
سبب نزول قوله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى حمزة كمن مثله
فى الظلمات ليس بخارج منها يعنى أبا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كثيرا
لانه كان اعز فتى فى قريش وأشدهم شكيمة أى أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت
قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه وأقبلوا على
بعض أصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم أى لا ناصر لهم فان كل قبيلة عدت
على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى ان الواحد
منهم لا يقدر ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذى به وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع
بان رجلا أسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له ليغلبن رأيك ولنضعفن شرفك وان كان تاجرا قال
والله لتكسدن تجارتك أو يهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتى انهم من فتن عن دينه

ورجع الى الشرك كالحارث بن ربيعة بن الاسود وأبي القيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم وكان اسلام حمزة رضي الله عنه في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل في السنة السادسة وقال حمزة رضي الله عنه بعد ان أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادى * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدّر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به تخزى القبائل من ثقيف
اله الناس شرّ جزاء قوم * ولا أسقاهم صوب الخريف

وحين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وأبو سفيان بن حرب ورجل من بني عبد الدار وأبو البختري والاسود بن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فأتوا منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يأمره بازالة شكواهم وان يجيبهم الى أمر فيه الالفة والصلاح فأحضره وقال يا ابن أخي هذا الملأ من قومك فأشكهم أى أزل شكواهم وتألفهم فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الا وقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسوّدك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر الذى يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب أى العلاج لك حتى نبرئك منه أو نعذر فقال لهم عليه الصلاة والسلام مابي ما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوا على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي رواية اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة وفي رواية أن عتبة قال يوما وكان جالسا في نادى قريش والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا قالوا بلى فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم وفي رواية لقد فضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى فاسمع أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن

قوله من السطة هو مثل العدة والعظة من الوعد والوعظ والوسط بمعنى الخيار قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا اهـ

أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا أي فيصير لك الامر والنهي وان كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن بقربك لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له أقد فرغت أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت أبا الوليد فأنت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم بل ذهب الى داره فظنوا اسلامه فذهبوا اليه وفي رواية رجع اليهم فقال لهم أبو جهل أرى أبا الوليد رجع اليكم بوجه غير الذي ذهب به ثم قالوا له ماوراءك فقال قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاما ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة وقد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعوني واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فلكه ملككم وعزه عزكم وفي رواية فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فلكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به فقالوا سحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وفي رواية لما أكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمدا أبدا وفي رواية ان عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد اليهم فقال أبو جهل والله يامعشر قريش ما أرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل والله ياعتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد وأعجبك أمره فقص عليهم القصة وقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيئا مما قال غير انه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمت أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدري ما قال فقال والله ما هو بالشعر الخ ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الاشياء وأرسلوا اليه مرة عتبة بن ربيعة وحده وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما ان القوم لما عرضوا عليه الاشياء السابقة قالوا له أيضا فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشأم والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا وليكون فيهم قصي فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشي في الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن لك الا أن يفعل ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقالوا له مرة أيضا ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك وقالوا له مرة ايضا ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قالوا تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وأنت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبده أنت كنت أخذت منه حظك وان كان الذي تعبده أنت خيرا كنا قد أخذنا منه حظنا فقال لهم حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان

المشركين

المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك الهك
سنة فنزلت أي لا اعبد ما تعبدون يوما ولا أنتم عابدون ما اعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم
عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير عن جعفر الصادق رضي الله عنه ردا على بعض الزنادقة حيث
قالوا الطعنا في القرآن لو قال امرؤ القيس * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *
وكرر ذلك مرتين أو أكثر في نسق أما كان عيبا فكيف وقع في القرآن قل يا أيها الكافرون الخ السورة وهي
مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولي دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم
ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد أنزل الله ردا عليهم ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الآيات وأنزل الله أيضا ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي الآية وجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية
ابن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أليس حسنا ما جئت به فقالوا بلى والله
وفي لفظ هل ترون بما أقول بأسا فقالوا لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين
رضي الله عنها وكان رجلا اعمى وهو ممن أسلم بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل باولئك القوم وقد
رأى منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه
صلى الله عليه وسلم ذلك فاعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه وفي رواية اشار الى قائد ابن أم مكتوم
ان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض
عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله في ذلك بقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الآيات فكان
بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويبسط له رداءه وكان كفار قريش يقترحون
على النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتا وعنادا وكان النبي
صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة في اسلامهم رجاء ان يسلم الناس باسلامهم فكان يسأل الله تعالى
ويتضرع اليه في اعطائهم ما يسألون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله انها لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال
تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرة في خلقه ان اقوام الانبياء اذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا
يؤخذوا بعذاب الاستئصال وكان في علم الله ان هذه الامة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفا
لها بنبيها صلى الله عليه وسلم فكان تأخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم ان يؤخذوا بعذاب
الاستئصال قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون أي فأخذوا بعذاب
الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا الاخذوا كما أخذ الاولون ثم ان منهم من هداه الله
ومنهم من بقي على كفره وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر وبعد ذلك منهم من
آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال
التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها انهارا كانهار الشأم والعراق وليبعث لنا من مضى
من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل
وفي رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا
كما تقول فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقالوا له
مرة سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا وفي لفظ قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة

فتخبرنا بان الله أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر منهم يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فلابد ان تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا وفي لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشي في الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة ولما قالوا له صلى الله عليه وسلم سل ربك ان يبعث معك ملكا ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة قال لهم صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذي يسأل ربه هذا يروى ان كثيرا من هذه الاشياء خاطبوه بها في آخر المجلس الذي كان مقبلا عليهم فيه حين جاءه ابن أم مكتوم وابدلوا اللين الذي كان منهم في أول المجلس بالغلظة فأيس صلى الله عليه وسلم حينئذ منهم وقام حزينا اسفا على ما فاته من هدايتهم التي طمع فيها وممن اذاه صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أبي أمية المخزومي وكان ابن عمته صلى الله عليه وسلم وهو أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب وكان من أشد الناس عليه وهذا كله قبل اسلامه ثم أسلم رضي الله عنه عام الفتح واستشهد في غزوة الطائف قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل عليهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله ان نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك أي كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك فأنزل الله تعالى عليه الآيات التي فيها شرح هذه المقالات في سورة الاسراء في قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وفيها الاشارة الى ان الله تعالى خيره بين ان يعطيهم جميع ما سألوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب كالامم السابقة وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثاني لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ما سألوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقد حكى الله تعالى في كتابه العزيز كثيرا من مقالاتهم وأجابهم عن كل شبهة خالجت قلوبهم قال تعالى حكاية عنهم وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فأجاب الله عن ذلك بقوله وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ولما استعظموا أن يكون الرسول بشرا وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا مثلنا أنزل الله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزل الله تعالى أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بأنهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الامر عليهم ولو بقي على صورته لقضي الامر عليهم بأخذهم بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند رؤيته ولو أنزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم كما سألوا لقالوا ان ذلك سحر أو قالوا انما سكرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن

أكثرهم يجهلون وقال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى أى فانهم لا يؤمنون وقال تعالى فى الرد عليهم حين صاروا يسألون كأبا فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة وقال تعالى حكاية عنهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله وقال تعالى فى الرد عليهم فى قولهم أو يلقى اليه كنز الآية تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار و يجعل لك قصورا ولما أنكروا عليه التزوج بالنساء وطلب الذرية كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك و جعلنا لهم أزواجا وذرية والحاصل أن الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها وكلما أتوا بشبهة يوهمون انها حجة لهم ردها الله عليهم بأحسن الرد كما قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فرد الله عليهم بقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا أى نزلناه كذلك أى مفرقا بحسب الوقائع لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ومما قالوه له أسقط علينا السماء كسفا أى قطعا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون وقالوا مرة بلغنا أن الذى يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى قل هو أى الرحمن ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وقال تعالى رد السؤالهم رؤية ربهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين و يقولون حجرا محجورا وعن محمد بن كعب القرظى أن الملأ من قريش اقسموا للنبى صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله أن يعطيهم ما سألوا فأتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكنى لم آت قوما بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا أمرت بعذابهم وفى رواية أتاه جبريل فقال له يا محمد ان الله يقرئك السلام و يقول ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهبا فعلت فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وان شئت أن لا يصير لهم الصفا ذهبا فتحت لهم باب التوبة والرحمة وفى رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال بل حتى يتوب تائبهم وانما وافق صلى الله عليه وسلم على فتح باب التوبة والرحمة لانه صلى الله عليه وسلم علم أن سؤالهم لذلك جهل منهم لانهم خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهى امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك و يحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضرورى فلا يحتاج الى ارسال الرسل و يفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسألوا ما سألوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك اذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الاخبار بالمغيبات واخبار الامم السالفة كما قال تعالى أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الانعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية ان فى ذلك لآية وقال فى آخرها أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وهم يعلمون أن الذى جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك الا بعد أن بلغ أربعين سنة قال تعالى ردا عليهم فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين

ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وقال تعالى في قصة مريم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقال تعالى في قصة يوسف واخوته عليهم السلام وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال في شأن آدم عليه السلام ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا أنما أنا نذير مبين ثم بين قصة الملأ الاعلى بقوله اذ قال ربك للملائكة الخ وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وكانوا كلما سمعوا منه قصة من اخبار الانبياء والامم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الامر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا عليه خللا في كلمة قط قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا لم يجدوا فيه اختلافا قليلا ولا كثيرا فهذه كلها آيات وكان أبو جهل لعنه الله يقول تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فأنزل الله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله والحاصل انها تحيرت عقولهم فيما جاء به صلى الله عليه وسلم فمن طبع الله على قلبه منهم قال انه سحر وكهانة وأساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر يعنون عبدا لبني الحضرمي نصرانيا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه رجاء هدايته وكان لسانه أعجميا فرد الله عليهم بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين وقد أشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء
أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء
أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتي به البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه * معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلي والحلواء
رق لفظا وراق معنى فجاءت * في حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فصل * رقة من زلاله وصفاء
انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء
سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء
والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته من علوم * عن حروف أبان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى أعجب الزراع منها سنابل وزكاء
فأطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيئا * فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله الفصحاء

وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد واترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفي وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين يعني مكة والطائف فأنزل الله تعالى وقالوا لولا نزل أي هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله

اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون وفى رواية قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفى من أهل الطائف ثم ان كفار قريش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما اسألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول أى التوراة وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا احبار اليهود وقالا لهم اتيناكم لامر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفاته فوصفوا فقالوا من تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة ثم قالت لهم أحبار اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن على ماهى عليه بأن بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبى مرسل وان لم يفعل فتقوّل سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول يعنون بذلك أهل الكهف فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان من نبائه يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ماهى فاذا أخبركم بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن أى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحى وتكلم قريش فى ذلك فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه أبى لهب قالت له ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك أى تركك وأبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش ابطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف وخبر الرجل الطوّاف وهو ذو القرنين وجاءه بالجواب عن الروح المذكور فى سورة الاسراء وهو أن الروح من أمر الله قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى أى من علم لا يعلمه الا هو وكان فى كتب أهل الكتاب ان الروح من أمر الله أى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهى مما تكرر نزوله وعاتب الله النبى صلى الله عليه وسلم فى سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وأنزل الله سورة الضحى ردا لقولهم قلاه ربه وابغضه فكبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى واستمر على ذلك التكبير فى بقية السور بعدها الى آخر القرآن ولما أجابهم صلى الله عليه وسلم عما سألوا ازدادوا بغيا وكفرا ونسبوه فى ذلك الى السحر والكهانة ومن الآيات التى ظهرت منه صلى الله عليه وسلم لهم وهى من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قصة الزبيدى قال الحلبى فى السيرة بينا النبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد هو ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المبرة أو يجلب اليكم جلب أو يحل أى ينزل بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم ومازال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر انه قدم بثلاثة أجمال حسان فساممها منه أبو جهل بثلث أثمانها ثم لم يسمها لاجله سائم قال فأكسد على سلعتى فظلمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين أجمالك قال هذه هى بالحزورة فقام صلى الله عليه وسلم فنظر

الى أجماله فرأى جمالا حسانا فساوم صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بنى عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس فى ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى جهل اياك يا عمرو ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى منى ما تكره فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبى جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت فى يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا أتبعه أبدا ان الذى رأيتم منى لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الى لو خالفته لاتوا على نفسى ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم فأكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبى صلى الله عليه وسلم على أبى جهل بعد ان بعثه كفار قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا له استهزاء ما يخلصك من أبى الحكم الا هذا يعنون النبى صلى الله عليه وسلم فمشى معه صلى الله عليه وسلم ورد اليه ماله فقيل لابى جهل فى ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعننى ونظير ذلك بل أعجب منه قصة الاراشى وحاصلها ان أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الاراشى بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم أجمالا فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبى صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبى جهل استهزاء منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لزعمهم انه لا قدرة له على أبى جهل وكان ذلك بعد ان وقف على ناديهم وقال يا معشر قريش من يعيننى على أبى الحكم بن هشام فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع أبى جهل فقال مخاطبا للنبى صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لى بحقى منه فأشاروا اليك فخذ لى حقى منه يرحمك الله فقام النبى صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى أبى جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه أى تغير وصار كلون النقع الذى هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له فدخل واخرج ما هو لذلك الرجل فدفعه اليه قال ثم ان الرجل أقبل حتى وقف على أهل ذلك المجلس الذين بعثوه الى النبى صلى الله عليه وسلم استهزاء فقال جزاه الله خيرا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقد والله أخذ لى بحقى وقد كانوا أرسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فلما رجع الرجل قالوا له ماذا رأيت فقال رأيت عجبا من أعجب العجب والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه فزعا مرعوبا وكانه ليس معه روحه فقال أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه فعند ذلك قالوا لابى جهل ما رأينا مثل ما صنعت فقال ويحكم والله ما هو الا أن ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسى فحلا من الابل ما رأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لاكلنى والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبى دين الاراشى   وقد ساء بيعه والشراء

ورأى المصطفى أتاه بما لم * ينج منه دون الوفاء النجاء

هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء

وقوله هو ما قد رآه من قبل وذلك لما أراد عدو الله أن يلقى الحجر على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فيبس الحجر فى يده ورجع القهقرى وهو منتقع اللون كما تقدم وأخبر بأنه رأى عنق الفحل لو تقدم

لا ختطفه فعضوا واعضوا وأبو جهل كان من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم انا كفيناك المستهزئين وما تقدم بعض من استهزائه ومن استهزائه أيضا انه سار في بعض الاوقات خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بأنفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك الى أن مات قال ابن عبد البر كان المستهزئون الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم والعاصي بن وائل السهمي والحارث بن قيس بن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية قيل انه أسلم وهاجر الى الحبشة وقيل بقي على كفره حتى هلك والاسود بن عبد يغوث بن وهب ابن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم والاسود بن المطلب بن عبد العزى ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وان كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من الآية أعني انا كفيناك المستهزئين لانه انما هلك كافرا يوم بدر وفي رواية انهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به صلى الله عليه وسلم انه كان يلقي القذر على بابه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي ومن استهزائه أيضا انه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا قال الحلبي في السيرة كان صلى الله عليه وسلم يكثر مجالسة عقبة بن أبي معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فأخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فأتى اليه وقال يا عقبة صبوت فقال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى ان يأكل طعامي الا ان أشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له ابي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصا في وجهه انه صار كالبرص وأنزل الله في حقه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا قيل المراد من قوله يعض انه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى وهكذا ومن استهزاء الحكم بن العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج بأنفه وفمه بعد ان مكث شهرا مغشيا عليه وبقي ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شئ وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليهم فنفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل بمدرى في يده والمدرى كالمسلة يفرق بها شعر الرأس وقال من عذيري من الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وبعد ان نفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف بقي به الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضي الله عنه فرده

الى المدينة وكان قد تشفع عنده صلى الله عليه وسلم فوعده بارجاعه ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذى توفى فيه طلب عثمان رضى الله عنه وأخبره بأشياء تقع له وقال له انهم يقمصونك قميصا ويريدون منك خلعه فاحذر ان تخلعه حتى تلقانى على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التى تصيبه وأمره بالصبر قيل انه فى ذلك المجلس استأذن من النبى صلى الله عليه وسلم فى ارجاع عمه الحكم الى المدينة اذا صار الامر اليه فأذن له فلما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه سأل عثمان أبا بكر رضى الله عنه أن يرجعه وأخبره بأن النبى صلى الله عليه وسلم وعده بذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة أبى بكر رضى الله عنه ولما أدخله عثمان رضى الله عنه نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدنى برده وكان فى رجوعه تأسيس للبلوى التى وقعت لعثمان رضى الله عنه فان منشأها انما كان من مروان بن الحكم فسبحان الحكيم فى افعاله الذى لا يسئل عما يفعل ولذا قال بعضهم كما فى بعض شراح الشفا

فليت عثمان لم يحكم بعودته * رضى بما حكم الصديق فى الحكم

قال الشهاب الخفاجى بعد ان صح أن عثمان رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلا وجه فى التشنيع عليه بذلك والطعن فى خلافته كما زعم الشيعة مع ان عثمان رضى الله عنه علم انه تاب وخلصت طويته وكان رده له باجتهاد منه رضى الله عنه فى ذلك والامور الاجتهادية لا اعتراض بها وعن هند بن خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفى رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدى استأذن الحكم بن أبى العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم فى الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد بالمدينة ولد الا أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه أتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ وفى كلام بعضهم انه ولد بالطائف بعد أن نفى أبوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أبيك وجدك أى الذى هو العاص ابن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن وقد ولى مروان الخلافة تسعة أشهر ولما امتنع عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما من المبايعة ليزيد بن معاوية قال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى ان أخرج فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه تشير الى ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن أبى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل لامتى مما فى صلب هذا وعن عمران بن جابر الجعفى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين

سنة وهي ألف شهر والاحاديث الواردة في ذمهم يجب أن يخرج منها عثمان ومعاوية رضي الله عنهما لفضيلة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم مع ماورد فيهما من الفضائل وأيضا لم يصدر منهما شئ من الظلم وانما صدر ممن بعدهما ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله في الشفا وأخبر صلى الله عليه وسلم بولاية معاوية رضي الله عنه وبملك بني أمية فغاير بين الحالتين في التعبير لان الملك هو السلطنة مع التغلب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلافة وأوصى صلى الله عليه وسلم معاوية رضي الله عنه اذا ملك بالعدل والرفق قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فمازلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن معاوية رضي الله عنه قال ماحملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يامعاوية اذا ملكت فأحسن وروى انه رضي الله عنه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل فكان رضي الله عنه على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال أبو الدرداء رضي الله عنه ان معاوية سمع كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها وأما ذم بني أمية من بعده فجاءت فيهم أحاديث كثيرة منها مارواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا وهو ما يتداول أي يأخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فأسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر وأخبر صلى الله عليه وسلم بأنه رأى في المنام بني أمية على منبره الشريف فأساءه ذلك فأنزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني أمية كان ألف شهر فأعطى الله أمته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد عليه بما لا يحصى من العجائب قال في السيرة الحلبية نقلا عن ابن الجوزي كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها وذلك أن خبيبا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا أي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ماذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة أن يضرب خبيبا مائة سوط ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه عليه في يوم شات وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على مافعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له أبشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لي * وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ومعه ابن عباس رضي الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة فاني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية رضي الله عنه فكلمه فيها فلما أدبر قال معاوية رضي الله عنه أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس رضي الله عنهما اللهم

نعم وقد ولي الخلافة من ولده أربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابي لاحتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم * ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه فعمرو وابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث ومن استهزائه أن خباب بن الارت رضي الله عنه كان قينا بمكة أي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد قال خباب بلى قال فأنظرني الى القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك والله لا تكون أنت وصاحبك آثر عند الله ولا أعظم حظا في ذلك وفي لفظ أن العاص قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال فذرني حتى أموت ثم ابعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا * ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر أي لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول * ومن استهزاء الاسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى انه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ويصفرون اذا رأوهم * ومن استهزاء الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبي جهل وكان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة وكانت الاعراب تثني عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا ثم انه أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان هو المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد أي في الشرف والسودد والجاه والرياسة واياه عنى سبحانه بقوله ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات في سورة المدثر قال بعضهم بل هو الوحيد في الكفر والخبث والعناد انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر مع اعترافه بانه بريء من السحر لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه تنفير الناس عنه وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحاق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع في بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يا معشر قريش قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فاجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا فأنت أقم لنا رأيا نقول فيه قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته قالوا شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما نقول أنت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا أعرف انه باطل وان أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه

قوله لعذق بفتح العين وسكون المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت والجناة الثمرة وفيه روايات اخرى لكن نقل في شرح الشفا عن السهيلي ان رواية ابن اسحاق اصح لانها استعارة تامة الخ نقله نصر

وبين

وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون في سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها بل في جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من اسلام الانصار وأمر الهجرة ما كان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أباجهل فسبهم فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات قال العلامة الزرقاني فانظر هذا اللعين يعني الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا في قوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم الآيات وفي قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر * ومن استهزاء أبي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يوم من الايام رآه أخوه حمزة رضي الله عنه قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبولهب ينفضه ويقول صابئ أحمق ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في أول أمره في منازلهم يقول ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأبولهب وراءه يتبعه اذا مشى يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم قال العلامة الزرقاني فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل أعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذي أحد ما أوذيت لانه صلى الله عليه وسلم أصيب من قومه بأكبر البلاء آذوه أشد الايذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة في كتابه العزيز ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه صلى الله عليه وسلم ويجعل الدم على بابه وسلا الجزور على ظهره كما تقدم فلما بالغوا في الايذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وقال له أمرت أن اكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد وقال قد كفيته فمر بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق بثوبه سهم فعرضت له شظية من نبل فلم ينعطف لاخذه تكبرا وتعاظما فأصاب عرقا في عقبه فمرض فمات كافرا ثم مر العاص بن وائل السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ الى أخمصه وقال كفيته فخرج يتنزه فنزل شعبا فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى وفي رواية كعنق البعير فمات ثم مر الحارث بن قيس السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال قد كفيته وقيل اشار الى أنفه فامتخط قيحا فمات وقيل أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته وقيل أشار اليه وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره وقيل اشار جبريل الى بطنه باصبعه فاستسقى بطنه فمات وقيل خرج في رأسه قروح فمات قال الزرقاني ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة وقيل خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار وحشيا فأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشا ويمكن الجمع باحتمال وقوع جميع ذلك له ثم مر الاسود بن مطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال قد كفيته قال ابن عباس رضي الله عنهما رماه بورقة

خضراء فعمي بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلني رب محمد وفي رواية انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيئا وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول من هذا طعن بالشوك في عيني فيقال له ما نرى شيئا وقيل أتى شجرة فجعل ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول دعا على محمد بالعمى فاستجيب له وزاد بعضهم وهلك أبو لهب بالعدسة يعني الجدري وهي ميتة شنيعة وعقبة بن أبي معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والى الخمسة المشهورين من المعتنين بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية بقوله وكفاه المستهزئين وكم سا * ءنبيا من قومه استهزاء

خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء

فدهى الاسود بن مطلب أي * عمى ميت به الاحياء

ودهى الاسود بن عبد يغوث * أن سقاه كأس الردى استسقاء

وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء

وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء

وعلى الحارث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وساء الوعاء

خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا في ليلة واحدة فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكروا وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافي ان منهما ونبها ابني الحجاج منهم فقد قيل انهما من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه فيقولان له أما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فأتنا بملك يشهد لك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به ولا ينافي أيضا عد أبي جهل وغيره منهم كما تقدم وفي السيرة الحلبية نقلا عن سيرة ابن المحدث من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه * ومن استهزاء أبي جهل أيضا بالنبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم على واحد منهم وفي رواية ان رجلا من قريش وكان شديدا قويا البأس بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح قال له أنا أكفيك سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين وقيل ان هذا الرجل دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفي رواية ان أبا جهل قال لهم أنا أكفيكم عشرة فاكفوني تسعة فانزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ما ذكره فهم أي لا ينبغي ان تقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد لان ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين حكما لذلك تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم وأخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع

على

على عدد أهل النار وما من أحد في النار الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك
أصبعا من أصابعه على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم اتباع
لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار
فيبتدره مائة ألف ملك أى والمتبادر أن هؤلاء من خزنتها قال بعضهم ان عدد حروف بسم الله الرحمن
الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف
منها واحدا منهم ومن استهزاء أبي جهل أيضا انه قال يوما لقريش يامعشر قريش يخوفنا محمد بشجرة
الزقوم يزعم انها شجرة في النار مع ان النار تأكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد فأنزل الله تعالى انها
شجرة تخرج في أصل الجحيم أى منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق
من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظها لها من الاحتراق بها
وقد قال ابن سلام انها تحيا باللهب كما تحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له زفرة وأخرج
الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض
معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ومن استهزاء أبي جهل قوله يامحمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن
الهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل وفي الدر المنثور للجلال السيوطي في تفسير
انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه
و يقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام بأصبعه في اجسادهم فصارت
جروحا وأنتنت فلم يستطع احد ان يدنو منهم حتى ماتوا قال الحلبي فلينظر الجمع أى بين هذا وما تقدم
ثم قال وقد يدعى انهم طائفة اخرون غير من ذكر لانهم المستهزئون ذلك الوقت أى فيكون نزول الآية
قد تكرر والله أعلم ومن استهزاء النضر بن الحارث انه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه
ويقول لقريش هلموا فاني والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم
يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم احاديثهم و يقول ما حديث محمد الا أساطير الاولين و يقال انه
قال سأنزل مثل ما أنزل الله لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها احاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان
يحدث بها و يقول هذه كاحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم و يقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى
ومن الناس من يشتري لهو الحديث والمشهور انها في شراء المغنيات ولا بعد ان تكون الآية نزلت فيهما
معا لتحققه فيهما وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا بسبب النضر ولما تلا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث لو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين
وأنزل الله تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معينا له وجاء ان جماعة من بني مخزوم ومنهم أبو جهل
والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي اذ سمعوا
قراءته فأرسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف
اليهم وأعلمهم بذلك فأتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه
من امامهم ولازالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن
خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وقيل في نزولها غير ذلك ولا مانع من أن تكون نزلت للكل وبناء

ان النضر بن الحارث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل من ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فأغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى أسودا تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا فلقي أبا جهل فقال من أين فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره ومما تعنتوا به انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى أنا أخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعوه له فقال يا محمد هذا شئ لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم ان عيسى عبد من دون الله وكذا عزير والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فضج الكفار وفرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبعرى ما أجهلك بلغة قومك ما لما لا يعقل يعني ما في قوله تعالى وما تعبدون وأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون كعيسى وعزير والملائكة وهذا الحديث ان صح كان نصا من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر قيل انهم سألوه آية غير معينة فانشق القمر وقيل بل سألوه آية معينة وهي انشقاق القمر فانشق وجمع بين الروايتين بأنهم سألوا آية غير معينة أولا ثم عينوها بانشقاق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان وكانت ليلة أربعة عشر وهي ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين نصفا على أبي قبيس ونصفا على قيقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا وفي رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب وفي رواية انه عاد بعد غروبه وفي رواية فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعا بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش سحركم محمد فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها أي جميع أهل الارض فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر أي مطرد وهذا الكلام صريح في ان رؤية الانشقاق حصلت لجميع أهل الآفاق لا انها مختصة بأهل مكة وهو كذلك وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وستأتي ان شاء الله هذه القصة بأبسط مما هنا عند ذكر المعجزات في آخر الكتاب ومن الآيات التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم في أول البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي الصحابي المكي أسلم رضي الله عنه عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولا يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح انه صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادي وهو من أقتل الناس وأشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له أنت الذي تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك أن ينجيك مني اليوم وأنا

أدعوك لأمر وهو أن تصارعني وتدعو إلهك وأدعو اللات والعزى فإن غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعني وإنما غلبني إلهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الأرض أحد قبلك ولكن عد فإن صرعتني فلك عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام فأسلم تسلم من النار فقال لا الا أن تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويدي ركانة فقال أريتني أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فقال اكره أن يتحدث نساء المدينة يعني مكة وصبيانها بأني أجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال له لا حاجة لي بها وانطلق صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر رضي الله عنه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم تخرج الى هذا الوادي وبه ركانة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر أبا بكر رضي الله عنه بالقصة فتعجب أبو بكر رضي الله عنه وتقدم انه لم يسلم ركانة الا عام الفتح رضي الله عنه

باب في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين

(باب في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين) قال في المواهب وشرحها ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا هو والمسلمون في دار الارقم حتى نزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو وأصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك في السنة الثالثة من النبوة وهي المدة التي أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمره الى ان أمره الله باظهاره فبادى قومه بالاسلام وكرر ذلك وأكده وبالغ في اظهار الحجة حتى كأنه صدع قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها كما أمره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل قال الزهري كانوا غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من في السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها ما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فأجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصم الله بالاسلام وهم قليلون مستخفون وحدب أي عطف عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدم واشتد الامر بين القوم وضرب بعضهم بعضا وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت أي تشاورت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكان ذلك باغراء من أبي جهل لعنه الله كان اذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا نمر به فمن عذب في الله لاجل أن يفتتن في دينه فتنت عمار بن ياسر رضي الله عنهما كان يعذب بالنار وكان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه السلام وكشف عن ظهر عمار فوجد أثر النار به أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه له صلى الله عليه وسلم بأن النار تكون عليه بردا وسلاما وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت ان عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضي الله عنهم كانوا يعذبون في الله فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة وفي رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية أم عمار لابي جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تفتن في دينها فلم تجبه لما يسأل ثم طعنها في فرجها بحربة

فماتت وكان يقول لها ما آمنت بمحمد الا انك عشقته لجماله قيل انها أول شهيد في الاسلام رضي الله عنها وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه و يجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف وفيه نزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء أن عمارا رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبي صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار وكانت أمه سمية سابعة سبعة في الاسلام وقتلت وهي عجوز كبيرة وروي مرة في ظهر عمار رضي الله عنه أثر كالمخيط فسئل عنه فقال هذا مما كانت تعذبني قريش في رمضاء مكة وجاء انهم بعد ان قتلوا أباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهرا فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قد كفر عمار فقال كلا والله ان الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه أنزل الله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم و روي انه كان يعذب حتى لا يدري ما يقول ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة علي رضي الله عنه وقتل بصفين ووردت في فضائله أحاديث كثيرة رضي الله عنه وممن كان يعذب في الله خباب بن الارت رضي الله عنه ففي البخاري عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله الا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ليظهرن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه وعن خباب بن الارت أيضا رضي الله عنه يحكي عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقدوا نارا ووضعوها على ظهري فما أطفأها الا ودك ظهري أي دهنه وكان خباب رضي الله عنه قينا أي حدادا وكان قد سبي من أهله في الجاهلية فاشترته امرأة تسمى أم أنمار فلما أسلم صارت مولاته تعذبه تأخذ الحديدة وقد أحمتها في النار فتضعها على رأسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكانت تأمر خبابا فيأخذ الحديد فيكوي به رأسها وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه وهم كثيرون منهم بلال رضي الله عنه وكان مولى لامية بن خلف الجمحي واشترى حمامة أم بلال رضي الله عنهما وعامر بن فهيرة رضي الله عنه وأبا فكيهة رضي الله عنه وجارية بني المؤمل وتسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وأمة بني زهرة فمما كان يعذب به بلال رضي الله عنه ما رواه ابن اسحاق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه و يعطشه ليلة و يوما فيطرحه على ظهره في الرمضاء أي الرمل اذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيأبى ذلك وقيل ان بلالا رضي الله عنه كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن جدعان بهم فأخرجوا من مكة خوف اسلامهم فأخرجوا الا بلالا رضي الله عنه فانه كان يرعى غنمه و يكتم اسلامه فجاء يوما الى الاصنام التي حول الكعبة وصار يبصق عليها و يقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان قالوا له أصبوت قال ومثلي يقال له هذا فقالوا له ان أسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام ومكنهم من تعذيب بلال رضي الله عنه و يجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فكان يتولى تعذيبه فلا ينافي ما تقدم وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد أحد فقال ورقة نعم أحد أحد والله يا بلال ثم ان ورقة بن نوفل

قال لامية والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى لاتخذن قبره منسكا ومترحما يروى أن بلالا رضى الله عنه حين اشتراه الصدّيق كان يعذب تحت الحجارة وهانت نفسه عليه فى الله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل و يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در أبى محمد الشقراطسى حيث قال فى قصيدته المشهورة

لاقى بلال بلاء من أمية قد * أحله الصبر فيها أكرم النزل
اذ أجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الطلل
ان قد ظهر ولى الله من دبر * قد قدّ قلب عدوّ الله من قبل

الازل بسكون الزاى الضيق والازر بضم أوله القوى جمع قوة

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقدّه فقد جوزى عدوّ الله أمية بقدّ قلبه يوم بدر لانه قتل يومئذ كافرا وكان قد وصل السيف الى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا قال عبد الرحمن رضى الله عنه فتسابقوا اليه فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه عليا لاشغلهم به يقتلونه دونه فقتلوه ثم تبعونا وكان أمية رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت نفسى عليه لامنعه فتخللوه بأسيافهم حتى قتلوه أى ضربوه بأسيافهم فشبه ضربهم بالنهس وهو أخذ اللحم بمقدم الاسنان فعلم أن النصر مع الصبر لما صبر بلال على تعذيبه له كان قتله على يديه تحقيقا لقول الله تعالى وان جندنا لهم الغالبون ألا ان حزب الله هم المفلحون والعاقبة للمتقين قيل ان أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه هنأ بلالا بأبيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا * لقد أدركت ثارك يا بلال

واخرج الحاكم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال قال أبو قحافة والد أبى بكر رضى الله عنهما أراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك و يقومون دونك فقال يا أبت انما أريد ما عند الله فأنزل الله تعالى فأما من أعطى واتقى الى آخر السورة قال فى السيرة الحلبية مر أبو بكر رضى الله عنه ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة فقال أبو بكر رضى الله عنه لامية بن خلف ألا تتقى الله فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قال أبو بكر رضى الله عنه عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قبلت هو لك فأعطاه أبو بكر رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه وفى تفسير البغوى قال سعيد بن المسيب بلغنى ان أمية بن خلف قال لابى بكر الصدّيق رضى الله عنه فى بلال حين قال أتبيعنه قال نعم أبيعه بقسطاس يعنى عبد الابى بكر رضى الله عنه كان تحت يده لابى بكر رضى الله عنه عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركا يأبى الاسلام فاشترى أبو بكر رضى الله عنه بلالا به و يروى انه لما ساوم أبو بكر رضى الله عنه أمية بن خلف فى بلال قال أمية لاصحابه لالعبن بأبى بكر لعبة ما لعبها أحد بأحد ثم تضاحك وقال أعطنى عبدك قسطاس قال أبو بكر رضى الله عنه ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت قال لا والله حتى تزيدنى مائتى دينار فقال أبو بكر رضى الله عنه أنت

رجل لا نستحيي من الكذب قال واللات والعزى لئن أعطيتني لافعلن قال هي لك فأخذها وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بلالا فأعتقه وقيل اشتراه بسبع أواق وقيل برطل من ذهب وقيل غير ذلك يروى أن سيده قال لابي بكر رضي الله عنه بعد شرائه لو أبيت الا بأوقية لبعنا كه أي لو قلت لا أشتريه الا بأوقية لاخذته فقال له أبو بكر رضي الله عنه لو طلبت مائة أوقية لاخذتها به ولما قال المشركون ما أعتق أبو بكر بلالا الا ليد كانت له عنده فكافأه بها أنزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى آخر السورة فقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فهو ابو بكر رضي الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فهو أمية بن خلف وقوله لا يصلاها الا الاشقى هو أمية وقوله وسيجنبها الاتقى هو أبو بكر وفي قوله الاتقى تصريح بأنه أتقى البرية اذ التقدير الاتقى من كل أحد لان الحذف يفيد العموم والمراد من كل أحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر رضي الله عنه اشترى بلالا قال له الشركة يا أبا بكر فقال قد اعتقته يا رسول الله أي لان بلالا رضي الله عنه قال لابي بكر رضي الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله تعالى فأعتقه و يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا بكر رضي الله عنه فقال لو كان عندي مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضي الله عنه فاشتراه فبعث به الى أبي بكر رضي الله عنه أي ملكه له بثمنه فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذه الاقوال ويمكن أن يقال ان العباس رضي الله عنه رغب أمية في بيع بلال فلما ظهر له الرضى ببيعه أرسل الى أبي بكر رضي الله عنه لعلمه برغبة أبي بكر في شرائه وعتقه فأطلق على ذلك أن العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اشترى أبو بكر رضي الله عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة أم بلال رضي الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من قرابة أبي بكر رضي الله عنه ومنهم أبو فكيهة وكان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم أبو بكر رضي الله عنه فمر به أبو بكر رضي الله عنه وقد أخذه صفوان بن أمية وأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فأخرج لسانه وأبي بن خلف عم صفوان يقول زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه وممن كان يعذب فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه أم عنيس وكانت أمة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث الزهري يعذبها فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه وأعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها الطيفة قيل كانت بنتها للوليد بن المغيرة وكذا اشترى أخت عامر بن فهيرة أو أمه وكانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يسلم وكان يعذبها فمر أبو بكر رضي الله عنه عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه أبو بكر رضي الله عنه ثم اشتراها وأعتقها وكذا اشترى لبينة جارية المؤمل بن حبيب وأعتقها واشترى أيضا الزنيرة على وزن سكينة وقيل بتشديد النون وكانت أمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى الا الاسلام وكان أبو جهل لعنه الله يقول ألا تعجبوا الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد وكان كفار قريش يقولون أيضا لو كان خيرا ما سبقتنا زنيرة أي ومن كان مثلها فأنزل الله في شأنها وقال الذين كفروا للذين آمنوا أي مشيرين اليهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى وجاءها أبو جهل لعنه الله وقال لها انما فعل بك ما ترين اللات والعزى وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم والله ما هو كذلك وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر

على أن يرد على بصرى فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحوهم فى الشمس لتؤثر حرارتها فيهم وأما النبى صلى الله عليه وسلم فنعه الله بعمه أبى طالب وبما كان يظهره الله لاعدائه من الآيات وخوارق العادات كبعث جبريل فى صورة فحل ليلتقم أبا جهل وأما أبو بكر رضى الله عنه فنعه الله بقومه من توالى الاذى وشدته وكان يناله بعض الاذى وسيأتى انه أراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها ثم جلس وأما المستضعفون فصاروا يعذبونهم بأنواع العذاب ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة الى الحبشة روى ابن اسحاق أن سبب الهجرة الى الحبشة انه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة فى الاسلام وذلك فى رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بنفسه وحده ومنهم من هاجر بأهله فمن هاجر بأهله عثمان بن عفان رضى الله عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهما وأبو سلمة بن عبد الاسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضى الله عنهما وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغما كل منهما لابيه فارا بدينهما فولدت له سهلة بالحبشة محمد بن أبى حذيفة وممن هاجر بأهله عامر بن أبى ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية رضى الله عنهما ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشأنها لانها مولاة أبيها وهو النبى صلى الله عليه وسلم وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وسهيل ابن بيضاء وأبو سبرة بن أبى رهم وحاطب بن عمرو العامريان وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم وخرجوا مشاة متسللين سرا ثم استأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا وكان أول من خرج عثمان بن عفان رضى الله عنه مع امرأته رقية رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر بأهله بعد نبى الله لوط عليه السلام ثم أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله وكانت رقية رضى الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضى الله عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شئ قد يرى انسان * رقية وبعلها عثمان

ويروى انه صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا الى عثمان ورقية رضى الله عنهما فى حاجة وقيل بطعام ليحمله اليهما فأبطأ عليه الرسول فلما جاء قال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال نعم والذى بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون رقية رضى الله عنها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا وقد جاء فى وصف عثمان رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل عليه السلام ان أردت أن تنظر فى أهل الارض شبيه يوسف عليه السلام فانظر الى عثمان رضى الله عنه وجاء فى فضله رضى الله عنه أن لكل نبى رفيقا فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان رضى الله عنه ولما وصلوا الحبشة أكرمهم النجاشى وأقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فأراد

أبو بكر رضي الله عنه الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك الغماد وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة ابن الياس وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن الدغنه مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية في اشراف قريش فقال ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم ينكروا شيئا من ذلك وأجازوا جواره وقالوا مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه ما قالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر رضي الله عنه يعبد ربه في داره ولا يستعلن به مدة ثم ابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فتتقصف عليه أي تزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ويعجبون من قراءته وبكائه وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا بكاء اذا قرأ لا يملك عينيه فشق ذلك على أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره وهو قد بنى له مسجدا وأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا أن يعلن فسله أن يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك أي نغدرك فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر رضي الله عنه وقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترد على ذمتي وجواري فاني لا أحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر رضي الله عنه لابن الدغنة فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى أي حمايته قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفي الحديث من فضائل الصديق رضي الله عنه أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها كموافقة ابن الدغنة في وصف الصديق رضي الله عنه لخديجة رضي الله عنها فيما وصفت به النبي صلى الله عليه وسلم عند ابتداء نزول الوحي عليه كما تقدم وذلك يدل على عظيم فضل الصديق رضي الله عنه واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال وجاء في بعض الاحاديث كنت أنا وأبو بكر كفرسي رهان فسبقته الى النبوة فتبعني ولو سبقني لتبعته يعني لو جاءته النبوة لتبعته وجاء في بعض الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما خلقوا من طينة واحدة ثم في شهر شوال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة الى مكة لانه بلغهم أن كفار قريش أسلموا كلهم وسبب شيوع هذا الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بحضر من قريش سورة والنجم من أولها الى آخرها وسجد في آخرها فلما سجد سجد معه المشركون الا رجلا واحدا وهو امية بن خلف أخذ كفا من تراب ووضع جبهته عليه استكبارا من أن يسجد وقال يكفيني هذا والصحيح في سبب سجودهم انهم توهموا انه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقيل ان الشيطان ألقى في أسماعهم في خلال القراءة بعد قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وهذه الكلمات أعني تلك الغرانيق الخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا انها كذب لا أصل لها وطعنوا في الاحاديث التي فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم انما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافا كثيرا والمحققون على تسليم ثبوتها انها ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل الشيطان

ألقاها الى أسماعهم ليفتنهم ولم يسمعها أحد من المسلمين وهـذا هو المراد من قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآيات وقيل ان بعض الكفار هم الذين نطقوا بذكر تلك الكلمات في خلال قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بالفحش خوفا من اصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله باغراء من الشيطان وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ولما تبين الامر أنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الايات ولا اشكال حينئذ في الآية والله سبحانه وتعالى أعلم ولما بلغ أرض الحبشة خبر اسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بأرض الحبشة وقالوا ان المسلمين قد أمنوا بمكة من الاذى فأقبلوا من أرض الحبشة سراعا حتى اذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملا ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم أي تشاوروا في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهدا بأهلنا ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع الى الحبشة وعن عثمان بن مظعون رضي الله عنه انه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة المخزومي فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذين ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد ردّ على الوليد جواره وقال أكتفي بجوار الله فبينما هو في مجلس من مجالس قريش اذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه رضي الله عنه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه صدقت فقال * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش متى كان يؤذى جليسكم فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على ردّ جواره وقال له قد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان ان عيني الاخرى الى ما أصاب أختها الفقيرة وقال الوليد عد الى جوارك فقال لا بل أرضى بجوار الله تعالى وكان من جملة من رجع من الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر اسلام قريش أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة رضي الله عنها قبل أن يتزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم لان أمه برة بنت عبد المطلب ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل في جوار خاله أبي طالب فمشى الى أبي طالب رجال من مخزوم أي جاؤا اليه وقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فمالك ولصاحبنا تمنعه منا يريدون أخذه وتعذيبه فقال لهم أبو طالب انه استجار بي وانه ابن أختي وأنا ان لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي وقام أبو لهب مع أبي طالب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه لتنتهنّ أو لنقومنّ معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد فقالوا ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وأجار وا ذلك الجوار خوفا من ان يكون أبو لهب مع أبي طالب في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لان أبا لهب كان مع قريش في منابذة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداته فكان أبو لهب لقريش وليا وناصرا فخافوا من خروجه من بينهم ولما نصر أبو لهب أبا طالب في هذه القصة طمع أبو طالب في أن يكون أبو لهب معه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ أبياتا يحرضه فيها على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفعل ثم لما تبين للمسلمين الذين رجعوا من الحبشة ان قريشا لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود

وعبد الله بن مسعود وعبد الله بالتصغير بن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر زوجها هنالك ثم مات على النصرانية وبقيت أم حبيبة رضي الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت رأيت في المنام آتيا يقول يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فألقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فأمرهم جعفر بالاقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر كما سيأتي ان شاء الله وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقيمين عند النجاشي على أحسن مقام بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولكن المحققون على ان عبد الله بن أبي ربيعة لم يكن مع عمرو في هذه السفرة وانما كان معه في سفرة اخرى وهي التي بعد وقعة بدر كما سيأتي وأما هذه السفرة فالرسولان فيها عمرو وعمارة فقط وعمارة هذا هو الذي أرادت قريش دفعه لابي طالب بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعطيهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونه وبعثت قريش مع أولئك الهدية للنجاشي فرسا وجبة ديباج وأهدوا العظماء الحبشة ليعينوهم في قضاء مطلبهم وهو ان يردوا من جاء اليهم من المسلمين فدخل على النجاشي عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقيل اجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديتهما فقالا له ان نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قريش ليردهم اليهم قال وأين هم قالوا بأرضك فأرسل في طلبهم وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهم فهم اعرف بحالهم فقال لهم لا والله حتى أعلم على أي شئ هم فقال عمرو هم لا يسجدون لك وفي رواية لا يخرون لك ولا يحيونك كما يحيك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا له قال لهم جعفر رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وفي رواية لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وانما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بأمان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك لا تسجدوا فقال عمرو لعمارة ألا ترى كيف يكنون بحزب الله وما أجابهم به الملك وفي رواية اخرى لم يذكر فيها ان الملك قال لهم لا تسجدوا وذكر بدله ان عمرو بن العاص قال للنجاشي الا ترى أيها الملك انهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك يعني السجود فقال النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل وأخبرنا ان تحية أهل الجنة السلام فحيينا لك بالذي يحيي به بعضنا بعضا وأمرنا بالصلاة يعني ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت ذلك الوقت وأمرنا بالزكاة أي مطلق الصدقة لان زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة وقيل المراد من الزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم العذراء يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يقولون انه ابن الله قال النجاشي فما تقولون في ابن مريم وأمه قال جعفر نقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته

ألقاها الى مريم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين ما يزيدون على ما تقولون أشهد انه رسول الله وانه المبشر به عيسى في الانجيل ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله انه قال له كن فكان وفي رواية ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم بالله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى و بين يوم القيامة نبيا مرسلا صفته ماذكره هؤلاء قالوا اللهم نعم قد بشر به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فأكون أنا الذي احمل نعليه وأوضيه أي اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي رواية قال لهم اذهبوا فأنتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أي غرم أربعة دراهم أو ضعفها وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردها عليهما وفي رواية ان النجاشي قال ما أحب أن يكون لي دبر من ذهب أي جبل وان أوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي فآخذ الرشوة وما اطاع الناس في فأطيعهم فيه وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى عليه السلام وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا العلم عنه وقد بينت عائشة رضي الله عنها السبب في قول النجاشي ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي وهو أن والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه ولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا العمه في قتله فأبى وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة ان لا يصلح أمرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتي انه عند وقعة بدر أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه ان يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه التقوا مع اعدائه واعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم اعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلي انه كان اذا قرئ عليه القرآن يبكي حتى تخضل لحيته وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معاني القرآن وعن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرفون من متاع مكة وكان اعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا اليه هدية أي هيأوا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه لبعدا ونوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشي ان يسلمنا لهم أي قبل ان يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما لما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم الينا قبل ان يكلمهم

موافقة لما وضب عليه قريش فقد ذكر انهم قالوا لهما ادفعوا الكل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هدايا ه ثم اسألاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جاآ الى الملك قالا له أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنت جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فأسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لا هاء الله أى لا والله لا اسلمهم ولا يكادون من قومهم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قال جعفر رضى الله عنه ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره ما لكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله تعالى فقال النجاشي ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في دينى ولا دين أحد من الملوك قلنا أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع أى نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار والاوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده وأمرنا بالصلاة أى ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والزكاة أى مطلق الصدقة والصيام أى ثلاثة أيام من كل شهر لان صوم رمضان انما فرض بالمدينة وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أى ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك شئ مما جاء به قلت نعم قال فاقرأ على فقرأت عليه صدرا من كهيعص أى لكونها فيها قصة مريم وعيسى عليهما السلام فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته وفى رواية هل عندك مما جاء به عن الله شئ فقال جعفر نعم قال فاقرأه على قال البغوى فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذى جاء به موسى وفى رواية ان هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى وفى رواية بدل موسى عيسى ويؤيده ما فى رواية انه قال ما زاد هذا على ما فى الانجيل الا هذا العود مشيرا للعود كان فى يده أخذه من الارض وأنزل الله فى النجاشي وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآيات فى سورة المائدة وفى رواية أن جعفرا قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل أحرار فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا ولو أعطيتموني دبرا من ذهب أى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي أى أتى اليه فى غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون فى عيسى قولا عظيما أى يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله وفى لفظ أن عمرا قال للنجاشي أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه فى كلامهم فاسألهم فذكر له جعفر ذلك أى أجابه بما تقدم فى الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فلتأمل

ويمكن أن يقال ان مجال السهم تلك تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ومرة مع عثمان رضي الله عنهما وروى الطبراني عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد أي للعداوة التي وقعت بينهما في سفرهما أي من أن عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا ففتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو وهي في السفينة فقال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني أي تقبل معي فقال له عمرو ألا تستحي فأخذ عمارة عمرا ورمى به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادي أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة فأضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها أن تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وكرر ترددها اليها حتى أهدت اليه من عطرها ودخل عندها يوما فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشي وأخبره بذلك فقال ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جاري لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا ساحرا فنفخ في احليله نفخة صار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال الى أن مات على تلك الحال ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش الى ان كان موته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذنه في المسير اليه لعله يجده فأذن له عمر رضي الله عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره حتى أخبر انه في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وأمسكه فجعل يقول أرسلني والا أموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتي بعد غزوة بدر ان شاء الله أنهم أرسلوا للنجاشي عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن أبي ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة هذا وهو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وأم عبد الله هي أم أبي جهل بن هشام فهو أخو أبي جهل لامه فأرسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر وذكر بعضهم ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان في الهجرة الاولى للحبشة والصواب أن ارسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن أبي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن أن يكون عبد الله بن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين

(ذكر اسلام عمر رضي الله عنه) قد انجر الكلام من الهجرة الاولى الى الهجرة الثانية واسلام عمر رضي الله عنه انما كان بعد الهجرة الاولى وقبل الهجرة الثانية قال ابن اسحاق أسلم عمر رضي الله عنه عقب الهجرة الاولى الى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس وقيل أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام وكان اسلامه بسبب استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضي الله عنه يحدث عن اسلامه قال بلغني اسلام أختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال وكنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش فقال أين تذهب انك تزعم انك هكذا أي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قال وماذاك قال أختك قد صبأت فرجعت

اسلام الفاروق

مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه
ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختى رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا فقلت ابن
الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة
من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لى فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغنى عنك انك صبأت أى
خرجت عن دينك ثم ضربتها وفى رواية أن عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به
الارض وجلس على صدره فجاءت أخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم
فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت أتضربنى يا عدو الله على أن أوحد الله لقد أسلمنا على رغم انفك
يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال عمر رضى الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على
السرير وأنا مغضب فنظرت فاذا كتاب فى ناحية البيت فقلت ماهذا الكتاب أعطينيه أنظره وكان عمر قارئا
فقالت له لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون قال فلم
أزل بها حتى اعطتنيه وفى رواية قال أعطونى هذه الصحيفة اقرأها وكان عمر رضى الله عنه يقرأ الكتب
قالت أخته لا أفعل قال ويحك وقع فى قلبى مما قلت فاعطينيها أنظر اليها وأعطيك من المواثيق أن لا
اخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل او توضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون
فخرج ليغتسل فخرج خباب اليها فقال أتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم انى أرجو أن يهدى الله أخى
فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم
ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى وجعلت أفكر من أى شئ اشتق أى أخذ ثم رجعت الى نفسى وأخذت
الصحيفة فاذا فيها سبح لله مافى السموات والارض فجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله وفى رواية فاخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش
استوى له مافى السموات ومافى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى
الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرت قريش فلما بلغ فلا يصدنك عنها
من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى تشهد وفى رواية كان مع سورة طه اذا الشمس كورت وأن عمر انتهى
الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ويمكن الجمع بأنه وجد السور الثلاث فى صحيفة أو صحيفتين فقرأ
وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ انه أنا الله الذى لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى قال
ما ينبغى لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره دلونى على محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم الذين كانوا عند
أخته يعنى زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الارت احد الرجلين الذين ضمهما المصطفى صلى الله عليه
وسلم الى سعيد وكان خباب يقرئهم القرآن والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشارا
بما سمعوه منى وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بعمر أو بعمرو وانا نرجو أن تكون دعوته لك فابشر فلما عرفوا منى
الصدق قلت أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى أسفل الصفا فجئت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فى أسفل الصفا وهى دار الارقم كان صلى الله عليه وسلم مختفيا
فيها بمن معه من المسلمين ويقال لها اليوم دار الخيزران قال عمر رضى الله عنه فقرعت الباب فقيل من
هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامى
فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وقال

حمزة رضى الله عنه لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبى صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا ففتحوا له قال فدخلت وأخذ رجلان بعضدى قيل ان حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فارسلونى فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابى فجذبنى اليه جذبة شديدة وفى رواية فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم فى صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبى صلى الله عليه وسلم فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه فقال أما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام ويلقى حبه الطبيعى فى قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه وليكون شديدا على الكفار فى الدين فصار كذلك وفى رواية فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة فقال يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء من عند الله ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه اللهم اهد عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب اللهم أخرج ما فى صدر عمر من غل وأبدله ايمانا قلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون بعد تكبيره واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافى هذا اتيانه بالشهادة فى بيت أخته قبل خروجه الى النبى صلى الله عليه وسلم لاحتمال تكرر ذلك منه قال عمر رضى الله عنه وكان الرجل اذا أسلم استخفى باسلامه فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قلت ففيم الخفاء يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر انا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذى بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان قال عمر رضى الله عنه وأحببت أن يظهر اسلامى وان يصيبنى ما أصاب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالى وكان شريفا فى قريش وهو أبو جهل فأعلمته أنى صبوت وفى رواية قال عمر رضى الله عنه لما أسلمت تذكرت أى أهل مكة أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فأخبره انى قد أسلمت فذكرت أبا جهل فجئته فدققت عليه الباب فقال من بالباب فقلت عمر بن الخطاب فخرج الى وقال مرحبا وأهلا يا ابن أختى ما جاء بك قلت جئت لاخبرك وفى لفظ لابشرك ببشارة قال أبو جهل وما هى يا ابن أختى فقلت انى آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب فى وجهى وهو معنى أجاف الباب الثابت فى بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم ما زال عمر رضى الله عنه يراجع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج من دار الارقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرجوا فى صفين فى أحدهما عمر وفى الآخر حمزة رضى الله عنهما حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها وفى رواية خرجوا فى صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق رضى الله عنه لان الله فرق به بين الحق والباطل قال ابن مسعود رضى الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضى الله عنه وفى رواية عن عمر رضى الله عنه بعد ان أسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت انى صبوت فرفع صوته بأعلاه ألا ان ابن الخطاب قد صبا وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما أسلم عمر قال أى قريش أنقل للحديث فقيل له جميل بن حبيب فغدا عليه وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل ما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت يا جميل انى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبا ويقول عمر من خلفه كذب ولكنى أسلمت

وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فما زال الناس يضربونني وأضربهم حتى قال خالي ماهذا
قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر وأشار بكمه ألا اني أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني لجلالة
خالي عندهم قال بعضهم ان أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد أبي جهل أخوان فأبو
جهل ابن عم أم عمر فيكون خاله مجازا لان عصبة الام اخوال الابن وفي السيرة الحلبية أن عتبة بن ربيعة
وثب على عمر رضي الله عنه حين أسلم فألقاه عمر رضي الله عنه الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه
وجعل أصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه أحد الا أخذه عمر رضي الله عنه شراسيفه وهي
طرف اضلاعه وعند ابن اسحاق أن العاص بن وائل السهمي أجار عمر منهم حينئذ فيحتمل انه هو
وأبو جهل كل منهما أجاره وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينا عمر في الدار خائفا اذ جاء
العاص بن وائل السهمي أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فسأل ما بالك
قال زعم قومك انهم سيقتلونني لاني أسلمت قال لا سبيل اليك بعد ان قال أمنت فخرج العاص فلقي الناس
قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا ابن الخطاب الذي قد صبأ قال لا سبيل اليه فكر الناس
وانصرفوا ثم رد عمر رضي الله عنه الى العاص جواره قال فمازلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام
وفي رواية عن عمر رضي الله عنه في سبب اسلامه قال بينا أنا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه
فصرخ به صارخ لم يسمع قط صوت أشد منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فما نشبنا
ان قيل هذا نبي وروى أبو نعيم في الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر رضي الله عنهم ان أبا جهل لعنه الله
جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء أو سوداء أو ألف أوقية من فضة وفي رواية ان أبا جهل بن هشام قال
يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه احلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون في النار
الا من قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء أو سوداء أو ألف أوقية من فضة فقال عمر رضي الله عنه أنا لها
قالوا أنت لها وتعاهد معهم على ذلك وفي رواية فقلت له يا أبا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلدا
السيف متنكبا كنانتي أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت أنظر
اليه فاذا صائح يصيح من جوف العجل يا آل ذريح أمر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر ما يراد به الا أنا ثم مررت بصنم فاذا
هاتف من جوفه يقول

يا أيها الناس ذوو الاجسام * ما أنتم وطائش الاحلام
ومسند الحكم الى الاصنام * أصبحتم كراتع الانعام
أما ترون ما أرى أمامي * من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام * وقد بدا للناظر الشامي
محمد ذو البر والاكرام * أكرمه الرحمن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام * يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام * ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقا الى الاسلام * بلا فتور وبلا احجام

قال عمر فقلت والله ما أراه الا أرادني ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

أودى الضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي
سيقول من عبد الضمار ومثله * ليت الضمار ومثله لم يعبد
أبشر أبا حفص بدين صادق * يهدي اليك وبالكتاب المرشد

واصبر أباحفص فانك آمر * يأتيك عز غير عز بني عدى
لا تعجلن فأنت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر رضي الله عنه فوالله لقد علمت انه أرادني فلقيني نعيم بن عبد الله النحام وكان يخفي اسلامه فرقا من قومه فقال أين تذهب قلت أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش فأقتله فقال نعيم يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وبالغ في منعه ثم أراد أن يشغله عن ذلك بشئ آخر فقال له ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم وذكر له اسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم وذكر القصة بطولها وقيل ان الذي لقيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان قد أسلم قبل عمر رضي الله عنه فقال أين تريد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال أنت أصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف تمشي على الارض فقال له عمر ما أراك الا قد صبأت فأبدأ بك فأقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا قال سعد لعمر مالك لا تصنع هذا بختنك يريد سعيد بن زيد وبأختك فقال صبأا قال نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه عمر وسار الى أخته الى آخر القصة ولا مانع انه لقي كلا من نعيم وسعد وحصل بينهما ماذكر وفي رواية أن سبب اسلامه رضي الله عنه انه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول وقلت ان دنوت منه أستمع لأروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت أمشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فمكثت حتى انصرف فتبعته فالتفت في اثناء طريقه فرآني فظن اني انما تبعته لاوذيه فنهمني أي زجرني بشدة ثم قال ما جاء بك في هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله ورسوله وما جاء من عند الله فحمد الله ثم قال هداك الله ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم انما يطلق حقيقة على زجر الاسد ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم مالا يخفى وفي رواية عن عمر رضي الله عنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام مني كل موقع وذهب مرة هو وأبو جهم يريدان الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فوجداه في بيته قائما يصلي وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ في سورة الحاقة فلما وصل الى قوله تعالى فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية دخلهما رعب شديد فقال أحدهما للآخر الوحا الوحا أي الرواح بسرعة خوفا من نزول العذاب والحاصل أن الاسباب المقتضية لاسلام عمر رضي الله عنه تكررت وكثرت وكأن السبب في ذلك أن يمكن الله الاسلام في قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم وكان الامر كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أسلم عمر رضي الله عنه قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر لان الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رضي الله عنه رواه ابن أبي شيبة والطبراني قال المشركون انتصف القوم وروى انه لما أسلم قال يا رسول الله لا ينبغي أن يكتم هذا الدين اظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر امامهم معه سيف ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله قال فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفي منه ثم تقدم امامه صلى الله عليه وسلم ليطوف ويحميه حتى فرغ

من طوافه رواه ابن ماجه وقال صهيب لما أسلم عمر رضي الله عنه ولما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه و باسلام عمر رضي الله عنه وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحوننا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم و بني المطلب فأمرهم فدخلوا شعبهم وأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه ممن أراد قتله وأجاب كل منهم أبا طالب لذلك مؤمنهم وكافرهم وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب في المناصرة وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا قال أبو طالب في قصيدة

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال في قصيدة أخرى جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أي تشاوروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم و بني المطلب أن لا ينكحوا اليهم أي لا يتزوجوا منهم ولا ينكحوهم أي لا يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أي يخلوا بينهم و بينه وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده وهلك على كفره وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشلت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفره وقيل بخط النضر بن الحارث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافرا وقيل بخط هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو من الذين سعوا في نقضها كما سيأتي وقد أسلم رضي الله عنه يوم الفتح وكان من المؤلفة وقيل بخط طلحة بن أبي طلحة العبدري وقيل بخط منصور ابن عبد شرحبيل بن هاشم وجمع باحتمال أن يكونوا كتبوا منها نسخا وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا صحيفة منها في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بني كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم و بنو المطلب الى أبي طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة امام المغازي حتى جهدوا وقطعهم عنهم الميرة والمادة وكانوا لا يصل اليهم شئ الا سرا و يخرجون من الموسم الى الموسم لاجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفي الصحيح انهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام ليقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر قريش التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد علمتم حالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا مضاعفة حتى يرجع الرجل منهم الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شئ يعللهم به فيغدو التجار على أبي لهب بما كسد في أيديهم فيربحهم و يضعف لهم الثمن وخروج أحدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافي منعهم من الاسواق والمبايعة أي عموما ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا الى أرض الحبشة الخروج الاخير وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكان يصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان من أشد الناس قياما في نقض الصحيفة كما سيأتي وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام أدخل عليهم في ليلة ثلاثة احمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال اني غير عائد لشئ خالفتكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا أو حملين فغاظته قريش أي أغلظوا له في القول وهموا بقتله فقال لهم أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهله و رحمه أما اني أحلف بالله

ولو فعلنا

لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بناء وكان ممن يصلهم بالطعام أيضا حكيم بن حزام فلقيه أبو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهي معه في الشعب فقال أبو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبني هاشم والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فحضرهما أبو البختري فقال لابي جهل مالك وماله فقال له أبو جهل يحمل الطعام لبني هاشم فقال له أبو البختري طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها به خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الآخر فأخذ أبو البختري لحي بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطئا شديدا فانصرف عن ذلك وأبو البختري هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة والاول أصح وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وكان أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوانه أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ويأمره هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها وهذا على ما جرت به العادة من الاحتراس بالامور العادية والا فهو صلى الله عليه وسلم محفوظ ومعصوم من القتل وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهم بالشعب ثم ان الله تعالى أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الارضة أكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط وكانوا يكتبون باسمك اللهم وفي رواية لم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك وقطيعة رحم قال الحلبي والرواية الاولى أثبت من الثانية وجمع بين الروايتين بأنهم كتبوا نسخا فأكلت الارضة من بعضها ما عدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم وأكلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب بذلك فقال يا ابن أخي أربك أخبرك بهذا قال نعم قال والثواقب ما كذبتني قط فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال أبو طالب يا معشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعل ان يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكون أن أبا طالب يدفع اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعوها بينهم وقبل ان تفتح قالوا لابي طالب قد آن لكم ان ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال انما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني ان الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسم الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وفي رواية أكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم الله تعالى فان كان كما يقول فأفيقوا أي اقلعوا عما أنتم عليه فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان بالطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وقد جاء أن أبا طالب قال لهم بعد أن وجدوا الامر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم أولى بالظلم والقطيعة ودخل هو ومن معه بين استار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف هو ومن معه الى الشعب وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وزهير بن أبي أمية المخزومي وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود فمشى هشام بن عمرو الى زهير بن أبي أمية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضي الله عنهما فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت

نقض الصحيفة

فقال ويحك ياهشام فماذا أصنع فانما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا ومشيا جميعا الى المطعم بن عدى فقالا له أرضيت ان يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد فقال انما أنا واحد فقالا أنا معك فقال أبغنا رابعا فذهبوا الى أبى البخترى فقال أبغنا خامسا فذهبوا الى زمعة بن الاسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بنى هاشم من الشعب وقال لهم زهير أنا أبدؤكم وأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لايبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال له أبو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود أنت والله اكذب مارضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البخترى صدق زمعة فقال مطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو ومثل ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة فشقها وفى رواية قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذا هو الصحيح فى ذكر القصة ان السعى من هؤلاء الرهط فى نقضها انما كان بعد اخبار النبى صلى الله عليه وسلم عمه بأكل الارضة لها وبعضهم قدم وأخر فى حكاية القصة وكان نقض الصحيفة فى السنة التاسعة من النبوة بناء على ان مكثهم كان سنتين أو فى السنة العاشرة بناء على انه كان ثلاث سنين وفى الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير * حمد الصبح أمره والمساء
يا لأمر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى * وأبو البخترى من حيث شاؤا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدا الانداء
اذكرتنا بأكلها أكل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء
وبها أخبر النبى وكم اخرج خبأله الغيوب خباء

وتقدم انه أسلم من هؤلاء الخمسة هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبى أمية وأما المطعم بن عدى فمات بمكة كافرا وأما أبو البخترى وزمعة بن الاسود فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسأل عما يفعل وتوفى أبو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته فى رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة وتقدم الكلام على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة رضى الله عنها وقد اشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما فى بعض نسخ الهمزية بقوله

وقضى عمه أبو طالب والدهر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من أحمد المناء

ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على خديجة وهى فى الموت فقال تكرهين ماأرى منك وقد جعل الله فى الكره خيرا وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم اطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه انها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذذاك خمسا وستين سنة وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه أبى طالب حزنا شديدا حتى سمى ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يارسول الله كأنى أراك قد دخلتك

خلة لفقد خديجة رضي الله عنها فقال أجل أم العيال وربة البيت وقال عبد الله بن عمير وجد عليها حتى خشي عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة ثم في شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضي الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة وقال في السيرة الحلبية وفي الشهر الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وكانت رأت في نومها ان النبي صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت في ليلة اخرى ان قمرا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها وهي امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت قلت لما ماتت خديجة يارسول الله ألا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت أحب خلق الله بك عائشة بنت أبي بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام انه يتزوج بها وجيء له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ثم يقول ان يكن هذا الامر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ما ذكر فعلم ان الله سيمضي أمره حين أنطقها بذلك ولا علم لها ثم قال لها ومن الثيب قالت سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريهما علي قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قلت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ذلك ادخلي على أبي فاذكري ذلك له وكان شيخا كبيرا باقيا على دين قومه لم يسلم قالت فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قلت أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة قال كفؤ كريم فما تقول صاحبتك قلت تحب ذلك قال ادعيها الي فدعوتها قال أي بنية ان هذه تزعم أن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين ان أزوجك منه قالت نعم فقال لخولة ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها وكان أخوها عبد الله بن زمعة غائبا فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه ولما أسلم رضي الله عنه كان يقول لقد كنت في السفه يوم احثي التراب على رأسي اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني أخته ثم ذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان وهي أم عائشة رضي الله عنهما فقالت يا أم رومان ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قالت انتظري أبا بكر رضي الله عنه حتى يأتي فجاء أبو بكر فقلت يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة رضي الله عنها قال وهل تصلح أي تحل له انما هي بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعي اليه فقولي له أنا أخوك وأنت أخي في الاسلام وابنتك تصلح لي أي تحل فذكرت ذلك له فقالت أم رومان ان مطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده أبو بكر والله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه فقام أبو بكر ودخل على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم ابنه جبير فقال أبو بكر للمطعم ابن عدي ما تقول في أمر هذه الجارية التي ذكرتها على ابنك جبير فأقبل المطعم على امرأته وقال لها ما تقولين يا هذه فأقبلت على أبي بكر رضي الله عنه وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه فأقبل أبو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول أنت فقال انها لتقول ما تسمع أي فقولي مثل قولها فقام أبو بكر رضي الله عنه وليس في نفسه من الوعد شئ فرجع وقال لخولة ادعي لي

قوله فاذكريهما علي ضمنه اخطبي فعداه بعلي اه مؤلفه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها اياها أي عقدله عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين
وقيل بنت سبع ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين
وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشا وخطبهم خطبة حثهم فيها على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لهم أيضا لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ولما مات
أبو طالب اشتدت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونالت منه من الاذى مالم تكن تطمع فيه في حياة
أبي طالب فدخل صلى الله عليه وسلم يوما بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله
عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله
عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيئا أكرهه أي أشد الكراهة حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا
تهجموا عليه قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته اياما وقال يا محمد امض
لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى اموت فلم يزل
أبو جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من اشراف قريش يحتالون على أبي لهب حتى صدوه عن ذلك
وتأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وترك نصرته ورجع الى ما كان عليه من معاداته فلما اجمعوا على
معاداته ومقاطعته صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه والقتل به خرج الى الطائف وهو مكروب
مشوش الخاطر مما لقي من قريش ومن قرابته وعترته خصوصا من أبي لهب وزوجته أم قبيح حمالة
الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن علي رضي الله عنه انه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد موت أبي طالب أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذي
جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر رضي الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع
هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وكان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف في شوال
سنة عشر من النبوة وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام ورجاء أن يسلموا
وينصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه قال في السيرة الحلبية ومن ثم أي من أجل
انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا
لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهو راحة الامة وفيه تنفس كل ضيق وغم سنة الله في الذين خلوا
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة
ثلاثة أحدهم عبد ياليل واسمه كنانة ولم يعرف له اسلام وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف
اللام ولم يعرف له اسلام أيضا والاخ الثالث حبيب قال الذهبي وفي صحبته نظر وهؤلاء الثلاثة أولاد
عمرو بن عمير بن عوف الثقفي فجلس اليهم صلى الله عليه وسلم وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته الى الاسلام
والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أي يشقها أو يقطعها ان كان
الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا
من عند الله كما تقول لانت أعظم خطرا أي قدرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب ما ينبغي لي
ان أكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم اكتموا علي وكره صلى الله
عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه ثم قال له هولاء الثلاثة من أشراف ثقيف أخرج من بلدنا
والحق بما شئت من الارض وأغروا أي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى
اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه
ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه وفي رواية حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى
الله عليه وسلم اذا أذلقته الحجارة أي وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى

رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم أي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة أي شجرة من شجر الكرم وفي رواية أن الثلاثة من رؤساء ثقيف أغروا عليه سفهاؤهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل هنالك لا عقبة منى التي اجتمع فيها مع الانصار ثم بين ذلك بقوله اذ عرضت نفسي على عبد ياليل فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق من الغم الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلى الله عليه وسلم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بأمرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه وفي رواية جاءه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره أن لا يفعل شيئا الا بأمرك فقال له ان شئت دمدمت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فاني آتي بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا اله الا الله فقال ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم حيث قال

جهلت قومه فأغضى عليهم * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وقوله في أول الحديث لعائشة رضي الله عنها لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش اذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد ان ثقيفا ليسوا بقومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا به عليك ظاهره انه اخبار عما قاله اشراف ثقيف ويحتمل انه أراد قريشا لما دعاهم الى الايمان فقالوا شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك فهم السبب في ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال فلذا قال ان شئت أطبق عليهم الاخشبين قيل هما جبلان بمكة أبو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل هما الجبلان اللذان تحتهما العقبة بمنى ويحتمل ان المراد اطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم ولما ألجأوه صلى الله عليه وسلم الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دما فلما رأيا ما لقي تحركت له رحمهما لانهما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب بكسر القاف بمعنى العنقود ووضعه عداس في طبق بأمرهما وقالا له اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف ليأكل قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال نصراني من نينوى وهو بلد قديم مقابل الموصل فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن اين عرفته وانت أمي في أمة امية قال ذاك أخي وهو نبي مثلي فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم رضي الله عنه وفي

روايةانه قال اشهد انك عبد الله ورسوله ونظر اليه ابنا ربيعة فقال أحدهما للآخر اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدي ما في الارض شيء خير من هذا فقد اعلمني بأمر لا يعلمه الا نبي قالا له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه وروي ان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما اقتال ذلك الرجل الذي رأيت بحائطكما تريدان والله ما تقدر له الجبال فقالا له ويحك ياعداس سحرك بلسانه وفي الاصابة عن الواقدي قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة رضي الله عنه وعنهم وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما تخلص من ثقيف واطمأن في ظل الحبلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت ارحم الراحمين وأنت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم تكن غضبان علي فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزل صلى الله عليه وسلم نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته وقد قام عليه السلام في جوف الليل يصلي فجاؤا يستمعون قراءته والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآيات ثم انزل الله قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن وقيل انهم صرفوا مرتين مرة قبل نزول قل أوحي والمرة الثانية بعد نزولها وانما هي هذه المرة أي التي كان فيها صلى الله عليه وسلم بنخلة وانه كان يقرأ قل أوحي وقيل الرحمن وقيل قرأ في الركعة الاولى الرحمن وفي الثانية قل أوحي وأقام صلى الله عليه وسلم بنخلة اياما ثم أراد دخول مكة فقال له زيد بن حارثة رضي الله عنه كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك فقال يازيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى حراء فوجد عبد الله بن الاريقط فبعثه الى الاخنس بن شريق الثقفي ليجيره فاعتذر وقال اني حليف والحليف لا يجير وهذا قاله اعتذارا والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لولم يعلم ان الحليف يجير لما بعث له ثم بعث صلى الله عليه وسلم لسهيل بن عمرو العامري لان جده عامر بن لؤي أخو كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر سهيل بأن بني عامر لا تجير على بني كعب أي قد لا تجير جوارها فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يقول له اني داخل مكة في جوارك فأجابه الى ذلك وقال للرسول قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فدخل مكة بعد أن تسلح مطعم بن عدي وركب على راحلته ونادى يامعشر قريش اني اجرت محمدا فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ومطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف ووقف أربعة منهم عند أركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وكذا أبوهم المطعم فأقبل أبو سفيان على المطعم وقال له أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر أي لا تزال خفارتك أي

قوله ولك العتبى أي الطلب رضاك يقال استعتب طلب أن يرضى عنه اه

جوارك قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في جوار كافر وأمانه وان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر في حديث بأقوام لا خلاق لهم وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا قد أجمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لأهله ولهذا المعروف الذي فعله المطعم بن عدي قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له وفي أسد الغابة ان جبيرا ولد المطعم بن عدي أسلم بين الحديبية وفتح مكة وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسأله في اسارى بدر فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم وهذا من شيمه صلى الله عليه وسلم تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صبح الاسراء كل أمرك كان قبل هذا اليوم سهلا هو يشهد انك كاذب وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولما مات المطعم بن عدي وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله

عيني ألا ابكي سيد الناس واسفحي *	بدمع وان انزفته فاسكبي الدما
وابكي عظيم المشعرين كليهما *	على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا *	من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا *	عبيدك مالبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها *	وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو المو في بخفرة جاره *	وذمته يوما اذا ما تذمما

هذا الفعل من حسان رضي الله عنه مجازاة للمطعم على ما صنع مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب في أن فعله هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلا ضير في ذكره به

خبر الطفيل بن عمرو

*(باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه) كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيما له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد اعضل أمره بنا أي اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أي قصدت وعزمت على أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا أي قطنا فرقا أي خوفا من أن يبلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا ان أسمع بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي أنا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني ان أعلم من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتي به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا حتى سددت أذني بكرسف حتى لا أسمع قولك فاعرض علي أمرك فأعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن أي قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوذتين وقيل انما نزلتا عليه بالمدينة وقيل تكرر نزولهما فلما سمع القرآن قال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وقلت يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام فادع الله أن يكون عونا عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر أي وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه

وكان ذلك في ليلة مظلمة وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت في غير وجهي فاني أخشى أن يظنوا انه مثلة فتحول في رأس سوطي فجعل الحاضرون يتراأون ذلك النور كالقنديل المعلوم ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذوالنور والى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه * جعلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل فأتاني ابي فقلت اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك فقال له يابني قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أي بني ديني دينك فأسلم قال ثم أتتني صاحبتي يعني زوجه فذكرت لها مثل ذلك أي قلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قد أسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه قالت فديني دينك فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطأوا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد غلبتني دوس قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا وأت بهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلموا فقدمت بمن أسلم من قومي عليه وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتا من دوس ومنهم أبوهريرة رضي الله عنه فأسهم لنا مع المسلمين وقيل لم يعط أحد لم يحضر القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب ومن معه ومنهم الاشعريون أبوموسى الاشعري وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فرمى بهم الريح الى الحبشة

(باب ذكر الاسراء والمعراج) اعلم انه لا خلاف في الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وانه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات أو أكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى شيئا في اليقظة الا بعد أن يريه الله اياه في المنام فبعض تلك الاسراآت التي كانت في المنام سابق على الذي في اليقظة وبعضها متأخر وكان الاسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل في شهر ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية أطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة وقيل ليلة الجمعة وكان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج به صلى الله عليه وسلم الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى لنريه من آياتنا والا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله له الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم في بيت المقدس ثم استقبلوه في السموات ورجع صلى الله عليه وسلم من ليلته الى مكة فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ما عندهم وسألوه عن عيرلهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور وفي الكتب مسطور فلا حاجة لنا الى الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد أفردت بالتأليف وفي السيرة الحلبية أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام أن يربط فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها قال الامام أبوبكر بن العربي في شرح الموطأ ان صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه في أعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله عليه وسلم

الاسراء والمعراج

وسلم حين صعد عليها ومن الجهة الاخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة فهي معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل تحتها لانى كنت أخاف أن تسقط على بسبب ذنوبي ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شئ ولا بعض شئ وبعض الجهات اشد انفصالا من بعض انتهى يروى انه صلى الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فأخبر بمسراه أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنه وعنها وانه يريد أن يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لانه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم فتعلقت بردائه أم هانئ وقالت انشدك الله أي أسألك به يا ابن عم أن لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفي رواية اني اذكرك الله أن تأتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصري فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي فاذا هو قد خرج قالت فقلت لجارية لي نبعة وكانت حبشية وهي معدودة في الصحابة رضي الله عنها اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت اخبرتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش في الحطيم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذين انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام فأخبرهم بمسراه وفي رواية انه لما دخل المسجد قطع وعرف ان الناس تكذبه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده أي ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذي حدث به أن دعا قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أسرى بي قالوا الى أين قال الى بيت المقدس فنشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم قال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لي قال أما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كأنما خرج من ديماس أي حمام وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوءة وأما ابراهيم فوالله انه لاشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا وقال المطعم بن عدي ان أمرك قبل اليوم كان أمرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذي تقول قط فقال أبو بكر رضي الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد انه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الايمان وفي رواية فسعى رجال من المشركين الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة أي لانه يخبرني أن

الخبر يأتيه من السماء الى الارض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فمجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه فقال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك اظهار كذبه وعرف الصديق رضى الله عنه قصده وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب قط فقال أبو بكر رضى الله عنه صف لى يا رسول الله فانى قد جئته أراد بذلك اقامة البرهان على قومه بظهور صدقه صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه فى موضع كذا وباب منه فى موضع كذا وأبو بكر رضى الله عنه يقول اشهد انك رسول الله حتى اتى على أوصافه وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتنى قريش وسألتنى عن اشياء تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها قالوا كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فجلى الله لى بيت المقدس وفى رواية فجيء بصورته وانا انظر اليه فطفقت أخبرهم عن آياته أى علاماته وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر رضى الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوصف ولم يخطئ فى شئ منه قالوا صدق الوليد بن المغيرة أى فى قوله انه ساحر فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قالت نبعة جارية أم هانئ وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله قد سماك الصديق ومن ثم كان على رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى انزل اسم أبى بكر الصديق من السماء رضى الله عنه وفى رواية ان كفار قريش لما اخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد أى ما العلامة الدالة على هذا الذى أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط هل رأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه قال آية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفر عيرهم حس الدابة يعنى البراق فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفى رواية فعثرت الدابة يعنى البراق فتقلب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة والمراد الوضوء اللغوى ثم قال صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بنى فلان فنفرت من الدابة يعنى البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدرى اكسر البعير أم لا وفى رواية ثم انتهيت الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر وأضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان بدلالتى لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فقالوا صدق الوليد أى فى قوله انه ساحر ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجيء عير بنى فلان فقال لهم يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب أو دنت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكى

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها * فما غربت بل وافقتك بوقفة

فأما أهل الايمان الكامل كأبى بكر رضى الله عنه فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشئ مما شاهده من عجائب الملكوت وقد أفردت قصة الاسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله

فطوى الارض سائرا والسموا * ت العلى فوقها له اسراء
فصف الليلة التى كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى بها الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانى حسرى * دونها ماوراءهن وراء

عرض الرسول نفسه على القبائل

(باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينصروه على ماجاء به من الحق) اعلم أنه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته فى أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها فى السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى المواسم كل عام يتبع الحاج فى منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتى اليهم فى أسواق الموسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب اذا حجت أى أرادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوّال ثم تجىء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجىء الى سوق ذى المجاز فتقيم به أيام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه وعن جابر رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف ويقول ألا رجل يعرض على قومه فان قريشا منعونى ان أبلغ كلام ربى وعن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه وفى لفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اى ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل لى انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الذى يرجمه قيل هو عمه عبد العزى يعنى ابا لهب وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى غلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ماتعبدون دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بى وان تصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابى من هذا الرجل الذى يتبعه يردّ عليه مايقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعنى أبا لهب وروى ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك اى نجعل نحورنا هدفا لسلهم فاذا أظفرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن لا يقدر أن يوافى معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها من تلاف أى هل لهذه القضية من تدارك والذى نفس فلان بيده مايقولها أى ما يدعى النبوّة كاذبا أحد من بنى اسماعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم وروى الواقدى انه صلى الله عليه وسلم أتى بنى عبس وبنى سليم وبنى محارب وفزارة ومرة وبنى النضر

وعذرة والحضارمة فردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد وقالوا أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب أقبح عليه من بني حنيفة وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن ثم جاء في الحديث شر قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون الى أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها ومن أقبح القبائل في الرد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف (وأدفع مرة هو وأبو بكر رضي الله عنه) الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة وكان أبو بكر رضي الله عنه نسابا أي ذا معرفة بالانساب فقال لهم من أي ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال أمنكم حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال أمنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال أمنكم صاحب العمامة الفودة فلان قالوا لا فقال لستم من ذهل الاكبر انتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين أبقل وجهه أي طلع شعر وجهه فقال له آن على سائلنا أن نسأله كما سألنا يا هذا انك قد سألتنا فأخبرناك فمن الرجل أنت فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة ثم قال فمن أي قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى أمكنت الرامي من صفا الثغرة أمنكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه يضيء كالقمر في الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه حاضرا فقال لابي بكر رضي الله عنه لقد وقعت من الاعراب على باقعة أي داهية أي ذي دهاء قال أجل يا أبا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكان الاعرابي لما ذكر له قصيا وهاشما وعبد المطلب يقول ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الاشراف كما أن قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الاشراف فواحدة بواحدة والجزاء من جنس العمل وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من بني شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما وان أبا بكر رضي الله عنه سألهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر أي سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ ابن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وله غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله عنه فقال له أبو بكر رضي الله عنه كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة فقال له أبو بكر رضي الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أي الطاقة ولكل قوم جد أي حظ وسعادة أي علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له أبو بكر رضي الله عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح أي نؤثر السلاح على ذوات اللبن من الابل والنصر من عند الله يديلنا أي ينصرنا مرة ويجعل الدولة لنا ويديل علينا مرة أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله عنه أوقد بلغكم انه أي أخا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالام يدعو فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت أي تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال مفروق والام تدعونا أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به

شيئاً وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال
مفروق ماهذا من كلام أهل الارض عرفناه ثم قال والام تدعو أيضا ياأخاقريش فتلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم
صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك وكأن مفروقا أراد أن يشاركه في الكلام هانئ بن
قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك ياأخاقريش واني
أرى أن تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة في الرأي وقلة
نظر في العواقب وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع
وترجع وننظر وتنظر وكان هانئ أحب أن يشركه في الكلام مثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة
شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك ياأخاقريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة
وان أحببت ان نأويك وننصرك مما يلي سائر العرب دون انهار كسرى فعلنا انما نزلنا على عهد أخذه
علينا كسرى لا نحدث حدثا ولا نأوي محدثا واني أرى ان هذا الامر الذي تدعونا اليه هو ماتكرهه
الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره
الا من أحاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم
وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلامة
الحلبي وهؤلاء لم أقف على اسلام واحد منهم الان في الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني
وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول هانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت
بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة وفي أسد الغابة ان مفروق بن عمرو من
الصحابة ونقل عن أبي نعيم انه قال لا أعرف لمفروق اسلاما والله أعلم ولما قدمت قبائل بكر بن وائل
مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض
عليهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال كيف المنعة قالوا لامنعة
جاورنا فارسا فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال افتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى أن تنزلوا
منازلهم وتنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال أنا
رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أبو لهب لا ترفعوا لقوله رأسا فانه مجنون يهذي من أم رأسه
فقالوا القد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ماذكر وفي رواية انه لما سألهم قالوا له حتى يجيء
شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول
فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو عزكم
فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا أي نصروا بذكرهم اسمي ولا زال
صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم يقول لا أكره أحدا على شيء من رضي الذي
أدعو اليه فذاك ومن كره لم أكرهه وانما اريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي فلم يقبله صلى الله
عليه وسلم أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه وعن

ابن اسحاق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم وفى مستدرك الحاكم ان ذلك كان فى شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة التى تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهى على يسار القاصد منى من مكة وبها الآن اسفل منها مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقى رهطا من الخزرج لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم أبو أمامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة و يعرف بابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله ابن رئاب وعبادة بن الصامت وأبو الهيثم بن التيهان وأسقط بعضهم عبادة بن الصامت ومن بعده فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال ألا تجلسون اكلمكم قالوا بلى من أنت فانتسب لهم وأخبرهم خبره فجلسوا وفى رواية انه وجدهم يحلقون رؤسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر فى قلوبهم وكان قد أخذهم النبى صلى الله عليه وسلم فى موضع بعيد من الناس خوفا من أن يراهم أحد فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله ان اليهود كانوا مع الاوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والاوس والخزرج أهل شرك وأوثان وكانوا اذا كان بينهم شئ تقول اليهود ان نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكانوا يصفونه لهم بصفاته فلما كلمهم النبى صلى الله عليه وسلم عرضوا الصفات التى كانوا يسمعونها قبل من اليهود فوجدوها محققة فيه فقال بعضهم لبعض بادروا الى اتباعه لا تسبقنا اليهود اليه وفى رواية فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته ورأوا أمارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه هو النبى الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فأسلم أولئك النفر فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى قالوا يارسول الله انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك وقولهم بينهم من العداوة والشر ما بينهم * اصل هذه العداوة ان الاوس والخزرج كانوا أخوين لاب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة وفى رواية قالوا له انما كانت بعاث عام أول وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملأهم فقالوا ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام المقبل ثم انصرفوا الى المدينة ورضى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بذلك وهذا ابتداء اسلام الانصار فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهى العقبة الثانية فأسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم أبو أمامة اسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى والسبعة تتمة الاثنى عشر هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل وذكوان بن عبد قيس الزرقى الخزرجى وعبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوى حليف الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة والعباس بن نضلة بن مالك بن العجلان واقام العباس المذكور بمكة الى ان هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فهاجر فهو انصارى

مهاجرى

مهاجري واستشهد بأحد رضي الله عنهم يروى انه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية تأخذون محمدا صلى الله عليه وسلم على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكتكم الحرب أسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه قال بعضهم والله ماقال ذلك الا ليشد العقد وكل هؤلاء المذكورين من الخزرج سوى أبي الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الاوس فأسلموا كلهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه صلى الله عليه وسلم في معروف ونعطيه السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله وان نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئا كان أمره مفوضا الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضا في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه وقيل انما كانت بيعة العقبة الثانية على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما المبايعة بلفظ على أن لا نشرك بالله شيئا الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أبايعكم على أن تمنعوني ماتمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو وأصحابه فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله واسم أمه عاتكة وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها ومصعب بن عمير معه رضي الله عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمان من أراد أن يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وقيل ان مصعبا بعثه أولا حين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا في ديننا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه بذلك ولا مانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدلي رضي الله عنه وكان يقال له المقري ثم بعث ابن ام مكتوم ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبي امامة أسعد ابن زرارة رضي الله عنه وكان مصعب يؤم القوم الاوس والخزرج لانهم لما بينهم من العداوة كرهوا أن يؤم بعضهم بعضا وجمع بهم مصعب رضي الله عنه أول جمعة في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من اقامة الجمعة بمكة فأمرهم باقامتها بالمدينة وكانوا أربعين رجلا واشتهر ان أول من جمع بهم أسعد بن زرارة رضي الله عنه ولا مخالفة لان مصعب بن عمير رضي الله عنه كان عند أبي امامة أسعد بن زرارة فكان هو المعاون على اقامة الجمعة ولولا أسعد بن زرارة ماقدر مصعب على اقامتها وهذا لا ينافي أن الخطيب والامام هو مصعب بن عمير فنسب اقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا قيل انهم أقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير أمر من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ مردود بل روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضي الله عنه أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أي اليوم الذي يليه يوم السبت فأجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أي صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم خلق كثير من الانصار على يد مصعب ابن عمير رضي الله عنه بعد أن اشتد عليهم أمره في أول مجيئه وكادوا يقتلونه ثم هداهم الله به روى ابن اسحاق ان أسعد بن زرارة رضي الله عنه خرج بمصعب بن عمير رضي الله عنه الى حائط أي بستان من حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجل ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا

قومهما أي بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا أبا لك
انطلق بنا الى هذين الرجلين يعني أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين أتيا دارينا تثنية دار وهي
المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما وفي رواية قال له ائت اسعد بن زرارة
فازجره ليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا أسعد بن
زرارة مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم
أقبل عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا اسيد قومه فأصدق الله فيه فوقف عليهما
وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كان لكما بانفسكما حاجة وفي رواية قال يا أسعد ما لك ولنا
تأتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفي رواية علام أتيتنا في دورنا
بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل و يدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس
فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره أي منعنا عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز
حربته و جلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف
تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم
تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال
لهما أن ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم
أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال احلف بالله لقد
جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال
كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة
خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا انه ابن خالتك لينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا
فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد بن زرارة
لمصعب لقد جاءك سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين
عرف ان أسيدا انما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا أمامة
والله لولا ما بيني و بينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب لتقعدن
فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض
عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فأعجبه ذلك وصار يقول ما أحسن هذا ثم قال لهما ما تصنعون اذا
أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين فقال تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام
واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا الى قومه ومعهم
أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من
عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعرفون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا
أي وأبركنا نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله و رسوله قال والله
ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فأسلموا في يوم واحد كلهم الا ما كان
من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بني عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد رضي
الله عنه ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة ثم رجع مصعب الى
دار أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الى الاسلام حتى أسلم الرجال والنساء من الانصار الا جماعة
من الاوس لانه كان فيهم أبو قيس وهو صيفي بن الاسلت وكان شاعرا لهم وكانوا يسمعون منه و يطيعون لانه
كان قوالا بالحق معظما قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له واتخذ

مسجدا وقال أعبد اله ابراهيم ولا يدخل على فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الاسلام ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق فأسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وسبب تأخر اسلامه انه لما أراد الاسلام عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه عبد الله بن أبى ابن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس ما أتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل اليه صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله أشفع لك بها عند الله فقالها ثم أن مصعب ابن عمير رضى الله عنه رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين والانصار الى الموسم ومع قوم حجاج من أهل الشرك حتى قدموا مكة وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمن أسلم فسر بذلك قال كعب بن مالك رضى الله عنه خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين فاجتمعنا بالنبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أى أن يوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذى يقال له مسجد العقبة ومسجد البيعة وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا اليه بليل وأن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا و يكون اتيانهم فى ليلة اليوم الذى فيه النفر الاول فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكانت تم أمرنا من معنا من قومنا من المشركين وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن حرام سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه للاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل نتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه أيضا أبو بكر وعلى رضى الله عنهما لان العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عند مجيئه لهم فى محل مبايعتهم الا العباس رضى الله عنه فلما جلسوا كان العباس رضى الله عنه أول متكلم فقال يا معشر الخزرج والمراد ما يشمل الاوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الاوس كثيرا ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه و بلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان من أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق و بذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أن العباس رضى الله عنه قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد و بصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفترقوا الا عن ملاء واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه وقوله قد أبى الناس كلهم ربما يفيد ان الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فأباه ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرض نفسه على القبائل فلم يجد موافقا غير الانصار وأجيب بأن المراد لم يجد موافقا كل الموافقة غير الانصار وهذا لا ينافى انه وجد من يوافق فى بعض الاشياء دون بعض فلم يقبلهم كبنى

شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى وقيل المراد بالناس أهله وعشيرته وعند ما تكلم العباس رضي الله عنه بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وفي رواية خذ لنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمري لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني ما تمنعون به أنفسكم وأبناءكم قال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي رواية وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام فقال أبايعكم على أن تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم وقيل لما قالوا له نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فأخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم وقال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به ازرنا أي نساءنا وأنفسنا لان العرب تكني بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أي السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أبو الهيثم بن التيهان نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس رضي الله عنه اخفوا جرسكم أي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا أي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أي دمي دمكم أي تطلبون بدمي واطلب بدمكم فدمي ودمكم واحد وفي رواية بدل الدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أي حرمي حرمكم تقول العرب اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمي هدمكم أي اذا أهدرتم الدم اهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي رحلتكم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم فعند ذلك قال لهم العباس رضي الله عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن في نصرته ولتشدن أزره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخي شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أخرجوا الي منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخرج من بني اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجد أحد في نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لي جبريل أي لانه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسيد ابن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد من قبيلة ثم قال لاولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وأنا كفيل على قومي يعني المهاجرين وقيل ان الذي تكلم وشد العقد عباس بن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج هل تدرون على م تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس أي على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد أن هاجر الى المدينة وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل وقيل الذي تكلم وشد العقد أسعد بن زرارة وهو من أصغر الانصار ولا مخالفة بين الاقوال لان كل سيد من أولئك السادة تكلم بما يقوي البيعة ثم اتفقوا على جميع ذلك وقالوا يا رسول الله ما لنا ان نحن وفينا قال رضوان الله

والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبايعوه وأول من بايعه البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن وكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أي العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة الذين بايعوه أولا لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية وقيل ان ابا الهيثم بن التيهان قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بني اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من الحواريين عيسى بن مريم عليه السلام فقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يارسول الله وأبايعك على ان أتم عهدي بوفائي وأصدق قولي بفعلي في نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله يارسول الله وأبايعك على الاقدام في أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أي لا أعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على أن لا تأخذني في الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله على أن لا أعصي لكما أمرا ولا أكذب لك حديثا فلما تمت البيعة وهي بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب وهي منازل منى وفي رواية يا أهل الاخاشب هل لكم في مذمم والصباة يعني بمذمم محمدا وبالصباة من تابعه فانهم قد أجمعوا أي عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الباء الموحدة أي شيطان يسمى بهذا الاسم اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك فهرب وعند ذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم وفي رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الانصار الذين كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرعكم هذا الصوت انما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة وصراخ ابليس الذي هو أبو الجن ويجوز أن يكون المراد بعدو الله ابليس أزب العقبة لانه من الابالسة وانه أتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان قال لما فرغوا من المبايعة قلت يانبي الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام ثم ان الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش وغيرهم وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج قال عمرو بن العاص فأتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبرته بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا فقال هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه قلنا لعله ابليس الكذاب ولا ينافي سماع عمرو وأبي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يامعشر الاوس والخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وكل واحد يقول لهم وما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني وصدقوا لانهم لا يعلمون كما علم مما تقدم ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فأما سعد فمسك وعذب في الله وأما المنذر فأفلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدي المشركين روي عنه رضي الله عنه أنه قال لما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي ولا زالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني حتى ادخلوني مكة فأوى الي

رجل وهو أبو البختري بن هشام مات كافرا وقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى كنت اجير لجبير بن مطعم جاره وأمنعهم ممن اراد ظلمهم ببلادي وللحارث بن حرب بن امية وهو أخو أبي سفيان فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو فقال يقال انه سعد بن عبادة فجاآ فخلصاه من أيديهم وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع على رجل أبيض وضيء زائد الحسن فقلت في نفسي أن يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده فلطمني لطمة شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهل بن عمرو رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم أن الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة بكسر اللام وأشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو وكان لعمرو في داره صنم من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى أي تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه في بعض الحفر التي فيها خرء الناس منكسا بعد اخراجه من داره فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من غدا على مناة هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا غسله غدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ثم جاء بسيف وعلقه في عنقه ثم قال ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها خرء الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم طلبه الى أن وجده في تلك البئر فلما رآه كذلك رجع عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قرن (أي حبل)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لان قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم أوى أي استند الى قوم أهل حرب ونجدة ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة فمكث أياما لا يأذن ثم قال أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين أعظم جبال العرب ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا وقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فاذن حينئذ وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها أرسالا أي متتابعين يخفون ذلك وفي رواية أريت في المنام اني هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلي أي وهمي الى انها اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب ولعله أنسي قول جبريل ليلة الاسراء صليت بطيبة واليها المهاجر ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد أخبرت بدار هجرتكم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من المهاجرين على المواساة والحق فآخى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة رضي الله عنهما وبين عثمان وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما وبين الزبير وابن مسعود رضي الله عنهما وبين عبادة بن الحارث وبلال رضي الله عنهما وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما وبين أبي عبادة وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبد الله رضي الله عنهما وبين علي بن أبي طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى ان أكون أخاك قال بلى يا رسول الله رضيت قال فأنت أخي

في الدنيا والآخرة وأنكر ابن تيمية مواخاة المهاجرين بعضهم بعضا قال والمواخاة انما هي بين المهاجرين والانصار قال ولا معنى لمواخاة مهاجري لمهاجري لان المواخاة انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض قال الحافظ ابن حجر وهذا ردّ للنص بالقياس والحكمة في مواخاة المهاجرين أن بعضهم كان أقوى من بعض في المال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى وبهذا ظهر مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة وبعدها وفي الصحيح أن زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المواخاة وكان أول من هاجر منهم الى المدينة أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير لانه لما قدم من الحبشة لمكة اذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة في حجرها وخرج يقود البعير فرآه رجال من قوم أم سلمة وهم أقرب منه اليها فقاموا اليه وقالوا له يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبي سلمة رضي الله عنه وقالوا ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها ثم تجاذبوا حتى أطلقوا يده من الخطام وأخذ الولد قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الى الابطح تبكي حتى مضت سنة فمر بها رجل من بني عمها فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا الحقي زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبي سلمة ردوا عليها ولدها فركبت بعيرا وجعلت ولدها في حجرها وخرجت تريد المدينة ومامعها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي أي صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان مشركا يومئذ ثم أسلم رضي الله عنه فشيعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول مارأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة فانه لما رآني قال الى أين قلت الى زوجي قال أومامعك أحد قلت لا مامعي الا الله تعالى وابني هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بي ثم استأخر حتى اذا نزلت جاء وأخذ البعير فحط عنه ثم قيده في شجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استأخر عني وقال اركبي فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادني وجمع بين القول بأن مصعب بن عمير أول من هاجر والقول بأنه أبو سلمة بأن أبا سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان أبا سلمة أول من هاجر أي من بني مخزوم فلا ينافي انه ليس بأول بالنسبة لغير بني مخزوم وأول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة رضي الله عنها وقيل ليلى بنت أبي حثمة وقيل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها ثم هاجر عمار وبلال وسعد وفي رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا أي بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يهاجر معه وقال تجدني أو أجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله عنه قال ماعلمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى أسهما في يده واختصر عنزته وهي الحربة الصغيرة أي علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعني الانوف

من أراد أن تثكله أمه أي تفقده ويؤتم أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي رضي الله عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه وفي المواهب وشرحها انه هاجر مع عمر رضي الله عنه أخوه زيد ابن الخطاب رضي الله عنه وكان أسن من عمر رضي الله عنه وأسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده رضي الله عنه في خلافة الصديق رضي الله عنه سنة ثنتي عشرة من الهجرة وكان عمر رضي الله عنه يقول أخي سبقني الى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي وحزن عليه حزنا شديدا وممن هاجر مع عمر رضي الله عنه سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر وممن هاجر عبد الله بن جحش رضي الله عنه ومعه زوجته الفارعة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وأما أختها أم حبيبة رضي الله عنها فكانت مع الذين هاجروا الى الحبشة في صحبة زوجها عبد الله بن جحش أخي عبد الله بن جحش فتنصر بالحبشة ثم مات وبقيت هي بأرض الحبشة مع المسلمين الذين كانوا بها ثم أرسل صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد ابن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها فزوجها من النبي صلى الله عليه وسلم على يد النجاشي وجعفر بن أبي طالب ثم هاجرت الى المدينة رضي الله عنها فصارت من امهات المؤمنين رضي الله عنهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا جهل وأخاه الحارث بن هشام قبل اسلامه فانه أسلم بعد ذلك رضي الله عنه قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما وكان أصغر ولد أمه فقالا له أن أمك نذرت أن لا تغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك وفي رواية لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له أنت أحب ولد أمك اليها وأنت في دين منه البر والدين فارجع الى أمك واعبد ربك كما تعبد في المدينة فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق ان لا يغشياه بسوء وقال له عمر رضي الله عنه ما يريدان الا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت فقال عياش أبر أمي ولي مال هناك آخذه فقال له عمر رضي الله عنه خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر حيث صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريبة فانج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه أي شدا يديه الى خلف وجلداه نحوا من مائة جلدة وقيل كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقا في وقت النهار وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا ولما جيء به مكة التي في الشمس وحلفت أمه انه لا تخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ثم حبس عياش بمكة مع هشام بن العاص وغيره وجعل كل واحد منهما في قيد وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يدعو لهم في قنوت الصبح فيقول اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والوليد بن الوليد هو أخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فأسر مع من أسروا فتملكه اخواه خالد وهشام بن الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبسوه وقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدى فقال كرهت اليسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبي حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن وسمع النبي صلى الله عليه وسلم قراءته فقال الحمد لله الذي جعل في امتي مثله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يثني عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند موته لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا ما جعلتها أي الخلافة شورى قال ابن عبد البر المعنى

أنه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم رضي الله عنه يوم اليمامة وأرسل عمر رضي الله عنه
بميراثه لمعتقته فأبت ان تقبله وجعلته في بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته
بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن
تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلوا سبيلي قالوا نعم قال
فاني قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب وفي الخصائص الكبرى
عن صهيب رضي الله عنه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر رضي
الله عنه وقد كنت أردت الخروج معه فصدني فتيان من قريش وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر
مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم هل لكم ان أعطيتكم أواقي من
الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا سبيلي ففعلوا قالوا نعم فقلت احفروا تحت أسكفة الباب
فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال يا أبا يحيى ربح
البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام وأخرج أبو نعيم في
الحلية عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته
وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أني من
أرماكم رجلا وأيم الله لا تصلون الي حتى أرمي بكل سهم من كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي شيء منه
ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفي رواية قالوا له
دلنا على مالك ونخلي سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان المشركين أخذوه وعذبوه
فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني
وتتركوا لي راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله قال فلما قدمت
المدينة وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآني أبو بكر رضي الله عنه قام فبشرني
بالآية التي نزلت في وفي رواية فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال فقال لي أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت
وبيعك هلا تخبرني ماذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان روميا أغارت خيل على
دجلة أو الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان
فاعتقه فأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمر رضي الله عنه
في يوم واحد قال صهيب رضي الله عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وكان رضي الله عنه
فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة وفي المعجم الكبير للطبراني عن صهيب رضي الله عنه قال قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فأخذت آكل من التمر فقال لي أتأكل
وبك رمد فقلت يا رسول الله أمضغه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سهل
بن عبد الله التستري رضي الله عنه ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام بالليل وكان يقول
ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله التمر رواها
بعضهم على وجه آخر وهو انه صلى الله عليه وسلم رآه يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد احدى عينيه فقال
أتأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الحلبي ولا مانع من التعدد أي اكل من القصتين ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة خرج
الناس ارسالا متتابعين وهاجر أيضا عثمان بن عفان رضي الله عنه واشتد الاذى على المستضعفين
ومكث صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه من أصحابه الا علي بن أبي طالب
وأبو بكر أو من كان مستضعفا محبوسا عند قريش وكان الصديق رضي الله عنه كثيرا ما يستأذن رسول

الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر رضي الله عنه أن يكون الصاحب هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد حقق الله رجاءه وفى رواية للبخارى استأذن أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الخروج فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجوذ لك بأبى وأمى قال نعم فحبس أبو بكر رضى الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ثم ان قريشا لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا انهم صار لهم أصحاب من غيرهم وانهم أصابوا منعة لان الانصار قوم أهل حلقة أى سلاح وبأس حذروا خروجه صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة دار قصى بن كلاب قال الحلبى دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفى الآن وكان لها باب الى المسجد أعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشى الا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشى وقد أدخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته وكان اجتماعهم يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون فى أمره صلى الله عليه وسلم وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر وكان يسمى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة لانه اجتمع فيه أشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى أسد وبنى مخزوم وبنى جمح وبنى الحارث وبنى كعب وبنى تيم وبنى عدى وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأى والحجا منهم أحد وجاءهم ابليس فى صورة شيخ نجدى فوقف على باب الدار فى هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذى قعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل وانما تمثل فى صورة شيخ نجدى لانهم قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل بصورة نجدى وتهيأ بهيئة تعظم فى عيونهم ثم قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما رأيتم وانا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا فقال قائل وهو أبو البخترى بن هشام احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء قبله فقال النجدى ما هذا برأى والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأى فانظروا فى غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامرى ولم يعلم له اسلام نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى أين ذهب فقال النجدى لعنه الله والله ما هذا برأى ألم تر واحسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدى لعنه الله القول ما قال لا رأى غيره فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل ان قول أبى جهل الذى صوبه ابليس أن يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيوفا فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة اذ لا يمكن عشرين مثلا أن يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال ثم أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت على فراشك الذى كنت تنام عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه أى يرقبونه أى يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة قال الحافظ الدمياطى فى سيرته فاجتمع أولئك القوم من

قوله أبو البخترى بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح الفوقية فراء وياء كياء النسب قتل كافرا يوم بدر اه زرقانى وبعضهم ضبطه بضم الباء وسكون الحاء المهملة اه مؤلف وتقدم له فى الكلام على نقض الصحيفة أن الحاء المهملة أصح قلت وهو الذى اقتصر عليه شيخنا فى حاشية الهمزية وفيه نصر

قريش

قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بياته أي يوقعون القتل به ليلا وقيل أحدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه في جميع القبائل بمشاهدة بني هاشم فلا يتم لهم أخذ ثاره فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببردله صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم اتشح ببردي هذا الحضري الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وكان صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك اذا نام فكان علي رضي الله عنه أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يقول له لن يخلص اليك شئ فصدق عليه انه بالامتثال باع نفسه وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني * وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

وكان في القوم الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وزمعة ابن الاسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال أبو جهل ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعه صلى الله عليه وسلم فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم وفي رواية الامام أحمد حتى لحق بالغار أي غار ثور فأفاد انه توارى فيه حتى أتاه أبا بكر منه في نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل انه ابليس في صورة النجدي فقال ماتنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ماترك منكم رجلا الاوضع على رأسه ترابا وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش مسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد عليه برده قال الزهري وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه وذكر السهيلي انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها للسبة في العرب ان يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا سترحرمنا وكان تسور الجدار ممكنا لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع في الظاهر والمانع في الحقيقة بالمناحمية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم والظهار عجزهم فأقاموا بالباب يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقوم في الصباح فيفعلون به ماتنقوا عليه فلما أصبحوا قام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري وصدق الله قول النبي صلى الله عليه وسلم له لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وقيل انهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على في وجوههم فعرفوه فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري وقيل أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا انه خرج علينا وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيرا لهذه النعمة قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا والحكمة في هجرته الى المدينة أن تتشرف به الازمنة والامكنة والاشخاص لا أنه يتشرف بها فلو بقي بمكة لكان يتوهم انه قد تشرف

بها الان شرفها قدسبق بالخليل واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فأمره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الاجماع على ان فضل البقاع الموضع الذى ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى انه أفضل من العرش قال السيد السمهودى والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة وهى غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة أول يوم من ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت منه وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة قال صرمة بن قيس الانصارى الصحابى رضى الله عنه * ثوى فى قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا * وأمره جبريل ان يستصحب أبا بكر رضى الله عنه روى الحاكم عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأخبر عليه الصلاة والسلام عليا بخرجه وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده عليه الصلاة والسلام للناس قال ابن اسحاق وليس أحد بمكة عنده شئ يخاف عليه الا وضعه عنده عليه الصلاة والسلام لما يعلمون من صدقه وامانته روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت بينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أى مغطيا رأسه وفى رواية للطبرانى عن اسماء رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشيا فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فداء له أبى وأمى والله ماجاءنى به فى هذه الساعة الا أمر حدث قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر رضى الله عنه فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر آخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبى أنت وأمى وذلك ان عائشة رضى الله عنها كان أبوها قد عقد لها عليه صلى الله عليه وسلم واسماء أختها بمنزلة أهله لنكاحه أختها فلا تخشى عليه منهما وقيل ان قول أبى بكر ذلك بمنزلة قول الصديق حريمى حريمك وأهلى أهلك يعنى أنا وأنت كالشئ الواحد فقال صلى الله عليه وسلم قد أذن لى فى الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضى الله عنه الصحبة يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله عنها فرأيت أبا بكر رضى الله عنه يبكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح فقال أبو بكر رضى الله عنه فخذ بأبى أنت وأمى يارسول الله احدى راحلتى هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن وفى رواية قال لا اركب بعيرا ليس هو لى قال فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذى ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا وكان أبو بكر رضى الله عنه قد علف راحلتين أربعة اشهر لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم انه يرجوا الهجرة وانما فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على أتم الاحوال والا فأبو بكر رضى الله عنه قد أنفق ماله فى حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت أنفق أبو بكر رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وروى الزبير بن بكار عنها رضى الله عنها ان أبا بكر رضى الله عنه لما مات ماترك دينارا ولا درهما وفى الصحيح قال صلى الله عليه وسلم ليس أحد من الناس أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر وروى الترمذى مرفوعا مالاحد عندنا يد الا كافأناه عليها ماخلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجنى ابنته وواسانى بنفسه وان خير المسلمين مالا أبو بكر اعتق منه

بلالا وحملني الى دار الهجرة فالحمل مجاز عن المعاوضة والخدمة في السفر وعلف الدابة أربعة اشهر
حتى باعها للمصطفى صلى الله عليه وسلم بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة قالت عائشة رضي الله عنها
فجهزناهما أحث الجهاز أي أسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت اسماء بنت أبي بكر
قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وفي رواية شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب
وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه بغار ثور فمكثنا فيه ثلاث ليال وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين
خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض
الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجوني ما خرجت منك رواه الامام أحمد والترمذي وفي رواية له عن ابن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أطيبك من بلد وأحبك الى ولولا ان قومي
أخرجوني منك ما سكنت غيرك وروى أبو نعيم عن ابن اسحاق بلاغا انه كان من قوله صلى الله عليه وسلم
أيضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئا اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر
ومصائب الليالي والايام اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني
وعلى صالح خلقي فقومني واليك رب فحببني والى الناس فلا تكلني أنت رب المستضعفين وأنت ربي
أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين
والآخرين أن تحل بي غضبك أو ينزل على سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول
عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندي خيرما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك ولم يعلم بخروجه
صلى الله عليه وسلم الا علي رضي الله عنه وآل أبي بكر رضي الله عنهم ومنهم عامر بن فهيرة رضي الله
عنه لانه مولى لابي بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه وروى انهما خرجا من خوخة في ظهر بيته ليلا
وروى ان أبا جهل لعنه الله لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا ولما فقدت قريش رسول الله صلى
الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة وهو الذي يعرف الاثر في كل وجه قيل انهم
بعثوا شخصين فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور وروى
انه قعد وبال في أصل شجرة هناك ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدري أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل
وفي رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا انه يشبه القدم الذي
في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شئ وشق على قريش خروجه صلى الله عليه وسلم
وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده عن سيره ذلك بقتل أو اسر ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيري
رضي الله عنه حيث قال ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألفته ضبابها والظباء

وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه وودّه الغرباء

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

ولما دخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى
الراءة تكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد ويكون كالريش لخفته
ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار
وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صد المشركين عنه وحمام
الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل والحماية في الحرم فلا
يتعرض له وفي المثل آمن من حمام الحرم ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهي

العصى الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ماقاله فعرف أن الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال أبو بكر رضى الله عنه ان هذا الرجل ليرانا ولو كان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها لو كان يرانا مافعل هذا وقيل ان القائف قعد وبال أيضا وفى رواية انهم طافوا جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذى فيه النبى صلى الله عليه وسلم الى آخر الحديث روى أن الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمى على القائف الطلب ورحم الله القائل

والعنكبوت أجادت حول حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل

روى أن حمام مكة أظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أيضا فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هى جند من جنود الله وقد روى الديلمى فى مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حديثا فقال فيه اخبرنا والذى قال وأنا أحبها قال أخبرنا فلان وأنا أحبها حتى قال عن أبى بكر رضى الله عنه لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبا بكر فى الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا وأما ما روى من حديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فهو حديث ضعيف نعم ورد عن على رضى الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القزان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شئ

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم أى اجعلها كالعمياء عنا فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة رضى الله عنه

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

يعنى انهم ظنوا أن الحمام لا تحوم حوله عليه السلام لان عادة الحمام النفرة وان العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت به العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما أحسا بالانسان فرا منه وقد روى ان المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم أن الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت وما علم المشركون أن الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه وان وقاية الله عبده بما شاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهى الحصون ولله در الابوصيرى من شاعر وما أحسن قوله أيضا فى قصيدته اللامية التى أولها

الى متى أنت باللذات مشغول * وأنت عن كل ماقدمت مسؤل

حيث قال فيها واغبرتا حين أضحى الغار وهو به * كمثل قلبي معمور ومأهول

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصديق ليثان قد آواهما غيل

وجلل الغار نسج العنكبوت على * وهن فيا حبذا نسج وتجليل

عناية ضل كيد المشركين بها * وماكيدهم الا الاضاليل

اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما * كأن أبصارهم من زيغها حول

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار وفي رواية فرفعت رأسي فرأيت أقدامهم فقلت لو ان أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما أي جاعلهما ثلاثة بضم ذاته اليهما في المعية المعنوية المشار اليها بقوله ان الله معنا قال بعض أهل السير ان أبا بكر رضي الله عنه لما قال ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضي الله عنه الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته صلى الله عليه وسلم العميمة وان كان الذي ذكره ماذكره اسنادا متصلا لكن حسن الظن بالائمة يقتضي انهم لا يذكرون مثل ذلك الا بتوقيف وقد روي ان أبا بكر رضي الله عنه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه لم يكن تعود الحفا والجفوة قيل ان ذلك من خشونة الجبل وكان صلى الله عليه وسلم حافيا ومشى ليلته على اطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجله على الارض وقيل انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم وفي بعض الروايات ان أبا بكر رضي الله عنه كان يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله في بعض الطريق لشدة محبته له صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان أبا بكر رضي الله عنه كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذكر الطلب فأمشي خلفك واذكر الرصد فأمشي امامك وعن يمينك وشمالك لا آمن عليك فقال لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني فقال اي والذي بعثك بالحق ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ليلة من ليالي أبي بكر رضي الله عنه خير مما أعطي عمر وآل عمر يعني بذلك ليلة الهجرة هذه فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه خوفا من أن يكون في الغار شيء من الهوام ويروى انه قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه ويروى فألقمه أبو بكر رجليه لئلا يخرج منه مايؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتهاره بكونه مسكن الهوام ثم بعد استبرائه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فاني سويت لك مكانا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله عنه ونام وسد أبو بكر رضي الله عنه مابقي من ثقوب الغار برجليه فلدغ في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي رواية فجعلت الحيات والافاعي تلسعنه وجعلت دموعه تتحدر من ألم لسعها فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ وقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب مايجده وفي رواية فلما أصبحا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر أثر الورم فسأله فقال من لدغة الحية فقال هلا أخبرتني قال كرهت ان أوقظك فمسحه فذهب مابه من الورم وفي رواية لابي نعيم عن أنس رضي الله عنه فلما أصبح قال لابي بكر رضي الله

عنه أين ثوبك فاخبره بالذى صنع فرفع يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة فأوحى الله اليه قد استجبنا لك وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فقال له صلى الله عليه وسلم رحمك الله صدقتنى حين كذبنى الناس ونصرتنى حين خذلنى الناس وآمنت بى حين كفر بى الناس وآنستنى فى وحشتى قال الزرقانى والظاهر كما قال شيخنا يعنى الشبراملسى انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن اذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتى لهما بالغار كابنه وابن فهيرة ويروى أيضا ان أبا بكر رضى الله عنه لما دخل الغار أصاب يده شئ فخرج من أصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

فهذا البيت من انشاء الصديق رضى الله عنه وقد تمثل به النبى صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه والممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر لا انشاده ثم ان هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن الوليد بن المغيرة وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم ويروى ان أبا بكر رضى الله عنه لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن كل ذلك خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الامة بقتلى فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر وان هلكت أنت هلكت الامة بهلاك الدين فعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر فالمعية معنوية لاستحالة الحسية فى حقه تعالى وليس المراد بالعلم فقط لان ذلك حاصل لكل موجود لا يختص بهما قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه السكينة أمنة أى حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لأمنها مما تكرهه وقوله عليه الضمير عائد على أبى بكر رضى الله عنه المعبر عنه بقوله صاحبه فى قول الاكثر قال البيضاوى وهو الاظهر لانه كان منزعجا الا على النبى صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقوله وأيده الضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة أى ليحرسوه ويصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتأمل بعين البصيرة فى أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وشفقته على الصديق رضى الله عنه لما علم النبى صلى الله عليه وسلم حزن الصديق لكن لا على نفسه قوى الرسول صلى الله عليه وسلم قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر بكونه ثانى اثنين مدخرة له دون جميع الصحابة رضى الله عنهم فهو الثانى فى الاسلام والثانى فى بذل النفس والعمر وسبب الموت لانه لما جعل نفسه وقاية له كأنه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه الصلاة والسلام فلما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه جوزى بموازرته معه فى رمسه وقام مؤذن التشريف ينادى على منابر الامصار ثانى اثنين اذ هما فى الغار وكفى للصديق بهذا شرفا ولقد أحسن حسان رضى الله عنه حيث قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل قلت فى أبى بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت وعن أبى بكر رضى الله عنه انه قال لجماعة ايكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر رضى الله عنه وقال والله أنا صاحبه وقال أبو الدرداء رضى الله عنه رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى امام أبى بكر رضى الله عنه فقال يا أبا الدرداء تمشى امام من هو أفضل منك فى الدنيا والآخرة والذى نفس محمد بيده ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى

جبريل فقال ان الله يأمرك أن تستشير أبابكر وعن أنس رضى الله عنه حب أبى بكر واجب على أمتى قال بعضهم وتأمل قول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل كلا ان معى ربى سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصدّيق ان الله معنا فقدم المسند اليه للاشارة الى أنه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أولانه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذلا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه أولتعظيمه ووصفه بالالوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه وموسى عليه السلام خص نفسه بشهود المعية له وحده ولم يتعد ذلك الشهود منه الى اتباعه حيث قال ان معى ربى ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه شهوده الى الصديق رضى الله عنه ولهذا لم يقل ان الله معى بل قال معنا لانه أمدّ الصدّيق رضى الله عنه بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة الى أبى بكر رضى الله عنه والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلى والشهود اذليس فى طوق البشر ذلك الثبوت الا بذلك الامداد وفرق بين معية الربوبية فى قصة موسى عليه السلام ومعية الالوهية فى قصة نبينا عليه الصلاة والسلام فانه فى قصة موسى قال ان معى ربى والرب من التربية وهى التنمية والاصلاح وقال فى قصة نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال وكان مكثه صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر رضى الله عنه فى الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما فى الغار عبد الله بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنهما وهو غلام شاب ثقف أى فطن حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر الى مكة فيصبح مع قريش كأنه بائت بمكة لشدة رجوعه بغلس فلا يسمع بأمر يكادان به أى يطلب لهما فيه المكروه الاحفظه حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة رضى الله عنه مولى أبى بكر رضى الله عنه يرعى غنما لابى بكر رضى الله عنه فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء فيحلبان ويشربان ثم يسرح بكرة فيصبح فى رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك فى كل ليلة من الليالى الثلاث وكان عامر رضى الله عنه أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وكان ممن يعذب فى الله فاشتراه أبو بكر رضى الله عنه واعتقه واستشهد ببئر معونة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض الروايات أن أسماء رضى الله عنها كانت تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه قبل خروجهما من مكة عبد الله بن أريقط دليلا وهو على دين كفار قريش فسخره الله لهما ليقضى الله أمره ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وفى رواية الزهرى حتى اذا هدأت عنهما الاصوات جاء صاحبهما ببعيريهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فأخذبهم طريق الساحل وفى رواية فأجازهما أسفل مكة ثم مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر رضى الله عنه اذا سأله سائل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الذى معك يقول هاد يهدينى الطريق وكان أبو بكر رضى الله عنه يكثر الاسفار للتجارة فكان معروفا عندهم والنبى صلى الله عليه وسلم لكونه قليل الاسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف أبابكر رضى الله عنه دون النبى صلى الله عليه وسلم فيسأله عنه فيجيبه بقوله هاد يهدينى السبيل ولا يتكلم بكلام الا ويورّى فى كلامه ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه أله الناس أى اشغل الناس عنى أى تكفل عنى بالجواب لمن يسأل عنى فانه لا ينبغى لنبى أن يكذب أى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر رضى الله عنه يجيبهم بنحو ما تقدم وفى الصحيحين انهم مروا بالصخرة فنام النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ورأى أبو بكر رضى الله عنه راعيا معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر رضى الله عنه حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلوا فمرّوا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد

قوله عبد الله الخ اصابه سهم فى غزوة الطائف واندمل جرحه ثم نقض عليه فى خلافة أبيه ومات به رضى الله عنهما ووقع فى بعض الروايات عبد الرحمن بن ابى بكر وهو وهم فان عبد الرحمن رضى الله عنه تأخر اسلامه اه مؤلف

الخزاعية وهي معدودة من الصحابيات رضي الله عنها لانها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة
جليلة جلدة قوية تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم من يمر بها وكان القوم مرملين مسنتين أي مقحطين
فطلبوا منها لبنا أو لحما أو تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا وقالت والله لو كان عندنا شئ ما أعوزنا
القرى فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد أي الهزال عن الغنم فسألها صلى
الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك تريد انها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون
من لها لبن فقال أتأذنين لي ان أحلبها فقالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا أي لبنا في الضرع
فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أي وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى
فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط أي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا أي
حلبا قويا وسقى أم معبد ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شربا ثم حلب
فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل أي ثانيا بعد الاول ثم حلب ثالثا وتركه عندها وفي رواية قال لها
ارفعي هذا لابي معبد اذا جاءك ثم ركبوا وذهبوا وفي بعض الروايات انها لما شاهدت هذه المعجزة
تسلفت من جيرانها شاة أخرى وذبحتها اكراما له صلى الله عليه وسلم فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث
أكل منها صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقي أكثر لحمها عند أم معبد وبقيت
الشاة التي مس ضرعها الى زمن عمر رضي الله عنه ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه اكثم
ابن أبي الجون الخزاعي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال السهيلي وله رواية عن النبي صلى الله عليه
وسلم وتوفي في حياته أقبل يسوق غنما عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا
ولا حلوب بالبيت فقالت انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا أي رأى الشاة ودعا لها وحكت
له القصة فقال صفيه يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة
ولم تزر به صعلة والمراد انه وسيم قسيم أي كامل الحسن في عينيه دعج وفي أشفاره وطف أي طول أحور
اكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع أي طول وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار
واذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر
اجهر الناس اذا تكلم وأجملهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب ربعة لا تشنؤه من طول
ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون
به أي يستديرون حوله اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا لامره محفود أي مخدوم محشود أي
عنده قوم لا عابس ولا مفند أي ليس كثير اللوم فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش لو رأيته
لاتبعته وفي رواية ولقد هممت ان أصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وما زالت قريش تطلب
النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدري
ما تقولون قد صاد في حالب الحائل فقالوا ذاك الذي نريده ثم أسلمت رضي الله عنها وهاجرت قال السيد
السمهودي في الوفاء هاجرت هي وزوجها وأسلما وفي خلاصة الوفاء فخرج أبو معبد في اثرهم ليسلم فيقال
انه أدركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفي شرح السنة للبغوي هاجرت هي وزوجها وأسلم اخوها
حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك روى ابن اسحاق عن أسماء
بنت أبي بكر رضي الله عنهما انها قالت لما خفي علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من
قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك يا ابنة أبي بكر فقلت والله لا أدري ابن أبي
فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة واحدة خرج منها قرطي ثم انصرفوا قالت ولما
لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل بعد ثلاث ليال وفي رواية خمس ليال يغني بأسفل

مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل انه من الجن وقيل سمعوا هاتفا على أبي قبيس وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها في مصدر ثم مورد

قالت أسماء رضي الله عنها فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيري حيث يقول

ونغت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من الانصار رضي الله عنهم قال حسان رضي الله عنه بعد اسلامه مجيبا للابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

ثم بعد رواحهم من عند أم معبد تعرض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي رضي الله عنه فانه أسلم بالجعرانة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف والمدلجي نسبة الى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة فهو كناني حجازي وسبب تعرضه لهما ما رواه البخاري عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه دية أي في كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت قال أبو بكر رضي الله عنه تبعنا سراقة ونحن في جلد من الارض فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات قال فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت وفي رواية اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين وفي رواية الى بطنها فطلب الامان وفي رواية انه سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج ما يكره ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذي يكره فناداهم بالامان قال وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة الناقة وروى في بعض التفاسير انه عاهد الله سبع مرات

ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الارض وجاء في رواية أن سراقة لما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الارض ارجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان لو أنجيتني لاكونن لك لا عليك فقال يا أرض أطلقيه فانطلقت جواده فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال أنا سراقة انظروني اكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه وأنا أعلم ان قد دعوتما علي فادعوا لي وفي رواية قد علمت يا محمد ان هذا من دعائك فادع الله ان ينجيني مما أنا فيه ولكما أن ارد الناس عنكما ولا اضركما وفي رواية لابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدري لعل الحي يعني قومه فزعوا الركوبي وأنا راجع ورادهم عنكم قال فوقفا لي ودعا له صلى الله عليه وسلم ان الله ينجيه مما هو فيه قال فركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لمن يحصلهما وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما وعاهدهم ان لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وان يكتم عنهم ثلاث ليال قال وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني أي لم ينقصاني مما معي شيئا وفي رواية قال هذه كنانتي فخذ منها سهما فانك تمر على ابلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في ابلك ودعا له وفي رواية عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام فاني لا ارغب في ابلك ومواشيك وفي رواية ولم يسألاني شيئا الا أن قالا أخف عنا قال فسألته ان يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من اديم وفي رواية قال سراقة اني لاعلم ان سيظهر أمرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا أتيتك يوم ملكك تكرمني فأمر عامر بن فهيرة فكتب له وفي رواية لانس رضي الله عنه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبي الله وآخر النهار مسلحة له أي حارسا له بسلاحه وفي رواية انه قال للقوم لما رجع اليهم قد عرفتم نظري بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا فرجعوا وجاء في الحديث من تمام القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وفي رواية اذا تسورت سواري كسرى قال كسرى ابن هرمز قال نعم فعجب من ذلك فلما أتي بهما في خلافة عمر رضي الله عنه وبتاجه ومنطقته وكان عمر رضي الله عنه قد سمع بوعد النبي صلى الله عليه وسلم لسراقة من أبي بكر رضي الله عنه فدعا سراقة فألبسه السوارين تحقيقا لهذه المعجزة واظهارا لها وقال ارفع يديك وقال الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بني مدلج ورفع عمر رضي الله عنه صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين ومما جيء به لعمر رضي الله عنه مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور فقطع عمر رضي الله عنه البساط وقسمه على المسلمين فأصاب عليا رضي الله عنه قطعة باعها بخمسين ألف دينار وفي القصة أيضا انه أخذ الكتاب الذي كتب له وجعله في كنانته قال سراقة فلم اذكر شيئا مما كان حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت للقائه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه وأسلمت وفي رواية عن سراقة رضي الله عنه بلغني انه يريد انه سيبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى قومي فأتيته فقلت أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك أسلموا والا أمنت

منهم

منهم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على ان لا يعينوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اسلمت قريش اسلموا معهم فأنزل الله تعالى الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم قال ابن اسحاق
ولما بلغ أبا جهل مالقي سراقة لامه في تركهم وفي رواية ان سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس
فأنكر انه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فلا زال به أبو جهل حتى اعترف فأخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل
في تركهم فأنشده سراقة

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

والى قصة سراقة اشار بعضهم بقوله

غرت سراقة الطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا

وقال صاحب الهمزية

فاقتفى اثره سراقة فاستهوته في الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ماسيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء

واجتاز صلى الله عليه وسلم في طريقه ذلك بعبد يرعى غنما فاستسقاه أبو بكر رضي الله عنه اللبن
فقال ماعندي شاة تحلب غيران ههنا عناقا حملت عام أول ومابقي لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها
صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء أبو بكر رضي الله عنه بمجن وهو الترس
فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر رضي الله عنه ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي
بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قال أوتراك تكتم علي حتى اخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله قال
أنت الذي تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال اشهد انك نبي وان ماجئت به حق وانه لا يفعل
مافعلت الا نبي وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت فأتنا وممّا وقع لهم
في الطريق انه صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين فكسا الزبير
رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وكذا لقي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه النبي
صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه فكساهما وأخرج البيهقي عن بريدة بن الحصيب رضي الله
عنه قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبي صلى الله عليه وسلم حملني الطمع فركبت في سبعين
من بني سهم فلقيته صلى الله عليه وسلم فقال من أنت قلت بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
أبي بكر رضي الله عنه وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من
بني سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله
رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا
قال بريدة الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما اصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة
الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة ولما سمع المسلمون في
المدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه صلى
الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة وكان خروجهم ثلاثة أيام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة
بين مكة والمدينة التي كان بها بالغار فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم واحرقتهم الشمس واذا رجل من
اليهود صعد على اطم أي محل مرتفع من آطامهم أي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين أي لابسين ثيابا بيضا وهي التي كساهم اياها الزبير وطلحة
في الطريق فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب أي يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودي ان قال
باعلى صوته يامعشر العرب وفي رواية يابني قيلة وهم الانصار وامهم تسمى قيلة هذا جدكم أي حظكم

الذى تنتظرونه وفى رواية لما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبى امامة اسعد بن زرارة وأصحابه من الانصار ولا مانع من الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة وهو مع أبى بكر رضى الله عنه فى ظل نخلة كانت هناك ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفى رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل ذات اليمين حتى نزلا بقباء فى دار بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكان نزوله صلى الله عليه وسلم عند كلثوم بن الهدم لانه كان شيخ بنى عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس وكان كلثوم يومئذ مشركا ثم أسلم رضى الله عنه وتوفى قبل غزوة بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم يا نجيح لغلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه نجحت يا أبا بكر وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه فى بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا لا أهل له هناك وكان منزله يسمى منزل العزاب وبهذا يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة ونزل أبو بكر رضى الله عنه على حبيب بن اساف وقيل خارجة بن زيد رضى الله عنه ولما توجه صلى الله عليه وسلم المدينة أمر عليا رضى الله عنه أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام على كرم الله وجهه بالابطح ينادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليات تؤدى اليه أمانته فلما نفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وكان على رضى الله عنه فى طريقه يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه ولما وصل اعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل فى يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من على رضى الله عنه مع وجود ماركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة فى عظيم الاجر وسرى السرور الى القلوب بوصول النبى صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب رضى الله عنهما ما رأيت اهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أى الاسطحة عند قدومه يعلن بقولهن طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعى * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضى الله عنه للناس وأبو بكر شيخ أى شيبه ظاهر وان كان النبى صلى الله عليه وسلم أسن منه فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر رضى الله عنه فيعرف بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى ظلل عليه بردائه فعرف من جاء منهم بعد ذلك ولا يرد ان تظليل الغمام يغنى عن تظليل أبى بكر رضى الله عنه لان ذلك كان قبل البعثة ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم ولم ينقل أحد وقوع ذلك بعد البعثة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة وأسس صلى الله عليه وسلم بقباء المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نزلت فيه الآية وقيل انه مسجد المدينة وروى كل منهما فى أحاديث صحيحة وجمع بعضهم بأن كلا منهما يسمى المسجد

الذي أسس على التقوى وروى الطبراني عن الشموس بنت النعمان رضي الله عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وأسس مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى تتعبه فيأتي الرجل من أصحابه فيقول يارسول الله بأبي أنت وأمي اكفيك فيقول لا حتى أسسه وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتوني بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه أشار الى ترتيب الخلافة وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة وكان صلى الله عليه وسلم بعد تحوله الى المدينة يأتي مسجد قباء يوم السبت ماشيا تارة وراكبا أخرى فيصلي فيه وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ماهذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به فقالوا يارسول الله ماخرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط الا غسل فرجه أي بعد الاستنجاء بالاحجار وفي رواية نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال هو هذا زاد في رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء سار الناس معه مابين ماش وراكب ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج من قباء يارسول الله أخرجت ملالا لنا أو تريد دارا خيرا من دارنا قال اني أمرت بقرية تأكل القرى أي تغلبها وتقهرها والمراد أن أهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه وسلم ثم أدركته صلاة الجمعة في مسجد بني سالم بن عوف وهو المسجد الذي في بطن الوادي على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهي أول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخطب بها وهي أول خطبة خطبها في الاسلام ومن خطبه صلى الله عليه وسلم تلك فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة متوجها الى المدينة وهو مردف أبا بكر رضي الله عنه خلفه اكراما له والا فقد كانت له راحلة ولما ركب صلى الله عليه وسلم أرخى لناقته زمامها وهي تنظر يمينا وشمالا وكلما مر على دار من دور الانصار يدعونه المقام عندهم يقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مأمورة وفي ذلك حكمة بالغة هي أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يجد ذلك في صدر أحد منهم شيئا ولما مر على بني سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يارسول الله أقم عندنا في العز والثروة والمنعة وفي رواية انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة أي السلاح ونحن أصحاب الحلائف والدرك كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مأمورة وهو صلى الله عليه وسلم متبسم ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة أي محلتهم فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو وقالوا له بمثل ماتقدم فأجابهم بأنها مأمورة خلوا سبيلها حتى وردت دار بني ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة

فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فأجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار بنى النجار وهم اخواله صلى الله عليه وسلم أى اخوال جده عبد المطلب فسأله بنو عدى بن النجار بمثل ماتقدم وفى رواية انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن اخوالك هلم الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لاتجاوزنا الغيرنا يارسول الله ليس أحد من قومك أولى بك منا القرابتنا فأجابهم بمثل ماتقدم وبأنها مأمورة فانطلقت حتى بركت بمحل من محالهم وذلك فى محل المسجد أو محل بابه أو منبره عند دار بنى مالك ابن النجار وكان ذلك الموضع الذى بركت فيه مربدا لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو والمربد الموضع الذى يجفف فيه التمر وقيل كل شئ حبست فيه الابل أو الغنم ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى وهو من بنى مالك بن النجار ثم ثارت وبركت فى مبركها الاول عند المسجد قال الحافظ ابن حجر أشارت الى انه منزله حيلومتا وألقت جرانها بالارض يعنى باطن عنقها وارزمت يعنى صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله باذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم اخوال عبد المطلب جده عليه السلام فأكرمهم الله بنزوله صلى الله عليه وسلم عندهم وفى رواية انها استناخت به أولا فجاء ناس فقالوا المنزل يارسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها وقال رب انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات وأخذه الذى كان يأخذه عند الوحى وسرى عنه فقال هذا ان شاء الله يكون المنزل فأتاه أبو أيوب فقال ان منزلى أقرب المنازل فأذن لى أن أنقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة فى ظلاله فلما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله ثم جاء اسعد بن زرارة فأخذ ناقته صلى الله عليه وسلم فكانت عنده وقال أبو أيوب رضى الله عنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو وفى رواية لما نزل صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وكنت أنا وأم أيوب فى العلو فقلت يانبى الله بأبى أنت وأمى انى اكره واعظم ان اكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن ونكون فى السفل فقال ياأبا أيوب ان الارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت فكان النبى صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن فلما خلوت الى أم أيوب يعنى زوجته قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحى فبات تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب بحالة هنيئة بل بشر ليلة لتلك الفكرة وفى رواية ان أبا أيوب انتبه ليلا فقال نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحولوا وباتوا فى جانب زاد فى رواية فلقد انكسر لنا حب فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب لقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه فلما أصبحت قلت يارسول الله مابت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم ياأبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم السفل أرفق بنا قلت لايكون ذلك والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا زاد فى رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه صلى الله عليه وسلم حتى تحول الى العلو وأبو أيوب فى السفل قال أبو أيوب رضى الله عنه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوما بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا أو ثوما فرده ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فسألته فقال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجى فأما أنتم فكلوه فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد وهذا لاينافى أن الطعام كان يأتيه أيضا من غير أبى أيوب فقد ورد انه مامن ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون اليه الطعام وان جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن

زرارة يحملان اليه كل ليلة واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه عليه السلام فى بيوت أزواجه وان أول هدية دخلت عليه عليه السلام فى بيت أبى أيوب قصعة فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أرسلت بهذه القصعة اليك أمى فقال بارك الله فيك وفيها ودعا أصحابه وذكر ابن اسحاق أن هذا البيت الذى لابى أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الحميرى لما مر بالمدينة فى رجوعه من مكة ونزل فيها أربعمائة عالم روى ابن عساكر انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان فى مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى مقامهم فقالوا ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذى يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء دار للنبى صلى الله عليه وسلم وبناء أربعمائة دار لكل رجل دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه وكتب كتابا للنبى صلى الله عليه وسلم فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد انه * رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبى صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا فمن أدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان فى الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء قاله الزرقانى فى شرح المواهب فتداول الدار التى بناها تبع للنبى صلى الله عليه وسلم الملوك الى أن صارت لابى أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذى دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبى ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع الاول فبقى أبو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فانى لم أر فى وجهك أثر السحر وتوهم انه ساحر فقال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات قال ابن اسحاق وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء الاربعمائة وهم الاوس والخزرج فعلى هذا انما نزل صلى الله عليه وسلم فى منزل نفسه لا فى منزل غيره وعن أنس رضى الله عنه قال شهدت يوم دخول النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وخرجت جويريات من بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتحببننى قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم أن قلبى يحبكن وفى رواية وأنا والله أحبكن قال ذلك ثلاثا وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء فى رواية أن ناقته صلى الله عليه وسلم حين بركت فى دار بنى النجار أى محلتهم جاء رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر رضى الله عنه وكان من صالحى المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل فى دار بنى سلمة فلم تفعل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضى الله عنه وكان من بنى ساعدة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرجوا الى حمارى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخته سهل فقال أتذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لترد عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع

فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره أن يفك عنه سرجه وفي رواية قال له اجلس ألا ترضى ان سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم دارك في الدور الاربع التي سمى ومالم يسم أكثر مما سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث صلى الله عليه وسلم في دار ابي أيوب سبعة أشهر الى أن بنى المسجد وبعض مساكنه ولما تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحوّل المهاجرون فتنافس فيهم الانصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم وكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما بالحمى روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوّل أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأصابت الحمى أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فأذن لي فدخلت عليهم وهم في بيت واحد فقلت يا أبت كيف تجدني ويا بلال كيف تجدك وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا أخذته الحمى يقول اذا قيل له كيف تجدك

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت انا لله ان أبي يهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدري ما يقول أي لاني سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحرم وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

شامة وطفيل عينان بقرب مكة وقيل جبلان اه مؤلفه

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء قالت عائشة رضي الله عنها فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته وقلت يا رسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فاستجاب الله فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها حتى ان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة في ثمارها قال العلامة الزرقاني والظاهر أن الاجابة حصلت بالاوّل والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك في الكيل بحيث يكفي المد بها مالا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الى الجحفة والمراد الحمى الشديدة النقل والا فبقيه فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها الا حم ولا يمر بها طائر الا حم وسقط قال الزرقاني والذي نقل عنها سلطان الحمى وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة لما نقل شيئا واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فسكن حب المدينة في قلوب أصحابه حتى قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك فاستجاب الله دعاءه رضي الله عنه فرزقه الشهادة على يد أبي لؤلؤة المجوسي واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ودفن عند حبيبه صلى الله عليه وسلم قال السهيلي بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه وقد جاء في حديث أصيل الغفاري انه قدم من مكة فسألته عائشة رضي الله عنها كيف تركت

مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها واحجن ثمامها واغدق اذخرها وانشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر وكان صلى الله عليه وسلم قبل بناء المسجد يصلي حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم أي بستانكم أي اذكروا لي ثمنه لاشتريه منكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابي امامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان أبو أمامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربدا للتمر لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء وقيل في حجر أسعد بن زرارة وجمع بأنه كان في حجرهما وبعض منه كان حائطا أي بستانا فيه نخل وبعض منه كان خربا وبعض منه كان فيه قبور وبهذا جمع بين الاحاديث التي في بعضها أن موضع المسجد كان مربدا وفي بعضها أنه كان بستانا وفي بعضها كان مسجد الاسعد بن زرارة الى غير ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت وبالحرب فسويت بازالة ما كان فيها وبالنخل فقطعت وجعلت عمدا للمسجد ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل روى محمد بن الحسن المخزومي وغيره عن شهر بن حوشب لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني المسجد قال ابنوا الى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك فقيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان عصا موسى وقامته وقتئذ كانت سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع وروى البيهقي عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى جنب حجري ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبي بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ثم ليضع علي ففيه اشارة الى ترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم بل صرح به في رواية انه سئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء بعدي قال الامام أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي وأما ما اشتهر من أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف فمعناه انه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته وذلك لا ينافي وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافي قولنا لم ينص قوله الخلفاء بعدي لانه ليس نصا لجواز أن يراد الخلافة في العلم والارشاد وأيضا لما كان قوله ذلك متقدما على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا سالما من المعارضة ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الاشارة ثم قال للناس ضعوا أي الحجارة فوضعوا وعمل المسلمون في بناء مسجده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم معهم وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضي الله عنه ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عمار الا تحمل كما يحمل أصحابك قال اني أريد من الله الاجر فمسح صلى الله عليه وسلم التراب عن ظهره وقال له للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الطبراني في الكبير باسناد حسن عن أبي سنان الدولي الصحابي رضي الله عنه قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبة محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا شربة لبن والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل يعني لقوله صلى الله عليه وسلم وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل رضي الله عنه وكان ذلك بصفين مع علي رضي الله عنه ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث وأربع وتسعين سنة روى البخاري

في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في بناء مسجده ويقول وهو ينقل اللبن قول عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

الحمال بكسر الحاء بمعنى حمل اه مؤلفه

ويقول أيضا قول عبد الله بن رواحة اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

وأصل البيت لا هم الخ وقيل ان البيت المذكور لامرأة من الانصار وبعده

وعافهم من حر نار ساعره * فانها للكافر وكافره

والتمثل بشيء من الشعر ليس يمتنع عليه صلى الله عليه وسلم والممتنع انما هو انشاء الشعر لا انشاده ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يومارداءه وهو يعمل فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون ويقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا العمل المضلل * ويروى * لذاك منا العمل المضلل

وروى البيهقي عن الحسن لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه رجلا متنطعا أي متأنقا متنزها طريفا وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأنشد يقول

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعنا على عثمان رضي الله عنه فسمع قول علي عمار بن ياسر فجعل يرتجز به ولا يدري من يعني به فمر بعثمان بن مظعون فقال يا ابن سمية لاعرفن بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يا رسول الله مالي ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهي الشعر الذي في جهة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون على الخ استعطاف ومباسطة لنزول غضب النبي صلى الله عليه وسلم وجعل صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد وعن الحسن البصري رحمه الله قال كنت وأنا مراهق ادخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي وعن الواقدي قال كان لحارثة بن النعمان رضي الله عنه منازل قرب المسجد وحوله فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان رضي الله عنه وزينب أخرت عند زوجها أبي العاص بن الربيع حتى أسر ببدر فلما من عليه أرسلها الى المدينة وبعث أبو بكر رضي الله عنه عبد الله بن أريقط وكتب معه الى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبي بكر وعائشة وأسماء قالت عائشة رضي الله عنها فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه ومنهم عائشة رضي الله عنها قالت واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا في عيال أبي بكر ونزل آل النبي صلى الله عليه وسلم عندنا وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته فأدخل سودة أحد تلك البيوت وكان يقيم عندها ذكره الطبراني وأما عائشة رضي الله عنها فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والانصار قال السهيلي لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض

فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم اخوة وأنزل الله انما المؤمنون اخوة أي في التوادد وشمول الدعوة وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الانصار وكانت المواخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث وبذل الانصار رضي الله عنهم في ذلك جهدهم وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ودعا فيه يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وصالحهم على ترك الحرب والاذى أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وأن لا يعينوا عليه أحدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وكانت المواخاة بين المهاجرين والانصار في دار أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه زوج أم انس بن مالك رضي الله عنه فآخى صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وخارجة بن زيد رضي الله عنهما وكان صهرا لابي بكر لانه زوج ابنته لابي بكر رضي الله عنه وبين عمر وعتبان بن مالك رضي الله عنهما وبين بلال وابن رويم الخثعمي رضي الله عنهما وبين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن يا عبد الرحمن اني من أكثر الانصار مالا فأنا مقاسمك وعندي امرأتان فأنا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال بارك الله لك في أهلك ومالك ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دلوني على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالا رضي الله عنه وتوفي أسعد بن زرارة رضي الله عنه في السنة الاولى من الهجرة وحزن صلى الله عليه وسلم عليه حزنا شديدا وكان رضي الله عنه نقيبا لبني النجار فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم نقيبا بعده وقد قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم أخوالي وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكان من مفاخرهم كون النبي صلى الله عليه وسلم نقيبهم وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها على رأس تسعة أشهر من الهجرة في شوال ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة فاذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا وكان بلال ينادي الصلاة جامعة ثم تكلم الناس في شيء يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم نتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود وقال عمر رضي الله عنه تبعثون رجلا منكم ينادي بالصلاة وقال بعضهم نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري رضي الله عنه في منامه رجلا يحمل ناقوسا قال فقلت له يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك قلت بلى فاستقبل القبلة وقال الله أكبر الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال انها رؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فألق عليه فانه اندى منك صوتا قال فقمت مع بلال رضي الله عنه فجعلت القيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رآى بل روى انه رآه أربعة عشر رجلا وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فما كان الاعتماد الا على الوحي وكانت تلك المنامات سببا في ذلك

معاداة اليهود

(باب معاداة اليهود) وعند ظهور الاسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس احبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لما خص الله به العرب وأنزل الله فيهم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر الآيات فمن اعدائه الذين انتصبوا العداوة حيي وأبو ياسر وجدي بنو اخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق

ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وكان له سبع حوائط فأوصى بها للنبي صلى الله عليه وسلم وكان نسبهم له العداوة عند مشروعية الاذان والاعلان بالشهادة له صلى الله عليه وسلم وعن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها بنت حيي بن اخطب اليهودي قالت كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر وكانا من احبار اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاآ من العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت وفي رواية قالت ان عمي أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل فوالله لا ازال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر أطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك ثم وافق ياسر أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما ومن كان مثلهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ومن شدة عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان لبيد بن الاعصم اليهودي صنع سحرا للنبي صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة وهي ما يخرج من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودي كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال النبي صلى الله عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وجعل ذلك في بئر ذروان فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم ان يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالاكل والشرب والنكاح ومكث سنة وقيل ستة اشهر وقيل أربعين يوما ثم جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك السحر وبمكانه فأرسل صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ممسوخا فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم في نفسه بذلك خفة حتى قام كأنما انشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشرة آية كلما قرأ آية انحلت عقدة وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ثم انه صلى الله عليه وسلم احضر لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بأن الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله اشد وفي رواية اما أنا فقد عافاني الله وكرهت ان اثير على الناس شرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه أي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم فبعد ان ظهر الاسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل وبشر ابن البراء رضي الله عنهما يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل كفر وشرك وتخبرون انه مبعوث وتصفونه لنا فقال سلام بن مشكم وهو من عظماء يهود بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه ما هو والذي كان نذكره لكم فأنزل الله في ذلك ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وكان مالك بن الصلت من احبار اليهود وكان يبغض النبي صلى الله عليه وسلم و يلبس على اليهود وأخذ منهم كثيرا من المال فحضر يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من المال الذي تطعمك اليهود فغضب والتفت الى عمر

رضي الله عنه وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فكان هذا منه كفراً بنبينا صلى الله عليه وسلم وبموسى عليه السلام وبما أنزل عليه فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف ونزل الله وماقدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأنزل أيضاً فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويروى ان يهود المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهما كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب أسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدت انك باعثه في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفي لفظ اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينتصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجد نعته في التوراة يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوماً اللهم انا نسألك بحق النبي الذي وعدت ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان وممن كان من احبار اليهود حريصاً على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودي كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوماً على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أي قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذا فرده عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الاوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد اخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أي أتقتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله في شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وأنزل الله في الانصار يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وصار اليهود يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء تعنتاً وحسداً وبغياً ليلبسوا الحق بالباطل فمن جملة ما سألوه صلى الله عليه وسلم عنه الروح فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل أي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل على انه النبي الامي وأنتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم ما الروح وفي رواية اخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي فقالوا كذا نجد في كتابنا

التوراة وتقدم أن هذه الآية نزلت بمكة حين سأله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذي القرنين
والروح ولا مانع من تكرر نزولها حين سأله اليهود فلما سألوه سكت صلى الله عليه وسلم ينتظر هل يوحى
اليه اجابتهم بشئ غير ما أجاب به كفار قريش بمكة أو بالجواب الاول بعينه فأوحى الله اليه الآية بعينها
فقرأها عليهم فقالوا كذا نجد في كتابنا وجاء يهوديان مرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن
قول الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا تأكلوا الربا
ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم
وقالا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما أن تسلما قالا نخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود وهذا التفسير للتسع آيات
لا ينافي أن بعضهم فسرها بالمعجزات التي أعطيها موسى عليه السلام وهي التسع المفصلات التي هي
العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان تلك
آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى عليه
السلام ولا مانع من أن يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم وقيل في سبب
نزول قول الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
ان الدين عند الله الاسلام أن حبرين من أرض الشام لم يعلما ببعثته صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة
فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر الزمان فأخبرا بهجرة النبي صلى الله عليه
وسلم ووجوده في تلك المدينة فجاآ اليه فلما رأياه صلى الله عليه وسلم قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسألك
مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال اسألاني فقالا أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فأنزل الله
تعالى شهد الله الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا من اليهود
جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أخبرنا عن ربك من أي شئ خلق فغضب صلى الله عليه وسلم
حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له خفض عليك وأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الى آخر السورة أي
هو متوحد في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أي اقتضت ذاته وجوده
مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه وقيل ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين
فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا ألا يأكل الطعام فأنزل الله سورة الاخلاص ابطالا لالوهية
عيسى عليه السلام لان الصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وذكر السيوطي في الاتقان
أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة حين قالوا صف لنا ربك وجوابا لعبد
الله بن سلام حين قال انسب ربك يا محمد كما سيأتي في خبر اسلامه وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة فقد ينزل
الشئ مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من أعلم احبار اليهود عبد الله
ابن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد
الله وكان من ولد يوسف الصديق وقد أثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه
في أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبي أيوب والذي سمعه قوله صلى الله عليه وسلم
يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الارحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة
بسلام فعنه رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس بالجيم أي
اسرعوا فكنت ممن أتى اليه قال فلما رأيت وجهه عرفت انه وجه غير كذاب أي لان صورته صلى
الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول يا أيها

الناس أفشوا السلام الخ وعند ذلك قلت اشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتي فأسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب وقلت له لقد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فاخبأني يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا اني أسلمت فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وهم أعظم قوم عضهة أي كذبا وانهم ان يعلموا اني أسلمت قالوا في ماليس في وخذ عليهم ميثاقا اني ان اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق أسلموا قالوا مانعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفي رواية خيرنا وابن خيرنا قال أفرأيتم ان شهد اني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل علي أن تؤمنوا قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم اني رسول الله تجدوني عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بي ويتبعني من أدركني منكم قال ابن سلام بلى يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق زاد في رواية انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة جاءت الرواية بها والفصحى شرنا وابن شرنا قال ابن سلام هذا الذي كنت أخاف يارسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامي وأنزل الله تعالى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل الآية وقوله تعالى كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين الآية وقوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وغير ذلك من الآيات وفي الخصائص الكبرى للجلال السيوطي عن تاريخ الشام لابن عساكر أن ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل في كتاب الله يعني التوراة صفتي قال انسب ربك يا محمد فتوقف صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي الى آخر ما تقدم عن التوراة وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولكن قد يقال كيف قال فلما رأيت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب وكيف قال عرفت صفته واسمه وكيف أسلم ثانيا وأجيب بأنه فعل ذلك ثانيا بالمدينة اقامة للحجة على اليهود وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ابعث اليهم يعني اليهود واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فأدخله وخبأه وارسل اليهم فجاؤه فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فخرج وقال أشهد انه رسول الله فأبوا أن يصدقوه وقد أشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه وظلما * كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفئه الافواه وهو الذى به يستضاء
كيف يهدى الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدى الذى أخذته فى اعناقكم للنبى صلى الله عليه وسلم بأن تصدقوه وتتبعوه أوف بعهدكم أنجز لكم ماوعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى و بما جاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم وقد روى فى سبب اظهار اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه زيادة على ما تقدم انه رضى الله عنه قال جاء رجل فأخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا فى رأس نخلة أعمل فيها وعمتى من تحتى جالسة فلما سمعت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لى عمتى لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت على هذا فقلت لها اى عمتى فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن أخى أهو النبى الذى كانخبر أنه يبعث مع الساعة فقلت لها نعم قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته فقلت له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الانبى ما أول الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومابال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذاك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة لانه ينزل بالخسف والهلاك وقيل لانه يطلع النبى صلى الله عليه وسلم على سرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أما أول الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت أى وهى القطعة المعلقة بالكبد وهى فى الطعم فى غاية اللذة وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد اليها وقد سأل علماء اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فأجابهم عنها منها انهم سألوه مرة فقالوا اخبرنا عن علامة النبى فقال تنام عيناه ولا ينام قلبه وسألوه أى طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة قال أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أى حرمها ردعا لنفسه ومنعا لها من شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكر أن سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنحن أولى بابراهيم منك ومن غيرك فأنزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم بأن هذا انما حرمه يعقوب على نفسه وهو متأخر عن ابراهيم ونوح فكيف يكون محرما عليهما ومن ثم جاء قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أنى رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدنى فى التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم قال ذاك معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عقاب وانما معك نفر يسير قال والذى نفسى بيده لانا هو وانهم لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وسأله

اليهود أيضا عن الرعد والبرق فقال الرعد صوت ملك موكل بالسحاب والبرق سوط من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية أن اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت وقالوا مرة اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا الرجل همة الا في النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه أي لان شريفا في خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قالوا لهم ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه التغريب فاسألوه فسألوه صلى الله عليه وسلم فأجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك فقال الجمع من علمائهم أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فأنكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فاتلوها فأحضروا التوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا فيها آية الرجم وجاء في بعض الروايات أن احبار اليهود وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصلت اجتمعوا في بيت مدراسهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى رجل من اليهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذناه واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبي من أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة قالوا نفضحهما بالسواد بأن نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل ادبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف يطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم وفي رواية لما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا أبا القاسم ما ترى في رجل وامرأة زنيا بعد الاحصان فقال لهم ما تجدون في التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فأفتاهم بالرجم فأنكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الى أعلمكم فأخرجوا له عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان فقالوا يحمم اي يسود وجهه ويجتنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم وفي رواية لما سألهم أجابوه الا شابا منهم فانه سكت فألح عليه صلى الله عليه وسلم في النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف لا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعني التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا احكم بما في التوراة وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالرجم أبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لهم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الارض بما أنزل الله تعالى على موسى عليه

السلام فى التوراة ورضوابه حكافقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب وفى رواية قال فى جوابه للنبى صلى الله عليه وسلم نعم والذى ذكرتنى به لولا خشية أن تحرقنى التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو فى كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول انه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها و يجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت وعلى تسليم انها قضية واحدة لم تتكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبى صلى الله عليه وسلم فيها طالت وأيامها اتسعت فحصل بينه و بين علماء اليهود تلك المخاطبات فى مجالس متعددة فحصل فى كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر واختلفت العبارات فكل من حفظ شيئا رواه فبعضهم يرويه بلفظه و بعضهم بمعناه وجاء فى بعض الروايات أن ابن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من اعلام نبوته فأجابه عنها فلما تحققها قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبى الامى وهذا مما يدل على اسلامه ومشى عليه السهيلى وجماعة وقال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح والله أعلم ثم بعد تحقق الرجم فى التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة فشهدوا انهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب المسجد قال ابن عمر رضى الله عنهما فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور الآية ونزول ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وما معها من الآيات وفيها فأولئك هم الكافرون وأولئك هم الفاسقون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم فى الجاهلية فى غير بنى ادم كنت فى اليمن فى غنم لاهلى فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومى اليها بيده فذهبت القردة يمنة و يسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما ورجمتها معهم قال بعضهم لو صح هذا لكانوا من الجن اذ التكاليف فى الانس والجن دون غيرهما وقد ذكر غير واحد ان احبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة خوفا من انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيام الاحبار بالتوراة فخافوا ان تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا اموالكم على هؤلاء يعنى المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من العلم بصفة النبى صلى الله عليه وسلم التى يجدونها فى كتابهم فقد كان فى كتابهم انه صلى الله عليه وسلم اكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا ازرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج فى آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله الآية وكان اليهود اذا كلموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع و يضحكون فيما بينهم لان ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شئ كان أهل الكتاب يعظمون به انبياءهم فصار المسلمون يقولون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود ودوما وهم يضحكون فقال لهم يا اعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا

وقولوا انظرنا وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله عنهم يقولون له صلى الله عليه وسلم
اذا القى عليهم شيئا يا رسول الله راعنا أي أنظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية
تتسابّ بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم براعنا يعنون بذلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم يا أعداء الله
عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه بالسيف فقالوا له الستم تقولونها أنتم فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود
باطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي تحلف به ما نحن الا كهيئتهم
ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فأنزل الله تعالى
الم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء ان جماعة من احبار اليهود منهم ابن صوريا قبل ان يسلم على
ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن اسيد اجتمعوا وقالوا انبعث الى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاؤا اليه فقالوا
يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود واشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة
فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك وأنزل الله تعالى وان احكم بينهم بما أنزل الله
ولا تتبع اهواءهم الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رجل من اليهود من النجار وفي رواية
من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال اخزى الله الكاذب وفي رواية
احرق الله الكاذب فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت البيت واحترق
هو وأهله ولما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال حيي بن اخطب يستقرضنا
ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فأنزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
وقيل في سبب نزولها ان أبا بكر رضي الله عنه دخل بيت المدراس فقال لفنحاص بن عازوراء اتق الله
وأسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال يا أبا بكر ما لنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب
أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت
عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر رضي الله عنه ما كان منه فأنكر
قوله ذلك فنزل لقد سمع الله الآية وقيل في سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل
أبا بكر رضي الله عنه الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود بني قينقاع
بعد اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه يأمرهم في ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم سنمده وفي رواية قال
يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان حقا ما تقول
فان الله اذا الفقير ونحن اغنياء فضرب أبو بكر رضي الله عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت
أن أضربه بالسيف وما منعني أن أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب
قال لا تفتت على بشئ حتى ترجع الي فجاء فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى أبا بكر رضي الله
عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال
قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله تعالى قال فنحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية
تصديقا لابي بكر رضي الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن اغنياء
لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم
ثم يكافئ عليها فهو الغني الحميد وقد انضم الى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون على دين
آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا أنهم دخلوا في دين الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام

بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود في السر وفي الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون وقد ذكر بعضهم ان المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بن سويد بن الصامت وانه قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضي الله عنه من جلاس وكان عمير يتيما في حجره ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال لئن كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس الي واحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها أي امسكت عنها لهلكن على ديني ولأحداهما ايسر علي من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وماقلت ماقال فقال عمير بن سعد لقد قلت فتب الى الله ولولا ان ينزل القرآن فيجعلني معك ماقلته وجاء انه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف انه ماقال واستحلف الراوي عنه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين فنزل يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك ومنهم نبتل بن الحارث قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد أذن من حدثه بشئ صدقه فأنزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم الآية وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس معك رجل صفته كذا ينقل الحديث الذي تحدثه به كبده أغلظ من كبد الحمار وفي رواية ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبد الله بن أبي ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه لان الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز الذي يتوج به الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي وقد جاء في بعض الروايات في حكاية انتقاله صلى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة انه عرج على عبد الله بن أبي ابن سلول يريد النزول عنده تألفا له وكان عبد الله جالسا محتبيا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يريد النزول عنده قال اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يارسول الله لاتجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما ردنا بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به مارأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يارسول الله لو أتيت عبد الله بن أبي ابن سلول أي متألفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه ولزوال ماعنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد أذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما كذا في البخاري وفيه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على عبد الله بن أبي ابن سلول في جماعة فقال لقد أذانا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضي الله عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه برأسه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر أباك وكان عبد الله بن أبي جميل

الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية وعن الزهري قال أخبرني عروة عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف وأردف اسامة خلفه يعود سعد بن عبادة رضي الله عنه في بني الحارث من الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن أبي وجهه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبي أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال فلم يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعني عبد الله بن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يارسول الله اعف عنه وأصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما ردّ بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن أبي هذا رأس المنافقين وأبي أبوه وسلول أمه وقيل جدته لأبيه ومن نفاقه ما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت واذا لقوا الذين آمنوا الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه وقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه اتق الله ياعبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن أتقول لي هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم الى آخر الآيات التي في المنافقين كلها فيه وفي أصحابه وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه وأصحابه منها الاذل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وستأتي القصة ان شاء الله تعالى وبالجملة فقد لاقى صلى الله عليه وسلم من شدة الاذى الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيئا كثيرا ولكنه بالنسبة لاذى أهل مكة كالعدم فانه كان بالمدينة في غاية العزة والمنعة والقوة من أول يوم واذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال كما قال تعالى لن يضروكم الا أذى وكان جبريل يأتيه بغالب الاجوبة لاسئلتهم ومع ذلك صبر في أول قدومه على شيء يسير من أذى اليهود والمنافقين ثم لما قويت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها مكية كلها يأمره فيها هو ومن معه بالصبر على الاذى ثم أنجز الله له وعده عملا بقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا

مغازيه صلى الله عليه وسلم

(باب مغازيه صلى الله عليه وسلم) وأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال لاثنتي عشرة ليلة

خلت من شهر صفر فى السنة الثانية من الهجرة قال الزهرى أوّل آية نزلت فى الاذن بالقتال قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائى باسناد صحيح عن عائشة رضى الله عنها وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر رضى الله عنه أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما فهى أوّل آية نزلت فى القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم وقيل أوّل آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين الآية كان الصحابة رضى الله عنهم يأتون النبى صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأذن له بالقتال وحكمة تأخير الاذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والانصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا أن يسموا كل عسكر حضره النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه الى العدو سرية وبعثا وخرج بقولهم غالبا غير الغالب فانهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا أفواجا وجاؤا بعد الفتح من أقطار الارض طائعين وكان عدد مغازيه التى غزا فيها بنفسه تسعا وعشرين وهى غزوة ودان غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان وتسمى غزوة بدر الاولى غزوة بدر الكبرى غزوة بنى سليم غزوة بنى قينقاع غزوة السويق غزوة قرقرة الكدر غزوة غطفان وهى غزوة ذى أمر غزوة بحران بالحجاز غزوة احد غزوة حمراء الاسد غزوة بنى النضير غزوة ذات الرقاع وهى غزوة محارب وبنى ثعلبة غزوة بدر الاخيرة وهى غزوة بدر الموعد غزوة دومة الجندل غزوة بنى المصطلق ويقال لها المريسيع غزوة الخندق غزوة بنى قريظة غزوة بنى لحيان غزوة الحديبية غزوة ذى قرد بضمتين غزوة خيبر غزوة وادى القرى غزوة عمرة القضا غزوة فتح مكة غزوة حنين والطائف غزوة تبوك وأما سراياه التى بعث فيها أصحابه فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستأتى كلها مفصلة ان شاء الله تعالى قال العلامة الحلبى فى السيرة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولاصحابه لامر الله له بذلك أى بالانذار وبالصبر على الاذى والكف بقوله تعالى وأعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالنصر والفتح ولما كثرت أتباعه صلى الله عليه وسلم وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب أذن له فى القتال وقد ذكروا فى سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه فأنزل الله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية وكانت الصحابة رضى الله عنهم بمكة وبعد أن هاجروا قبل ان يؤذن لهم بالقتال فى غاية من الحذر لان

بحران بالحاء المهملة اهـ مؤلف

العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا للقتال لهم من كل جانب حتى انهم اعني المسلمين كانوا لا يبيتون الا في السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل فأنزل الله عليهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ثم أذن في القتال أى ابيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل لكن في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية ثم أمر به مطلقا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام القسم الاول محاربون وهم الكفار المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة والقسم الثاني أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بأن صالحهم على ان لا يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم من دخل في الاسلام تقية وهم المنافقون فانه أمران يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشرائع الاسلام وأول ما ابتدأ به صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش لاخذ ما فيها ليكون ذلك سببا لافتتاح القتال ولتقوى قلوب أصحابه على القتال شيئا فشيئا وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التى يغنمونها من تلك العير فيستعينوا بها فكان أول بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم ان بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان في رمضان وقيل في ربيع الاول في السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين فخرجوا يعترضون عير القريش جاءت من الشأم تريد مكة أى يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها وكان فيها أبو جهل لعنه الله في ثلثمائة راكب وقيل في ثلاثين ومائة فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان مصالحا للفريقين فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدى هذا انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر ولما قدم رهط مجدى هذا على النبي صلى الله عليه وسلم كساهم ومجدى لم يعلم له اسلام ولم يذكره أحد في الصحابة مع انه سعى في هذا الصلح المبارك وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أول التقاء وقع بينهم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معهم فلربما ان المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا الصلح ستر للحال وبقاء لشوكة أهل الاسلام فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدى انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر وانما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحدا من الانصار بل أبقاهم حتى غزا بهم بدرا وهو معهم لانهم شرطوا له ان يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الامر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل كان في هذه السرية جماعة من الانصار والله أعلم *(سرية عبيدة بن الحارث)* بن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر كما سيأتي ان شاء الله وكانت الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية اشهر من الهجرة في ستين رجلا وقيل في ثمانين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار يلقى أبا سفيان بن حرب وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وقيل مكرز بن حفص العامرى اختلف في صحبته وقيل عكرمة بن أبي جهل وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانوا في مائتى رجل فلما التقوا لم يقع بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رمى بسهم فكان أول سهم رمى به في الاسلام وقيل انه نثر كنانته وتقدم امام أصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة ثم انصرف القوم

بعث حمزة بن عبد المطلب

سرية عبيدة بن الحارث

عن القوم وللمسلمين قوة وشوكة وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة اشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية اشهر في شوّال وقيل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله أعلم ثم *(سرية سعد ابن أبي وقاص)* رضي الله عنه وكانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الاولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة اشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عيرا لقريش فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالامس فرجعوا ولم يلقوا كيدا * وأوّل مغازيه التي خرج فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة ودّان قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن وعن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها فأوّل غزوة خرج فيها صلى الله عليه وسلم غزوة ودّان بفتح الواو وتشديد الدال وهي قرية جامعة من اعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الابواء فمنهم من اضافها الى ودّان ومنهم من اضافها الى الابواء لانهما متقاربان في وادي الفرع خرج صلى الله عليه وسلم اليها في صفر لاثنتي عشرة مضت منه على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد عير القريش وبني ضمرة أي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم مريدا لهم بل مريدا للعير التي لقريش فقط فلما لقي بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار فلم يدرك العير التي أراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على انهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وان لهم النصر على من رامهم بسوء وانه اذا دعاهم لنصر أجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصر على من رامهم أي قصدهم بسوء بشرط ان لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه وانصرف الى المدينة راجعا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أوّل غزواته صلى الله عليه وسلم (غزوة بواط) بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو وآخره طاء جبل من جبال جهينة بقرب ينبع غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاوّل وقيل الآخر على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة في مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض عيرا لتجار قريش عدتها الفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فرجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا أي حربا وكان اللواء بيد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه (غزوة العشيرة) بضم العين المهملة مصغرا وبالشين أو بالسين آخره هاء بخلاف غزوة العسرة فهي غزوة تبوك وأما هذه فمنسوبة لموضع لبني مدلج بينبع خرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل في مائتي رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشأم بالتجارة وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير وكان قائد تلك العير أبو سفيان بن حرب ومعه

سرية سعد بن أبي وقاص

أوّل مغازيه عليه الصلاة والسلام

غزوة بواط

غزوة العشيرة

سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضي الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشأم فكان بسببها وقعة بدر وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه وصالح صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة بني مدلج بن كنانة وحلفاء بني ضمرة قال الواقدي ان هذه الغزوات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها ليتلقى تجار قريش حين يمرون الى الشأم ذهابا وايابا وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التي بعثها قبل بدر ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا (غزوة بدر الاولى) قال ابن اسحاق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي حتى اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة أي الابل والمواشي التي تسرح للمرعى بالغداة وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وأمر على سرية واستشهد في فتح مكة فخرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى فرجع ولم يلق كيدا وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه *(سرية أمير المؤمنين عبد الله ابن جحش رضي الله عنه)* الاسدي أحد السابقين الى الاسلام واستشهد بأحد رضي الله عنه روى أبو القاسم البغوي عن سعد بن أبي وقاص قال بعثنا صلى الله عليه وسلم في سرية قال لابعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضي الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى في الاسلام به ولا ينافيه القول بأن عمر رضي الله عنه أول من تسمى بأمير المؤمنين لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل اثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف وكان يعتقب كل اثنين منهم بعيرا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه انه نهاه ان يستكره احدا منهم ولم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان ببحران بفتح الباء وضمها اضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما بعيرهما الذي كانا يعتقبان عليه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشا فمرت بهم عيرهم تحمل زبيبا وأدما أي جلودا وتجارة من تجارات قريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قريبا منهم فهابوهم فأرشدهم عبد الله بن جحش الى مايزيل رعبهم فحلق بعض أصحابه رأسه وأشرف عليهم فلما رأوهم آمنوا وقالوا عمارا أي معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب أو في أول يوم من شعبان أي شكوا في اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتالهم أي قتل من قدروا عليه منهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه عبد الله بن واقد بسهم فقتله واستأسروا عثمان ابن عبد الله المخزومي والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت أول غنيمة في الاسلام وكان القتيل أول قتيل وقع نصرة للاسلام فقسمها عبد الله بن جحش رضي الله عنه بين أصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه وقيل قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فسقط في أيدي

غزوة بدر الاولى

سرية أمير المؤمنين ابن جحش

القوم وظنوا انهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا وتكلمت قريش فقالوا ان محمدا اسفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام وقالت اليهود تتفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم وبعثت قريش تعير النبى صلى الله عليه وسلم بفعل أصحاب السرية فأنزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصدّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة يعنى الكفر أكبر من القتل فكان فى ذلك تأييد لما صدر من تلك السرية وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش رضى الله عنه

تعدّون قتلا فى الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله * وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القيد عاقل

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومى والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفان فى طلب بعيرهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ومن يضلل الله فلا هادى له وفى شهر رجب هذا حوّلت القبلة الى الكعبة بعد ان كانوا يصلون الى بيت المقدس وفى شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر وأما زكاة المال فقيل فرضت فى هذا الشهر أيضا وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة والله أعلم (غزوة بدر الكبرى) ويقال العظمى ويوم وقعة بدر هو يوم الفرقان المذكور فى قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهو يوم البطشة الكبرى المذكور فى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فهو يوم أعز الله فيه الاسلام وقوى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدوّ عليه من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسوّمة والخيلاء الزائدة أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبى وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين فهو عند الله من الابرار فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وكان خروجهم يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا وخرجت معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة اهل بدر بين ثلثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها أى رجوعها من الشأم فعند قفولها ندب المسلمين أى دعاهم وقال هذه عير قريش

تحويل الاستقبال الى الكعبة

غزوة بدر الكبرى

فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس أي أجابوا وثقل آخرون لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حربا ولم يحتفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لم يهتم بها بل قال من كان ظهره أي ما يركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه وكان ابو سفيان لقي رجلا فأخبره انه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره في بدايته وانه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتجسس الاخبار ويبحث عنها ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع من بعض الركبان انه صلى الله عليه وسلم استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليأتي مكة وان يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه وكانت تلك العير فيها أموال قريش حتى قيل انه لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير الا حويطب بن عبد العزى ويقال ان في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم أن قائدها أبوسفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وكان جملة من معه سبعة وعشرين وقيل انهم تسعة وثلاثون رجلا فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي مختلف في اسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني أي اشتدت علي وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك وفي رواية قالت له لن أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها فانهم ان سمعوها تعني كفار قريش آذونا واسمعونا مالا نحب فعاهدها العباس ثم قال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيام وقوله يا آل غدر معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله قالت رأيت بعيره مثل به أي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت أي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا أي عظيمة وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا له فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لابيه فتحدث بها ففشا الحديث قال العباس فغدوت لا طوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبوجهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وماذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم وفي رواية ما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ثم قال أبوجهل وقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه كبير أمر الا اني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا وفي رواية أن العباس قال لابي جهل هل أنت منته يا مصفر استه أي يا مأبون أو يا جبان فان الكذب فيك وفي أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقا ثم ان العباس لقي من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني تقول لي أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء

وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت فقلت لهن وأيم الله لا تعرضن له وان عاد قاتلته فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى اني قد فاتني منه أمر أحب ان أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ماقال فأوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد أي يعدو فقلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا الفرق أي الخوف مني فاذا هو يسمع مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره أي قطع أنفه وأذنه وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أي ادركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها وفي لفظ ان أصابها محمد لن تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلني عنه وشغله عني ماجاء من الامر فتجهز الناس سراعا وفزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة ويروى انهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأعان قويهم ضعيفهم وقام اشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالي ومن أراد قوة فهذي قوتي ولم يتخلف من اشراف قريش الا أبو لهب خوفا من رؤيا عاتكة وكان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أي صادقة لا تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا فأفلس بها فقال له اخرج وديني لك وهشام هذا اقتل كافرا في هذه الغزوة قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأراد التخلف أمية بن خلف وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال له يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ماجئت به وكان عقبة سفيها وكان أبو جهل هو الذي سلط عقبة على ذلك وجاء أبو جهل أمية بن خلف فقال له يا أباصفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي وفي رواية من اشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوما أو يومين فتجهز أمية مع الناس وسبب ارادته التخلف أن سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على أمية لان أمية كان اذا قدم المدينة للذهاب الى الشأم في تجارته ينزل على سعد فقال سعد لامية انظر لي ساعة لعلي أطوف بالبيت فقال أمية لسعد اذا انتصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ فقال له أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد أويتم محمدا وأصحابه وفي لفظ آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا انك مع أبي صفوان مارجعت الى أهلك سالما فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي وجعله يسكت سعد افقال سعد لامية اليك عني فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قاتلك قال اياي قال نعم قال بمكة قال سعد لا أدري قال أمية والله ما كذب محمد فكاد يحدث أي يبول في ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال ماتعلمين ماقال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ قالت وماذاك قال زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلي قالت والله ما كذب محمد فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته أما علمت ماقال لك أخوك اليثربي قال فاني لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة أتاه عقبة بن أبي معيط بالمجمرة وقال له أبو جهل ماقال كما تقدم فخرج ناويا أن يرجع عنهم ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان صلى الله عليه وسلم سببا في قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخي أمية وهو أبي بن خلف في غزوة أحد كما سيأتي ان شاء الله تعالى ومن ثم جاء في رواية أن سعد بن معاذ قال لامية ان أصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونك واستقسم بالازلام

جماعة فخرج لهم ما يكرهون منهم امية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وزمعة بن الاسود وحكيم ابن حزام فلما خرج لهم القدح الناهي المكتوب عليه لا تفعل أجمعوا على المقام وعدم الخروج فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وحثهم على الخروج وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث يروى أن عداسا الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بالطائف وأسلم على يديه كما تقدم قال لسيده عتبة وشيبة ابني ربيعة بأبي وأمي أنتما والله ما تساقان الا لمصارعكما فأرادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك في ثلاثة أيام وقيل في يومين وأجمعوا السير أي عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضي الله عنه وهو الاب الخامس للامام الشافعي رضي الله عنه وخرجوا على الصعب والذلول لشدة اسراعهم ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم في غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم كما قال تعالى خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وكان المطعمون لهذا الجيش اثني عشر رجلا كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزر وفيهم أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وهؤلاء الاثنا عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعباس بن عبد المطلب وأبو البختري وزمعة بن الاسود وأبي بن خلف وأمية بن خلف والنضر بن الحارث ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وقيل الآية المذكورة نزلت في الذين انفقوا اموالهم لتجهيز الجيش الذي قاتلوا به النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وقيل في هؤلاء وهؤلاء ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم وبين كنانة دماء لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة فرشاب وضيء من قريش بكنانة فقتلوه ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفا من كنانة ان يكونوا طريقهم في المسير عليهم وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشئ يكرهونه فجاءهم ابليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني وكان من أشراف بني كنانة وقال لهم انا لكم جار من أن يأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه وخرج معهم ابليس ووعدهم أن بني كنانة قد أقبلوا لنصرهم وحسن لهم الامر وقربه لهم وهونه عليهم كما قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ثم بعد ان خرج ضمضم الى أهل مكة اشتد حذر أبي سفيان فأخذ طريق الساحل وجد في السير حتى فات المسلمين فلما أمن أرسل الى قريش يأمرهم بالرجوع وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثة أيام وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان بالمعازف أي بالملاهي وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا وهذا هو الرياء الذي أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ولما بلغ أبا سفيان كلام أبي جهل قال هذا بغي والبغي منقصة وشؤم لان القوم انما خرجوا لنجاة أموالهم وقد نجاها الله تعالى ولما قال أبو جهل ما قال رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة وقيل الثلثمائة فلذا قيل لم يقتل أحد منهم ببدر وقيل قتل منهم رجلان وكان قائد بني زهرة الاخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لهم فقال لهم يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة ابن نوفل فانه كان في العير وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة دعوا ما يقول هذا يعني أبا جهل ثم خلا بأبي جهل وقال له أترى محمدا يكذب أصدقني ليس بيني وبينك أحد فقال له أبو جهل ما كذب محمد قط كان نسميه الامين لكن اذا كانت في بني عبد المطلب السقاية

والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم السوة فأى شئ يكون لنا ونحن معهم كفرسى رهان فرجع الاخنس بنى زهرة والاخنس هذا اختلف فى اسلامه والاكثرون على انه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه قيل ان الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأظهر الاسلام وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله ولبئس المهاد قال الحلبى نقلا عن الاصابة ولا مانع من انه أسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بنى هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لقريش لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء وسيأتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بعيدا عن الماء أولا ثم انتقل وقرب منه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة استعمل عليها وليا أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسى رضى الله عنه واستعمل ابن أم مكتوم رضى الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدى رضى الله عنه على قباء وأهل العالية لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضى الله عنه وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سودا وان احداهما مع على بن أبى طالب والاخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب بن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر أبى عنبة على ميل من المدينة فعرض اصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة اصحابه البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوى وفرس للمقداد وقيل للزبير وقال بعضهم كان معهم خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد وتقدم أن قريشا عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ولما عد صلى الله عليه وسلم أصحابه فوجدهم ثلثمائة وثلاثة عشر فرح وقال عدة أصحاب طالوت الذين جاز وامعه النهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد سيفه العضب ولما نظر الى أصحابه قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك فارجع منهم أحد الاوله البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا وأصابوا طعاما من أزواد قريش وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلا من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم رجلين يتجسسان أخبار عير أبى سفيان فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها ان أتانى العير غدا أو بعد غد أعمل لهم أى أخدمهم ثم أقضيك الذى لك فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير أى القوم النافرين للحرب يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم خير أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الاموال على شراء الخيل والسلاح قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وفى رواية استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول أى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير قالوا نعم أى قالت طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أيوب وفى ذلك أنزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق

وان فريقا من المؤمنين لكارهون الآية وروى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبلت عير لاهل مكة من الشام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأخصر مغنما من أن يلقوا النفير وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الناس فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر فقال فأحسن أي جاء بكلام حسن ثم قام عمر فقال فأحسن روى ابن عقبة انه قال يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا أسلمت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون وفي رواية ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا أي ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعاله بخير قال ابن مسعود رضي الله عنه في آخر قصة المقداد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسره يعني قوله وروى ابن أبي حاتم عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة اني أخبرت عن عير أبي سفيان فهل لكم أن تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله مالنا طاقة بقتال القوم فأعاد فقال المقداد لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى انا ههنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا كما قال المقداد وأنزل الله في ذلك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ثم قال عليه الصلاة والسلام ثالث مرة أيها الناس أشيروا علي وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك أي من ضمان مناصرتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن تكون الانصار لا ترى وجوب نصرته عليها الا ممن دهمه أي جاءه فجأة من العدو بالمدينة فقط وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدو فلما قال ذلك أي كرر قوله أشيروا علي قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الاوس بل هو سيد الانصار قال الزرقاني كان فيهم كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين قال والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل أي نعم قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أمرت وفي رواية ولعلك تخشى أن تكون الانصار ترى أن لا ينصروك الا في ديارهم واني أقول عن الانصار وأجيب عنهم ولعلك يارسول الله خرجت لامر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ماشئت واعطنا ماشئت وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع أمرك ولئن سرت بنا حتى تأتي برك الغماد لنسيرن معك وفي رواية فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله زاد في رواية ابن مردويه فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا نكونن كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما متبعون قال الحافظ ابن حجر ان المحفوظ أن هذا الكلام للمقداد وان سعدا انما قال ماذكر عنه أولا وروى مسلم أن سعد بن عبادة

قوله وعزها بالنصب مفعول معه اهـ مؤلفه

سيد الخزرج رضي الله عنه قال مثل ما قال سعد بن معاذ ولفظه عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس حين بلغه اقبال أبي سفيان فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لاخضناها ولو أمرتنا أن نضرب اكبادنا الى برك الغماد لفعلنا قال في المواهب وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ قال الحافظ ابن حجر ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير فتكلم سعد بن عبادة بما ذكر والثانية كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ وقال الطبراني ان سعد بن عبادة انما قال ذلك يوم الحديبية واختلف في شهوده بدرا والله أعلم قال الزرقاني ان سعد بن عبادة كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتي دور الانصار ويحضهم على الخروج فنهش أي لدغته حية قبل أن يخرج فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا ثم ضرب له بسهمه وأجره كما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لتمريض زوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فانها كانت مريضة وجعل النبي له أجر رجل وسهمه فهما معدودان من البدريين وان لم يحضرا ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين اما العير واما النفير أي وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد الله لا يتخلف وبشر الى هذا قوله والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم أي الذين يقتلون ببدر ولما وصلوا الى بدر أراهم صلى الله عليه وسلم مواضع مصارعهم روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر ويقول ان هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى ويضع يده على الارض ههنا وههنا فما ماط أحدهم أي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام فهو معجزة ظاهرة ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم من المكان الذي كان فيه وسار حتى نزل قريبا من بدر وبعث عليا والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يتحسسون الاخبار فأصابوا راوية لقريش معها غلام لنبيه ومنبه ابني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقالوا لمن أنتما وظنوهما لابي سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضربا قالا نحن لابي سفيان فتركوهما فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب أي التل من الرمل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير وفي لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم تنحرون أي من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث وسهيل بن عمرو فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها أي قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى والعدوة جانب الوادي وحافته والمكان المرتفع والقصوى البعدى من المدينة أي التي هي أبعد من الاخرى عن المدينة ونزل المسلمون على كثيب اعفر قيل المراد أحمر أو أبيض ليس بالشديد تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لانفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم ومع ذلك ألقى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم اذا صهلت من شدة الخوف وألقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه

وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لانهم لما ناموا احتلم اكثرهم وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليه ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فأرسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضأوا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية واطفأ المطر الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر وزالت عنهم وسوسة الشيطان ورد الله كيده في نحره وطابت أنفسهم وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم مالم يقدروا معه على الارتحال وقد اشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم أي بالصبر على مجالدة العدوّ وبالوثوق على لطف الله ويثبت به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل وعن علي رضي الله عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وفي رواية يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده ياحي ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح قال قتادة كان النعاس يوم بدر ويوم أحد وكان كله أمنة لكنه في بدر كان ليلا قبل القتال وفي أحد كان وقت القتال قال ابن مسعود النعاس في مصاف القتال من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق لانه في الاوّل يدل على ثبات الجنان وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بالصلاة قال علي رضي الله عنه فلما ان طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خطب وحض على القتال في خطبته فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه امابعد فاني احثكم على ماحثكم الله عليه الى ان قال وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم الحديث وقال ابن اسحاق في حكاية وقعة بدر فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى جاء ادنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه يارسول الله هذا منزل انزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فأني أعرف غزارة مائه فننزل به ثم نغوّر ما وراءه من القلب أي ندفنها ونفسدها عليهم ثم نبني عليه أي على ذلك الماء الذي ننزل عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم اشرت بالرأي وفي رواية فنزل جبريل فقال الرأي ما اشار به الحباب فنهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغوّرت وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية وفي رواية ثم نهض المسلمون الى اعدائهم فغلبوهم على الماء واغاروا القلب التي كانت تلي العدوّ فعطش الكفار وجاء النصر وهذا كله انما حصل بعد اشارة الحباب رضي الله عنه وكان مع قريش رجل من بني المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت أسلم عام خيبر رضي الله عنه وضع رأسه بعد ان نزل القوم ببدر فأغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذي وقف علي فقالوا لا قال وقف علي فارس وقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البختري وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالا من اشراف قريش ممن قتل يوم بدر وقال اسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن اسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره أي نحره ثم أرسله في العسكر فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر وبلغت أبا جهل قال جئتم بكذب بني المطلب مع كذب

بنى هاشم سيعرون غدا من يقتل وفى لفظ آخر قال أبو جهل هذا نبي آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أم محمد وأصحابه ولما خرجوا من مكة كان أول من نحر لهم أبو جهل نحر لهم بمر الظهران عشر جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت فى العسكر فما بقى خباء من اخبية العرب الا أصابه من دمها ومن ذلك المحل رجع بنو عدى تفاؤلا بذلك وبعد ان استقر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بالموضع الذى اشار به الحباب قال سعد بن معاذ رضى الله عنه يا رسول الله الا نبنى لك عريشا تكون فيه وندع عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان اعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك اقوام يا نبى الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير وقال يقضى الله خيرا من ذلك يا سعد أى وهو نصرهم وظهورهم ثم بنى له ذلك العريش فوق تل مشرف على المعركة وكان صلى الله عليه وسلم فيه وأبو بكر رضى الله عنه وعن على رضى الله عنه انه قال أخبرونى من أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس أبو بكر رضى الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فكان أبو بكر رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله مادنا منا أحد الا وأبو بكر رضى الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى أحد اليه الا اهوى اليه أبو بكر رضى الله عنه وجاء انه لما التحم القتال وقف أيضا على باب العريش سعد بن معاذ رضى الله عنه وجماعة من الانصار ومما يستدل به على شجاعة الصديق رضى الله عنه أيضا ثبوته يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقتاله أهل الردة وغير ذلك والعريش شئ يشبه الخيمة يستظل به فبنى له صلى الله عليه وسلم قال السيد السمهودى ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه ثم لما أصبحوا عدل النبى صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها صلى الله عليه وسلم وقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحى وكان كافرا ثم أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وقالوا احزر لنا أصحاب محمد أى انظر عدتهم فجال بفرسه حول عسكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلا ولكن أمهلونى حتى انظر أللقوم كمين أو مدد فذهب فى الوادى حتى أبعد ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيئا ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع الا تروهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعى لا يريدون ان يقبلوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم والله ما نرى ان نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة ابن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر فقال وماذاك يا حكيم قال ترجع بالناس وفى رواية قال له حكيم تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى أى الذى قتله واقد بن عبد الله فى سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت هو حليفى فعلى عقله أى ديته وعلى ما أصيب من المال ونعم ما قلت يا حكيم ونعم ما دعوت اليه فركب عتبة جملا له أحمر وصار يجيله فى صفوف قريش يقول يا قوم اطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمى وما أخذ فى العير وقد تحملت ذلك ثم قال أنشدكم الله فى الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح يعنى قريشا ان تجعلوها اندادا لهذه

الوجوه التي كأنها عيون الحيات يعني الانصار وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في القوم وهو على جمله فقال ان يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وذكر ابن اسحاق ان عتبة قام خطيبا فقال يامعشر قريش والله ماتصنعون شيئا ان تلقوا محمدا وأصحابه والله لئن أصبتموه لايزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذي اردتم وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعدموا منه ماتريدون ياقوم اعصبوها اليوم برأسي أي اجعلوا عارها متعلقا بي وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أني لست بأجبنكم ثم قال عتبة لحكيم انطلق لابن الحنظلية وأخبره يعني أبا جهل قال حكيم فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعا له من جرابها أي أخرجها فقلت ياأبا الحكم ان عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا فقال انتفخ سحره وهي كلمة تقال للجبان ثم جاء أبو جهل لعتبة وقال له لو غيرك يقول هذا الاعضضته بظر أمه والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وفي رواية وأرسل بذلك حكيم بن حزام الى أبي جهل فأخبره فقال والله مابعتبة ماقال ولكنه رأى ان محمدا وأصحابه اكلة جزور وفيهم ابنه يعني أبا حذيفة بن عتبة رضي الله عنه فانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن السابقين في الاسلام فيخوفكم عليه ثم أفسد أبو جهل على الناس رأي عتبة وبعث الى عامر بن الحضرمي وقال له هذا حليفك يريد الرجوع بالناس وقد رأيت ثارك بعينك فقم فانشد مقتل أخيك فقام عامر وكشف استه وحثى التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وتهيأوا للقتال والشيطان معهم لايفارقهم في صورة سراقة يقول لهم لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فخرج الاسود المخزومي وكان شرسا سيئ الخلق فقال اعاهد الله لاشربن من حوضهم أولاهدمنه أولاموتن دونه فلما أقبل قصده حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما ان تبر يمينه فقتله حمزة في الحوض والاسود هذا هو الاسود بن عبد الاسد المخزومي أخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه زوج أم سلمة رضي الله عنها والاسود أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين وهو أول من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله بن عبد الاسد فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك في أحاديث متعددة ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة أي خوذة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر ببرد له أي تعمم به ثم خرج بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث الانصاريان النجاريان وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الانصارية وعبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنهم فقال عتبة ومن معه لهم من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا مالنا بكم من حاجة اكفاء كرام انما نريد قومنا ثم نادى مناديهم يامحمد أخرج الينا اكفاءنا من قومنا فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم ثم قال صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحارث قم ياحمزة قم ياعلي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم لانهم كانوا متلثمين لما خرجوا فتسموا لهم قال ابن اسحاق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم المسلمين عتبة وكان اسن الثلاثة وبارز حمزة شيبة هذه رواية ابن اسحاق وأما رواية موسى بن عقبة فقال فبارز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة ورجحها بعضهم واتفقوا على أن عليا بارز الوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما اثخن صاحبه فكر حمزة وعلي باسيافهما على شيبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه وكانت الضربة التي أصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء

وقبره معروف بين الصفراء والحمراء ولما احتملوا عبيدة جاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا وفي رواية أنه قال أشهيد أنا يارسول الله قال نعم قال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم انا أحق منه بقوله ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول

فان يقطعوا رجلي فاني مسلم * أرجي به عيشا من الله عاليا

وألبسني الرحمن من فضل منه * لباسا من الاسلام غطى المساويا

وفي هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدة وعلي رضي الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف قال أبوذر رضي الله عنه ان قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة وعن علي رضي الله عنه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم وكان من حكمة الله تعالى ان جعل المسلمين قبل أن يلتحم القتال في أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ومن ثم قال تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين أي يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأي العين وقد ذكروا أن قباث بن أشيم كان مع المشركين ثم أسلم رضي الله عنه قال في نفسه يوم بدر لو خرجت نساء مكة بأكمتها ردت محمدا وأصحابه وعنه رضي الله عنه قال لما أسلمت بعد الخندق فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك في المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال ياقباث أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه قال قباث والذي بعثك بالحق ما تحدثت به لساني ولا ترفرفت به شفتاي ولا سمعه مني أحد وما هو الا شيء هجس في قلبي أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن ما جئت به هو الحق وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم أنت القائل أي في نفسك فيكون اطلاعه على ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لما قتل المبارزون خرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح في يده أي سهم لا نصل فيه ولا ريش فمر صلى الله عليه وسلم بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استو ياسواد فقال يارسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني أي مكني من القود أي القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أي خذ القود فاعتنق سواد النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه فقال ما حملك على هذا ياسواد فقال يارسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم لما عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم أي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم أي لا ترموها على بعد فان الرمي مع البعد يخطئ غالبا ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة مثل التي قبل مجيئهم الى محل القتال ثم عاد الى العريش وتزاحف الناس أي مشى كل فريق جهة الآخر ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش

حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ ألا قتل الا حكيم بن حزام فانه أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم بدر وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله اياهم فى منامه قليلا فأخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وكان سعد بن معاذ رضى الله عنه متوشحا سيفه فى نفر من الانصار على باب العريش يحرسونه صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش هو وأبو بكر رضى الله عنه ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه انجاز ما وعده من النصر قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر بحجر ابين الصفين وقال لا أفر الا ان فرّ هذا الحجر وكان أوّل من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقتله عامر بن الحضرمى بسهم أرسله اليه فكان مهجع أوّل قتيل من المسلمين وجاء عنه صلى الله عليه وسلم ان مهجعا سيد الشهداء أى من أهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام وهو أوّل قتيل من الانصار ثم حارثة بن سراقة وقد جاءت أمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم من بدر وهى عمة أنس بن مالك رضى الله عنه فقالت يا رسول الله حدثنى عن حارثة فان يكن فى الجنة لم أبك عليه ولكن احزن وان يكن فى النار بكيت ما عشت فى الدنيا فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان وحارثة فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وفى رواية قال لها ويحك أو هبلت أهى جنة واحدة انها جنان كثيرة والذى نفسى بيده انه لفى الفردوس الاعلى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان فى جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بالشهادة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان فى قلبك أى أنت عبد الخ فقال ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو جهل لعنه الله وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار وسيأتى وقوع مثل ما قال ابو جهل واصحابه من ابى سفيان فى يوم احد وانه أجيب بمثل هذا الجواب وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر * عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة يعنى العريش يوم بدر اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد وفى رواية ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم فلا تعبد فى الارض وفى رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أى لانه صلى الله عليه وسلم علم انه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفى لفظ اللهم لا تودع منى ولا تخذلنى أنشدك ما وعدتنى وما زال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضى الله عنه رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك تناشد ربك فسينجز لك ما وعدك وفى رواية لينصرنك الله وليبيضن وجهك وفى رواية ألححت على ربك وانما

قال أبو بكر رضي الله عنه ذلك لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في الحاحه بالدعاء لانه رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لان الصدّيق رضي الله عنه كان في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف لان الله يفعل ما يشاء وكلا المقامين في الفضل سواء ذكره السهيلي قال بعضهم ان مقام الخوف يقتضي أن يجوز فيه أن لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا في تلك الوقعة وانما كان مجملا فبفرض تأخره لا ينافي انه أعطاه ما وعده به والجواب الاوّل أولى أعني كونه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما سمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم أنشدك ما وعدتني وروى النسائي والحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك فعل ذلك أربع مرّات وقال في الرابعة ففتح عليه وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه يحرسه وفي رواية عن علي رضي الله عنه قام أبو بكر شاهرا السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فقال عليه الصلاة والسلام وهو في سجوده اللهم لا تودع مني اللهم لا تخذلني اللهم اني أنشدك ما وعدتني وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصدّيق رضي الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل على ثناياه النقع أي الغبار أي اشارة الى مناصرته صلى الله عليه وسلم ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور وذلك انه لما التحم القتال وعج النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالدعاء انزل الله الملائكة كما قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدّكم بألف من الملائكة مردفين أي متتابعين وقيل ردفا لكم وقيل وراء كل ملك ملك آخر ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أمدّ الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة وجاء أيضا أن الله أمدّه بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل وقيل وعدهم الله ان يمدّهم بألف ثم زيدوا في الوعد بألفين وقيل امدّهم الله بثلاثة آلاف ثم أكملهم خمسة آلاف قال تعالى اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أي ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين وقيل ان المدد يوم بدر كان بألف ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد بأكمالهم خمسة آلاف لو صبروا وجاء ان الملائكة كانوا على صور الرجال فكان الملك يمشي امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ويظن المسلمون أنه منهم وجاء أنهم يقولون للمسلمين اثبتوا فان عدوّكم قليل أي قليل في نظركم وان كثر واعدا قال تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن كان بجنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة وروى البيهقي عن حكيم بن حزام أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا أي نازلا من السماء فوقع في نفسي ان هذا شئ أيد به صلى الله عليه وسلم وهو الملائكة وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الاسود مبثوثا حتى امتلأ الوادي فلم أشك انها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم وانما نزلت الملائكة تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته والا فلك واحد كجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه

كما فعل فى مدائن قوم لوط وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة وقد قال تعالى فى اهلاك أهل القرية الذين كذبوا رسل عيسى عليه السلام وما أنزلنا على قومه من جند من السماء وما كنا منزلين من بعده ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون فأفاد سبحانه وتعالى بمفهوم الآية ان انزال الجند من خواصه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولم يقع ذلك لغيره وكانت الملائكة يوم بدر شركاء للمؤمنين فى بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه ولهابهم العدو حيث يعلم ان الملائكة تقاتل معهم وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التى نزلت يوم بدر لمات أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء فى حديث مرسل ما رؤى الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا ما رؤى يوم بدر وجاء أن ابليس جاء فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى فى جند من الشياطين أى مشركى الجن فى صورة رجال من بنى مدلج من بنى كنانة معه راية وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتقدم انه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بنى كنانة وكان وحده ويجوز أن يكون جنده لحقوا به فلا منافاة فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده فى يد الحارث بن هشام المخزومى أخى أبى جهل انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحارث يا سراقة أتزعم انك جار لنا فقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب فتشبث به الحارث وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضرب به ابليس فى صدره فسقط وفر من بين يديه قال الحارث ما علمت انه الشيطان الا بعد ان أسلمت وذكر السهيلى أن من بقى من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف واوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشئ من أمركم وما شهدت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا انه ابليس يروى انه لما ضرب الحارث فى صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط فى البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذى وعدتنى اللهم انى أسألك نظرتك اياى يعنى قوله تعالى انك من المنظرين وخاف أن يخلص اليه القتل وفى قصة مجئ الشيطان وفراره ونكصه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال أبو جهل لعنه الله يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وجاء انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمنى الجن سبعون لكن لم يثبت انهم قاتلوا بل كانوا مددا فقط وجاء أن جبريل عليه السلام جاء للنبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد ان الله بعثنى اليك وأمرنى أن لا أفارقك حتى ترضى ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلنهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء وتخفيف الميم وفى يده تمرات يأكلهن بخ بخ وهى كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه أما بينى وبين ان أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضى الله عنه وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فقام عمير بن الحمام وقال بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له لم تبجبج أى لم تتعجب فقال رجاء ان أكون من أهلها وفى رواية ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء ان أكون من أهلها فأخذ تمرات

فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى آكل تمراتي هذه انها الحياة طويلة فنبذهن وقاتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد * والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد * غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى وفي رواية قبضة من تراب وفي رواية قال لعلي رضي الله عنه ناولني فاستقبل قريشا ثم قال شاهت أي قبحت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفحهم أي رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه وفي رواية وانفه وفمه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ووقع مثل ذلك في غزوة أحد وغزوة حنين وبهذا يجمع بين الروايات وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم بدر قتالا شديدا وكذا أبو بكر رضي الله عنه فكما كانا في العريش مجتهدين في الدعاء قاتلا بأبدانهما جمعا بين المقامين ولما خرج صلى الله عليه وسلم من العريش قال سيهزم الجمع ويولون الدبر وروى ابن سعد انه لما انهزم المشركون دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية نزلت بمكة وكانت هزيمة الجند يوم بدر وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم بالسيف مصلتا يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الاوسط والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له ولما وضع القوم ايديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال اجل والله يا رسول الله كانت اول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل اي الاكثار منه والمبالغة فيه احب الي من استبقاء الرجال وذكر بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اني قد عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله اي بل يأسره وقال من لقي ابا البختري بن هشام فلا يقتله اي لانه ممن قام في نقض الصحيفة ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فقال ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس لئن لقيته يعني العباس لالجمنه السيف وقال ذلك لان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة فبلغت تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله لانه أول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص ثم قال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنقه يعني أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو حذيفة رضي الله عنه يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا ان تكفرها عني الشهادة فقتل شهيدا يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب وأهل الردة في جملة من قتل فيها من الصحابة وهم اربعمائة وخمسون وقيل سبعمائة رضي الله عنهم أجمعين ولقي المجذر أبا البختري فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلي أي رفيقي وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة

ابن مليحة فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله لاموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عنا نساء مكة أني تركت زميلي يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر بعد أن قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به فأبى الا أن يقاتلني فقاتلني فقتلته وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن أولاد أبي بكر رضي الله عنه وكان فيه دعابة فلما أسلم قال لابيه أبي بكر رضي الله عنه لقد أهدفت لي أي ارتفعت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك أي أعرضت فقال له أبو بكر رضي الله عنه لو هدفت لي لم أعرض عنك والمراد من كونه أهدف له أي ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه أبو بكر رضي الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما علمت أنك عندي بمنزلة سمعي و بصري وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم أين مالي يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري نقاتل عليها شيوخ الضلال و روى ابن مسعود رضي الله عنه ان الصديق رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم أحد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك أما علمت انك مني بمنزلة سمعي و بصري فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى في نزول الآية واستبعد بعضهم كون أبي بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا في بدر فلعل ذكر أحد من الاشتباه على بعض الرواة وبه يرد ما ذكر ان سببها ان أبا بكر رضي الله عنه سمع والده أبا قحافة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فأخبر أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرني السيف لقتلته وفي كلام الزمخشري أن عبد الرحمن أسلم رضي الله عنه في هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بجبل بينه و بين مكة ستة أميال فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن بها وقدمت أخته عائشة رضي الله عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه وأسلم أبو قحافة والد أبي بكر رضي الله عنه فأسلم عام الفتح رضي الله عنه وعاش الى أول خلافة الصديق رضي الله عنه ثم توفي بالمدينة ولم يعرف خليفة ولي الخلافة في حياة أبيه غير أبي بكر رضي الله عنه * وفي هذا اليوم أعني يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا وكان أبوه قد قصده ليقتله فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه و يرجع فلم ينكف فرجع اليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية * وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لي في الجاهلية ومعه ابنه علي آخذا بيده وكان معي أدراع استلبتها من القوم فأنا أحملها فلما رآني أمية ناداني باسمي الاول يا عبد عمرو فلم أجبه فناداني يا عبد الاله فأجبته وذلك انه كان قال لي لما سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم فقال الرحمن لا أعرفه ولكني اسميك بعبد الاله فلما ناداني بعبد الاله قلت نعم ثم قال هل لك في فأنا خير لك من هذه الادراع التي معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدي وأخذت بيده و بيد ابنه علي وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لي يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بحيال صدره قلت ذلك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل قال عبد

الرحمن ثم خرجت أمشي بهما فوالله انى لاقودهما اذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على أن يترك الاسلام كما تقدم فقال بلال يا أنصار رسول الله هذا أمية بن خلف رأس الكفر لانجوت ان نجا فقلت يا بلال أبأسيرى تفعل ذلك قال لانجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا فأحاطوا بنا فأصلت بلال السيف أى سله من غمده وضرب رجل على بن أمية فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط وفى رواية البخارى عن عبد الرحمن ابن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت أن يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى لحقونا وكان أمية رجلا ثقيلا فقلت ابرك فبرك فألقيت عليه نفسى لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه فأصاب أحدهم رجلى بسيفه أى ظهر قدمه والذى باشر قتله مع بلال معاذ بن عفرا وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف فهم اشتركوا فى قتله قال ابن اسحاق وأما ابنه على فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يقول رحم الله بلالا ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى وفى رواية فلا أدراعى ولا أسيرى وهنى ابو بكر رضى الله عنه بلالا حين قتل أمية بأبيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا * فقد أدركت ثارك يا بلال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على رضى الله عنه أنا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد (وفى صحيح مسلم) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وعن شمالى واذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة أسنانهما فغمزنى أحدهما سرا من صاحبه فقال يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام فقلت نعم وما حاجتك به قال بلغنى أنه كان يسب النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا أى الاقرب أجلا فغمزنى الآخر فقال مثلها سرا من صاحبه فعجبت لذلك أى لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب أى ألبث أن نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس أى يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما ألا تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه أى أشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح وسيأتى ان ابن مسعود رضى الله عنه هو الذى تمم قتله ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال كلاهما قتله وقضى بسلبه لهما الا السيف فسيأتى أنه قضى به لابن مسعود قال ابن اسحاق ان أبا جهل لما نزل القتال أقبل يرتجز ويقول

ما تنقم الحرب العوان منى * بازل عامين حديث سنى * لمثل هذا ولدتنى أمى

فأذاقه الله الهوان وقتله شر قتلة وجهل ذلك حمزة عليه وجاء ان الملائكة شاركت قاتليه فى قتله وجاء فى الحديث ان الله قتل أبا جهل فالحمد لله الذى صدق وعده ولما انقضى القتال وانهزم المشركون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى جهل أن يلتمس فى القتلى وقال ان خفى عليكم أى بأن قطع رأسه وأزيل عن جثته فانظروا الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه أى أكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أى خدش على احداهما جحشا لم يزل أثره به وهذا هو مراد بعضهم بقوله ان النبى صلى الله عليه وسلم صارع أبا جهل

فصرعه فخرج الناس يلتمسونه في القتلى وفيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال عبد الله فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له قد أخزاك الله يا عدو الله قال وبم أخزاني أعار على رجل قتلتموه أي ليس بعار على رجل قتلتموه وفي رواية لا رجل أعمد من رجل قتلتموه أي أنا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم أي فلا عار علي في قتلكم اياي وفي رواية وهل أشرف من رجل قتله قومه ثم قال له لو غير أكار قتلني والاكار الزراع يعني الانصار لانهم كانوا أصحاب زرع أي لو كان الذي قتلني غير فلاح لكان أعظم لشأني ولم يكن علي نقص ثم قال لابن مسعود أخبرني لمن الدبرة أي النصرة والظفر اليوم لنا أو علينا قلت لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وسأل ابن مسعود عن أهل الاجسام الطوال الذين يقتلون ويأسرون فينا فقال له أولئك الملائكة فقال هم الذين غلبونا لا أنتم وهذا غاية في كفره وعناده حيث تحقق ذلك كله ولم يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان ابن مسعود رضي الله عنه وطئ على عنقه وعلا فوق صدره يريد حز رأسه فقال له لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا قال ابن مسعود رضي الله عنه فضربته بسيفي لاحز رأسه فلم يغن عني شيئا فبصق في وجهي وقال خذ سيفي واحتز به رأسي من عرشي ليكون انهى للرقبة والعرش عرق في أصل الرقبة ففعلت كذلك وجاء انه قال لابن مسعود رضي الله عنه احتز من أصل العنق ليرى عظيما مهابا في عين محمد وقل له مازلت عدوا الى سائر الدهر واليوم أشد عداوة ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسه وأخبره بقوله قال كما أني أكرم النبيين على الله وأمتي أكرم على الله كذلك فرعون هذه الامة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الامم اذ فرعون موسى حين أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وفي رواية قال ابن مسعود رضي الله عنه ثم جئت برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذي لا اله غيره وردها ثلاثا قلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وجاء انه سجد خمس سجدات شكرا وفي رواية صلى ركعتين وقال الحمد لله الذي أعز الاسلام وأهله الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون أبي جهل بصق في وجه ابن مسعود وقال له خذ سيفي الى آخر ما تقدم ينافي كونه وصل الى حركة المذبوح الا أن يقال يجوز أن يكون في أول الامر حين ضربه الانصار وصل الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فذفف عليه ابن مسعود رضي الله عنه قال ابن قتيبة ذكر أن ابا جهل قال لابن مسعود رضي الله عنه وهما بمكة لاقتلنك فقال والله لقد رأيت في النوم أني أخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتني أضرب كتفيك ولئن صدقت رؤياي لاطأن على رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة فكان في تذفيف ابن مسعود رضي الله عنه عليه تصديق تلك الرؤيا وجاء في رواية ان ابن مسعود وجده مقنعا في الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انتهيت الى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعي سيف ردي فجعلت انقف رأسه وأذكر نقفا كان ينقف رأسي بمكة فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست برويعينا بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظر اليه اذا هو ليس به جراح وانما هي أخدار وأورام في عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط أي آثار سود كهيئة النار ليس به جراح من جراح الآدميين أي في داخل بدنه فلا ينافي ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ومن ضرب ابن عفراء له حتى أثبته فأتى ابن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره به أي بالضرب الذي كهيئة السياط فقال ذاك ضرب الملائكة وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كأني أنظر الى المشرك

أمامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك الموضع وعن
سهل بن حنيف رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى
المشرك أي برفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وقد جاء أن الملائكة كانت
لا تعلم كيف تقتل الآدميين فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أي مفصل
فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار وفي رواية وصف ذلك الأثر بالخضرة
ولا منافاة لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه أسود وتلك الآثار بعد مفارقة الرأس أو اليد يستدل
بها على أن مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة وجاء ان بعض ضربهم كان في الكتفين وفي الوجه
والانف وأكثره فوق الاعناق والبنان وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس والضرب في الاعناق تارة
يفصلها وتارة لا وفي الحال يرى أثر ذلك أسود في العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة * وجاء ان
النبي صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال
اللهم لا تعجزني فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفي الصحيحين عن أنس
رضي الله عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل انطلق ابن مسعود رضي
الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد وفي رواية برك فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل الحديث
ولما جاء ابن مسعود مخبرا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه وجده فقتله أي تمم قتله قال له عقيل بن أبي طالب
وكان قبل اسلامه رضي الله عنه وهو أسير عند النبي صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته قال فقلت له بل
أنت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال
نعم وهذا هو أثر الجحش الذي جحشه اياه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ولا منافاة بين اخبار ابن مسعود
النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أبي جهل ومجيئه برأسه لاحتمال أن يكون أخبر أولا ثم رجع وجاء برأسه
وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل أن يكون في أصل قتل أبي جهل وانه يعتقد انه ما قتل بل هو حي مع
قومه أو التكذيب في أن ابن مسعود هو القاتل ويريد أن القاتل غيره كالانصار ثم ان النبي صلى الله
عليه وسلم بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشي مع ابن مسعود رضي الله عنه حتى أوقفه على أبي جهل فقال
الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة ورأس قاعدة الكفر قال ابن مسعود رضي
الله عنه ونفلني سيفه أي أعطانيه وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة وعن قتادة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر
القاف لبيان الهيئة قتلته الملائكة وفي رواية قتله ابن عفراء أي وابن الجموح وقتلته الملائكة وأجهز
عليه ابن مسعود رضي الله عنه وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال رأيت أبا جهل وقد
أحاطوا به وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة
أطنت قدمه بنصف ساقه أي أسرعت قطعه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت
مرضخة النوى فضربني ابنه عكرمة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة
من جسمي وأجهضني القتال أي شغلني فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني
وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ثم جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق
عليها وألصقها فلصقت قال ابن اسحاق وعاش رضي الله عنه الى خلافة عثمان رضي الله عنه وهو صحيح
سليم ثم بعد ضربة ابن الجموح لابي جهل جاءه وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة
ابن عفراء فضربه حتى أثبته أي أثخنه وتركه وبه رمق حتى جاء ابن مسعود فذفف عليه هكذا يجمع بين
الروايات فان في بعضها قتله ابن الجموح وفي بعضها ابن عفراء وفي بعضها ابن مسعود رضي الله عنهم ومعوذ

هذا الا يزال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات ان ابن الجموح ومعاذا ومعوذا بني عفراء اشتركوا في قتل أبي جهل فلعل معاذا أعان أخاه معوذا وكان معه في ذلك وقد جاء في الحديث رحم الله ابني عفراء اشتركا في قتل فرعون هذه الامة قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة وعفراء اسم أمهما وأبوهما اسمه الحارث وقيل ان معاذ بن عمرو بن الجموح أخوهما لامهما فان كلا من الحارث وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح أن يقال في ابن الجموح انه ابن عفراء فلا تنافي بين الروايات ولذا قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابني عفراء فقد اشتركا في قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر وقد كان أبو جهل أشد الناس عداوة وحسدا للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يلق صلى الله عليه وسلم من أحد من الاذية مثل مالقي من أبي جهل لعنه الله وكان مقاربا للنبي صلى الله عليه وسلم في السن وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس له حسدا وعداوة ولم يزل على ذلك حتى أهلكه الله يوم بدر وهو يوم البطشة الكبرى وكان أشد الناس اجتهادا في اخراج النفير ولما أرادوا الخروج من مكة أخذ بأستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين وفي ذلك نزل قوله تعالى ان تستفتحوا أي تطلبوا الفتح أي النصر فقد جاءكم الفتح الآية ولما دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال اللهم أقطعنا للرحم فأحنه أي أهلكه الغداة اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره وفي لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره فقوله تعالى ان تستفتحوا الخ شامل لذلك كله وفي رواية انه قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك وفي رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث وقد استجاب الله دعاءه وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وكان رأسه أول رأس حل في الاسلام (وكانت سيما الملائكة) يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل حمراء وقيل بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود وبعضهم بعمائم حمر جمعا بين الروايات بل صرح بذلك في رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر أي وبيض وسود وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يوم بدر متعمما بعمامة صفراء فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة أي بعضهم بسيما أبي عبد الله يعني الزبير وقد كان الزبير رضي الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده في الجراح التي في ظهره وكان شعار الانصار أي علاماتهم التي يتعارفون بها في ذلك اذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد وشعار المهاجرين يا منصور أمت ويقال أحد أحد وكانت خيل الملائكة بلقا مسومة أي مزينة وكان ذلك بوضع الصوف في نواصي الخيل وأذنابها وفي رواية العهن الاحمر والابيض وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل مشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر على من تكون الدبرة أي الغلبة وقيل بمعنى الهزيمة والاول أرجح فننهب مع من ينهب فبينا نحن في الجبل اذ سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه أي غشاؤه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت وقوله أقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم قيل اسم فرس جبريل عليه السلام وفي أثر مرسل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم فقال جبريل ما كل أهل السماء أعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل وفيه انه لا يبعد أن يقول أحد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم ولا يعرف جبريل ذلك القائل وفي رواية

جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه أقدم حيزوم فنزلوا عن ميمنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى فنزل منها رجال كانوا على ميسرته صلى الله عليه
وسلم فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمي وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي صلى الله عليه
وسلم وأسلمت وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الغمام الذي ظلل بني اسرائيل في التيه هو الذي جاءت
فيه الملائكة يوم بدر وعنه أيضا قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه
اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر الى المشرك امامه خر مستلقيا
فنظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء ذلك الانصاري
فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن علي رضي الله عنه
وكرم وجهه قال هبت ريح شديدة يوم بدر ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك
فكانت الاولى جبريل نزل في ألف من الملائكة أمام النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل
نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل في ألف من
الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه رأى
عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل
ولا بعد يقاتلان كأشد القتال يعني جبريل وميكائيل * وانكسر سيف عكاشة رضي الله عنه وهو
بتشديد الكاف أكثر من تخفيفها ابن محصن الاسدي رضي الله عنه وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب أي أصلا من أصول الحطب وقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به
حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده في قتال أهل الردة في زمن الصديق رضي الله عنه
ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وسيأتي مثل ذلك في غزوة أحد لعبد الله بن جحش رضي الله عنه وجاء
في فضل عكاشة رضي الله عنه انه ممن يدخل الجنة بغير حساب وانكسر سيف سلمة بن أسلم رضي الله عنه
فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده أي عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به
فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده * وضرب خبيب رضي الله عنه فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق ورمي رفاعة بن مالك رضي الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له فما آذاه شيء منها ورجعت كما كانت (ثم أمر) رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم وان يطرحوا في القليب فطرحوا في القليب
الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل أي تقطعت أوصاله
فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة قال السهيلي وانما ألقوا في القليب ولم يدفنوا لانه عليه الصلاة
والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب
أيسر عليهم وفيه أيضا اشارة الى أن الحربي لا يجب دفنه بل يجوز اغراء الكلاب على جيفته ولما ألقي
عتبة والد أبي حذيفة رضي الله عنه في القليب تغير وجه أبي حذيفة ففطن له رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شيء فقال لا والله ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما
وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت ما مات عليه أحزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى
الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا وجاء ان أبا حذيفة رضي الله عنه أراد أن يبارز أباه ويقتله لما طلب
المبارزة فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد القائهم في القليب بثلاثة أيام

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب وجعل يناديهم بأسمائهم ويقول يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله حقا وجاء فى بعض الطرق ناداهم بأسمائهم فقال يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل ابن هشام وانما ذكر أمية بن خلف وان لم يكن من أهل القليب لانه كان قريبا من القليب وفى رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم بئس عشيرة كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئا وفى رواية يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون وعن قتادة أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة عليهم والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالاحياء فى الدنيا لان الروح بعد مفارقة الجسد يصير لها تعلق به وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه اذا سلم ولا يصير الميت به حيا كحياة الدنيا لكنه قد يقوى فى نحو الانبياء والشهداء والصالحين حتى يصير كالحى فى الدنيا ولا يرد على قوله ما أنتم بأسمع منهم قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لان المراد لا تسمعهم سماع قبول وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطى فى قوله

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار فى الكتب
وآية النفى معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

وجاء فى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم نادى أهل القليب وقال لهم ما تقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بأن ذلك تكرر منه قال لهم ذلك قبل طرحهم وبعد طرحهم وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون لان الاربعة المذكورين هم أعظم رؤساء قريش وبقية أصحاب القليب من بنى عبد مناف ستة عبيدة والعاصى ولدا أبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن أبى سفيان والوليد بن عتبة والحارث بن عامر وطعيمة بن عدى ومن سائر قريش أربعة عشر نوفل بن عبد وزمعة وعقيل ابنا الاسود والعاص بن هشام أخو أبى جهل وأبو قيس بن الوليد ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمى وعلى بن أمية بن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ومسعود بن أبى أمية أخو أم سلمة وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومى والاسود بن عبد الاسد أخو أبى سلمة وأبو العاص بن قيس بن عدى السهمى وأمية بن رفاعة فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة ولقد أحسن العلامة ابن جابر الاندلسى حيث ذكر قصة بدر فى بعض أشعاره فقال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله * كواكب فى أفق المواكب تنجلى
وجبريل فى جند الملائك دونه * فلم تغن أعداد العدو المخذل
رمى بالحصى فى أوجه القوم رمية * فشردهم مثل النعام المجفل
وجادلهم بالمشرفى فسلموا * لجادله بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع * حديثهم فى ذلك اليوم من على
هموا عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا * فذاق الوليد الموت ليس له ولى
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت * اليه العوالى بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله * غداة تردى بالردى عن تذلل
وأضحى قليبا فى القليب وقومه * يؤمونه فيه الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا * ففتح من أسماعهم كل مقفل

وأخبر ما أنتم بأسمع منهم * ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلا عنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
ألم يعلموا علم اليقين بصدقه * ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجأى * وحبك ذخرى فى الحساب وموئلى
عليك صلاة يشمل الآل عرفها * وأصحابك الاخيار أهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن من وجع العذاب فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضى الله عنهما فلا أدرى أعرف اسمى أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل فان هذا من المشركين الذى قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال الزرقانى هو أبو جهل وقد رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا وغيرهما وفى رواية ابن منده عن ابن عمر رضى الله عنهما بينما أنا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة فى عنقه سلسلة فنادانى يا عبد الله اسقنى فلا أدرى أعرف اسمى أو دعانى بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة فى يده سوط فنادانى يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال لى قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة وروى ابن أبى الدنيا عن الشعبى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة (وكان) جملة من قتل من المشركين سبعين وأسر منهم سبعون فمن القتلى أهل القليب المتقدم ذكرهم وهم أربعة وعشرون كلهم من رؤسائهم والباقون من باقيهم وكان من أفضل الاسرى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وعقيل بن أبى طالب ونوفل ابن الحارث بن عبد المطلب وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم وهم من بنى هاشم وممن أسلم من الاسرى من سائر قريش أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها أسلم قبل فتح مكة وأثنى عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى مصاهرته وردّ عليه زينب رضى الله عنه وعنها وأبو عزيز زرارة بن عمير أخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضى الله عنه والسائب بن عبيد كذلك أسلم رضى الله عنه بعد الفداء وعدى بن الخيار والسائب بن أبى حبيش وأبو وداعة السهمى وسهيل بن عمرو العامرى أسلموا فى فتح مكة وخالد بن هشام المخزومى وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبى بن خلف أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل وعبد الله بن زمعة أخو سودة ووهب بن عمير الجمحى وقيس بن السائب المخزومى وقسطاس مولى أمية بن خلف والوليد ابن الوليد قال فى المواهب وكان العباس رضى الله عنه فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديما وكان يكتم اسلامه وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين وكان النبى صلى الله عليه وسلم يطلعه على أسراره حين كان بمكة وكان يحضر مع النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان يحثهم ويحرضهم على مناصرته كما تقدم ذلك فى حضوره بيعة العقبة التى كانت مع الانصار قبل الهجرة فهذا كله يدل على اسلامه وكان النبى صلى الله عليه وسلم أمره بالمقام بمكة ليكتب له أسرار قريش وأخبارهم ولما أرادوا الخروج واستنفروا الناس ما أمكنه التخلف عنهم ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقى العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له لما طلب منه الفداء ظاهر أمرك أنك كنت علينا لان كونه عليهم فى الظاهر لا ينافى كونه مكرها فى الباطن فعامله النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم بظاهر حاله تطييبا لقلوب الصحابة رضي الله عنهم حيث فعل مثل ذلك بآبائهم وأبنائهم
وعشائرهم وجاء ان العباس رضي الله عنه كان له مال وديون في قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه
ضياعها عندهم فكان يخفي اسلامه باذن من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم
اسلامه للصحابة رفقا به وخوفا على ضياع ماله وللنبي صلى الله عليه وسلم غرض في اخفاء اسلامه ليكون له
عينا ينقل أخبار القوم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه فهو لم يظهر اسلامه لهم
الا يوم فتح مكة وهذا لا ينافي أسبقية اسلامه وانه أظهره للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد وقعة بدر
كما يأتي لان الذي تأخر الى فتح مكة ظهوره لاهل مكة وكان العباس رضي الله عنه كثيرا ما يطلب الهجرة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له النبي صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة خير لك وفي رواية
استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذي
أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة وكان كذلك فقد كان آخر المهاجرين لانه
استقبل النبي صلى الله عليه وسلم بالابواء ولا علم له بخروج النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة فرجع معه
وكان الذي أسر العباس رضي الله عنه كعب بن عمرو الانصاري السلمي ويكنى بأبي اليسر رضي الله عنه
فقيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ماهو الا أن لقيته فظهر
في عيني كالخندمة الاشم وهو جبل عظيم من جبال مكة وفي رواية عن علي رضي الله عنه فجاء رجل
من الانصار بالعباس رضي الله عنه أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح
من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الانصاري أنا أسرته يا رسول الله فقال
صلى الله عليه وسلم اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أسرته
فقال قد أعانني الله عليه بملك كريم ولما أسر رضي الله عنه شدوا وثاقه كبقية الاسرى فصار يئن فسمع
النبي صلى الله عليه وسلم أنينه فلم يأخذه نوم فقيل ما أسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل
وأرخى وثاقه وكان العباس رضي الله عنه رجلا طويلا فأراد النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه الى
المدينة بالاسرى أن يلبسه قميصا وكان ذلك بعد ان حصل الفداء واظهاره اسلامه فلم يجدوا له قميصا
يكون على طوله فكساه عبد الله بن أبي ابن سلول قميصه ولهذا لما مات عبد الله بن أبي هذا وكان رئيس
المنافقين جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب قميصه صلى
الله عليه وسلم ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه صلى الله عليه وسلم قميصه تطييبا
لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ومكافأة لما فعله مع عمه العباس رضي الله عنه وجعل صلى الله عليه وسلم
فداء العباس رضي الله عنه أربعمائة أوقية وفي رواية مائة أوقية وفي رواية أربعين أوقية من ذهب
وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن
الحارث كذلك وفي رواية قال له افد نفسك يا عباس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن
الحارث بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية وقال
للنبي صلى الله عليه وسلم تركتني فقير قريش ما بقيت وفي لفظ تركتني أسأل الناس في كفي فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين المال الذي دفعته لام الفضل يعني زوجته وقلت لها ان أصبت
فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم وفي رواية فللفضل كذا وعبد الله كذا فقال والله اني أشهد انك رسول
الله ان هذا شيء ما علمه الا أنا وأم الفضل أنا أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله وفي رواية قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لقد تركتني فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت
بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفي رواية أين المال الذي دفنته

أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذى تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وأتى بالشهادتين أى نطق بهما بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا ينافى القول بأسبقية اسلامه وأنه كان يكتمه والنبى صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك ومما يؤيد ذلك أنه جاء فى بعض الروايات ان العباس رضى الله عنه قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين وفى رواية وكنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى فى العباس رضى الله عنه يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم وعند نزول الآية قال العباس رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم وددت انك كنت أخذت منى اضعاف ما أخذت وقد صدق الله وعده له فأعطاه الله مالا عظيما حتى كان عنده مائة عبد فى يد كل عبد مال يتجر فيه وكان يقول وانى لارجو من الله المغفرة وقيل ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلا فقط بدليل انه جاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالى شئ أفدى به نفسى قال افد نفسك من مالك وفى رواية من رماحك فقال أشهد انك رسول الله والله ما أحد يعلم ان لى بمكة رماحا غير الله أى وفدى نفسه ولم يفده العباس رضى الله عنه (وكان من الاسرى) النضر بن الحارث العبدرى ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى وكان من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول فى القرآن انه أساطير الاولين ويقول لو نشاء لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الاقاويل فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير فقال النضر للاسير الذى بجانبه محمد والله قاتلى فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب ثم قال النضر لمصعب بن عمير العبدرى يا مصعب أنت أقرب من هنا الى رحما فكلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى يعنى الاسورين هو والله قاتلى فقال له مصعب أنت كنت تقول فى كتاب الله ما تقول ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فضرب عنقه وذكر بعضهم ان النضر هذا له أخ يسمى باسمه أسلم عام الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة وقيل بل أسلم قديما وهاجر الى الحبشة والله أعلم ولما ضربت عنق النضر وبلغ الخبر أخته قتيلة وقيل انما هى بنته رثته بأبيات ثم أسلمت رضى الله عنها وتلك الابيات تقول فيها

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ولانت نجل نجيبة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلننفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله ارحام هنالك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * أسف المقيد وهو عان موثق

وفى رواية بدل قولها أمحمد البيت

أمحمد يا خير ضنء كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق

وحين سمع ذلك صلى الله عليه وسلم بكى وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أى لقبول شفاعتها

عنده فلا بنا فى أن ما فعله حق (ومن الاسرى أيضا) عقبة بن أبى معيط بن ذكوان المكنى بأبى عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان من أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فأمر بضرب عنقه عند عرق الظبية وهى شجرة يستظل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل نادى يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك واجترائك على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفى رواية ببزاقك فى وجهى وتقدم ان عقبة كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه وشهدت له الشهادة وليست فى نفسى فقال له أبى وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجد النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا ففعل به ذلك ولما بزق رجع بزاقه اليه واحترق وجهه وصار أثر ذلك باقيا فى وجهه الى موته وهو الذى وضع سلا الجزور على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وكان شديد السفه والفجور وأنزل الله تعالى فيه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له بمكة لا ألقاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف وفى رواية لما قال مالى أقتل من بينكم صبرا قال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له لست من قريش هل أنت الا يهودى من أهل صفورية وذلك لان أمية جد أبيه خرج الى الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية وهو نسبة لموضع من ثغور الشام فولدت ذكوان وهو والد أبى معيط على فراش اليهودى فاستلحقه بحكم الجاهلية واختلف فى من باشر قتله فقيل عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب لامه وقيل ان عاصم بن ثابت خاله لا جده لان أم عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت وكون القاتل لعقبة عاصم بن ثابت هو الصحيح وقيل قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه ويحتمل انهما اشتركا فى مباشرة ذلك وقيل انه بعد قتله صلب على شجرة وذكر ابن قتيبة ان طعيمة بن عدى أخا المطعم بن عدى كان من جملة الاسرى وان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بضرب عنقه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط والصحيح عند أهل السير والمغازى ان طعيمة بن عدى قتل فى معركة القتال قتله حمزة رضى الله عنه وسيأتى ان شاء الله تعالى فى غزوة أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور (ثم استشار) رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى الاسرى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون فى هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر وعليا رضى الله عنهم فيما هو الاصلح من الامرين القتل أو أخذ الفداء فقال أبو بكر يا رسول الله أهلك وقومك وفى رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر بهم ونصرك عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب فقال يا رسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رآى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكننى من فلان قريب لعمر وفى رواية نسيب له فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل أخيه فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا وفى رواية ان

عمر رضي الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثلاثا وهو يعرض عنه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة في حالة ايذائهم له فكيف في حال قدرته عليهم فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول الله أرى أن تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان من الغم ولم يذكر عن علي رضي الله عنه جواب مع أنه أحد الثلاثة المستشارين قال العلامة الزرقاني لأنه لما رأى تغير المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اختلف الشيخان لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لما ظهر لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه الجواب قال انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله عنه وهو يسمع قطعت رحمك وفي رواية ثكلتك أمك فدخل صلى الله عليه وسلم فقال أناس يأخذ بقول عمر وأناس بقول أبي بكر وأناس بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك في الانبياء مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله ومثلك في الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم الآية لو اتفقتما ما خالفتكما وأخذ بقول أبي بكر رضي الله عنه وقال لا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخاف أن تقع علي الحجارة مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء وأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فجاء عمر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء وفي رواية قال ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب وفي رواية وسعد بن معاذ لانه أيضا كره الاسر وأحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لانه أشار باضرام النار وليس بشرع قال بعضهم في هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب لا يكون فيما صدر عن وحي وقال السبكي في قوله تعالى ما كان لنبي أي غيرك يا محمد أن يكون له أسرى الخ أي وأما أنت فمخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم وعن الاعمش في قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق أي بأنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا ويؤيده حديث وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم وأحسن ما قيل في الآية أن فيها العتاب على ارتكاب خلاف الاولى وانه كان الاولى الاثخان بالقتل لكن لما سبق في علم الله ان هذا هو الذي يقع وأنتم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذكم بفعل الامر الجائز لكم المقدر وقوعه قبل خلق السموات والارض وفي الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم في الاسلام وحث للمؤمنين على قتال الكفار وتأييد لرأي عمر رضي الله عنه وهذا من المواضع التي جاء القرآن فيها موافقا لقول عمر رضي الله عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين أفردت بالتأليف وروى الحاكم باسناد صحيح عن علي

رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسرى ان شاؤا
القتل وان شاؤا الفداء على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا وفي رواية قالوا بل
نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون ففاداهم (ثم لما استقر الامر على الفداء) فرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى في أصحابه ليرجعوا بهم الى المدينة حتى يرسل لهم أهلهم
وعشائرهم بالفداء وقيل تفريقهم بين أصحابه انما كان بعد وصولهم المدينة وقال لما فرقهم استوصوا
بهم خيرا (قال ابن اسحاق) فكان أبو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسرى فقال مر بي أخي
ورجل من الانصار يأسرني فقال له شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت في رهط
من الانصار حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ولما قال أخوه للانصاري شد يديك به قال يا أخي هذه وصاتك بي
ثم أرسلت أمه أربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم رضي الله عنه وتواصت قريش على أن لا يعجلوا
في طلب فداء الاسرى قالوا لئلا يتغالى محمد وأصحابه في الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبي وداعة
السهمي بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف درهم وقد قال صلى الله عليه
وسلم لما رأى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء في طلب أبيه فجاء
وفداه فكان أول أسير فدي واسم أبي وداعة الحارث ثم أسلم رضي الله عنه فقد عده بعضهم من الصحابة
وعند ذلك بعثت قريش في فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف
درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه مال وهو يحسن الكتابة دفعوا اليه عشرة من غلمان
المدينة يعلمهم الكتابة فاذا علمهم كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبي صلى الله عليه
وسلم في أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه
وفي رواية لو كان مطعم حيا وكلمني في هؤلاء النفر وفي رواية في هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم أجار
النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم وسماهم نتنى
لكفرهم وكان موت المطعم قبل وقعة بدر وهو على كفره وأما جبير ابنه فأسلم رضي الله عنه (وكان من
الاسرى أبو العاص بن الربيع) رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبي صلى الله
عليه وسلم ورضي عنها وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله
عنها وكنيته أبو العاص واسمه لقيط وقيل مقسم بكسر الميم وقيل هشيم واشتهر بكنيته وأبوه الربيع بن
ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف فلما أسر أبو العاص بعثت زينب رضي الله عنها في فدائه
قلادة لها كانت أمها خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها حين تزوجها أبو العاص فلما رأى النبي صلى الله
عليه وسلم تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها قلادتها
فافعلوا وشرط عليه صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيل زينب أي ان تهاجر الى المدينة ولم يكن في ذلك
الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرما وانما حرم ذلك بعد لان الاحكام انما شرعت بالتدريج فلما بعث صلى
الله عليه وسلم وأسلم أهله وبناته ولم يسلم أبو العاص زوج زينب لم يفرق بينهما صلى الله عليه وسلم وقد
كان كفار قريش مشوا الى أبي العاص وسألوه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له
نزوجك أي امرأة شئت من قريش فأبى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتي وما أحب ان لي بامرأتي أفضل
امرأة من قريش وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك خيرا وشكر له ذلك فلما وصل أبو العاص مكة
أمرها باللحوق بأبيها وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة ورجلا من الانصار وقال لهما
تكونان بمحل كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها فلما أرادت الخروج من

مكة خرج معها كنانة بن الربيع وهو أخو زوجها قدم لها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها
نهارا يقودها في هودج لها وكانت حاملا فتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى
أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس
البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو مني
رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه أبو سفيان في رجال من قريش وقال كف عنا نبلك حتى نكلمك ثم
قال له انك لم تصب في فعلك فانك خرجت بزينب علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا فيظن الناس ان
ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ولكن ارجع بها
حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسربها سرا فألحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالي ثم
خرج بها ليلا حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا
تنطلق فتجيء بزينب قال بلى يارسول الله قال فخذ خاتمي فأعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي
راعيا فقال لمن ترعى قال لابي العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له ان
أعطيتك شيئا تعطيها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فأعطاه الخاتم فانطلق الراعي الى زينب فأدخل غنمه
وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من أعطاك هذا قال رجل قالت فأين تركته قال بمكان كذا وكذا
فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبي بين يدي على بعيري قالت لا ولكن
اركب أنت بين يدي فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهر من بدر وكونها خرجت
في الليل الى زيد لا ينافي الرواية التي فيها خرج معها حموها أي أخو زوجها حتى سلمها لزيد لامكان
أن يكون معها حين خرجت ثم أسلم زوجها رضي الله عنه وهاجر وردها اليه صلى الله عليه وسلم بغير
عقد بل بالنكاح الاول وقيل عقد له عليها عقدا آخر وولدت له امامة التي كان يحملها صلى الله عليه
وسلم على ظهره وهو يصلي ثم لما كبرت تزوجها علي رضي الله عنه بعد خالتها فاطمة رضي الله عنها بوصية
من فاطمة رضي الله عنها لعلي بذلك ولما حضرت عليا رضي الله عنه الوفاة قال لها اني لا آمن أن يخطبك
معاوية بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب
عشيرا فلما توفي علي رضي الله عنه وانقضت عدتها أرسل معاوية رضي الله عنه يخطبها وبذل لها من
المهر مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبني فان كان لك
حاجة فيّ فأقبل فجاء وخطبها من الحسن بن علي رضي الله عنه فزوجها منه وقيل زوجها منه الزبير
ابن العوام بوصية من أبيها له عليها ويمكن الجمع بينهما (وكان من جملة الاسرى عمرو بن أبي سفيان)
ابن حرب أخو معاوية أسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقيل لابي سفيان افد عمرا ابنك فقال
أيجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة يعني ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها وأفدي عمرا
دعوه في أيديهم يمسكونه مابدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان أخا بني عمرو بن
عوف قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكون به
صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبي سفيان فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو وهذا
فيمن أسلم من الاسرى والظاهر انه مات على شركه (وكان من جملة الاسرى سهيل بن عمرو العامري)
وكان من أشراف قريش وفصحائها وخطبائها وكان يخطب قريشا ويحثهم على قتال النبي صلى الله عليه
وسلم فلما أسر قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى
يدلع لسانه أي يخرج فلا يستطيع الكلام لانه كان أعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام

فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بي وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه فكان كذلك فانه أسلم رضي الله عنه عام الفتح وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة حتى انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام فقام سهيل بن عمرو وخطبا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بخطبة ثبت الله بها الناس تشبه خطبة أبي بكر رضي الله عنه التي خطبها بالمدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال سهيل في خطبته أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ثم قال والله اني لأعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها فلا تغروكم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمة الله تامة وان الله ناصر من نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعني أبا بكر رضي الله عنه وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فكان في قيامه ذلك المقام معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر به قبل حصوله بأعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر رضي الله عنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه ولما أسر سهيل قدم مكرز ابن حفص في فدائه فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا له هات قال ليس عندي هنا شيء ولكن اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى نبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا في محله حتى جاءهم الفداء (وكان في الاسرى الوليد بن الوليد) أخو خالد بن الوليد رضي الله عنه فافتكه أخواه هشام وخالد فلما سلموا فداءه وافتكوه ووصل الى مكة أسلم فعاتبوه في ذلك فقال كرهت أن يظن بي أني جزعت من الاسر ثم لما أسلم أراد الهجرة فحبسه أخواه هشام وخالد فكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت ويقول اللهم أنج الوليد بن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء (وكان في الاسرى وهب بن عمير الجمحي) رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وبقي بالمدينة مع الاسرى وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة فجلس عمير يوما مع صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا ما أصاب قريشا يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما في العيش خير بعدهم لانه قتل أبوه أمية وأخوه علي فقال له عمير صدقت أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت آتي محمدا حتى أقتله فان لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له علي دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا قال عمير فاكتم عني شأني وشأنك وتعاقدا وتعاهدا على ذلك ثم ان عميرا أخذ سيفه فشحذه أي سنه وسمه أي جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف فقال عمر رضي الله عنه هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء الا بشر فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال فأدخله علي فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير أنعموا صباحا وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة
ماجاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم يعني ولده وهبا فأحسنوا فيه قال فما بال السيف
قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا قال أصدقني ما الذي جئت له قال ماجئت الا لذلك فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فتذاكرتما أصحاب القليب من
قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك حتى
تقتلني له والله حائل بيني وبين ذلك قال عمير أشهد انك رسول الله قد كنا يارسول الله نكذبك فيما
تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لاعلم
انه ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له اسيره ففعلوا ذلك
وأسلم ابنه أيضا رضي الله عنه ثم قال عمير يارسول الله اني كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد
الاذى لمن كان على دين الله فأنا أحب ان تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله
يهديهم والا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لاهل مكة أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر
وكان صفوان يسأل عن عمير الركبان حتى قدم راكب فأخبره باسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا وان
لا ينفعه ولا يواسيه أبدا فلما قدم عمير مكة لم يبدأ بصفوان بل بدأ بأبيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك
صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بي قبل منزله انه انتكس وصبأ ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله
بنافعة أبدا ثم ان عميرا رضي الله عنه وقف على صفوان وناداه أنت سيد من سادتنا أرأيت الذي كنا
عليه من عبادة حجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه
صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذي استأمن النبي صلى الله عليه وسلم لصفوان ثم أسلم صفوان رضي الله
عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه صلى الله عليه وسلم واديا مملوءا من النعم فقال أشهد أن
الملوك لا تطيب نفوسهم بهذا ولا تطيب به الا نفوس الانبياء أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وكان يسمى سيد البطحاء وكان من
فصحاء قريش (ومن رسول الله) صلى الله عليه وسلم على نفر من الاسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو
الجمحي الشاعر كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يارسول الله اني فقير ذو عيال
وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال له
ان لي خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بي عليهن ففعل وأطلقه وأخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه
أحدا ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع
المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فقال أعتقني
وأطلقني فاني تائب فقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت عنقه وحمل رأسه
الى المدينة وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم (ولما فرغ رسول الله)
صلى الله عليه وسلم من طرح أهل القليب في قليبهم أرسل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بشيرا
لاهل العالية وهو موضع قريب من المدينة وزيد بن حارثة رضي الله عنه بشيرا لاهل السافلة بما فتح الله
على رسوله والمسلمين وأركب صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ناقته القصواء وقيل العضباء فجعل عبد الله
ابن رواحة رضي الله عنه ينادي في أهل العالية يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بذلك ويقولان قتل فلان وأسر

فلان وفلان من أشراف قريش فصار عدوّ الله كعب بن الاشرف اليهودي يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما فأتانا الخبر بالمدينة حين سوّينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها زوج عثمان رضي الله عنه وكان عمرها عشرين سنة ثم زوّجه صلى الله عليه وسلم ابنته الاخرى أم كلثوم وتوفيت عنده أيضا رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم زوّجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوّجته اياها وما زوّجته الا بوحي من الله وفي رواية لو أن لي أربعين زوّجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهنّ واحدة قال العلامة الحلبي وأم عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبي النبيّ صلى الله عليه وسلم ولما جاء زيد بن حارثة بشيرا قال رجل من المنافقين لابي لبابة رضي الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا تجتمعون بعده أبدا وقد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب قال أسامة فبلغني ذلك فجئت حتى خلوت بأبي وسألته عما يقول ذلك الرجل وقلت أحق ما تقول قال اي والله انه لحق ما أقول يا بني فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شئ سمعته من الناس يقولونه ثم أقبل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ولما خرج من مضيق الصفراء قسم الغنيمة ونادى مناديه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له وكان قد نادى بمثل ذلك حين القتال للتحريض على القتال والترغيب فيه وأسهم لجماعة قد تخلفوا بأمر منه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لتمريض رقية بنت النبيّ صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهو معدود من أهل بدر وان لم يحضر كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وجعل له سهما في الغنيمة ومنهم أبولبابة رضي الله عنه خلفه صلى الله عليه وسلم على أهل المدينة وعاصم بن عدي خلفه على أهل قباء والعالية ومنهم من أرسله لكشف أمر العدوّ وتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ومنهم الحارث بن حاطب أمّره صلى الله عليه وسلم على بني عمرو بن عوف ولما قارب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي

وتلقاه أسيد بن حضير وقال الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك (وأما أهل مكة) فأول من قدم عليهم بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم بما شاهده ويقول قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن أمية وكان جالسا في الحجر والله ما يعقل هذا سلوه عني فسألوه قالوا له ما فعل صفوان بن أمية فقال هو ذا الجالس في الحجر وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا ثم قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبيّ صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضي الله عنها وكان مشركا من أشدّ الناس على النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس والتقيا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم بالابواء وهو متوجه الى فتح مكة فلما قدم أبو سفيان ابن الحارث على أهل مكة بعد وقعة بدر سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال هلم اليّ عندي الخبر والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شئ أي لا يقاومها شئ فقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك الوقت مولى للعباس رضي الله عنه ثم وهبه

للنبي صلى الله عليه وسلم فقلت له والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب بها في وجهي ضربة شديدة وثاورته فاحتملني وضرب بي الارض ثم برك علي يضربني فقامت أم الفضل زوج العباس رضي الله عنهما وهي لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت من السابقات للاسلام كما تقدم الى عمود فضربت به رأس أبي لهب حتى شجته شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب سيده قال أبو رافع فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش بعدها الاسبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويقولون انها تعدي أشد العدوى فتباعد عنه أهله وبنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وأما أولاده فأسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح رضي الله عنهما وثبتا يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت أيضا أختهما درة وهاجرت فلها صحبة رضي الله عنها وأما عتيبة بالتصغير فمات كافرا عقره الاسد في طريق الشام في حياة أبيه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حين طلق ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وسفه عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك كما تقدم ولما ظهر خبر قريش وتحقق عند أهل مكة ما صاروا اليه من القتل والاسر ناحت قريش على قتلاهم أكثر النوح واستداموه شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور ويبكين حولها ويخرجن الى الازقة ثم أشير عليهم أن لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبكوا قتلانا حتى نأخذ بثأرهم وتواصوا على ذلك (ولما بلغ النجاشي الخبر) أي خبر نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا وطلب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان معه بأرض الحبشة من الصحابة رضي الله عنهم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال لهم اني أبشركم بما يسركم انه قد جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله نصر نبيه صلى الله عليه وسلم وأهلك عدوه وفلان بن فلان وفلان بن فلان وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه غنما لسيدي من بني ضمرة فقال له جعفر رضي الله عنه مالك جالسا على التراب وعليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام ان حقا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفي رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا حدثت له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما أحدث الله نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت هذا التواضع ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل رؤسهم قالوا ان ثأرنا بأرض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشي ليدفع اليهما من عنده من المسلمين وأرسلوا معهما هدايا للنجاشي وأصحابه فردهما خائبين وتقدمت القصة بتمامها عند ذكر الهجرة الى الحبشة وقد وفد عمرو بن العاص رضي الله عنه على النجاشي مرة ثالثة ستأتي ان شاء الله وفيها قصة اسلامه (ولما رجع رسول الله) صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا خافه كل عدو بها وحولها وأسلم كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن أبي في الاسلام ظاهرا وقالت اليهود تيقنا أنه النبي الذي نجد نعته في التوراة وآمن منهم جماعة وبقي على كفرهم آخرون ومن يضلل الله فلا هادي له (وكان) جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار منهم ستة من الخزرج واثنان من الاوس فالستة المهاجرون عبيدة بن الحارث بن المطلب قطعت رجله في المبارزة مع عتبة بن ربيعة وأخيه وولده فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل انه أول قتيل وأول من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الامة وكان قتله بسهم أرسله عامر بن

الحضرمي وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم استصغر عميرا فرده فبكى فلما رأى بكاءه أذن له في الخروج فقتل وهو ابن ست عشرة سنة وعاقل بن بكير الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين ابن عمير وقيل الحارث وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي والثمانية الانصاريون الخزرجي منهم عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء وحارثة بن سراقة ويزيد بن الحارث بن قيس بن مالك ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بن الجموح والاوسي منهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عنهم أجمعين وكلهم دفنوا ببدر ما عدا عبيدة لتأخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء روى الطبراني باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الذين اقتلوا من أصحاب محمد صلى عليه وسلم يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبينما هم كذلك اذا اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا قال في المواهب ولا يقدح في وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر استشهاد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لانه وعدهم الظفر بقريش حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ولم يعدهم انه لا يقتل منهم أحد فلا ينافي قتل هؤلاء فقد نجز الموعود وغلبوا عدوهم كما وعد الله فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله على ذلك وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون كما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما وفي المواهب وشرحها قال ابن مرزوق في شرح البردة ومن آيات بدر الباقية مدى الازمان ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع أي بدر يسمعون هيئة الطبل كهيئة طبل الملوك ويرون ان ذلك لنصر أهل الايمان وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بأن الموضع صلب أي شديد لا سهولة فيه فتجيب فيه حوافر الدواب أي تكون تصوت يشبه تصويتها في الارض الصدى فيقولون لي ان الموضع سهل رمل غير صلب وغالب ما يسير هنا الابل واخفافها لا تصوت في الارض ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف بالنور نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع فما راعني وأنا سائر في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول أتسمعون الطبل فأخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابني من الفرح والهيبة فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي فجلست على الارض أو ثبت قائما أو فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا وسمعت صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة ثم نزلنا ببدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع المرة بعد المرة ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى كلام ابن مرزوق قال العلامة الزرقاني قال صاحب تاريخ الخميس ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الاربعاء أوائل شعبان وأقمنا يوما فوجدت صوت ذلك الطبل يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالي بدر فطلعت أعلاه وتتابع الناس اسماعه وصك اذانهم أزهاء مائة من رجال ونساء فما سمعت شيئا فنزلت أسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلا شك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان ذلك الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعا محققا وكان الوقت صحوا راكدا الريح فيه انتهى (وقد جاء) في فضل أهل بدر أحاديث وآثار فيها ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من

قوله راتقا في كثير من نـ
الخميس راكدا في موضع
راتقا قاله نصر

شهد بدرا من الملائكة وفي رواية ان للملائكة الذين شهدوا بدرا في السماء افضلا على من تخلف منهم وروى الطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة أي غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب يقع مغفورا وقيل ان ذلك كناية عن الحفظ من الوقوع في الذنوب في المستقبل ولو فرض حصول شئ منها يلهمون توبة عنها تغفر أو يوجد ما يكفرها عنهم فليس فيه اباحة الذنوب ولا الاغراء عليها وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقربهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك ويجلسونهم وجاء عن كثير من العلماء ان تلاوة أسمائهم والتوسل بها وكتابتها وحملها وتعليقها في الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الاعداء وظلم الظالمين الى غير ذلك من الفوائد والخواص وقد أفردت بالتآليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم وكذلك غزوة بدر وذكر ما وقع فيها قد أفردت بالتآليف وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم (غزوة بني سليم) ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وعلى الصلاة ابن أم مكتوم بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على ان قضاء الاعمى غير صحيح وقيل غير ذلك وكان لواؤه أبيض حمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها الى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة (غزوة بني قينقاع) بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم أشهر قوم من اليهود كانت منازلهم بطحان مما يلي العالية وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد أي لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على ان لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه فهم أول من غدر من اليهود مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب غدرهم ونقضهم العهد ان امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو وقدمت بجلب لها وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما على هذا أقررناهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال أتولى الله ورسوله وابرأ من حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفي ذلك أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء

غزوة بني سليم وهي الكدر

غزوة بني قينقاع من اليهود

بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك أي تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس وفي لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا أي لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا وأنزل الله تعالى فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا يعني وقعة بدر وأنزل الله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ثم ان القوم تحصنوا في حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار وكان خروجه في نصف شوال واستمر الى هلال ذي القعدة الحرام وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبا لبابة الانصاري رضي الله عنه فقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دراع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أي يخرجوا منها وان لهم النساء والذرية ويجعلون بقية الاموال للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها الحلقة التي هي السلاح ولم يكن لهم نخيل ولا أراضي تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست أموالهم جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمس له صلى الله عليه وسلم ثم أجلاهم الى الشام وقيل انهم نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول وألح عليه فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا الوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلني فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فانهم أعزتي وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفي لفظ والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر أي لادرع له وثلثمائة دراع وقد منعوني من الاحمر والاسود وتحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة الآية ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أي بعد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم ويذكر أن ابن أبي قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم ليسأله في اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه بالحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء وقيل الذي تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ولا مانع أن يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا في اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا لانهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي قوسا تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت اذا رمي بها وقوسا تدعى الروحاء وقوسا تدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضي الله عنهما وقسم بقية الاموال

قوله فانهم أعزتي لعله عزتي بكسر العين أي عصبتي قاله نصر

قتل أبي عفك اليهودي

والسلاح كما تقدم (قتل أبي عفك اليهودي) وقدم في المواهب قتل أبي عفك على غزوة بني قينقاع فقال ثم في شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبي عفك بفتح المهملة والفاء اليهودي وكان شيخا كبيرا قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة وكان يحرض الناس على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فقال صلى الله عليه وسلم من لي بهذا الخبيث فقال سالم بن عمير على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش أي دخل في الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض فأدخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فبشره بذلك فدعا له بخير

غزوة السويق

(غزوة السويق) لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم حلف أبو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بجبل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبني النضير وهم حي من اليهود وقصد حيي بن أخطب وكان من رؤساء بني النضير وكان مجيئه اليه في الليل فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له لانه خافه فانصرف وجاء الى سلام بن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم أي مالهم الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج به الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار وهو معبد بن عمرو وحليفا للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الانصاري رضي الله عنه وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم للهرب فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمسة أيام ورأى أبو سفيان أنه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لا يمس النساء ولا الطيب حتى يغزو محمدا وحكى بعضهم ان أبا سفيان عبر عن ذلك بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا وهذا يدل على انهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم قال الدميري ان الحكمة في عدم بيان الغسل في آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوما قبل الاسلام وذلك من بقية دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فهو من الشرائع القديمة قال بعضهم كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو ان يقوم وليه بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثني عليه ثم يقول رحمة الله ثم يدفن وما ذكره الدميري تبع فيه السهيلي حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقية دين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما بقي فيهم الحج والنكاح وكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام فلهذا لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا ونازع بعضهم في ثبوت ذلك عندهم وقال ان أبا سفيان انما قال لا يمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء فغيره بعض الرواة بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة لان هذا اللفظ صار عند أهل الاسلام كناية عن التمتع بالنساء فساوى المراد منه ما قصده أبو سفيان والله أعلم بحقيقة الحال

تزويج فاطمة الزهراء

(ذكر تزويج فاطمة رضي الله عنها) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي رضي الله عنه وهي الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم رضي الله عنها كما اختاره المقريزي والزركشي والحافظ السيوطي في كتابه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع بالادلة الواضحة التي منها ان هذه الامة أفضل من غيرها

والصحيح ان مريم ليست نبية بل حكى الاجماع على انه لم يتنبأ امرأة قط وقد قال صلى الله عليه وسلم مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يا بنية ألا ترضين انك سيدة نساء العالمين قالت يا أبت فأين مريم قال تلك سيدة نساء عالمها رواه ابن عبد البر وقد أخرج الطبرانى باسناد على شرط الشيخين قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها وكان تزوجها من على رضى الله عنه فى السنة الثانية من الهجرة عقد عليها فى صفر وقيل فى المحرم وقيل فى رجب وقيل فى رمضان ودخل بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة وهى ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة أشهر ونصف وكان سن على رضى الله عنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها رضى الله عنها حتى ماتت وعن أنس رضى الله عنه قال جاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخطبان فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيئا وفى رواية قال لكل منهما أنتظر بها القضاء فانطلقا الى على رضى الله عنه يأمرانه أن يخطبها لنفسه قال على رضى الله عنه فنبهانى لامر كنت غافلا عنه فقمت أجر ردائى فرحا بما نبهت له حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال أو عندك شئ فقلت فرسى وبدنى يعنى درعه قال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن عفان رضى الله عنه بأربعمائة وثمانين درهما قال الزرقانى ثم ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع الى على رضى الله عنه فجاء بالدرع والدراهم الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات ولما جاء على رضى الله عنه بالدراهم وضعها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقبض منها قبضة فقال أى بلال ابتع بها لنا طيبا وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف وقال لعلى رضى الله عنه اذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك فأرسل صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس فهيأت البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضى الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم حتى قعدت فى جانب البيت وعلى رضى الله عنه فى جانب آخر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء الآخرة فقال أهاهنا أخى قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم أى هو كأخى فى المنزلة والمؤاخاة فلا يمتنع على تزويجى اياه بنتى ودخل صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها ائتينى بماء فقامت تعثر فى ثوبها من الحياء الى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه أى وضعه فى فمه ورمى به فى القعب ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال أدبرى فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلى وفى رواية ثم قال لعلى ائتنى بماء قال فعلمت الذى يريد فقمت فملأت القعب ماء فأتيته به فأخذه فمج فيه ثم صب على رأسى وبين ثديى ثم قال لى أدبر فصب بين كتفى ثم قال اللهم انى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال له ادخل بأهلك باسم الله والبركة وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم توضأ فى اناء ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى شملهما وهو بالتحريك الجماع وفى رواية فى شبليهما والشبل ولد الاسد فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على انه يأتى لهما الحسن والحسين رضى الله عنهما فأطلق عليهما شبلين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه وعوذه بقل هو الله أحد والمعوذتين والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال انه فعل جميع ذلك واقتصر بعض الرواة فى كل رواية على البعض وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه خطبها على رضى الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم لعلى قد أمرنى ربى ان أزوجها منك وروى الطبرانى مرفوعا برجال ثقات ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة رضى الله عنها من على رضى الله عنه قال

قوله على جبينه عبارة غيره على جنبيه

أنس ثم دعاني عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لي ادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعدة من الانصار رضي الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان علي رضي الله عنه غائبا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزمه الانام فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرني ان أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب فاشهدوا اني قد زوجته اياها على أربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي رضي الله عنه فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرني ان أزوجك فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك قال قد رضيت بذلك يارسول الله أي بعد ان خطب خطبة منها الحمد لله شكرا لانعمه وأياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا مايقول واشهدوا قالوا ماتقول يارسول الله قال اشهدوا اني قد زوجته كذا رواه ابن عساكر ثم قال صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأعز جدكما أي حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا وفي رواية أبي الحسن بن شاذان لما زوجه وهو غائب قال جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الامة فلما حضر علي رضي الله عنه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله أمرني ان أزوجك فاطمة وان الله أمرني أن أزوجكها على أربعمائة مثقال فضة فقال رضيتها يارسول الله ثم خر علي رضي الله عنه ساجدا شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضي الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وقد روى الطبراني والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه غيري فان الله جعل ذريتي من صلب علي رضي الله عنه والعقد لعلي رضي الله عنه وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر أو على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر كما علم من الروايات السابقة أو على تخصيصه بذلك لانه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فله أن يزوج من شاء لمن شاء جمعا بينه وبين ماورد مما يدل على شرط القبول على الفور وقد ذهب المالكية الى أن التفرق اليسير لا يضر فلعل غيبة علي كانت قريبة جدا وقد يفهم من ظاهر الحديث انه أتى في المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده وأجاز أبو حنيفة التفرق مطلقا ومنعه الشافعي مطلقا وكانت وليمة علي رضي الله عنه آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديدا وفي رواية أولم بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار وكان جهاز فاطمة رضي الله عنها خميلة أي بساط له خمل أي هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسرير امشروطا وكان فرشهما ليلة عرسهما جلد كبش وعن الحسن البصري كان لعلي وفاطمة رضي الله عنهما قطيفة اذا لبسوها بالطول انكشفت ظهورهما واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤسهما وجاء انه صلى الله عليه وسلم مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ثم دخل في الرابع في غداة باردة وهما في لحاف واحد فقال كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فأخذ علي احداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها وأخذت

فاطمة

فاطمة رضي الله عنها الاخرى فوضعتها على صدرها و بطنها لتدفئها وعن أنس رضي الله عنه قال جاءت فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى وابن عمى مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال يا بنية اصبرى فان موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين مالهما فراش الا عباءة قطوانية أى بيضاء قصيرة الخمل و فى مسند الامام أحمد عن على رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها شكت ماتلقى من أثر الرحى مما تطحن فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبى فانطلقت لم تجده فأخبرت عائشة فلما جاء صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضي الله عنها فجاء صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لاقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى قلنا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام اذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهن خير لكما من خادم ولم يتزوج على رضي الله عنه عليها حتى توفيت رضي الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبى جهل قام صلى الله عليه وسلم على المنبر وقال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى و ينكح ابنتهم انما هى بضعة منى يريبنى ما رابها و يؤذينى ما آذاها والله لا تجتمع بنت رسول الله و بنت عدو الله عند رجل أبدا فترك على الخطبة قال أبوداود حرم الله على على رضي الله عنه أن ينكح على فاطمة رضي الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وألحق بعضهم أخواتها بها ويحتمل اختصاصها بذلك رضي الله عنها وعنهن وقد ورد فى فضائل على رضي الله عنه أحاديث كثيرة حتى قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ماورد لاحد من الصحابة رضي الله عنهم ماورد لعلى كرم الله وجهه أى من ثنائه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك كثرة أعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم فاضطر الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ماحفظه ردا على الخوارج وغيرهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما مانزل فى أحد من الصحابة فى كتاب الله مانزل فى على كرم الله وجهه نزل فى على ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ماتكلمت به فى التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه وقد أفردت مناقبه بالتآليف رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

> سرية ابن مسلمة التى قتل فيها ابن الاشرف

(سرية محمد بن مسلمة) التى قتل فيها كعب بن الاشرف اليهودى لعنه الله وكانت لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى الاوسى ومعه أربعة من الانصار الى كعب بن الاشرف اليهودى ليقتلوه قال ابن اسحاق ان كعب بن الاشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبوه عربيا من بنى نبهان أصاب دما فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاء أحبار اليهود من بنى قينقاع و بنى قريظة الى كعب بن الاشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم ماعندكم من أمر هذا الرجل فقالوا هو الذى كنا ننتظره ماأنكرنا من نعوته شيئا فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا الى أهليكم فان الحقوق فى مالى كثير فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استثبتنا علمنا انا غلطنا وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيئا من ماله وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشعاره و يحرض كفار قريش على قتاله وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأمورا بتألف الناس و بالصبر على الاذى كما قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من

قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور لانه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها اخلاط مجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فأراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الاسلام وكان المشركون واليهود يؤذون المسلمين أشد الاذى فصبروا على ذلك وكان كعب بن الاشرف من أشد الناس أذى للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وكان قد عاهد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يعين عليه أحدا فنقض العهد وسبه وسب أصحابه وكان من عداوته انه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب أحق هذا اترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما أيقن الخبر ورأى الاسرى مقرنين كبت وذل وخرج الى قريش يبكى على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فنزل بمكة على المطلب بن أبى وداعة السهمى وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبى العيص فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبى صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حسانا فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضى الله عنهما فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت مالنا ولهذا اليهودى فخرج من عندها وصار يتحول من قوم الى قوم فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبى صلى الله عليه وسلم فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة ثم رجع الى المدينة فتغزل فى نساء المسلمين وذكرهن بسوء فلما أبى أن ينزع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا بابن الاشرف وفى رواية من لكعب بن الاشرف أى من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا وجاء فى رواية انه حالف قريشا عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال انهم ان الله أخبرنى بذلك ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا عن عروة بن الزبير قال انبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستفتوه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو سفيان والمشركون أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه وأى ديننا أهدى فى رأيك وأقرب الى الحق فقال أنتم أهدى سبيلا وأفضل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية وخمس آيات فيه وفى قريش فجزم عروة بأنها نزلت فى كعب ونحوه ما روى الامام أحمد عن غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم كعب مكة قالت له قريش ألا ترى الى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير فنزل فيهم ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى نصيرا وأخرج ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله عنهما كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبنى قريظة حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وأبا رافع والربيع وعمارة وهوذة فلما قدموا مكة قالت قريش هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الاولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ملكا عظيما ولذا قال الجلال والبيضاوى انها نزلت فى كعب وفى جمع من اليهود خرجوا الى مكة وساق نحو القصة وزاد البيضاوى أنهم سجدوا للآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الاشرف له صلى الله عليه وسلم ونقضه العهد ما جاء أن كعبا صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود انه يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الوليمة فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء صلى الله عليه

وسلم ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام عما أضمر وه بعد ان جالسه فقام يستره جبريل بجناحه فلما فقده وه تفرقوا فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ولما قال صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب قال محمد بن مسلمة الاوسي رضي الله عنه أنا أتكفل لك به يا رسول الله وفي رواية أنا أقتله قال فافعل ان قدرت وفي رواية أنت له ثم قال له ان كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضي الله عنه فشاوره فقال توجه اليه واشك اليه الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما فمكث محمد بن مسلمة ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال لم تركت الطعام والشراب قال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا قال انما عليك الجهد ثم أتى أبا نائلة وعباد بن بشر والحارث بن أوس وأبا عبس بن جبر فأخبرهم بما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله فأجابوه وقالوا كانقتله ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله لا بد لنا أن نقول أي قولا غير مطابق للواقع يسركعبا التوصل به الى التمكن من قتله قال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك فأباح لهم الكذب لانه من خدع الحرب وكأنهم استأذنوه في أن يشكوا منه ويعيبوا دينه لان كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وكان في قتله خلاصهم فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه اياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بالسنتهم مع أن قلوبهم مطمئنة بالايمان ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفرا لكنه يباح بالاكراه وهذا بمنزلته فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف فقال ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما نأكل وفي رواية أن نبيا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وانه قد عنانا واني قد أتيتك أستسلفك قال كعب وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أي شئ يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين وفي رواية وأحب أن تسلفنا طعاما قال وأين طعامكم قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه قال ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم أجابهم بأنه يسلفهم وقال ارهنوني قالوا أي شئ تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك وقولهم هذا على سبيل التهكم وان كان هو في نفسه جميلا قال فارهنوني أبناءكم قالوا وكيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح مع علمك بحاجتنا قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده أن يأتيه وجاءه أيضا أبو نائلة وقال له ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الامر سيصير الى ما أقول فقال اني أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك وان معي أصحابا على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال ان في الحلقة لوفاء وكان أبو نائلة أخا لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع فجاءه محمد بن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وكلهم من الاوس ولما فارقوا النبي صلى الله عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه أبو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم فوثب في ملحفته فأخذته امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون في مثل هذه الساعة قال انها

أنه أبونائلة لو وجدني نائما ما أيقظني فقالت والله انى لاعرف في صوته الشر وفي رواية قالت اسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبونائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له هل لك يا ابن الاشرف ان تمشي الى شعب العجوز اسم موضع كان قريبا منهم نتحدث به بقية ليلتنا فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبانائلة أدخل يده في باطن رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا اعطر ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها وأمسكه من شعره وقال اضربوا عدو الله وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لاصحابه اذا ما جاء كعب فاني قائل بشعره أي آخذ به فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة ما رأيت كاليوم طيبا فقال عندي اعطر نساء العرب واجملهن فقال أتأذن لي ان أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي قال نعم فيحتمل ان كلا من محمد بن مسلمة وأبي نائلة استأذنه في ذلك وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه فلما تمكن أبونائلة أو محمد بن مسلمة من امساكه ضربوه باسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن الا أوقدت عليه نار قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفي في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله فحزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق ففاتوهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف انهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه فأخبروه بمقتل عدو الله فقال أفلحت الوجوه فقالوا ووجهك يارسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أصاب ذباب السيف الحارث بن أوس بن معاذ رضي الله عنه فجرح في رجله أو في رأسه حتى نزف الدم فتفل صلى الله عليه وسلم على جرحه فلم يؤذه بعد وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودي الا وهو يخاف على نفسه وفي رواية فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت وفي رواية فأصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى ان يكتبوا بينهم وبينه صلحا فكان ذلك الكتاب مع علي رضي الله عنه وفي قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر

صرخت به فلم يعرض لصوتي * ووافى طالعا من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادي * فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهنا فخذها * لشهر ان وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا * وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوي سريعا * وقال لنا لقد جئتم لامر
وفي أيماننا بيض حداد * مجربة بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة المردي * به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه * فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فأبنا * بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام * هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لانه نقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم بهجاه وسبه وكان عاهده

بقيع الغرقد هي مقبرة سميت بذلك لشجرات غرقد وهي العوسج كانت فيه اه مؤلفه

ان لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه قال القاضي عياض ان محمد بن مسلمة لم يصرح له بالامان فى شئ من كلامه انما كلمه فى أمر البيع والشراء واشتكى اليه وليس فى كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لاحد ان يقول ان قتله كان غدرا وقد قال ذلك انسان فى مجلس على بن أبى طالب رضى الله عنه فأمر به فضربت عنقه وانما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهده صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنه محمد ورفقته ولكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان قال الحافظ بن حجر ان كعبا كان محاربا حيث ترجم لقصته البخارى بالفتك بأهل الحرب والكذب فى الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم

غزوة غطفان

(غزوة غطفان) ويقال لها غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم وشد الراء وغزوة أنمار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربى سماه بعضهم غورث ابن الحارث فخرج صلى الله عليه وسلم اليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم هربوا فى رؤس الجبال وأصاب المسلمون رجلا منهم يقال له حبار وقيل حبان فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبرهم وقال لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا فى رؤس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فأسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع وأخذ ذلك الرجل بالنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين طريقا وهبط بهم على قومه فوصل المسلمون ماء يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وكان ذلك بموضع قريب من المشركين فكانوا ينظرون اليه وهم فى رؤس الجبال واشتغل المسلمون بشؤونهم فقال المشركون لدعثور وكان شجاعا سيد قومه قد انفرد محمد فعليك به فأقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى اليوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى قال له أحد أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم انه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره قال فقلت انه ملك فأسلمت وعلمت انه رسول الله ولأكثر عليه جمعا فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت فى بنى النضير حين أرادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وقيل نزلت فى كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف قال القشيرى وقد تنزل الآية فى قصة ثم تنزل فى أخرى لادّكار ما سبق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

غزوة بحران

(غزوة بحران) بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بنى سليم أيضا فخرج صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى ولم يظهر وجها للسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان قد بلغه أن جمعا كثيرا من بنى سليم اجتمعوا ببحران فأحث السير حتى بلغها وكان قبل وصوله اليها لقى رجلا فأخبره ان القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا وأطلق الرجل وكانت غيبته عشر ليال وفى هذه السنة عقد لعثمان رضى الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر أهل بدر وفى شعبان من هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضى الله عنهما بعد

ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر رضي الله عنه وفي رمضان تزوج زينب بنت جحش (سرية زيد بن حارثة) رضي الله عنه الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء اسم ماء من مياه نجد وسببها ان قريشا خافوا من طريقهم التي يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وكلهم اسلموا عام الفتح رضي الله عنهم ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه في مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فأصاب العير وما فيها وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وكانت هذه السرية في جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة

سرية زيد بن حارثة

(غزوة أحد) وهو جبل مشهور بالمدينة وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وسببها ان قريشا لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وكلهم أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى أبي سفيان رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى كل من كان له تجارة في تلك العير التي كانت سبب وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا ونحن طيبوا النفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي فجعلوا ذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس اموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا فكان الذي أخرج خمسين ألف دينار وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابي عزة الجمحي يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك علي ان رجعت ان أغنيك وان أصبت أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من علي وأطلقني يعني يوم بدر وأخذ علي ان لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقني فلا أريد ان أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فقيل ان مسافعا لم يعرف له اسلام وقيل أسلم بعد ذلك وأما أبو عزة فجيء به الى النبي صلى الله عليه فأمر عاصم بن ثابت رضي الله عنه فضرب عنقه ودعا جبير بن مطعم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما حبشيا له يقال وحشي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فأنت حر لان حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدي يوم بدر وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا في أبي فاني لا أرى في القوم كفؤا له غيرهم فأنت عتيق فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف أي آلات الملاهي والخمور والبغايا وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع أزواجهن منهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله عنهما فانهما أسلما عام الفتح هي وزوجها وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فانهما أسلما أيضا وفاطمة بنت الوليد ابن المغيرة مع زوجها الحارث بن هشام وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر وينحن عليهم ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال وكتب العباس للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فأبى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال فجاء كتابه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بقباء وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه ان يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لابي بن كعب فقرأه عليه

غزوة أحد

فاستكتم أبيا ثم نزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس رضي الله عنه فقال والله انى لأرجو ان يكون خيرا فاستكتمه اياه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا أم محمد ما انت وذاك فقالت قد سمعت ماقال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ بيدها ولحق النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها وقال يارسول الله انى خفت أن يفشو الخبر فترى أنى أنا المفشي له وقد استكتمتنى اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فرس وسبعمائة دارع ومعهم الاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة ماسجا ليل ووضح نهار ومارسا حبيش مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم وخرج معهم أبو عامر الراهب فى سبعين فارسا من الاوس وكان أبو عامر الراهب فى المدينة مقاوما للنبي صلى الله عليه وسلم ومباعداله ومنكرا النبوته وكان قبل ذلك مترهبا يزعم انه ينتظر النبي المبعوث ويذكر للناس كثيرا من صفاته ويقول لهم قد قرب خروجه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واتضحت صفاته للانصار واتبعوه حسده أبو عامر وأنكر نبوته وكان رئيسا فى الاوس كعبدالله بن أبي فى الخزرج فكل منهما حسد النبي صلى الله عليه وسلم لكن عبدالله بن أبي دخل فى الاسلام ظاهرا وهذا خرج من المدينة كافرا مباعدا فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يموت وحيدا طريدا فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلا عن الراهب وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وهو من المستشهدين بأحد وهو الذى غسلته الملائكة ومات أبو عامر الفاسق كافرا بأرض الروم وحيدا طريدا اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم لانه لما فتحت مكة خرج فارا الى الروم ثم ان القوم بعد ان تجهزوا وخرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادى من قبل أحد مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الاربعاء ثاني عشر شوال فأقاموا به الاربعاء والخميس والجمعة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال وكان رجال من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال والله انى قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفي أى طرفه الذى يضرب به ثلما ورأيت انى ادخلت يدى فى درع حصينة وكانى مردف كبشا فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذى رأيت فى سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولت الكبش بانى أقتل صاحب الكتيبة وقد صدق الله رؤياه صلى الله عليه وسلم فكان الرجل الذى من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه وقتل على رضي الله عنه طلحة بن عثمان العبدرى صاحب لواء المشركين فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم وقال عروة بن الزبير وجماعة كان الذى بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وفى رواية فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن أبي ابن سلول يستشيره تألفا له ولم يستشره قبل ذلك فكان رأى عبدالله بن أبي ابن سلول مع رأيه صلى الله عليه وسلم فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرا وأسفوا على مافاتهم من مشهدها يارسول الله انا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم فقال ابن أبي يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو

قوله حبيش كذا فى نسخة المؤلف والذى فى القاموس حبشى أى مثل كرسى قاله نصر

لناقط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منهم فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا وقال حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الانصار رضى الله عنهم انا نخشى يارسول الله أن يظن عدونا انا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا زاد حمزة والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة وقال النعمان يارسول الله لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لادخلنها فقال صلى الله عليه وسلم له فقال لانى أحب الله ورسوله وفى لفظ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا أفر يوم الزحف فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ فترجح عنده صلى الله عليه وسلم موافقة رأيهم وان كرهه ابتداء ليقضى الله أمرا كان مفعولا فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم بأن لهم النصر ما صبروا أى مدة صبرهم على أمره وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك لانهم لا غرض لهم فى الدنيا وزهرتها الما وقر فى قلوبهم وارتاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة الى جنات النعيم ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر أهل العوالى ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه فى الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أى عاوناه فى لبس عمامته وثيابه والتقليد بسيفه وغير ذلك مما تعاطاه عند ارادة الخروج وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الاوس وهو فى الانصار كالصديق فى المهاجرين رضى الله عنهم قال الزرقانى فهو أفضل الانصار فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهى بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فندم الطالبون لخروجه على ما صنعوا وقالوا ما كان ينبغى لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت وفى رواية فان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم لواء للاوس وجعله بيد أسيد بن حضير ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة ولواء للمهاجرين وجعله بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة العبدرى فقال نحن أحق بالوفاء منهم فأخذه من على ودفعه الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار اكبرا ولاد قصى فجعل أبوه قصى القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها اليه ثم اختلف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ثم اتفقوا على ان اللواء والحجابة ودار الندوة لبنى عبد الدار والقيادة والسقاية والرفادة لبنى عبد مناف وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالوفاء منهم وفى شرح الزرقانى على المواهب انه لما قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه وكان فى المسلمين مائة دارع وهو لابس الدرع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وقيل خرج ماشيا وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة

فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وكانا دارعين ورد صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين لصغرهم نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب رضى الله عنهم ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل له انه رام فخرج وأصيب بسهم فقال صلى الله عليه وسلم أنا

اشهد

أشهد له يوم القيامة وعاش الى زمن عبد الملك بن مروان ولما أجازه قال سمرة بن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعا وردني وأنا أصرعه فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه ورأى صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود مع عبد الله بن أبي يريدون الخروج فقال وقد أسلموا قالوا لا يا رسول الله قال مروهم فليرجعوا فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين وكان المسلمون الخارجون معه صلى الله عليه وسلم ألف رجل ثم انخزل عبد الله بن أبي ورجع هو ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة فبقي المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش والاحابيش المحالفين لهم وقال ابن أبي حين أراد الرجوع عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأى له علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه وكان خزرجيا كابن أبي اذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعد ما حضر عدوهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناهم فلما أبوا قالوا أبعدكم الله سيغني الله عنكم قال موسى بن عقبة لما انخزل ابن أبي بمن معه سقط في أيدي طائفتين من المسلمين وهمتا ان تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام من الاوس وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بني سلمة وبني حارثة وما أحب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما أي الدافع عنهما قال الحافظ ابن حجر أي ان الآية وان كان في ظاهرها عتاب عليهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم قال ابن اسحاق قوله والله وليهما أي الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لان ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم في دينهم وفي الصحيح أيضا عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه لما خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزل فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أي ردهم الى كفرهم بما كسبوا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي في الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى الصبح بأصحابه صفوفا ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطف المشركون بالسبخة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وصار سيفا لله سله على المشركين وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وعلى المشاة صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام استقبل خالد بن الوليد وكن بازائه وأمر جماعة آخرين أن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين ولم يكن مع المسلمين الا فرس أو فرسان قال الحلبي وما وقع في الهدى لابن القيم ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير بن النعمان الاوسي البدري المستشهد يوم أحد رضي الله عنه وهو أخو خوات بن جبير رضي الله عنه وكان الرماة خمسين رجلا فأقامهم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل صغير مرتفع وقال لهم احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل انا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم اني أشهدك عليهم وفي رواية قال لهم ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم أي مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وفي رواية فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا اللهم اني أشهدك عليهم ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه وكان مكتوبا عليه

في الجبن عار وفي الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فقام رجال وبسطوا أيديهم كل انسان منهم يقول أنا يا رسول الله منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير رضي

الله عنهم فامسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك بن أوس الانصارى رضى الله عنه فقال وما حقه يارسول الله قال ان تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه يارسول الله قال لعلك ان أعطيتكه تقاتل فى الكيول أى مؤخر الصفوف قال لا يارسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر قال انها المشية يبغضها الله تعالى الا فى مثل هذا الموطن وليس فى هذه القصة دليل على ان أبادجانة أشجع من النفر الذين منعهم النبى صلى الله عليه وسلم اعطاء السيف بل هذه خصوصية لابى دجانة ولعل ذلك بوحى من الله تعالى لاظهار شأن الانصار وفضلهم حيث اعطاه لرجل منهم قال الزبير رضى الله عنه لما منعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه أبادجانة قلت والله لانظرن ما يصنع أبو دجانة فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا فى أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فرلم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى * ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر فى الكيول * اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا من المشركين الا قتله قال انس فلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أى قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبادجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أى يشجعهم حماشديدا فعمدت اليه فلما حملت السيف عليه ولول أى دعا بالويل أى قال ياويلاه فعلمت انه امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اضرب به امرأة وعن الزبير رضى الله عنه قال خرج أبو دجانة بعد ما أخذ السيف واتبعته فجعل لا يمر بشئ الا افراه وهتكه وفلق به المشركين وكان اذا كل شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدو وكأنه منجل حتى أتى نسوة فى سفح الجبل ومعهن هند وهى تغنى تحرض المشركين فحمل عليها فنادت بالصخر فلم يجبها أحد فانصرف عنها فقلت له كل سيفك رأيته فاعجبنى غير انك لم تقتل المرأة قال كرهت أن أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها وكان أول من انشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق لانه كما تقدم كان فى المدينة فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اليها حسده وكفر به وخرج الى مكة وكان يعد قريشا انه لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فخرج بمن معه مع من خرج من قريش والاحابيش فنادى يامعشر الاوس أنا أبو عامر فقالوا لا انعم الله بك عينا يافاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومى بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يافلان والادبار الاعقاب أى الذين يحمون أعقاب الناس والبتار القاطع ويقلن أيضا

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا البوارق

والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قيل المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان صلى الله عليه وسلم اذا

الكيول بفتح الكاف وشد الياء اهـ مؤلفه

سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول اللهم بك أحول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يامعشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير رضي الله عنه فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضي الله عنه فذبحه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وان حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لولم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فاختلفا ضربتين وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدره علي رضي الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنعك ان تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فرجع اليه فقتله فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة رضي الله عنه وهو يقول أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الافلح فقتله ثم حمله أخو مسافع وهو الحارث بن طلحة فرماه عاصم أيضا فقتله وكانت أمهما معهما وأسمها سلافة فكان كل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها فتقول له يابني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمى يقول خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت أن أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب الخمر فيه وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الابل فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحارث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحارث وكلاب وجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم قتلوا كأبيهم وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله علي رضي الله عنه وقيل حمزة رضي الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان ايضا ثم حمله صواب غلامهم وكان عبدا حبشيا فقتله علي وقيل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ثم لم يزل اللواء طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها اسلام فرفعته لقريش فلاثوا به أي استداروا حوله وقد كان أبو سفيان قبل القتال قال لاصحاب اللواء أي لواء المشركين من بني عبد الدار يحرضهم على القتال يابني عبد الدار أنكم قد توليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا

ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان ولما صرع صاحب لواء المشركين الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى لانه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رآى صلى الله عليه وسلم انه مردفه فى رؤياه المتقدمة ثم قال أولك ذلك أنى أقتل صاحب الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ماذكر من قتل أصحاب اللواء صار واكتائب متفرقة فجاش المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أماكنهم وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وهو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار باللعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها يالهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها تجاه الباب وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فانه اسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبو بكر رضى الله عنه شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن المبارزة أيضا يوم بدر وقد وقع للصديق رضى الله عنه أن العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش لقتال أهل الردة شاهرا سيفه فأخذ على كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلى رضى الله عنه مع الجيش وفى أول الامر يوم أحد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاثا والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أى أضعفوهم قتلا ولما حميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال وتقول ويها بنى عبد الدار الخ الابيات المتقدمة ثم أنزل الله نصره على المسلمين فصاروا يحسون الكفار حسا أى يقتلونهم قتلا كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار لا يلوون على شئ ونساؤهم يدعون بالويل قال الزبير والله لقد رأيتنى أنظر الى خدم هند بنت عتبة أى ما فى ساقها من الحلى هى وصواحبها مشمرات هوارب وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم واشتغلوا عن الحرب فقال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالبقاء بمكانهم الغنيمة أى قوم قد غلب أصحابكم فما تنتظرون فقال لهم عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله لا تبرحوا فأبوا أن يطيعوه وقالوا والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا ههنا فلما أتوهم متوجهين الى محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتهم قوله صلى الله عليه وسلم ونظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل الذى كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على من بقى من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه ووقعت الهزيمة فى المسلمين قال الحافظ ابن حجر وفيه شؤم ارتكاب النهى وأنه يعم ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولذا قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم أى أصابكم الهزيمة التى أغمتكم بسبب ادخالكم الغم على النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفة أمره ومع ذلك فقد أخبر الله فى كتابه بأنه عفا عنهم بقوله ولقد عفا عنكم وصرخ ابليس لعنه الله أى عباد الله يعنى المسلمين أخراكم أى احترزوا من جهة أخراكم وهى كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند

القتال

القتال من ورائه فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميزوا لشدة مادهشهم
لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذى وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبرا
واحدا عن موقفه كما فى شرح الزرقانى وعند الاختلاط صاروا لا يعرفون المسلم من الكافر وترك
المسلمون شعارهم الذى يتعارفون به وهو أمت أمت فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض فكان ممن
قتلوه خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما فقال ابنه غفر الله لكم وترك ديته وأحاط
المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون
وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتهبوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ذلك اليوم
قتالا شديدا حتى بلغ الذين قتلهم أحد وثلاثين رجلا كلهم من شجعانهم وكان رضى الله عنه يقاتل
بسيفين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أنا أسد الله وخرج سباع بكسر السين وتخفيف
الباء ابن عبد العزى الخزاعى فقال هل من مبارز فبرز له حمزة رضى الله عنه وقال هلم يا ابن مقطعة
البظور أى لان أمه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة ثم قال له حمزة رضى الله عنه
أتحاد الله ورسوله أى تحاربهما وتعاندهما ثم شد عليه حمزة رضى الله عنه فضربه ضربة فقتله بها فكان
كأمس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضى الله عنه وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشى
غلام جبير بن مطعم انى لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضى الله عنه فانكشف الدرع عن
بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها اليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق
العانة فأقبل نحوى ثم وقع فأمهلته حتى مات فجئته فأخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى فى شئ
حاجة غيره لما تقدم أن حمزة رضى الله عنه قتل طعيمة بن عدى يوم بدر فقالت ابنة طعيمة لوحشى ان قتلت
محمدا أو حمزة أو عليا فى أبى فانت عتيق وفى رواية قال لى مولاى جبير بن مطعم ان قتلت حمزة بعمى
فأنت حر ولا مخالفة لاحتمال ان كلا من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك وجاء فى بعض الروايات عن
وحشى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال وخرجت ما أريد أن أقتل ولا أقاتل الا حمزة وكان وحشى
يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطئ ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحربة مسيلمة الكذاب وكان يقول
ارجو أن هذه تكفر تلك وهذا لا ينافى ما ورد ان الذى قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الانصارى
أو أبو دجانة رضى الله عنهم لاحتمال أن يكون وحشى ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين
فى قتله لعنه الله وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة وكان مصعب بن عمير رضى الله عنه يقاتل يوم
أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حامل اللواء فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فأخذ اللواء ملك
فى صورته وفى رواية لما قتل أعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه فلعل الملك حمل اللواء
عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم فلما ظهر وشاع أعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى رضى الله
عنه وكان الذى قتله عبد الله بن قميئة بكسر الميم لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان مصعبا
رضى الله عنه كان اذا لبس لامته يشبه النبى صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قميئة لظنه الخائب ان محمدا
قد قتل روى ابن سعد أن مصعبا رضى الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى
وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أى
أكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول الآية قال محمد بن شرحبيل وما نزلت
هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها لما سمع قول القائل قد قتل محمد وقيل ان الصارخ الذى قال قتل محمد ليس
هو ابن قميئة بل ابليس لعنه الله وانه تصور فى صورة جعال بن سراقة الضمرى وكان رجلا صالحا عن أسلم
قديما ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون واستمروا الى قرب المدينة وتفرق سائرهم

ووقع فيهم القتل قال الحافظ ابن حجر انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا في الهزيمة الى قرب المدينة
فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما
استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم. وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي صلى
الله عليه وسلم قد قتل فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال الى أن
يقتل وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيئا
فشيئا لما عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم حي ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ
من ذلك القول الذي نطق به الشيطان وهو على صورته وشهد له خوات بن جبير وأبو بردة بأن جعالا كان
عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة لما غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أعين
بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ههنا وقال بعض منهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفي ذلك أنزل الله وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآيات وقال رجل منهم لم يعرف
اسمه ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي ليستأمن لنا من أبي سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى
قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلوا البيوت فقال أنس بن النضر عم أنس بن
مالك رضي الله عنهما يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه وشهد له بهذه
المقالة عند النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضي الله عنه ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرون
على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان في قلوبهم وروى ابن اسحاق
ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال
من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم فقال ان كان قتل فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على
ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال أنس ولقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ
سبعين ضربة فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال غاب عمي أنس
ابن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال
المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع
هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد
الجنة ورب النضر اني أجد ريحها دون أحد قال سعد فما أستطيع أن أصف ما صنع قال أنس فوجدناه
بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون
فما عرفه أحد الا أخته عرفته ببنانه وأنس بن مالك لم يحضر يوم أحد وانما سمع ذلك من سعد بن معاذ
رضي الله عنه وممن قال مثل مقالة أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضي الله عنه فانه قال يا معشر
الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حي لا يموت قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه
نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار
ابن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضي الله عنهم وثبت
النبي صلى الله عليه وسلم وقت رجوع المسلمين ولم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه
الذي وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين قال ابن سعد ما زال صلى الله عليه وسلم يرمي عن
قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر وكان أقرب الناس الى القوم وجاء عن علي رضي الله عنه وغيره
كنا اذا اشتد البأس أي حمي القتال اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي فجعلناه في وجه القوم
ويكونون خلفه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن المقداد بن الاسود رضي الله عنه والذي بعثه

بالحق مازالت قدمه شبرا واحدا وانه لفي وجه العدو تفيء اليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق مرة فربما رأيته قائما يرمي عن قوسه ويرمي بالحجر حتى انحازوا عنه وروى أبو يعلى بسند حسن عن علي رضي الله عنه قال لما انجلى الناس يوم أحد نظرت في القتلى لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه صلى الله عليه وسلم فما لي خير من أن أقاتل حتى اقتل فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم في المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسي فاما ان استشهد واما ان أنجو حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك اذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فتنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى أتوا الجبل ففعل ذلك مرارا ولا أدري من هو وبيني وبينه المقداد فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه اذ قال المقداد يا سعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت وأين هو فأشار اليه فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الاذى وأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته فكان سعد مجاب الدعوة قال حتى اذا فرغ النبل من كنانتي نثر صلى الله عليه وسلم لي ما في كنانته وانكشف الناس عنه صلى الله عليه وسلم وعن سعد رضي الله عنه قال لقد رأيتني والنبي صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به وجاء ان سعدا رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارم فداك أبي وأمي ففداه ذلك اليوم ألف مرة وعن علي كرم الله وجهه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبي وأمي الا لسعد رضي الله عنه يعني يوم أحد فلا ينافي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل ذلك للزبير رضي الله عنه يوم الخندق كما سيأتي ان شاء الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد ويقول هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله أي لان سعدا رضي الله عنه كان من بني زهرة وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم منهم وكان رضي الله عنه اذا غاب يقول النبي صلى الله عليه وسلم مالي لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضي الله عنه وثبت معه صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة رضي الله عنهم وكذا علي رضي الله عنه قال في فتح الباري فقد صحت الاحاديث بأن عليا رضي الله عنه ممن ثبت وبعض الرواة لم يذكره لانه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج الى أن يقال ثبت وسبعة من الانصار وهم أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضي الله عنهم وزاد بعضهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه بل جاء انه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك وعليك السلام غير مودع وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافي في الروايات لان اختلاف الاحاديث لاختلاف الاحوال فانهم تفرقوا في القتال فلما ولى من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذب عن نفسه ثم عرفوا ببقائه صلى الله عليه وسلم فتراجعوا اليه أولا فأولا ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعمارا وابن مسعود رضي الله عنهم وفي بعض الروايات لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الانصار ولعله في بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر وثبت انه صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه أصحابه صار يقول الي يا فلان الي يا فلان أنا رسول الله

فما يعرج اليه أحد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك قال الحلبى فليتأمل فان المحفوظ انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك يوم حنين وان كان لا مانع من التعدد وممن ثبت معه صلى الله عليه وسلم أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى زوج أم أنس بن مالك رضى الله عنه فانه استمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يحوزعنه بجحفته وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر له النبى صلى الله عليه وسلم كنانته بين يديه وصار رضى الله عنه يقول نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك وقاء فلم يزل يرمى بها وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبى صلى الله عليه وسلم انثرها لابى طلحة وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف أى ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يانبى الله بأبى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك وتطاول أبو طلحة رضى الله عنه بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازال النبى صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ماانعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر وفى رواية حتى تقطع الوتر وبقى فى يده قطعة قدر شبر فأخذ القوس عكاشة بن محصن رضى الله عنه ليوتره فقال يارسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فوالذى بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم أقرب الناس الى القوم وممن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم وكان بايع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبلوا سهلا أى اعطوه نبلا وممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهى زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فعنها رضى الله عنها قالت خرجت يوم أحد لا نظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراحة الى وروى انه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قميئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قميئة يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضى الله عنه فضربنى هذه الضربة ضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان وجاء فى رواية خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم أهل بيت فقالت له نسيبة رضى الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة وعند ذلك قالت رضى الله عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا وراَيتها تقاتل دونى وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضى الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وكان ابنها عبد الله بن زيد رضى الله عنه مشاركا لوحشى فى قتل مسيلمة فعنها رضى الله عنها قالت قاتلت يوم اليمامة فقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابنى عبد الله ابن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت شكرا لله تعالى وقتله له كان بعد ضرب وحشى له بحربته وجاء انه شاركهما فى ذلك أبو دجانة رضى الله عنه وأنزل الله يوم أحد على المؤمنين النعاس قال الزبير بن العوام رضى الله عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا

الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه فى صدره فوالله انى لاسمع كالحلم قول معتب بن قشير لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا قال تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية وعن كعب بن عمرو الانصارى رضى الله عنه قال لقد رأيتنى يومئذ فى أربعة عشر من قومى الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة أى لانه لا ينعس الا من يأمن فما منهم أحد الا غط غطيطا حتى ان الجحف أى الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما شعر وتقدم فى غزوة بدر انه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء ان النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة من الشيطان وأما الطائفة المنهزمة فانها تفرقت فرقا فمنهم من ذهب الى المدينة فلقيتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك أى أعطنى سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ويشكل على استقبال أم أيمن اياهم أنه جاء انها كانت فى الجيش تسقى الجرحى فقد جاء ان حبان بن العرقة رمى بسهم فأصاب أم أيمن وهى تسقى الجرحى فتكشفت فأغرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فرمى به فوقع عدو الله مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوته وفى رواية اللهم استجب دعاء سعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم أيمن كانت فى الجيش وبين كونها بالمدينة حين وصول بعض المنهزمين الى المدينة لجواز ان تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه فقد جاء انه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعل نفسه ترسا فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل وممن قاتل دونه صلى الله عليه وسلم عمارة بن زياد بن السكن رضى الله عنه حتى أثبتته الجراحة أى أصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم أدنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضى الله عنه حتى قتله ابن قميئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر فرجع الى المشركين فقال قتلت محمدا كما تقدم وقيل ان القاتل لمصعب بن عمير أبى بن خلف الجمحى أخو أمية بن خلف المقتول ببدر الذى كان يعذب بلالا رضى الله عنه يروى انه أقبل أبى بن خلف يوم أحد نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاستقبله رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه فأقبل وهو يقول يا كذاب أين تفر فتناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث ابن الصمة أو الزبير بن العوام رضى الله عنه فرماه النبى صلى الله عليه وسلم بها فأصابت عنقه وخدشته خدشا غير كبير واحتقن الدم أى لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلنى والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك وفى رواية عقلك انا لنأخذ السهام من أضلاعنا فنرمى بها فما بك والله من بأس ما أجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ماضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة وفى رواية لو كان بربيعة ومضر وفى رواية لو كان بأهل الارض لماتوا أجمعون انه قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة وكان أبى يقول بمكة للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا له أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها والفرق بفتح الراء مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفى صلى

الله عليه وسلم وعن سعيد بن المسيب ان أبي بن خلف قال حين افتدى ببدر من الاسر والله ان عندي لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله تعالى ويمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من أبي لعنه الله ومن النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته من فرجة من سابغة الدرع وهي ما يغطي العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعا من اضلاعه وفي رواية طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مرارا وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه صلى الله عليه وسلم حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ثم استقبله فطعنه في عنقه ولا منافاة لان الترقوة في أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة وناهيك مزيه صلى الله عليه وسلم لان كون الطعنة خدشة انما هو بحسب ما يظهر للرائي والا فالطعنة شديدة في الباطن وذلك أقوى في النكاية فيكون من المعجزات أيضا ودليل وجود الشدة في الباطن وقوعه مرارا من الفرس وكونه خار كالثور الذي يذبح وكون الطعن في العنق يفضي الى كسر الضلع من خوارق العادة وجاء في رواية انه ضربه تحت ابطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أحدا الا أبي بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم راجعون الى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لانه مسرف وقيل مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال اني لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل واذا نار تأجج لي فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فناداني يا عبد الله ولا أدري أعرف اسمي أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت أن أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف لعنه الله رواه البيهقي ويدل لهذا ما جاء في الحديث كل من قتله نبي أو قتل بأمر نبي في زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ في الصور وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبي وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير أي لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة على عباد الله وتقدم ان ابن عمر رضي الله عنهما مر ببدر واذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قتلهم أصحابه رواه الطبراني في الاوسط ولا بعد في تعدد الواقعة بل في الخصائص الكبرى للجلال السيوطي ما يدل على التعدد وذكر فيها ان ابن عمر ذكر ذلك الذي رآه ببدر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد حفر أبو عامر الفاسق الذي كان مع المشركين كما تقدم حفرا في موضع المعركة وزعم ان ذلك من مكايد الحرب فوقع النبي صلى الله عليه وسلم في حفرة منها فأغمي عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أي خدشت ركبتاه فأخذ علي رضي الله عنه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا ان ثقل السيف أثر في عاتقه فشكى صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كما رواه الحاكم في المستدرك قال قال حاطب رضي الله عنه لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى رضى الله عنك وأما ما ذكره ابن منده من أنه أسلم واستند لقول أخيه سعد فى ابن أمة زمعة عهد الى أخى عتبة انه ولده فليس فيه ما يدل على اسلامه لاحتمال أن يكون عهد اليه وهو فى كفره بأن أمة زمعة حملت منه وقد شدد أبو نعيم فى الانكار على ابن منده فى ذكره فى الصحابة واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى وجهه فقال اللهم لا تحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال الحول حتى مات كافرا الى النار قال الحافظ ابن حجر ان ذكره فى الصحابة غلط وليس فى الآثار ما يدل على اسلامه بل فيها ما يصرح بموته على الكفر فلا معنى لايراده فى الصحابة انتهى وروى ابن اسحاق عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة حين صنع برسول الله ما صنع ولقد كفانى فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله وصح أنه لم يولد من نسل عتبة ولد فبلغ الحلم الا وهو أبخر أو أهتم أى منتن الفم أهتم أى مكسور الثنايا يعرف ذلك فى عقبه وجاء ان الذى جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم عبد الله بن قمئة وفى رواية عبد الله بن شهاب الزهرى جد الامام الزهرى من قبل أبيه شهد أحدا مع الكفار ثم أسلم رضى الله عنه وهو الذى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته وهى ما ارتفع من لحم خده فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة على رأسه أى كسرت وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وفى الصحيح عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وجاء أن طلحة رضى الله عنه جرح يوم أحد تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين وشل اصبعاه أى السبابة والتى تليها وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة وروى النسائى والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال أدرك المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معهما من الانصار قال ثم قاتل طلحة قتالا شديدا حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جو السماء وانتزع أبو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا فى وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه فكان ساقط الثنيتين قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبى عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبى عبيدة لان ذلك الهتم حسن فمه وقيل ان عقبة بن وهب بن كلدة هو الذى نزع الحلقتين من وجنته صلى الله عليه وسلم وقيل انه أبو بكر رضى الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك ابن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمى لم تصبه النار وفى رواية من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزوة رضى الله عنه وفى رواية من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان ولما رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقمأك الله وهو يمسح الدم عن وجهه فسلط الله على ابن قمئة تيسا جبليا فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة فى نكاله وخزيه ووباله وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال الاوزاعى بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه

وسلم يوم أحد أخذ شيئا فجعل ينشف فيه دمه ليمنعه من النزول على الارض و يقول لو وقع منه شيء على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فاعتذر عنهم وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ولا قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وعن معمر بن راشد عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة فان قيل كيف شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس أجيب بأن هذه الآية نزلت بعد وعلى تسليم أنها نزلت قبل فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى لا يخفى ان أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثرة طائعي أمة أجابته أولا في كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الشيطان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الانصاري رضي الله عنه وهو أحد الثلاثة المذكورين في قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الخ قال عرفت عينيه صلى الله عليه وسلم تزهران أي تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك في أنه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فعرفناه بتكفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة وجماعة آخرون وفي خصائص العشرة أن الزبير رضي الله عنه ثبت يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب فممنوع بل ثبت مع علي رضي الله عنه غيره كما تقدم وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق فمشى اليه الحارث بن الصمة رضي الله عنه فاصطدما ساعة بسيفيهما ثم ضربه الحارث على رجله فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أحانه أي أهلكه وأقبل عبيد بن أبي جابر العامري يعدو فضرب الحارث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلوا الصخرة التي في الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أي فعل شيئا استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع وقد قيل ان طلحة رضي الله عنه كان في مشيه اختلاف أي لعرج كان به فلما حمل النبي صلى الله عليه وسلم تكلف استقامة المشي لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبي صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا وقد جاء علي رضي الله عنه

بماء فى درقته ليغسل به جرح النبى صلى الله عليه وسلم فلم يشرب صلى الله عليه وسلم من ذلك لتغير وجده به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد ثم ذهب الى موضع بعيد فأتى بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وجاء ان نساء المدينة خرجن ومعهن فاطمة رضى الله عنها ابنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى يسكب الما فيتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيئا من حصير فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب مع بعض أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغى لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين رضى الله عنهم حتى هبطوا من الجبل ونزل فى ذلك قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وفى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ارددهم قال سعد فأخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندى فى كنانتى لا يفارق كنانتى وكان بعد سعد عند بنيه وجاء فى رواية عن سعد رضى الله عنه قال لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت انه ملك وصلى صلى الله عليه وسلم الظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراح التى أصابته صلى الله عليه وسلم وصلى المسلمون خلفه قعودا ثم نسخ وقيل ان الذين صلوا قعودا هم الذين أصابتهم الجراح وقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت اصبعه وفى رواية أنامله وفى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة بن عبد الله التى وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شلاء ونزف الدم بطلحة رضى الله عنه حتى غشى عليه فجاءه أبو بكر رضى الله عنه ونضح الماء فى وجهه حتى أفاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر رضى الله عنه هو بخير وهو أرسلنى فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وجرح عشرين جراحة فأكثر وأصاب كعب بن مالك سبعة عشر جراحة وقتل الاصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل بأحد فبدا له الاسلام أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى دخل فى عرض الناس أى جانبهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينا رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك أنصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث ان مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول حدثونى برجل دخل الجنة ولم يصل يعنى الاصيرم وقتل حنظلة رضى الله عنه وهو ابن أبى عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق ويقال لابى عامر بن صيفى وتقدم ان أبا عامر خرج من المدينة مباعدا للنبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه فنهاه صلى الله عليه وسلم وقد دعا صلى الله عليه وسلم على أبى عامر ان يموت طريدا وحيدا فاستجاب الله دعوته فخرج الى الشام بعد فتح مكة فمات وحيدا طريدا قال السبكى فى تائيته

ومات ابن صيفي على الصفة التي * ذكرت وحيدا بعد طردو غربة

وسبب قتل ابنه حنظلة رضي الله عنه انه ضرب فرس أبي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس وهو غلط والصواب شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة وفي رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن في صحائف الفضة فسئلت زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وكانت من المؤمنات الصادقات فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وكان حنظلة رضي الله عنه دخل عليها عروسا تلك الليلة التي صبيحتها وقعة أحد وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعي وفي رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أي الصائحة بالخروج للعدو وفي رواية انه غسل أحد شقيه ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر فلذلك غسلته الملائكة وجاء انها التمس في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها حين أراد الخروج بأنه دخل بها خشية أن يحصل له موت فيكون في ذلك نزاع قالت لاني رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضي الله عنه في تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذي ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق وقد جاء ان أبا قتادة الانصاري رضي الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد أن يمثل بقتلاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله على فيه وعسى ان طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبو قتادة والله يارسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو عليهم أي كرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا ينافي انه قد دعا عليهم في بعض الاوقات فأنزل الله ليس لك من الامر شيء الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال لئن ظفرت بهم لامثلن بأربعين منهم فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال أصبر وأحتسب وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصاري الفارسي فضربه على عاتقه فقطع الدرع فقال خذها وأنا الغلام الفارسي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وأنا الغلام الانصاري وكان قد قتله بتلك الضربة فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدو كأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه فقال خذها وأنا الغلام الانصاري فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسود يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك فوالله اني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد اعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وتوجه الى القبلة وقال اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائبا الى

كبه الله بدون همز على الصواب لانه متعدبدونها وأما أكب بالهمز فلازم على خلاف القياس قاله نصر

أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته وفى رواية انه قال يارسول الله أرأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة ويمكن الجمع بأنه فى أوّل دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة (وأصيبت) يوم أحد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الاوسى رضى الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل صارت فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئا فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله لى الجنة فقال أفعل يا قتادة وفى رواية وان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى أن تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وعند الطبرانى عن قتادة رضى الله عنه قال كنت أتقى السهام بوجهى دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك وردها الى موضعها وقال اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما أى أقواهما نظرا فكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وفى رواية أصيبت عيناى وهو من تصرف الرواة بل قال الدارقطنى ان هذه الرواية تفرد بها عمار بن نصر قال النووى وقد غلطوه فالصواب انها عين واحدة وروى الاصمعى عن أبى معشر قال قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال عمر من الرجل فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لاوّل أمرها * فياحسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وفى رواية فقال عمر بمثل هذا فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمى أبو رهم الغفارى واسمه كلثوم بن الحصين بن خالد بسهم فوقع فى نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف عبد الله ابن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد فى يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضى الله عنه قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفى فقتل على رضى الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضى الله عنهما فى قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى من أمراء المعتصم بن الرشيد فى بغداد بمائتى دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق فى غزوة بدر الا أن سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون *(واشتغل)* المشركون ذكورا واناثا بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه وجاء وحشى بعد ان مات حمزة رضى الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال لها هذا كبد حمزة قاتل أبيك فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة وجاء فى رواية ان النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وكانت هند نذرت أن تأكل من قلب حمزة رضى الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرجها وحشى فلمذة من قلبه فلاكتها فلم تستطع بلعها فلفظتها (ولما أراد) أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته وقال أنعمت فعال ان الحرب سجال حنظلة بحنظلة يوم أحد بيوم بدر اعل هبل وسبب قوله ذلك انه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا وأجالهما

عند هبل فخرج بهم نعم فتوجه الى أحد فلذا قال اعل هبل أى زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه أجبه فقل الله أعلى وأجل وقوله أنعمت فعال بسكون التاء أى أجابت بنعم فى فعلها البالغ ففعال معدول عن فاعلة صيغة مبالغة يعنى بالغت هذه الفعلة أى الوقعة ثم قال له عمر رضى الله عنه لا سواء أى لا نستوى نحن وأنتم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أى لا ناصر لكم قال ابن اسحاق وعلت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر * ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى * شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى * حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب المطلبية أخت مسطح بن أثاثة فقالت

خزيت فى بدر وبعد بدر * يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر * بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى * حمزة ليثى وعلى صقرى
اذ رام شيب وأبوك غدرى * فخضبا منه ضواحى النحر

ونذرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقانى قال الحافظ أبو الربيع فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يخنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم ان الله هداها للاسلام وعبادة الله وترك الاصنام وأخذ بحجزتها عن سوء النار ودلها على دار السلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها حتى قالت له صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله ما كان على الارض أهل خباء أحب الى أن يذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى أن يعزوا من أهل خبائك وكان اسلامها واسلام زوجها أبى سفيان عام الفتح وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت يرجعها الله اليك أحسن مما كانت وان شئت عنها خير امنها فى الجنة فرمى بها وقال خير امنها فى الجنة وشهد غزوة اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ثم قلعت عينه الاخرى وتوفى بالمدينة سنة احدى أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضى الله عنه وكان أبو سفيان رضى الله عنه فى أول دخوله فى الاسلام متكرها فتألفه النبى صلى الله عليه وسلم حتى شرح الله صدره للهدى وحسن اسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة وقال له العباس رضى الله عنه بعد اسلامه أين قولك أنعمت فعال وقولك اعل هبل فقال للعباس قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للاسلام فاياك أن تصغى الى طعن الطاعنين فيه أو فى أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى وأصهارى وهو من أصهاره وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد وكانا من أشد الناس على المسلمين ثم أسلما وحسن اسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفا من سيوف الله صبه الله على المشركين وصار عكرمة اذا فتح المصحف يصيح ويقول هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه فالحمد لله الذى هدانا برسوله أجمعين وقال أبو سفيان يوم أحد الحرب سجال وفى رواية يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس

القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني وفي رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني ويروى ان الحليس سيد الاحابيش مر بابي سفيان وهو يضرب بزج الرمح في شدق حمزة ويقول ذق عقق أي ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذي كنت عليه يا عاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها عني فانها زلة ثم بعد اجابة عمر لابي سفيان قال له أبو سفيان هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن قال انك عندي أصدق من ابن قميئة وأبر أي لان ابن قميئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قتلت محمدا كما تقدم وفي رواية ان أبا سفيان قبل نداء عمر نادى أفي القوم محمد ثلاثا فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال له كذبت والله يا عدو الله ان الذي عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد يعني العام القابل ثم ارتحل القوم وسار وا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال له اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أي ركبوا امطاها أي ظهورها فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده ان أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزهم قال علي أو سعد بن أبي وقاص فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة بعد ما تشاوروا في نهب المدينة فأشار عليهم صفوان ان لا تفعلوا فانكم لا تدرون ما يغشاهم ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الاحياء هو أم في الاموات أي لان النبي صلى الله عليه وسلم رأى الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار وهو أبي بن كعب رضي الله عنه أنا أنظر لك يا رسول الله فقال له ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر أبي فوجده جريحا وبه رمق أي بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ان أنظر أفي الاحياء أنت أم في الاموات فقال قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وقد أنفذت الى مقاتلي فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك مني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم أي يصل اليه شيء من الاذى وفيكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره وفي رواية اقرأ على قومي السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته عند تلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر يعني أبا سفيان وأصحابه وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء أي بانهزامهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وقطعت

أذناه ومذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه وقال أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لى من هذا وقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لامثلن بسبعين منهم ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثل بها أحد من العرب فأنزل الله على النبى صلى الله عليه وسلم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفى كلام بعضهم ان هذه الآية مكية قال الحلبى يجوز أن تكون مما تكرر نزوله وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه فانه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به الغشى وقال يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وقال ذلك لا مع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعى الجاهلية المنكر وهو النداء بذكر محاسن الميت لان محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لعمل صالح للحث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها يا أمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى فدفعت فى صدره وقالت له لم وقد بلغنى انه مثل بأخى وذلك فى الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك أى أنا أشد رضاء بذلك من غيرى لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءته واسترجعت واستغفرت له وفى رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فأرياها انهما لا يدريان أى رحمتهما فجاءت الى النبى صلى الله عليه وقال انى أخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته وفى رواية أنها لما منعها على والزبير رضى الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن أمى حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو فى الناس قالت لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير يحبسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجى ببرده وفى رواية قال ألا كفن فرمى رجل من الانصار بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال يا جابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمى وفى رواية جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الانصار ولعله والد جابر رضى الله عنه وفى رواية كفن حمزة رضى الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشف رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفى رواية الحرمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وفى رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا فلما أسلم رضى الله عنه تقشف وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه كان يوما صائما فجىء له بطعامه فقال قتل مصعب ابن عمير وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه

بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام أنس رضي الله عنه قال وعن قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون في القبر الواحد وقال صلى الله عليه وسلم في حق حمزة لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أي بتطاول جزعهن وفي رواية لولا تجد صفية في نفسها ويكون سنة من بعدي لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع وفي رواية حتى تأكله العافية ويحشر في بطونها الشدة غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة رضي الله عنه واحدا بعد واحد فيصلي على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ولم يغسلهم وفي رواية ولم يصل عليهم وهذا هو الذي في صحيح البخاري ولفظه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أو ان الصلاة بمعنى الدعاء وحملوا على ذلك أيضا حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أي دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك قال السهيلي لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد في شيء من مغازيه الا هذه الرواية في أحد وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الائمة بعده نعم جاء ان حنظلة كان جنبا فغسلته الملائكة كما تقدم (وممن مثل به) عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد يوم اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يجدع أنفي ويقطع أذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت وهذا ليس من تمني الموت المنهي عنه لان المنهي عنه أن يكون ذلك لضر نزل به وتقدم ان عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار سيفا في يده وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة ابن عبد المطلب في قبر واحد وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفي وأبو الحكم هذا قتل كافرا في ذلك اليوم أعني يوم أحد قتله علي رضي الله عنه كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله ابن عمرو هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر رضي الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجا بعمة جابر أخت عبد الله بن عمرو وجاء أن عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنه أصابه جرح في وجهه ومات ويده على جرحه فأميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو هذا وهو أيضا قبر عمرو ابن الجموح فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالامس فأزيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه قال استصرخنا الى قتلانا بأحد وذلك حين أجرى معاوية رضي الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فأتيناهم فأخرجناهم طريا تتثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث الدم وذكر أنه فاح من قبورهم مثل المسك وفي لفظ على رأس خمسين سنة مع أن أرض المدينة سبخة يتغير الميت في قبره من ليلة وانما لم يتغيروا لان الارض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد بعضهم قارئ القرآن والعالم العامل ومحتسب الاذان ويدل له حديث الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره أي كشهيد المعركة لا يأكله الدود وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي فقال

لم تأكل الارض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد لانه كان ابن عمه وذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فأجهز عليه وقال الآن شفيت نفسي حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن ارقم وقتلت أبا نوفل وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضي الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادى واحد لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال في قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء ومامن جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا أي يمتنعوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ان الله كلم أباك كفاحا فقال سلني أعطك فقال أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال أي رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال تبكيه أولا تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وكان جابر رضي الله عنه لم يحضر القتال انما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عفرة رضي الله عنه قال أصيب أبي يوم أحد فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال أما ترضى ان تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد فلما نعوا لها أي بلغها خبر موتهم قالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ما نعل به قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشئ الصغير يقال للشئ الكبير فهو من الاضداد ويعلم المراد بالقرينة وفي رواية انها امرت بأخيها وزوجها وابنها وأبيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها أخوك وزوجك وابنك وأبوك فلم تكترث بل صارت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا قال مجاهد حضرت الملائكة ولم تقاتل وما قاتلت الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال مارأيتهما قبل ولا بعد أي وهما جبريل وميكائيل قال البيهقي لا منافاة لانهم لم تقاتلوا يوم أحد عن القوم فلا ينافي انهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن جاء عن الحارث بن الصمة رضي الله عنه قال سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت رأيته في جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحارث فرجعت الى عبد الرحمن

فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت عينك كل هؤلاء قتلت فقال أما هذا وهذا فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لاتنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وتقدم انه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخذه ملك في صورة مصعب وجاء انه لما تصور الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يامصعب فالتفت اليه الملك وقال لست بمصعب فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ملك وفي رواية ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقدم مصعب قال يارسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وتقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه وجاء في رواية انه حمله أيضا أخو مصعب واسمه أبو الروم ويجمع بين الاحاديث باحتمال ان يكون كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن (ولما أراد) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله وعامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة كن بأصل أحد وقال اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن اضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها بنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زوجته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبي فقالت من يارسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ماهو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعني أي فلا تؤاخذني فدعا لها أن يحسن الله عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة وجاءت أم سعد بن معاذ رضي الله عنها وعنه تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد يارسول الله أمي فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما اذا رأيتك سالما فقد أشويت المصيبة أي استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل بأحد بعد أن قال لام سعد ياأم سعد ابشري وبشري أهلهم ان قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا في أهلهم قالت رضينا يارسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا ثم قالت يارسول الله أدع الله لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع صلى الله عليه وسلم نساء الانصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لابواكي له وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله لم يكن لحمزة رضي الله عنه بالمدينة زوجة ولا بنات فأمر سعد بن معاذ رضي الله عنه نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزله السعدان عن فرسه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة

المغرب لخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال متوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم المغرب فلما رجع من صلاة المغرب الى بيته سمع البكاء فقال ما هذا فقيل نساء الانصار يبكين على حمزة فقال رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن ترجع النساء الى بيوتهن وفي رواية خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وان بلالا أذن للعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يارسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافاة لاحتمال أن يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتي رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة أخرى فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الانصار فان المواساة فيهم وصارت المرأة من نساء الانصار بعد ذلك لا تبكي على ميتها الا ابتدأت بحمزة رضي الله عنه أي بكت عليه ثم بكت على ميتها وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود الى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح فقال له الانصار بلغنا يارسول الله انك نهيت عن النوح وانما هو شيء نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا (وجملة القتلى) من المسلمين يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر فانه جاء أن حمزة وحده قتل احدا وثلاثين فلعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أودفنوهم ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه وقالوا لو كان من قتل معكم عندنا ما قتل فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتل هؤلاء المنافقين فقال أليسوا يظهرون شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله فقال بلى ولكن تعوذا من السيف وقد بان أمرهم وأبدى الله أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير وكان من عادة عبد الله بن أبي ابن سلول انه اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر قام فقال يا أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس ياعدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني انما قلت شرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة أحد في آل عمران في قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقد ذكر الله تعالى الحكمة في ما أصاب المؤمنين بحيث انهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ومن الحكم في ذلك ان عادة الله جرت أن الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى وليبتلي الله ما في

صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ولو انغلبوا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا ومستورا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول كانخزالهم وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم عاد ما كانوا يضمرونه ويتكلمون به فيما بينهم ويخفونه عن المسلمين مصرحا به وعرف المسلمون ان لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومن الحكم في ذلك أيضا ان في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها وتكبرها وتعاظمها فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها قال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين قال ابن اسحاق أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدقكم في الايمان بي والصبر على ما أصابكم أي أعاملكم معاملة المبتلي المختبر ليظهر على لعلم ويكون ما أظهره مطابقا لما سبق في علمي ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الاولياء فساقهم الله اليها اكراما لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل لقاء العدو كما قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت اني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ومنها أن الله أراد اهلاك أعدائه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا انهم على شيء من ظفرهم الصوري بالمسلمين فزادوا عتوا وتجبرا وطغيانا في ايذاء أوليائه ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق بذلك الكافرين كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أي يهلك الكافرين الذين حاربوا يوم أحد ولم يسلموا والمعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ومنها أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والاسقام تعظيما لاجورهم تأسى بهم اتباعهم في الصبر على المكاره قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال ابن اسحاق أنزل الله في شأن أحد ستين آية من آل عمران وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سبحانه وتعالى أعلم

غزوة حمراء الاسد

(غزوة حمراء الاسد) بفتح الحاء والمد مضافة الى أسد اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق اذا أردت ذا الحليفة وكانت صبيحة أحد اذ وقعة أحد يوم السبت والغزوة المذكورة يوم الاحد لست عشرة مضت من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكانت لطلب العدو الذين كانوا بالامس قال الواقدي باتت وجوه الانصار على بابه صلى الله عليه وسلم خوفا من كثرة العدو

فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه قد أقبل من عند أهله بملل بميم ولام بين اسم موضع قرب المدينة اذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيئا أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم وقد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا فان القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد والذى نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب ودعا صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فذكر لهما ما أخبر به المزني فقالا يا رسول الله اطلب العدو لا يقتحمون على الذرية أي يدخلون الله فلما صلى الصبح ندب الناس وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج أي أمر بلالا أن ينادي أن رسول صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب العدو وأن لا يخرج معنا أحد الا من خرج معنا أمس يعني من شهد أحدا وأراد بذلك اظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم انهم على غاية من القوة والرسوخ في الايمان وحب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أيضا الزيادة في تعظيم من شهد أحدا وأيضا خاف اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهرا فلا يمكنه منعهم وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت لما انصرف المشركون عنه صلى الله عليه وسلم خاف أن يرجعوا فقال من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود قال الحافظ ابن كثير والمشهور عند أهل المغازي أن الذين خرجوا الى حمراء الاسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون قال العلامة الشامي في سيرته والظاهر انه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب المغازي لان معنى قولها فانتدب منهم سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وانما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا للمشركين لما بلغه انهم يريدون العود فخرج لارهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوة وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ولم يشتغلوا بما وبجراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة وذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد ولهم زجل وبأتمرون بالرجوع وصفوان ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء الاسد فوجد الرجلين فدفنهما وروى النسائي والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ارجعوا فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين فانتدبوا فخرج بهم حتى بلغ حمراء الاسد أو بئر أبي عتبة فأنزل الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم وخرج صلى الله عليه وسلم وهو مجروح وفي وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة ولقيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له يا طلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى به وبه بضع وسبعون جراحة منها سبعة بصدره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا طلحة أين تظن القوم فقال بالسيالة فقال صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت أما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن ولما وصل صلى الله عليه وسلم حمراء الاسد

أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم وكان اللواء في هذه الغزوة بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي بحمراء الاسد معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضي الله عنه وكان بنو خزاعة عيبة نصح للنبي صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم كلهم يحبونه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله أعلى كعبك وأن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع وقالوا أصبنا في أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك قال محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال ما أرى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني أنهاك عن ذلك فلشوا رعبا من ذلك ورجعوا الى مكة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب بعد الذي كان منه يوم أحد فرجع الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد قذف الله في قلبه الرعب ثم رجع صلى الله عليه وسلم بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر صلى الله عليه وسلم عند رجوعه الى المدينة بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة فأمر بقتله وحاصل قصته انه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلي اليه فله عندي ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان رضي الله عنه فلما نظر اليه قال أهلكتني وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بي منك رحما فأجرني فأدخله عثمان رضي الله عنه منزله وجعله في ناحية ثم خرج عثمان رضي الله عنه ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضي الله عنه فأشارت اليهم ام كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان بعد ان علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك فأخرجوه واتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضي الله عنه والذي بعثك بالحق ما جئت الا لآخذ له أمانا فهبه لي فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم أنه ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فأقام معاوية ثلاثا ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي بها قريشا فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فقال صلى الله عليه وسلم انكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه فأدركه زيد بن حارثة وعمار رضي الله عنهما فقتلاه وقيل انما قتلاه بعد ان جاآ به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بضرب عنقه صبرا بأن أوثقوه حتى أمر بقتله وفي سيرة ابن هشام وظفر صلى الله عليه وسلم بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان قد أسره ببدر ثم من عليه من غير فداء لاجل بناته وكان شاعرا يشتغل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال وكان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر على أن لا يعود الى شئ من ذلك فلما من عليه وأطلقه رجع الى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلا به قبل من السب والهجاء فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الاسد نزل معهم ثم

سار واوتركوه نائما فأدركه المسلمون وأسروه وكان الذى أسره عاصم بن ثابت رضى الله عنه فلما ظفر به صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى وأعاهدك أن لا أعود فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وفى رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفى لفظ سخرت بمحمد مرتين ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يازبير وفى رواية ياعاصم بن ثابت فضربت عنقه وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم قيل ولما قتل حملت رأسه على رمح الى المدينة وهى أول رأس حملت فى الاسلام الى المدينة أى على رمح فلا ينافى أن أول رأس حملت رأس كعب بن الاشرف فلا تعارض قال بعضهم فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغى للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة كانت ولادة الحسن بن على رضى الله عنهما وهى سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان وحملت فاطمة رضى الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن على رضى الله عنهما وفى هذه السنة أيضا حرمت الخمر فى شوال بعد وقعة أحد

سرية أبى سلمة

(سرية أبى سلمة) عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن بفتح القاف والطاء وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره وهو اسم ماء لبنى أسد بنجد بعث صلى الله عليه وسلم أبا سلمة ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والانصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى خويلد الاسديين وسبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه صلى الله عليه وسلم فنهاهم قيس بن الحارث فلم ينتهوا فدعا صلى الله عليه وسلم أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة فأغر عليهم فخرج فأسرع السير حتى انتهى الى أدنى قطن فأغار على سرح لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت الباقون وتفرقوا فى كل وجه وفى رواية خافوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة ابلا وشاء فأغار عليها ولم يلق كيدا أى حربا وفى رواية فعسكر به أى بقطن وتفرق قومه ثلاث فرق فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا فى ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين وقد أصابتا نعما وشاء فانحدر بها أبو سلمة الى المدينة وأخرج منها صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا وأعطى الوليد بن زبيد الطائى وهو الدليل ما رضى به ثم خمسها وقسم الباقى على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغناما ومدة غيبته فى تلك السرية عشرة أيام والله أعلم

سرية ابن أنيس الجهنى

(سرية عبد الله) بن أنيس رضى الله عنه الجهنى السلمى الانصارى بعثه صلى الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ثم اللحيانى وكان بعرنة موضع قريب من عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله فقال صفه لى يارسول الله حتى أعرفه قال اذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت يارسول الله ما فرقت من شئ قط فقال آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته ان أقول فقال قل ما بدا لك وقال انتسب لخزاعة فأخذت سيفى وخرجت أعتزى لخزاعة فلما وصلت اليه بعرنة لقيته يمشى ووراءه الاحابيش فهبته وعرفته بنعت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت صدق الله وصدق رسوله وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشى وأومئ برأسى ايماء ثم دنوت منه فقال ممن الرجل قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك قال أجل انى لفى الجمع له فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثى فقلت له عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه احلامهم قال انه لم يلق أحدا يشبهنى ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهد الارض حتى انتهى الى خبائه

وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه قال اجلس قال فجلست معه حتى اذا نام الناس اغتررته وقتلته وفى رواية انه قال مشيت معه حتى اذا أمكنني حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا ودخلت غارا وأقبل الطلب وأنا كامن فى الغار وضربت العنكبوت على الغار وأقبل رجل معه اداوة ضخمة ونعلاه فى يده وكنت حافيا فوضع اداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لاصحابه ليس أحد فى الغار فانصرفوا راجعين فخرجت فشربت ما فى الاداوة ولبست النعلين ولم يرنى أحد فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفا من الطلب أن يدركنى حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يارسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبرى فدفع الى عصا وقال تخصر بها فى الجنة فان المتخصرين فى الجنة قليل فكانت العصا عنده حتى اذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها فى أكفانه ففعلوا والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم قال موسى بن عقبة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتل عبد الله بن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضى الله عنه والله أعلم *(بعث الرجيع)* وهى سرية عاصم بن ثابت الانصارى رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من السابقين الى الاسلام روى الحسن بن سفيان قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله عليه وسلم لمن عنده كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت رضى الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريبا من مائتى ذراع كان الرمى واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة أى الملاعبة بالرماح حتى تتقصف فاذا تقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم وشهد رضى الله عنه العقبة وبدرا وأحدا وكان بعثه فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة فيكون فى أول السنة الرابعة والرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بن الياس بين مكة وعسفان وانما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه وسبب هذا أن بنى لحيان من هذيل بعد قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى مشوا الى عضل والقارة وهما قبيلتان من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام وقيل انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يبعث عيونا الى مكة ليأتوه بخبر قريش فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه للامرين جميعا وهم عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخبيب بن عدى الاوسى البدرى وزيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف وأمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبى مرثد فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا فى مقابلتهم مالا لعلمهم انه لاشئ أحب الى قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد فأبوا أن يقبلوا منهم فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم وأما زيد

بعث الرجيع

وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلا ورغبوا فى الحياة وفى رواية انهم لما نزلوا بالرجيع
أكلوا تمر عجوة فسقط نواه فى الارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار لانهم لقلتهم غير آمنين من
عدوهم من قريش وهذيل خصوصا وذلك قرب وقعة أحد وقتل سفيان بن خالد الهذلى فجاءت امرأة
من هذيل ترعى غنما فرأت النوى فأنكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها وقالت قد
أتيتم من قبل العدو فجاؤا فى طلبهم حين أخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل
فأحاطوا بهم وقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لا نقتل منكم رجلا لا ننزل اليهم على العهد
والميثاق خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وقال عاصم بن ثابت رضى الله عنه أيها القوم
أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم
أصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فنى وكان عنده سبعة أسهم
فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت
دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره أى عن أن يمثلوا به بعد القتل فقتلوا عاصما وأطلقوا أوتار قسيهم
فربطوا بها خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق هذا أول الغدر
لا أصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى اسوة فجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وقيل مشى معهم
حتى اذا كانوا بمر الظهران جذب يده وأخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا
بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة باعهما جامع وزهير الهذليان باسيرين من هذيل بمكة وقيل
انهم باعوا خبيبا بأمة سوداء والذى اشتراه والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لان خبيبا هو الذى
قتل عامر بن نوفل يوم بدر وبنو الحارث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير
ابن أبى اهاب حليف بنى نوفل وقد أسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم ورضى
عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وقتل زيدا بأبيه أمية وكان
شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم فقتلوا زيدا وأما خبيب فكذلك مكث
أسيرا حتى خرجت الاشهر الحرم ثم أجمعوا على قتله وكانوا فى أول الامر أساؤا اليه فى حبسه فقال لهم
ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم فأحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهى ماوية
مولاة حجير وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضى الله
عنهما روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال قال لى خبيب وكانوا جعلوه عندى يا موهب أطلب
اليك ثلاثا أن تسقينى العذب وان تجنبنى ماذبح على النصب وأن تعلمنى اذا أرادوا قتلى وقالت ماوية زوج
موهب كان خبيب رضى الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقلت له هل لك
من حاجة قال لا الا أن تسقينى العذب ولا تطعمينى ماذبح على النصب وتخبرينى اذا أرادوا قتلى فلما أرادوا
ذلك أخبرته فوالله ما أكترث بذلك وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحارث موسى ليستحد به
أى يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل عليه الصغير فأجلسه على فخذه
والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله
ما كنت لأغدر وقالت زينب والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا أى عنقودا
من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب وروت ماوية أيضا مثل ذلك وقالت
وما أعلم فى الارض حبة عنب وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا قال فى المواهب وهذه كرامة جليلة
جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه صلى الله عليه وسلم لتصحيح رسالته ثم خرجوا بخبيب من
الحرم ليقتلوه خارجه فقال اتركونى أصلى فتركوه فصلى ركعتين قال موسى بن عقبة صلاهما فى موضع

مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ثم انصرف اليهم وقال لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت وفي رواية اسجدت سجدتين أخريين ثم قال اللهم أحصهم عددا ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا أي متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حي وفي رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالارض خوفا من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حي غير ذلك الرجل الذي لبد في الارض قيل ان ذلك الرجل هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فقد حكى ابن اسحاق عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال كنت مع أبي أي حين قتلوا خبيبا فجعل أبي يلقيني الى الارض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه قال العلامة الزرقاني ان دعوة خبيب أصابت منهم من سبق في علمه تعالى أن يموت كافرا وأما من سبق في علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فانما هلك بددا لانهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم في أحد وبدر لان الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفي رواية ان خبيبا رضي الله عنه قال اللهم اني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه فجاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأخبر أصحابه بذلك روى موسى بن عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم وهو جالس وعليك السلام خبيب قتلته قريش ثم أنشأ خبيب رضي الله عنه يقول

ولست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع (٣)
لقد جمع الاحزاب في وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
الى الله أشكو غربتي بعد كربتي * وما أرصد الاحزاب لي عند مصرعي

قال الزرقاني في شرح المواهب روى أن قريشا طلبوا جماعة ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح والحراب وقالوا لهم هذا الرجل قتل أباءكم فطعنوه بالرماح والحراب فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه الى الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته فلم يستطع أحد أن يحوله وقد ذكر ابن اسحاق زيادة في الشعر المتقدم وكذا الواقدي وغيره وهذا لفظهم

لقد جمع الاحزاب حولي وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدي العداوة جاهد * علي لاني في وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتي ثم كربتي * وما أرصد الاحزاب لي عند مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيروا في الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذاري جحم نار ملفع
و والله ما أخشى اذا مت مسلما * على أي جنب كان في الله مضجعي
فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا اني الى الله مرجعي

قال الحافظ ابن حجر وفي هذا انشاد الشعر عند الموت وقوة نفس خبيب وشدة قوته في دينه وفي رواية قام اليه أبو سروعة عقبة بن الحارث بن عامر فقتله وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان يقول ما أنا قتلت خبيبا لاني كنت صغيرا ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة وجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة فطعنه بها حتى قتله وكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة لانه فعل ذلك في حياة النبي صلى

(٣) الاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو الجسد والممزع المقطع اه مؤلفه وألبوا بتشديد اللام أي حرضوا اه

الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من
عمل العبد وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح
والحراب أي طعنوه بها طعنا خفيفا وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله
ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه وقيل ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك
فقال أبو سفيان رضي الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم بعد
أن قتلوا خبيبا رضي الله عنه أبقوه على خشبته مصلوبا مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه فأرسل صلى الله
عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وفي رواية عمرو بن أمية الضمري فأتوه فاذا هو رطب
لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما فحمله الزبير على فرسه وسار فلحقهم سبعون من الكفار فقذفه الزبير
فابتلعته الارض والذي أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه فقد روى الامام أحمد
رضي الله عنه عن عمرو بن أمية قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدي عينا الى قريش فجئت
خشبة خبيب بن عدي لانزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلا فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفي
فالتفت فلم أر خبيبا وكأنما ابتلعته الارض فلم أر له أثرا حتى الساعة ويمكن الجمع بأنه أرسله صلى الله
عليه وسلم أولا ثم أرسل الزبير والمقداد فحين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فأخذه الزبير الى آخر ما تقدم
وبعثت قريش في طلب عاصم بن ثابت رضي الله عنه حين بلغهم انه قتل ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه
به كرأسه لانه كان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر قال الحافظ بن حجر ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن
أبي معيط فان عاصما قتله على قول ابن اسحاق صبرا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من
بدر وقيل الذي قتله هو علي رضي الله عنه ولعلهما اشتركا في ذلك فنسب الى كل منهما وجاء في رواية أن
عاصما لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة
العبدري وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس
عاصم لتشربن الخمر في قحفه وما انفلق من الجمجمة وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم
الدبر أي الزنابير بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شيء منه وفي رواية
للبخاري فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئا وفي رواية فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم
فحالت بينهم وبين أن يقطعوا فقالوا دعوه حتى يمسي فتذهب الدبر عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل
عاصما فذهب به وفي رواية فاحتمله السيل فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وقيل
ان الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى أخذه المسلمون فدفنوه وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد
أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا بمصافحة ونحوها فأعطاه الله ذلك والمراد انه قوي
رجاؤه في الله فعاهده على ذلك أو المراد انه عاهد الله أنه لا يمكنه مشركا من مسه أو المراد سأل الله
ذلك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه
في حياته ففيه استجابة دعاء المسلم واكرامه حيا وميتا وانما استجاب الله له في حمايته لحمه من المشركين لقوله
اللهم اني حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله له من اكرامه
بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وفق ما طلب ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من
حمزة ونحوه رضي الله عنهم لان المزية لا تقتضي الافضلية والله سبحانه وتعالى أعلم * (سرية بئر معونة) *

سرية بئر معونة

وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجي رضي الله عنه الى أهل بئر معونة ليدعوهم الى الاسلام أو مددا
لهم وبئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وقيل هي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا
البلدين قريب منه وهو الى حرة بني سليم أقرب قال الزرقاني والظاهر انه لا تنافي لجواز أن يكون ذلك

الموضع

الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بني عامر وحرة بني سليم وكانت هذه السرية في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث صلى الله عليه وسلم مع المنذر المطلب السلمي رضي الله عنه ليدلهم على الطريق وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لنزولهم به وكان مع رعل بطن من بني سليم ومع ذكوان بطن منهم أيضا وتعرف هذه السرية أيضا بسرية القراء وكان من أمرها كما قاله ابن اسحاق عن شيوخه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري واختلف في اسلامه وصحبته بعد ذلك قال الذهبي والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الاسنة فعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وفي رواية انه أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية مشرك وعرض عليه الاسلام فقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو انك بعثت معي نفرا من أصحابك لرجوت ان يتبعوا أمرك فانهم ان اتبعوك فما أعز أمرك وفي رواية لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام اني أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار أي هم في ذمامي وعهدي وجواري فابعثهم فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون قال قتادة كانوا رضي الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل زاد ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه وكانوا يشترون الطعام لاهل الصفة ويأتون به الى حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخو أم سليم خال أنس بن مالك رضي الله عنه بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري وهو ابن أخي أبي براء ومات كافرا بالاجماع وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي رضي الله عنه فلما أتى حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل لم ينظر في كتابه بل استمر في طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله وفي رواية الطبري فخرج حرام فقال يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم فآمنوا بالله ورسوله فخرج رجل برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر وفي الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة قال ابن اسحاق وهذا الذي طعنه هو عامر بن الطفيل وقيل انه ما مات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا انه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه وكان مسلما يكتم اسلامه لامرأة من قومه هل لك في رجل ان صح كان نعم الراعي فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول

أبا عامر ترجو المودة بيننا * وهل عامر الا عدو مداهن
اذا ما رجعنا ثم لم يك وقعة * بأسيافنا في عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ثم ان عامر بن الطفيل استصرخ بني عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء أي لن ننقض عهده وذمامه لانه قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصاري الخزرجي النجاري البدري رضي الله عنه فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا باصابة سهم والا عمرو بن أمية الضمري فانه أسر وأطلق قال ابن اسحاق كان عمرو في سرح القوم هو ورجل من الانصار وهو المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم والخيل التي أصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو ما ترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصاري لكني

ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل وأما عمرو فأسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أي الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه قال أنس ابن مالك رضي الله عنه جاء خبرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام في تلك الليلة فقال هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ماصنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافرا وقال حسان رضي الله عنه لربيعة بن عامر ملاعب الاسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء

ألا من مبلغ عني ربيعا * بما قد احدث الحدثان بعدي
أبوك أبو الفعال أبو براء * وخالك ماجد حكم بن سعد
بني أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد
تحكم عامر بأبي براء * ليخفره وماخطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة ان أضرب عامرا ضربة أو طعنة قال نعم فرجع فضرب عامرا ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتص فقال قد عفوت ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وكان أسيرا في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل من هذا فقال هذا عامر ابن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك فقد روى ابن اسحاق عن عروة بن الزبير أن عامر بن الطفيل لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع قال هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وروى ابن المبارك عن عروة أيضا قال كان الذي قتله رجلا من بني كلاب اسمه جبار بن سلمى وذكر انه لما طعنه قال فزت والله قال فقلت في نفسي ماقوله فزت فأتيت الضحاك بن سفيان فسألته فقال بالجنة قال فأسلمت ودعاني الى ذلك مارأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علوا قال البيهقي يحتمل انه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ثم روى عن عائشة رضي الله عنها موصولا بلفظ لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى أني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ولم يذكر رفعها ثم وضع وروى ابن سعد مرفوعا أن الملائكة وارت جثته وأنزل في عليين قال الجلال السيوطي قويت الطرق وتعددت مواراته في السماء وجبار بن سلمى صحابي رضي الله عنه ووقع في بعض الروايات أن عامر بن الطفيل هو الذي قتل عامر بن فهيرة رضي الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوز لكونه كان رأس القوم وقد مات كافرا بالاجماع كما تقدم روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أي حزن على أحد ماوجد على أهل بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال انما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بأن الرسل لا تقتل ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهرا وفي رواية أربعين يوما يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان قال أنس رضي الله عنه وبلغ الله نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم وفي رواية فكنا نقرأ بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخ قال السهيلي هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وانما ذكر بني لحيان وان كانوا ليسوا معهم في هذه الوقعة

واغاهم في قصة أصحاب الرجيع لان الخبر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكل من الوقعتين في ليلة واحدة فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين في دعاء واحد ولهذا جمع البخاري القصتين في ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انها قصة واحدة في موضع واحد وليس كذلك قال العلامة الزرقاني لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليه صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي الى رعل وذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة قال وانما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم كما أخبره بنظير ذلك في كثير من الاشياء لانه سبق في علمه تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجيء أبي براء ومن جاء في طلب أصحاب الرجيع اهـ *(غزوة بني النضير)* هي قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف أهل السير في السنة التي كانت فيها فذهب الزهري وجماعة وجرى عليه البخاري انها كانت بعد غزوة بدر وقبل أحد وذهب ابن اسحاق الى أنها كانت بعد بئر معونة ورجح المحققون من الحفاظ قوله قالوا وكانت في ربيع من السنة الرابعة وسببها ما تقدم قريبا أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية الضمري لما قتل أهل بئر معونة وكان عتقه اياه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بني عامر ثم من بني كلاب وفي رواية انهما من بني سليم فنزلا معه في ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو ممن أنتما فذكرا له انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن انه ظفر بثار بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له لقد قتلت قتيلين لأديهما أي أعطي ديتهما أي للجوار والعهد الذي عقده لهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعين بهم في دية ذينك القتيلين الذين قتلهما عمرو وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك أن تزورنا وأن تأتينا اجلس تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفردا ليس معه أحد من أصحابه الانحو العشرة وكان صلى الله عليه وسلم قاعدا الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا من يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة وفي رواية فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وفي رواية قالوا الساأر أو اقلة أصحابه نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام بن مشكم للي ودلا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه وفي رواية قال لهم ياقوم أطيعوني في هذه المرة وخالفوني الدهر والله لئن فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به وان هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحاق وأتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهرا أنه يقضي حاجة خوفا أن يفطنوا له فيؤذوا أصحابه ولذا ترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ثم ان أصحابه صلى الله عليه وسلم استبطؤه فقاموا في طلبه فقال لهم حيي بن أخطب اليهودي لقد عجل أبو القاسم كنا نريد أن نقضي حاجته ونقريه وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حيي هو المتولي أمر ذلك وكان سيد بني النضير وهو والد صفية رضي الله عنها وفي رواية بينما بنو النضير على ارادة القاء

غزوة بني النضير

الخبر اذ جاء رجل من اليهود فقال ما تريدون فذكروا له الامر فقال أين محمد قالوا هذا محمد يعنون تحت الجدار فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط فى أيديهم أى ندموا وقالوا قد أخبر بأمرنا وفى رواية فقال لهم كنانة بن صويراء هل تدرون لم قام محمد صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما ندرى ولا تدرى أنت فقال والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله انه لرسول الله فأبوا أن يقبلوا قوله ولما انتهى أصحابه اليه صلى الله عليه وسلم قالوا اقمت ولم نشعر فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به قال موسى بن عقبة ونزل فى ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيف النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة وأراد أن يقتله فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى يا محمد من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال للاعرابى من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فعفا عنه فأسلم وجاء الى قومه ودعاهم الى الاسلام وقال جئتكم من عند خير الناس وقيل فى سبب آخر ولها غير ذلك ولا مانع أن تكون نزلت فى الجميع قال ابن اسحاق ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لحرب بنى النضير ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية على بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين فى عوالى المدينة من ناحية قباء فنزل بهم وحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وقيل قريبا من عشرين فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلا لهم يسمى العجوة وآخر يسمى اللين وكان ذلك أحرق لهم لان ذلك خير أموالهم فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخيلهم أيضا فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم اصلاح حتى ان بعض المسلمين وقع فى نفوسهم من هذا الكلام شئ فخافوا أن يكون فعلهم ذلك فسادا وبعض المسلمين قالوا بل نقطع لنغيظهم بذلك والذين وقع فى نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى فاعتقدوا أن ذلك كان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين يعنى اليهود قال بعضهم واللينة أنواع التمر ماعدا العجوة والبرنى وقيل اللينة كرام النخل وقيل كل الاشجار للينها وأنواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعا وقال السيد السمهودى مائة وبضع وثلاثون نوعا وكان موضع نخل بنى النضير الذى حرق بالبويرة تصغير بورة وهى الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب قال ابن اسحاق وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعثوا الى بنى النضير حين هموا بالخروج أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب فى قلوبهم فلم ينصروهم وفى ذلك نزل قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى وروى ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة سريعا ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه أن اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون واكتروا من أناس من أشجع ابلا فأرسل اليهم عبد الله بن أبى لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى

صويراء بوزن حمراء اه

حصونكم فان معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شيء وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي بن أخطب فيما قاله عبد الله بن أبي فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لن نخرج من ديارنا فاصنع مابدا لك وكان قد نهى حييا عن فعله ذلك أحد سادات بني النضير وهو سلام بن مشكم وقال له يا حيي منتك نفسك والله يا حيي ان قول ابن أبي ليس بشيء وانما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس في بيته ويتركك فأبى ولما أرسل حيي انا لا نخرج أظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربت يهود وسار اليهم عليه الصلاة والسلام في أصحابه مشاة على أرجلهم لقرب الموضع وقيل ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فصلى العصر بفناء بني النضير فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبد الله بن أبي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال سلام بن مشكم لحيي أين الذي زعمت قال ما أصنع ملحمة كتبت علينا وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة من خشب عليها مسوح أرسل بها اليه سعد بن عبادة وجعلوها عند مسجد بني خطمة ودخلها صلى الله عليه وسلم وكان عزوك اليهودي راميا فرمى فبلغ القبة فحولت الى مسجد الفضيخ فتباعدت من النبل ثم فقد علي رضي الله عنه في ليلة قرب العشاء فقال الناس يارسول الله ما نرى عليا فقال دعوه فانه في بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس عزوك وكان قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعا راميا فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله وفر من كان معه وبعث صلى الله عليه وسلم خلفهم أبادجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من علي رضي الله عنه فقتلوهم وطرحوا رؤسهم في بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا نحن نخرج من بلادك فقال لا أقبله اليوم ثم قال لهم اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهي الدروع والسلاح فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وأيدي المؤمنين يخربون باقيها فكان أهلها يخربونها من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالا وخزيا لهم وقيل كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم حسدا وبغضا للمسلمين أن يسكنوها بعدهم ثم أجلاهم عن المدينة قال الله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي بالقتل والسبي ولهم في الآخرة عذاب النار أي مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل أو ان الله رأى مصلحة في اجلائهم وان حربهم قد يؤدي الى سفك دماء المسلمين وقد يرجع حلفاؤهم ويعينونهم وولى صلى الله عليه وسلم اخراجهم محمد بن مسلمة الانصاري رضي الله عنه وحملوا النساء والصبيان على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الاخضر والاحمر والمعصفر وحلي الذهب والفضة وأظهروا التجلد اعظاما قال ابن اسحاق خرجوا بالنساء والابناء والاموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ولم يسلم منهم الا يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما قال وحدثني بعض آل يامين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر مالقيت من ابن عمك وما هم به في شأني يعني عمرو بن جحاش الذي هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع ودان لهم أهل خيبر فبقوا هنالك حتى أهلكهم الله في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله تعالى وذهب بعضهم الى اذرعات وأريحا من أرض الشام وروى موسى بن عقبة أنهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعني أرض المحشر وهي الشام وقيل الحشر الجلاء فأول الحشر الجلاء والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف

ثبت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا لكونهم اخوانهم وقبض صلى الله عليه وسلم ما تركوه من الاموال والدروع والسلاح فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وهي الخودة وثلثمائة واربعين سيفا فكانت أموال بني النضير صفيا أي مختارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي خاصة به لان المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ولم يقع قتال بينهم فكانت حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم فكان ينفق منها على أهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لازواجه وبني عبد المطلب وما فضل جعله في السلاح والكراع أي الخيل هذا ما ذهب اليه الامام أبو حنيفة رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات انه خمسها واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله عنه فقال قسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم أي مشقتهم عن الانصار أي بحسب الواقع ونفس الامر وان كان الانصار يرون ذلك من أعظم النعم قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكانوا قد قاسموهم في الاموال والديار لما هاجروا وآخى بينهم صلى الله عليه وسلم فذهب كل انصاري بالمهاجري الذي آخى بينه وبينه صلى الله عليه وسلم الى منزله وكفاه المؤنة ثم تنافسوا حتى آل أمرهم الى القرعة فأي انصاري تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجري فبلغت مواساتهم الغاية القصوى رضي الله عنهم حتى ورد في الصحيح ان سعد بن الربيع الانصاري رضي الله عنه قال لاخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلم أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي امرأتان انظر أعجبهما اليك أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك ثم قال دلوني على السوق وصار يبيع ويشتري حتى كان أكثر الصحابة مالا رضي الله عنه وعنهم وروى الحاكم عن أم العلاء رضي الله عنها قالت طار لنا عثمان بن مظعون في القرعة فكان في منزلي حتى توفي رضي الله عنه قالت فكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال ادع لي قومك قال ثابت الخزرج فقال صلى الله عليه وسلم الانصار كلها فدعا له الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم وأموالهم وايثارهم اياهم على أنفسهم ثم قال ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا وقالت الانصار كلهم رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وفي رواية وابناء أبناء الانصار رضي الله عنهم وقسم ما أفاء الله وأعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار شيئا غير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق اليهودي وكان سيفا له ذكر عندهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال للانصار ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت فنزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه جزاكم الله خيرا يا معشر الانصار فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوي

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقي الذي يلقون منا لملت

وكان صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخيل في أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة وما فضل جعله في الكراع والسلاح قال ابن اسحاق ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر بأسرها قال السهيلي

اتفاقا وفي البخاري عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر قال قل سورة النضير قال الداودي كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن انه يوم القيامة أو لاجماله فكره النسبة الى غير معلوم وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر في بني النضير وذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الا على السفيه الشقاء
ونهتهم وما انتهت عنه قوم * فأبيد الامار والنهاء
أسلوهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

غزوة ذات الرقاع

(غزوة ذات الرقاع) وتسمى غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني انمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة واختلف فيها متى كانت وفي سبب تسميتها بذلك فقال ابن اسحاق انها كانت بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى وقيل انها كانت سنة خمس ومال البخاري الى أنها كانت بعد خيبر وخيبر انما كانت سنة سبع واستدل لذلك بامور منها ان هذه الغزوة حضرها أبو موسى الاشعري رضي الله عنه وهو انما جاء بعد فتح خيبر وقال الغزالي انها آخر الغزوات وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالي بأن مراده آخر الغزوات التي صلى فيها صلاة الخوف ونازع بعضهم في ذلك وسبب تسميتها بذات الرقاع انهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل ان الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل لان خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها لانهم فعلوا بعضها منفردين عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها معه فأشبه ذلك اصلاح خلل الثوب برقعه قال السهيلي وأصح الاقوال كلها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر أي من الاشعريين بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري أي من الحفاء فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ما قاله ابن اسحاق قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فحارب وسعد ابناهم وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه انهم جمعوا جموعا لمحاربته صلى الله عليه وسلم فاخبر أصحابه وأمرهم بالتجهز ثم خرج في أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة أباذر الغفاري رضي الله عنه وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه وسار الى أن وصل الى موضع يسمى وادي الشقرة وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل وأخبروه انهم لم يروا أحدا فسار حتى نزل نخلا وهو موضع من نجد من أراضي غطفان فلم يجد في مجالسهم الا النسوة فأخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا في رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا لمحاربة جيش النبي صلى الله عليه وسلم فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض وأخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف في صلاة العصر ولم يكن بينه وبين القوم حرب وألقى الله في قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم (وفي هذه الغزوة) نزل صلى الله عليه وسلم ليلا في شعب استقبله وكانت تلك الليلة ذات ريح فقال صلى الله عليه وسلم بعد نزوله من يكلأنا فقام عباد ابن بشر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقالا نحن يارسول الله فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر

لعمار بن ياسر رضي الله عنهما أنا أكفيك أول الليل وتكفيني أنت آخره فنام عمار وقام عباد رضي الله
عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتي أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر
فتبع الجيش وحلف لا ينثني حتى يصيب محمدا أو يوثق في أصحاب محمد دما فلما قرب من الشعب رأى
سواد عباد فقال هذه رابئة القوم ففوق سهما فوضعه في عباد فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه أيضا فرماه بآخر
فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فجلس عمار فلما رأى المشرك عمارا جالسا علم انه قد نذر به فهرب
فقال عمار لعباد أي أخي ما منعك أن توقظني له في أول سهم رماك به فقال كنت أقرأ في سورة يعني سورة
الكهف فكرهت أن أقطعها وفي رواية جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال
هما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين في مقابلة العدو فرمى أحدهما أي وهو
عباد بن بشر بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلي ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى في صلاته ثم رماه
بثان وثالث وهو يصلي ولم يقطع صلاته وقد قال عباد معتذرا عن ترك ايقاظ صاحبه لولا اني خشيت أن
أضيع ثغرا أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسي (وفي هذه الغزوة أيضا)
وقعت قصة الرجل الذي اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت الشجرة وقد تقدمت قريبا
استطرادا عند ذكر عزم بني النضير على الغدر به صلى الله عليه وسلم واسم الرجل غورث وقيل دعثور
وقيل انهما قصتان لرجلين في غزوتين هذه وغزوة أمر وتقدم أيضا ان ذلك الرجل أسلم وأسلم قومه
باسلامه ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة
رضي الله عنه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين * (غزوة بدر الاخيرة) * وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم

غزوة بدر الاخيرة

وقوع القتال فيها فهي صغرى بالنسبة للتي وقع فيها القتال وهي الكبرى وتسمى هذه أيضا بدر الموعد
للواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد وتسمى بدر الثالثة وكانت في شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على
قول ابن اسحاق قال ابن اسحاق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع
أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجبا ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد أبي سفيان وقيل
كانت في ذي القعدة وميعاد أبي سفيان هو ما سبق ان أبا سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر
من العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستعمل على المدينة
عبد الله بن رواحة الخزرجي رضي الله عنه وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخرج أبو سفيان
في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى نزل موضعا قريبا من مر الظهران وقيل نزل عسفان ثم
بدا له الرجوع وكان قد دبر ذلك في نفسه وهو بمكة لما ألقى الله في قلبه من الرعب روي أن نعيم بن مسعود
الاشجعي قدم مكة فأخبر قريشا بتهيؤ المسلمين لحربهم فكره أبو سفيان الخروج وجعل لنعيم عشرين
بعيرا على أن يذهب الى المسلمين ويخذلهم وضمنها له سهيل بن عمرو وحمله على بعير فقدم نعيم المدينة
وأرجف المسلمين بكثرة العدو حتى قذف في قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية في الخروج حتى خشي عليه
الصلاة والسلام أن لا يخرج معه أحد فجاءه العمران أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقالا ان الله
مظهر دينه ومعز نبيه وقد وعدنا القوم موعدا لا نحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم
فوالله ان في ذلك لخيرا ان شاء الله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال والذي نفسي بيده لاخرجن وان لم
يخرج معي أحد فأذهب الله عن المسلمين ما كان الشيطان أرعبهم به وقال أبو سفيان لقريش قد بعثنا
نعيما يخذل أصحاب محمد عن الخروج وهو جاهد في تخذيلهم لكن نخرج فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع
فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا لانه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا

عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فلما أراد الرجوع قال يا معشر قريش لا يصلحكم أي لا يريحكم ويزيل عنكم مشقة السفر الا عام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأما النبي صلى الله عليه وسلم فخرج على الموعد هو وأصحابه وسمع الناس بمسيره وذهب صيته الى كل جانب وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لابي سفيان والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأونا قد أخلفناهم وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان لميعاده وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله في ذلك الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس وهو أبو سفيان واصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقيل ان قوله الذين استجابوا الى أجر عظيم انما نزلت في شأن حمراء الاسد وهو خروجهم في اثر قريش بعد وقعة أحد وهذا هو الصحيح وقوله الذين قال لهم الناس الخ نزلت في غزوة بدر الصغرى ولا مانع أن يكون صدر الآية مشيرا الى الامرين والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة دومة الجندل) وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وكانت في شهر ربيع الاول سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكان صلى الله عليه وسلم يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم قال له مذكور العذري رضي الله عنه وكان هو الدليل مع النبي صلى الله عليه وسلم أقم لي حتى أطلع لك على سوائم القوم فانها ترعى هنا فخرج العذري فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فأخبره فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجهة وجاء الخبر أهل دومة فأصابهم الرعب فتفرقوا فرقا من المنهور بالرعب صلى الله عليه وسلم ونزل بساحتهم فلم يلق بها أحدا فأقام بها أياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا سالمين وأصابوا رجلا من القوم فجاؤا به للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله عنهم فقال هربوا حين علموا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فأسلم ورجع النبي صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة في عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم

غزوة دومة الجندل

(غزوة المريسيع) وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم وتسمى غزوة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحارث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها وقد أسلم لما جاء في فدائها كما سيأتي سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيؤا للمسير معه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه ليعلم حالهم الذي هم عليه واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول فأذن له فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له من الرجل قال منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستأصله قال الحارث فنحن على ذلك فعجل علينا فقال لهم بريدة أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك ورجع هو الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في جمع كثير وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثل خروجهم في هذه الغزوة

غزوة المريسيع

الحصيب بضم المهملة أوله قال الغساني وصحف من أعجمها اه زرقاني على المواهب

وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على
المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الغفاري وقيل ٣ نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنهم وخرجت معه
عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب صلى الله عليه وسلم في طريقه عينا أي جاسوسا للمشركين فسأله
عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئا فعرض عليه الاسلام فأبى فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب
عنقه وبلغ الحارث ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم وانه قتل جاسوسه فسيء بذلك الخبر هو ومن معه
وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا وبلغ عليه الصلاة
والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لابي بكر
رضي الله عنه وقيل لعمار بن ياسر رضي الله عنه وراية الانصار لسعد بن عبادة رضي الله عنه وأمر عمر
فنادى في الناس قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبى المشركون أن يقولوها فتراموا
بالنبل ساعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد قتلوا عشرة
وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء وكانت
الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة وكان السبي مائتي بيت ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وهو
هشام بن صبابة أصابه رجل من رهط عبادة بن الصامت رضي الله عنه خطأ وكان من جملة السبي جويرية
بنت الحارث فاختص بها النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقها وتزوجها وخرج الخبر الى الناس أن
النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها فقال الناس اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم
قالت عائشة رضي الله عنها فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها رضي الله عنها وقيل انها
طلبت قومها من النبي صلى الله عليه وسلم ليلة دخوله بها فوهبهم لها وهذا لا يمنع كون المسلمين حين
سمعوا انه تزوجها أطلقوا الاسرى فكان ذلك زيادة اكرام من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حتى لا يسأل
أحد منهم في ذلك شيء أو محا ثم هدى الله أكثرهم للاسلام وجاء أن جويرية رضي الله عنها قالت رأيت
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري فكرهت
ان أخبر بها أحدا من الناس حتى قدم صلى الله عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقني
وتزوجني ما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني بعتق الاسرى فحمدت الله تعالى وجاء ان بعض
الاسرى انما أطلقوا بفداء ولعل هذا قبل التزوج بها رضي الله عنها وجاء عن جويرية رضي الله عنها
أنها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع سمعت أبي يقول أتانا ما لا قبل لنا به
فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة فلما أسلمت وتزوجني رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت انه رعب من الله يلقيه
في قلوب المشركين ثم ان أباها الحارث قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه يريد فداء
ابنته وفكاكها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يريد أن يفدي ابنته بها فرغب في بعيرين منها كانا
من أفضلها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان غيبتهما
بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحارث أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك
أحد الا الله وقيل انه أسلم قبل ذلك وهذا اظهار لاسلامه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر
ابنته باسلامه فقالت له أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحي قومك يعني بالرق فقالت
اخترت الله ورسوله فرضي أبوها بذلك (وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم) في الصحيحين عن عائشة رضي
الله عنها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره قال ابن عبد البر هي غزوة بني المصطلق

٣ نميلة تصغير نملة كما قال البرهان اه زرقاني

قالت

قالت حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبي بكر رضى الله عنه فقالوا له ألا ترى الى ماصنعت عائشة رضى الله عنها أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضى الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة رضى الله عنها فعاتبنى أبو بكر رضى الله عنه وقال ماشاء الله أن يقول وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه ماهى بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت فبعثنا البعير فأصبنا العقد تحته وفى رواية قال أسيد لها جزاك الله خيرا مانزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله لك منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال لها أبو بكر رضى الله عنه والله يا بنتى انك كما علمت مباركة (وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك) فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة السير اختلافا كثيرا هل كان ذلك فى غزوة واحدة أو غزوتين فقيل فى غزوة واحدة وهى غزوة بنى المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أم قصة الافك واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضى الله عنه ماهى بأول بركتكم يا آل أبي بكر أى بل مسبوقة بغيرها من البركات فهو يشعر بأن هذه القصة كانت بعد قصة الافك وبعضهم أخر قصة الافك عنها والقائلون بأن ضياع العقد كان فى غزوتين قالوا مرة فى غزوة ذات الرقاع ومرة فى غزوة بنى المصطلق واستدل كل قائل بأدلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك فى غزوة بنى المصطلق قطعا والاختلاف انما هو فى قصة التيمم هل هى فى تلك الغزوة وبه جزم ابن عبد البر وجماعة أو فى غزوة ذات الرقاع أو غيرها وبه جزم آخرون والله أعلم وحاصل قصة الافك مارواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعد مااستمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرآى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ماتكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق يقودبى الراحلة حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى كبر الافك عبد الله بن أبي ابن سلول فانه كان أول من أشاعه فى العسكر لانه كان ينزل مع جماعة من المنافقين متبعدين من الناس فمررنا عليه فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ مابرئت منه ومابرئ منها وفى رواية قال والله مانجت منه ولا نجا منها وصار

قوله بقول أسيد الخ لعل فيه نظرا فان بركة قصة الافك لم تظهر الا فى المدينة بعد مدة فلا يصح ان يستدل بقوله المذكور اه مؤلفه

مطلب قصة الافك

يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم بها الشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير أخبرت أن حديث الافك كان يشاع و يتحدث به عند ابن أبي فيقره و يستمعه و يستوشيه وقال عروة أيضا لم يسم من أهل الافك الا حسان بن ثابت رضي الله عنه ومسطح ابن أثاثة رضي الله عنه وحمنة بنت جحش رضي الله عنها في ناس آخرين لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وكانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة رضي الله عنها فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك لا أشعر بشئ من ذلك و يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم علي ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا أي موضع قضاء حاجتنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الاول في البرية أي في الخروج اليها قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي سلمى ابنة رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أي هنتاه أي ياهذه أولم تسمعي ماقال قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها ماقال فأخبرتني بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتهما فقلت لامي ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي أي طال لبث نزوله يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد رضي الله عنهما فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة هم أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما علي رضي الله عنه فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية أي التي كانت تخدم عائشة تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت له بريرة رضي الله عنها والذي بعثك بالحق مارأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن أي الشاة فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال يامعشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه اذاه في أهلي والله ماعلمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعني صفوان بن المعطل رضي الله عنه ماعلمت عليه الا خيرا ومايدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال أنا يارسول الله أعذرك منه فان كان من الاوس قبلتنا ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك قالت عائشة رضي الله عنها فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ فقال

لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه أي ولو كان من الخزرج اذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى اني لاظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني شئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لابي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فقال أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا الا أبا يوسف عليه السلام حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أعلم أني حينئذ بريئة وان الله مبرئي ولكن والله ما ظننت ان الله تعالى منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل علي والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي من البرحاء بسبب شدة ثقل الوحي حتى أنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة أما الله فقد برأك أي بما أوحاه اليه من القرآن قالت فقالت لي أمي قومي اليه صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه فاني لا أحمد الا الله عز وجل الذي برأني قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين وأقيم الحد على من أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة رضي الله عنهم قال السهيلي ان من نسب عائشة رضي الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفي الخصائص للسيوطي من قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضي عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة رضي الله عنها وحضر بعض الشيعة في مجلس الحسن بن زيد الرفاعي وكان من عظماء أهل طبرستان فذكر الشيعي عائشة رضي الله عنها ونسب اليها شيئا من القبيح فقال الحسن لغلامه يا غلام اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فأراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون

للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطاهرة المبرأة ياغلام اضرب عنق هذا الكافر يعني الشيعي الذي تكلم في عائشة رضي الله عنها فضرب عنقه وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة رضي الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنها ما قال فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضي الله عنه بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وكفر عن يمينه وروى الطبراني والنسائي انه أضعف له النفقة *(لطيفة)* وهي أن ابن المقري منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء في رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط أمر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى * وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده يقول

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير في طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لولم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق في حقه

قالت عائشة رضي الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها عن أمري فقال لها ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي و بصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تساميني أي تضاهيني وتفاخرني بجمالها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها ولما بلغ صفوان بن المعطل رضي الله عنه ما قاله الناس قال سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى انه كان حصورا أي عنينا وأن معه مثل الهدبة ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضي الله عنه و يكفي شهادة الله له ولعائشة رضي الله عنها بالبراءة بقوله في ختم تلك الآيات أولئك أي صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم والله سبحانه وتعالى أعلم *(وفي هذه الغزوة)* قال عبد الله بن أبي ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وسبب ذلك أن رجلا من المهاجرين اسمه جهجاه بن مسعود كان أجير العمر رضي الله عنه و يقود له فرسه انطلق ليلا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فوجد الناس يزدحمون على الماء فأمر الناس بالامساك ليلا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فنازعه رجل من الانصار وكان أجيرا لعبد الله بن أبي فتنازعا فضرب المهاجري الانصاري فقال الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادوا أن يقتتلوا فسمع الله رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ماهذا فأخبروه فقال دعوها فانها منتنة يعني دعوى الجاهلية وقال عبد الله بن أبي أوقد فعلوا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقال لجماعة من أصحابه آويتموهم وقاسمتموهم أموالكم و يصنعون بكم هكذا وفي رواية أنه قال والله ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أي غلبونا وكاثرونا في بلادنا وأنكروا ملتنا والله ما أعدنا أي أظننا يعني معاشر الانصار

وقريش الا كما قال الاول أي الاقدمون في أمثالهم سمن كلبك يأكلك وأجيع كلبك يتبعك والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا لاصحابه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفض من حول محمد والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أي الناس عنه فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وشاع كلام ابن أبي بين الناس فقال له بعض الانصار انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى فلم يزالوا به حتى رضي وذهب معهم الى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر وحلف أنه ما قال ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره ظاهرا تألفا له كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم مع المنافقين ثم انزل الله تكذيبا لابن أبي وتصديقا لزيد بن أرقم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم رضي الله عنه يا ذا الاذن الواعية ان الله صدق مقالتك وتلا صلى الله عليه وسلم الآيات فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله دعني أضرب عنق ابن أبي فانه رأس المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى في حق عمر رضي الله عنه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون وجاء في رواية عن عمر رضي الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبي ما كان جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فيء شجرة أي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أي يكبسه فقلت يا رسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة فقلت يا رسول الله ائذن لي أن أضرب عنق ابن أبي أو مر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه وفي رواية قال عمر يا رسول الله ان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به انصاريا فقال صلى الله عليه وسلم لا آمر ولكن ائذن بالرحيل وكان ذلك في ساعة لم يكن يرحل فيها أي لشدة الحر ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أراد اطفاء الشر وخشي من اتساع الامر بين المهاجرين والانصار فارتحل الناس وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أي قال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال يا نبي الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل في مثلها أي لانه كان لا يرحل الا اذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغك ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أنت والله تخرجه ان شئت وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا بحيث صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي مارق جلد من أسفل بطنها وسار وا يومهم ذلك وليلتهم وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وكان لعبد الله بن أبي ابن يسمى الحباب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله يوم موت أبيه وكان مؤمنا صادقا رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه فقال يا رسول الله انه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني أباه فيما بلغك عنه فان كنت تريده فمرني أنا أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وفي رواية فرني فوالله لاحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا وانى لاخشى يارسول الله أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعني نفسي ان أنظر قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار وعفوك أفضل ومنك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبي حتى أمسك بناقة أبيه وقال والله لا تدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز ومن الاذل وفي رواية حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنت الاذل أو لاضربن عنقك فلما رآى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله خيرا وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما وقدم المدينة في رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

وليكن هذا آخر النصف الاول من السيرة
النبوية المحمدية تأليف الاستاذ الفاضل
بقية السادة الافاضل مولانا السيد
أحمد الزيني المشهور بدحلان عامله
الله بالاحسان مفتي مكة
المشرفة حالا زاده الله
تشريفا واجلالا

آمين

تم تم

تم

م

يتلوه في أول النصف الثاني غزوة الخندق

(فهرست الجزء الثاني من السيرة النبوية)

صحيفه

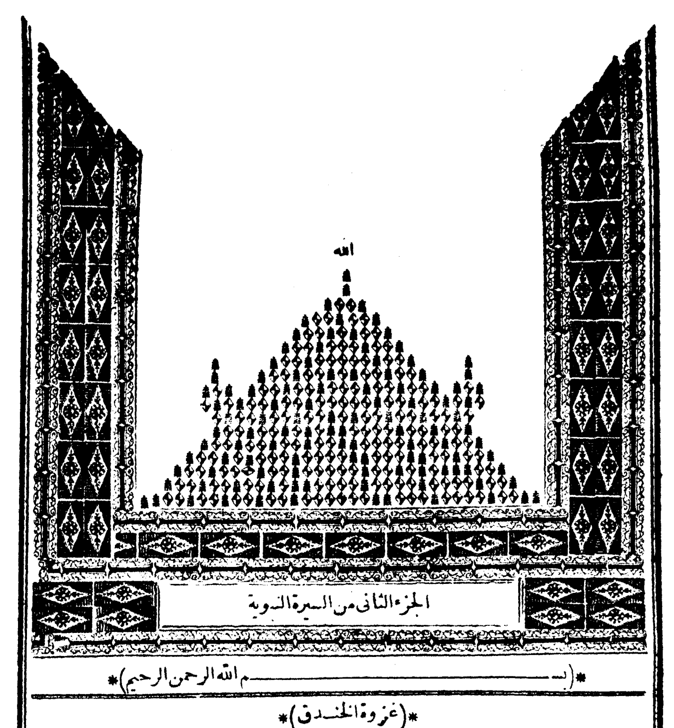
صحيفه

صحيفه

صحيفه

تم فهرست الجزء الثانى من السيرة النبوية

الجزء الثانى من السيرة النبويه والآثار المحمديه
لمؤلفها الامام الفاضل والجهبذ الكامل
مفتى السادة الشافعية بمكة المشرفه
السيد أحمد زينى المشهور
بدحلان نفع الله به
المسلمين
آمين



الجزء الثانى من السيرة النبوية

(بســـــــم الله الرحمن الرحيم)

(غزوة الخنـدق)

وتسمى غزوة الاحزاب قال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وقال ابن اسحاق سنة خمس فى شوال وبذلك جزم أهل المغازى ومال البخارى الى قول موسى بن عقبة وسبب هـذه الغزوة انه لما وقع اجـلاء بنى النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمـد حتى نستأصله قال ابن اسحاق فقالت لهم قريش انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خـير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فأنزل الله تعالى فيهـم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيـلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله وكفى بجهنم سعـيرا فسرت قريش بقول اليهود لهم ذلك ونشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج اولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم الى حربه صـلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم وأخبروهم ان قريشا تابعوهم عـلى ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش فى أربعة آلاف وعقدوا اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن أبى طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفا وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران فى سبعمائة يقودهم سفيان ابن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الاسدى وقد أسلم

الصحيح ان مضر ولد له ابنان أحدهما الياس الذى فى العمود والثانى الناس بالنون الذى ويقال له قيس عيلان بالعين المهملة خلافا لمن قال قيس بن عيلان كما فهم من المزهر للسيوطى فى الانساب وكذا من صفحة ١٤٥ فى ترجمة مظفر الشاعر من الوفيات الخ اه قاله مصححه الهورينى

بعد

بعد ذلك رضي الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم في زمن الصديق رضي الله عنه وخرج الحارث بن عوف المري في بني مرة وقد أسلم بعد تبوك رضي الله عنه وكان قومه الذين خرجوا معه أربعمائة وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود ابن رخيلة وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحاق وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع المسلمين ست وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وما أجمعوا عليه من الامر الذي زعموه وهو استئصال المسلمين اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق في شامي المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضي الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا ويعتذرون بالضعف وفي البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال صلى الله عليه وسلم

اللهم لاعيش الاعيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

وهو من كلام ابن رواحة رضي الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره * فنطق به النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لاعيش الخ لانه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى الله عليه وسلم مابهم من النصب قال * اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره * وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الامر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لاعيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التي لاتتناهى ثم هو فان وان طال فان متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والانصار مجيبين للنبي صلى الله عليه وسلم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد مابقينا أبدا

وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل انه كان يجيبهم ويجيبونه فلاتنافي وفي انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم في الحرب وأكثر مايستعملونه الرجز وفي البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضي الله عنه

والله لولا أنت مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * فأنزلن سكينة علينا

وثبت الاقدام ان لاقينا * ان الالى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقي عن سلمان رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في الخندق قال

باسم الاله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * فحبذا ربا وحب دينا

وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا أما اذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما في صحيح البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت أي ظهرت لنا كدية شديدة بضم الكاف مصغرا وهي القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هذه كدية عرضت في الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضرب كثيبا أهيل أي رملا يسيل وفي رواية دعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فوالذي بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة وفي رواية للبراء بن عازب رضي الله عنهما عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضي الله عنه فقال باسم الله ثم ضرب بها فنثر ثلثها وخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة من مكاني ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المدائن الابيض الآن أي مدائن كسرى وفي رواية والله اني لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا وأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها فأبشروا وابا النصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن اسحاق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما افتحوا ما بدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك * ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضي الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فأحب أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بحفنة من تمر لابيها وخالها ابن رواحة رضي الله عنهما ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته في كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدروا عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا في حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل أربعة وعشرين وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكلهم عشرة آلاف كما تقدم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد

ابن

ابن حارثة رضي الله عنه ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم
في تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضي الله عنه في مائتي رجل وزيد بن حارثة رضي الله عنه في ثلثمائة رجل
يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفا على الذراري من بني قريظة وخرج عدو الله حيي بن أخطب
حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى أن يفتح له فقال له حيي ويحك يا كعب افتح لي
أكلمك فقال له اذهب عني انك امرؤ مشؤم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني
لم أر منه الا وفاء وصدقا فنسبه حيي الى البخل وقال له والله ما أغلقت دوني الا تخوفا على جشيشتك ان
آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين البر يطحن غليظا ويقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى فتح له
فقال ويلك يا كعب ان توافقني جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون
منزل قريش غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال كعب جئتني
والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه فاني لم
أر من محمد الا صدقا ووفاء ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه حيي عهدا على أنه ان رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا
ان أدخل معك في حصنك يصيبني ما أصابك ثم أرسل حيي بن أخطب الى قريش أن يأتيه منهم ألف
رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذراري أشد من الخوف على أهل الخندق ولما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني قريظة نقضوا العهد قال من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم قال الزبير
رضي الله عنه فقلت أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين أبويه في الفداء أي قال فداك أبي وأمي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد
ابن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا فانظروا
أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الي لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس أي
تكلموا الي بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس أن يقع
لهم تثبط وأصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه
وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم
حتى ان بعضهم كلم بني قريظة في شأن عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن رسول الله
وتبرؤا من عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ثم أقبل السعدان ومن معهما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرهما بأصحاب الرجيع
أي غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا
منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضي الله عنه لاحتمال أنهم أرسلوا دفعة أو بعد ارساله وخص
هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم فيحتمل أن يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم
فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فأتاهم عدوهم من فوقهم أي من أعلى
الوادي من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم أي من أسفل الوادي من قبل المغرب فانه
نزل به قريش قال ابن عباس رضي الله عنهما اذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن
أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله
الظنونا أي الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين كما قال تعالى واذ يقول

المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ذلك معتب بن قشير وكان منافقا
قال كان محمد يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط وقيل
ان قائل ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى
منازلكم بالمدينة فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو أي غير حصينة فأذن لنا نرجع الى ديارنا
فانها خارج المدينة قال تعالى وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ثم أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة
المخزومي يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم في زعمه على فرس له ليسوس الخندق فوقع في الخندق فاندقت
عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون بالحجارة ثم نزل اليه علي رضي الله عنه فقتله وعظم ذلك على المشركين
فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية أي وأذنوا لنا في دفنه وفي رواية انهم أعطوا
في جسده عشرة آلاف على أن يدفع اليهم ليدفنوه فرد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم انه خبيث لونه
كافر محارب الله ورسوله وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا في ديته وأقام
عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا أنهم لا يدعون الطلائع
بالليل يطمعون في الغارة ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه
لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ويغدو خالد
ابن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوما
ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يقربون منهم ويقدمون رجالهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم أبشروا بعون الله ونصره اني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق وآخذ
المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما في سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين
من الكرب ثم انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن
يرجعوا فمنعه السعدان رضي الله عنهما وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة
الا بقرى أو بيع أفحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة
والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم أنتما وذاك وفي رواية ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحارث بن عوف المزني في أن يقطعهما ثلث
ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه تخذيلا مستخفيين من أبي سفيان والتقيا مع النبي صلى الله عليه
وسلم فوافقاه على ذلك بعد أن طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك وأراد أن يكتب بذلك
صحيفة وأحضر الدواة ليكتب عثمان رضي الله عنه فقيل أمره النبي صلى الله عليه وسلم فكتب ثم
استشار سعدا وقيل قبل أن يكتب بعث صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله
عنهما واستشارهما في ذلك فقالا يا رسول الله أمر تحبه فتصنعه أم شئ أمرك الله به لا بد لنا من
العمل به أم شئ تصنعه لنا وفي رواية فان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك
فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأي ما لهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو أمرني الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة
وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم الى امر ما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا
نحن وهؤلاء القوم يعني غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه لا يطمعون
أن يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا وان كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد
أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا وفي رواية نعطي الدنية ما لنا

بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة وهذا يوافق القول بأنها كتبت وقيل انه
منع من كتابتها وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة
والحارث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته وروى البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال أتى الحارث يعني ابن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا تمر المدينة والا
ملأناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع
وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود وقيل ان ذكر سعد بن الربيع وهم لانه استشهد يوم أحد فكلمهم النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام
فأخبر الحارث فقال غدرت يا محمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على
خيولهم وكان منهم عمرو بن عبد ود العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين
ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وضرار بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه
وقد أسلم ضرار وعكرمة رضي الله عنهما وأما هبيرة فمات على كفره فلما صاروا بالسبخة بين الخندق
وسلع طلب عمرو بن عبد ود المبارزة وقال من يبارز فقام علي رضي الله عنه وقال أنا له يا نبي الله فقال
صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التي
تزعمون ان من قتل منكم يدخلها أفلا تبرزون لي رجلا فقام علي رضي الله عنه فقال أنا يا رسول الله
فقال اجلس انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه ذا الفقار
وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فردا
وأنت خير الوارثين وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهي أخذت عبيدة
مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فمشى اليه علي
رضي الله عنه فقال يا عمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أي
خصلتين الا قبلتها قال له أجل أي نعم قال علي رضي الله عنه فاني أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه
وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز وفي رواية انك كنت تقول
لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال أجل قال علي فاني أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله
وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخي أخر عني هذه فقال وأخرى ترجع بلادك فان يك
صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبدا
كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أي لانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه
دهن حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال وما هي قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه الخصلة ما كنت
أظن أن أحدا من العرب يروعني بها وفي رواية يرومني بهذه ثم قال له عمرو ومن أنت لان عليا
رضي الله عنه كان مقنعا بالحديد فما عرفه عمرو فأجابه وقال علي قال ابن عبد مناف فقال أنا علي بن أبي
طالب فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فاني أكره أن أهريق دمك وان
أباك كان صديقا لي وفي لفظ كنت نديما له فقال له علي رضي الله عنه أنا والله ما أكره أن أهريق دمك
وفي رواية قال عمرو يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال علي لكني والله أحب أن أقتلك فحمي
عمرو وعند ذلك أي أخذته الحمية وفي رواية فغضب فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن
انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر وأقبل على علي
رضي الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقته فضربه

عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا رضي الله عنه قد قتل عمرا ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها فقال انه حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الاصم قال سمعت العطاردي قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل علي عمرا الا بقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وفي تفسير الفخر الرازي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد قتله عمرو بن عبدود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت أن لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم * وذكر ابن اسحاق ان المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد وقيل ان الذي قتل نوفلا علي رضي الله عنه وفي رواية ان رجلا من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية واحدي يا رسول الله فقال قم يا زبير فقام فقتله ثم جاء بسلبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فنفله اياه وفي رواية ان نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه علي رضي الله عنه فقتله ويمكن ان عليا والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله ورجعت الخيول مهزومة وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضي الله عنه بأبيات فلما رجعوا الى أبي سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء فارجعوا وجاء في رواية ان الزبير رضي الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج أم هانئ أخت علي رضي الله عنهما فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقط درع كان محقبها الفرس أي يجعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير رضي الله عنه وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهبيرة بن وهب على علي رضي الله عنه فأقبل علي رضي الله عنه عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت أولا ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفي رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصار يشتد في أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدلي عندك غير مجزى بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضي الله عنه نظير ذلك في أحد فانه التقى معه فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار بالاسلام فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وكان شعار المسلمين يوم الخندق حم لا ينصرون ولعل المراد خصوص الانصار فلا يخالف رواية ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكحله وهو عرق في الذراع تتشعب منه عروق البدن ويقال لهذا العرق عرق الحياة وكان الذي رمى سعدا هو ابن العرقة العامري والعرقة بفتح العين وكسر الراء وهي أمه واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة رضي الله عنها أم أبيها وابن العرقة هذا اسمه حبان بن عبد مناف بن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤي وقيل العرقة انما هي أم عبد مناف أبي حبان ولما رمى سعدا قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضي الله عنه عرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي قال ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد رضي الله عنه اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا

وبينهم يعني قريشا فاجعلها الى شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني وفي رواية حتى تشفيني من بني قريظة وفي لفظ
اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهدهم من قوم آذوا
رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها الى شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني
من بني قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم في بني قريظة كما
يأتي وقيل ان الذي أصاب سعدا أبو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حبان
والله أعلم واستمرت المقاتلة في يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله
عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ما صلينا
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فأمر
بلالا فأذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو وأصحابه وجاء في رواية جابر رضي الله عنه انه
أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووي بأنهما قضيتان جرتا في أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما
وفي رواية ان التي فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع في بعض تلك الايام وجاء في بعض الروايات
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وفي لفظ بطونهم
وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيرا محملة
شعيرا وتمرا وتبنا حمل ذلك حيي بن أخطب مددا وتقوية لقريش فأخذها الانصار وأتوا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا لمشؤم ثم ان خالد بن
الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضي الله عنه
على الخندق في مائتين من المسلمين فناوشهم أي تقاربوا منهم ساعة وكان في أولئك المشركين وحشي قاتل
حمزة رضي الله عنه فزرق وحشي الطفيل بن النعمان رضي الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون
الطلائع بالليل يطمعون في الاغارة فأقام المسلمون في شدة من الخوف وفي الصحيحين دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم
وانصرنا عليهم وزلزلهم وقام صلى الله عليه وسلم في الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا
الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أي السبب الموصل الى
الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب
المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي وقال له المسلمون هل من شيء نقوله
فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل فبشره ان
الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكرا شكرا وجاء
ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذي هو
يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور في وجهه أي ومن ثم كان جابر يدعو في مهماته
في ذلك اليوم في ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم وأما الاحاديث التي جاءت بذم يوم الاربعاء فمحمولة على
آخر أربعاء في الشهر فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذي
أصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة في الخندق والثلمة الخلل
في الحائط فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة
فاذا أخذه البرد جاءني فأدفأته في حضني فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى أن يؤتى المسلمون
الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضني صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة
فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبي وقاص أتيت أحرسك

يارسول الله فقال عليك هذه الليلة فاحرسها ونام صلى الله عليه وسلم حتى غط ثم قام في قبته يصلي لانه
كان صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال
هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم انا في نفر
حول قبتك يارسول الله وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله
عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا
عليهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى
رجعوا * ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي رضي الله عنه أسلم وكتم اسلامه وأتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يارسول الله اني أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت وفي رواية ان نعيما
لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي صلى الله
عليه وسلم ماجاء بك يانعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ماجئت به حق فأسلم ثم قال يارسول الله
ان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان
الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضا مع سكون الدال وضمها أي ينقضي أمرها
بالمخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغي التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان
من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الامر عليه وفي الحديث أيضا الاشارة الى استعمال الرأي
في الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا قصر الحرب على الخدعة في قوله فان الحرب خدعة
فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعيم يارسول الله اني أقول أي مايقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع
فقال قل مابدا لك فأنت في حل فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأوني رحبوا بي
وعرضوا علي الطعام والشراب فقلت اني لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم
برأيي يابني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم
اكتموا عني قالوا نفعل قال لقد رأيتم ماوقع لبني قينقاع ولبني النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان
قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وأبناؤكم لاتقدرون على
أن ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أي
عاونتموهم عليهم وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أي فرصة
أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به
ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم ثقة
لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أي يقاتلوه قالوا لقد أشرت بالرأي والنصح
ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا علي قالوا نفعل ثم خرج حتى أتى قريشا فقال
لابي سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وانه قد بلغني أمر
قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود بني قريظة قد ندموا
على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وأنا عندهم انا قد ندمنا على مافعلنا
فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أي سبعين رجلا فنعطيك
اياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارنا يعنون بني النضير ثم نكون معك على من
بقي منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا
اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عني ولا تذكروا هذا الامر قالوا لانذكره

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان انكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس لي ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا علي قالوا نعم ثم قال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز أي نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم أي الذي يلي هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيمان وفي رواية أن بني قريظة أرسلت لقريش قبل مجيء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ماهذا التواني والرأى أن تتواعدوا على يوم يكون معكم فيه لكنكم لاتخرجوا حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ماتكرهون رجعتم وتركتموهم فلم تردلهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا مني عناقا مادفعتها لهم فاختلفت كلمتهم وجاء حيي بن أخطب لبني قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لانقاتل معهم حتى يدفعوا لنا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح أي ريح الصبا في ليال شديدة البرد فأكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها وصارت الريح تلقي الرجال على أمتعتهم وفي رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم وأرسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم قال الله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم في ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين أي لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لايرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أي من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة الا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم انما رجع لالم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيقي على بيوتهم أولفهمهم عدم التغليظ في ذهاب من يذهب فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يارسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضي الله عنه يجيبه بماذكر فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري أي ناصر وان حواري الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتي قوله له ذلك أيضا في خيبر وجاء في حديث آخر حواري من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضي الله عنهما وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال أي رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ يكون معي يوم القيامة وفي لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما يأتي ولم يرسل الزبير رضي الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لان له حدة وشدة لايملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيئا مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو ان المرسل انما هو حذيفة رضي الله عنه ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضي الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضي الله عنه في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة

رضى الله عنه لما دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجد بدا من القيام حيث نوه باسمى فجئته صلى الله
عليه وسلم فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم فقلت والذى بعثك بالحق ان قدرت أى ماقدرت
على مابى من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن
شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة رضى الله عنه فلم يكن لى بد من الذهاب فقمت مستبشرا بدعائه
فما شق على شئ مما كان وقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر
قوله ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضى الله عنه
يا رسول الله حذيفة بن اليمان قال حذيفة رضى الله عنه فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
على الامرط لامرأتى مايجاوز ركبتى وأنا جاث على ركبتى فقال من هذا فقلت حذيفة فقال صلى الله
عليه وسلم حذيفة قال حذيفة فتقاصرت بى الارض قلت بلى يا رسول الله قال قم فقمت فقال انه كان
فى القوم خبر فأتنى بخبرهم فقلت والذى بعثك بالحق ماقمت الاحياء منك من البرد قال لا بأس عليك
من حر ولا برد حتى ترجع الى فقلت والله مابى أن أقتل ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن توسر
اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال حذيفة فمشيت
كأنى فى حمام وفى رواية فأذهب الله عنى القر أى البرد والفزع أى الخوف وفى رواية فوالله ما خلق
الله تعالى فى جوفى قرا ولا فزعا الا خرج وما وجدت منه شيئا وخرجت كأنما أمشى فى حمام
فلما وليت دعانى فقال لى لا تحدث شيئا وفى رواية لا ترم بسهم ولا بحجر ولا تضرب بسيف حتى تأتينى
فجئت اليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فدخلت فى غمارهم
فسمعت أبا سفيان يقول يا معشر قريش ليعرف كل امرئ جليسه واحذروا الجواسيس والعيون
فأخذت بيد جليس لى على يمينى وقلت من أنت قال معاوية بن أبى سفيان وقبضت بيدى على من
على يسارى وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فقال أبو سفيان يا معشر
قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى
نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله الا وهو قائم
أى فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبى جهل
انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا ابو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده
ويقول ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه يا أبا عبد الله تقيم
فى جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لا نأمن من أن نطلب فقال عمرو وأنا أقيم وقال لخالد بن الوليد
ماترى أبا سليمان فقال انا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد فى مائتى فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة
رضى الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حين بعثنى أن لا أحدث شيئا لقتلته يعنى
أبا سفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفى رواية عن
حذيفة رضى الله عنه فدخلت العسكر فاذا الناس فى عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام
لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق
اذا انا بنحو عشرين فارسا معتمين نخرج الى منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه
القوم قال حذيفة رضى الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلى فأخبرته
الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وفى رواية فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى البرد
وجعلت أقرقف فأومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل على من فضل
شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أى طلوع الفجر فلما أصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال

لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أى يا كثير النوم وانما جاءه البرد بعد رجوعه لان النبى صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى وقد رجع وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه لما دخلت بينهم نظرت فى ضوء نار توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبته قد تفرق عنه الاحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش لاضعه فى كبد القوس لارميه فى ضوء النار فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن شيئا حتى تأتينى فأمسكت ورددت سهمى فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان انه قد دخل فيهم من غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى فقلت من أنت قال معاوية بن أبى سفيان ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى فقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فبدرتهم بالمسألة ثم تلبثت فيهم هنيهة فأتيت قريشا اى بقية قريش وبنى كنانة وقيسا وقلت ما أمرنى به صلى الله عليه وسلم أى فانه صلى الله عليه وسلم قال له ادخل حتى تدخل بين ظهرانى القوم فأت قريشا فقل يا معشر قريش انما يريد الناس اذا كان غدا أن يقال أين قريش أين قادة الناس أين رؤس الناس فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت بنى كنانة فقل اذا كان غدا فيقال أين الرماة فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت قيسا فقل يا معشر قيس انما يريد الناس اذا كان غدا أن يقال أين احلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم وفى البخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم أى حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد أقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فارسل عليهم ريحا وجنودا فهزمهم الله حتى قال طليحة بن خويلد الاسدى أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وتقدم أن بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال نعم قولوا اللهم استرعوراتنا وآمن روعاتنا قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما فى مائتى فارس فى ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب وفى حديث جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الاحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر فى وجهه ومما دعا به صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وبأصحابى فأتاه جبريل فبشره بأن الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فأخبر أصحابه بذلك النزول خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وأطفأت النيران وألقت عليهم الابنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا فى جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع بقين من ذى القعدة وكان قد أقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما وقيل

شهرا وقال صلى الله عليه وسلم بعد انصراف الاحزاب لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي رواية الآن نغزوهم ولا يغزونا ونحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففي ذلك علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفي السيرة الحلبية ان أباسفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا وأرسله للنبي صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فاني أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود أبدا حتى أستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق وفي رواية قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك مني يوم كيوم أحد فارسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور اما ماذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى واساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم وكسر اللات والعزى وغيرهما من الاصنام وأعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن اسحاق انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير سعد بن معاذ رضي الله عنه وسيأتي بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الاوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة ابن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطي قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبي خالد وذكر الحافظ ابن حجر في السكنى أباسنان بن صيفي بن صخر وقال شهد بدرا واستشهد في الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومي وعمرو بن عبدود وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتي بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة بني قريظة)

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق دخل المدينة في اليوم الذي انصرف فيه لسبع بقين من ذي القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها وقيل بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق رأسه الشريف وفي رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغسل يرجل رأسه قد رجل أحد شقيه وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفي رواية عليه لامة ولا معارضة لانه يجوز أن الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة وهي كساء له وبر من ديباج أحمر فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح وفي رواية قال يا رسول الله غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعني الاحزاب وقد بلغنا الاسد يعني حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصحابي جهدا فلو أنظرتهم اياما فقال جبريل انهض اليهم أي بني قريظة

فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل
ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن
أنس رضى الله عنه قال كانى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم لموكب جبريل حين سار لبنى
قريظة وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينما هو
عندى اذدق الباب وفى رواية نادى مناد فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فزع ووثب
وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة
الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيته قلت نعم قال بمن
شبهته قالت بدحية الكلبى قال ذلك جبريل أمرنى أن امضى الى بنى قريظة وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه
وسلم كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة رضى الله عنها وجاء فى رواية عنها فكانى برسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو أى جبريل ينفض رأسه من الغبار فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضى الله عنه أن ينادى فى الناس من كان سامعا مطيعا
فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وفى رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى
الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر لاتصلوا الظهر الا فى بنى قريظة وللذين صلوها
لاتصلوا العصر الا فى بنى قريظة وبعث مناديا يقول ياخيل الله اركبى أى يافرسان خيل الله ثم سار
اليهم وبعث عليا رضى الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواء وكان اللواء على حاله لم يحل عند
مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم
السلاح والدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل
ركب حمارا وهو اليعفور عريا ويمكن انه ركب فى بعض الطريق حماره وفى بعضه فرسه
وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون
فرسا ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبى
مر على بغلة بيضاء وفى رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل بعث الى بنى قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما دنا على بن أبى طالب
رضى الله عنه من الحصن أى ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن
سمع من بنى قريظة مقالة قبيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف
بيننا وبينكم فلما رأى على رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصارى
ان يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لاعليك ان لاتدنو من هؤلاء الاخابث
قال لعلك سمعت منهم لى اذى قال نعم قال لو رأونى لم يقولوا شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حصونهم قال يااخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا ياأبا القاسم ما كنت جهولا
وفى رواية نادى باعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى اسمعهم وقال اجيبوا يااخوة القردة والخنازير
وعبدة الطاغوت وهوما عبد من دون الله هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون
ماقلنا ويقولون ياأبا القاسم ما كنت جهولا وفى رواية ما كنت فاحشا وقال لهم اسيد بن حضير
ياأعداء الله لاتبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما انتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا ياابن الحضير
نحن مواليك وخاروا أى خافوا فقال لاعهد بينى وبينكم وانما قال لهم يااخوة القردة والخنازير لان
اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ثم ان جماعة من

الصحابة شغلهم مالم يكن لهم منه بدّ عن المسير لبني قريظة ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة العصر الى ان جاؤا بعد صلاة العشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة وبعضهم قال نصلي ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا في أماكنهم قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كلا من الفريقين مأجور بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الامر وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل شهرا وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر واشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله الرعب في قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يك من بني اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر يعني التوراة والقرآن أي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم علي هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا نخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم علي هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا وأصابه مالم يخف عليك من المسخ وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية فوالله ما أدري أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه وان القتل خير من ذلك قال فاني بريء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم بابني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف والرأي الفاضل والعقل قد تركوا أموالهم يملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع نقضهم العهد في الذل والسبي وكانوا أهل عدة وسلاح

ونحو ثلاثة فلم يخرج منهم أحد برأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسبا والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال والتوراة التي نزلت على موسى يوم طور سينا انه العز والشرف في الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة جيش النبي صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانيا أنهم لا حاجة لهم بشئ من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصاري رضي الله عنه لنستشيره في أمرنا أي لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة وكانوا محالفين للاوس وهو منهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أي انه الذبح أي وفي لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني خنت الله ورسوله أي لان في ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم أنزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقيل الذي نزل في ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه الاولى في اللوم عليه والثانية في توبته وفي رواية عن أبي لبابة رضي الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسلني اليهم دعاني فقال اذهب الى حلفائك فانهم أرسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسد فقال يا أبا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى فانا قد اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال أبو لبابة فندمت واسترجعت فقال لي كعب مالك يا أبا لبابة فقلت قد خنت الله ورسوله ثم نزلت من عندهم وان عيني لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط في المسجد بعمود من عمده وهي التي كانت عند باب أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر تنفل النبي صلى الله عليه وسلم عندها وتعرف باسطوانة أبي لبابة واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة أبدا ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال اما لو جاءني لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه ومن قال انه انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد اغرب ثم مكث أبو لبابة رضي الله عنه مربوطا ست ليال لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع وقيل مكث مربوطا بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم

باعادة الربط حتى خر مغشيا عليه ثم أنزل الله توبته على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم قالت فقلت يارسول الله مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة قالت قلت افلا أبشره يارسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه وقيل قالوا له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال يارسول الله ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال له صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وجاء في بعض الروايات عن أبي لبابة رضي الله عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال كنت في أمر عظيم في حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن شيئا ولا اشرب وقلت لا ازال هكذا حتى افارق الدنيا أو يتوب الله علي وذكرت رؤيا رأيتها ونحن محاصرون بني قريظة فاني رأيت كاني في حمأة أي طين أسود آسنة أي متغيرة فلم أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهرا جاريا فأراني اغتسلت فيه حتى استنقيت وأراني أجد ريحا طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضي الله عنه فقال لتدخلن في أمر تغتم له ثم يفرج الله عنك فكنت اذكر قوله وأنا مرتبط فأرجو أن ينزل الله توبتي فلم أزل كذلك حتى كنت ما اسمع الصوت من الجهد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الي حتى انزل الله توبتي ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي بن اخطب وقيل كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة ويجوز ان يكون مازاد على ذلك أتباعا لا يعدون فلا تخالف وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثب الاوس فقالوا يارسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا احلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله ابن أبي ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمه الاوس أبى ان يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يامعشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال ذلك الى سعد ابن معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الاوس حينئذ وقيل ان بني قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثني من أثق به ان عليا رضي الله عنه صاح على بني قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ثم تقدم هو والزبير وقال والله لاذوقن ماذاق حمزة أو لاقتحمن حصنهم فخافوا وقالوا ننزل على حكم سعد قال الحافظ ابن حجر كانهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى صلى الله عليه وسلم فلما سأله الانصار فيهم رد الحكم الى سعد وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها فلما اشتد بهم البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استشاروا أبا لبابة قالوا ننزل على حكم سعد فحصل في سبب رد الحكم الى سعد أمران احدهما سؤال الاوس والآخر اشارة أبي لبابة وكانوا احلفاء سعد وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه

يومئذ .

يومئذ في المسجد النبوي في خيمة رفيدة رضي الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب ورفيدة هذه امرأة من أسلم كانت لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فأحسن فيهم فقد رأيت من ابن أبي ما صنع في حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وفي رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفي رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد أي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ها هنا مثل ذلك واشار الى الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له ثم قال سعد لبني قريظة أترضون بحكمي قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد قال سعد فاني أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال اني أحببت أن يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات قد طرقني بذلك الملك سحرا والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم أمر ان يجمع ما في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وحجفة ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح أي يسقى عليها الماء وماشية وشياه كثيرة وخمس ذلك مع النخل والسبي ثم قسم الباقي على الغانمين وفي رواية ثم أمر بالباقي فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت اسهم القسمة ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة آلاف والخيل ست وثلاثون وللفرس سهمين ولصاحبه سهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى ان يكونوا في دار اسامة بن زيد والنساء والذرية في دار بنت الحارث النجارية ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أي حفر فيها حفائر وفي رواية شق أخدودا وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا أرسالا تضرب اعناقهم ويلقون في تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ما ترى يصنع بنا قال أنتم في كل موطن لا تعقلون الا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم علي قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم التراب في تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة من أتي به معهم عدو الله حيي بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك مني والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفي رواية قال بلى ولقد قلقلنا

كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ولما أتى بكعب بن أسيد سيد بني قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بي أما أمركم باتباعي وانكم ان رأيتموني تقرؤني منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم لولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولي لقتلهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب بن المنذر رضي الله عنهما قالا يارسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما كرهه من الاوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله وقام أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال يارسول الله لاتبق دارا من الاوس الا فرقت فيها منهم فمن سخط فلا يرغم الله الا أنفه فابعث الى داري أول دورهم ففرق صلى الله عليه وسلم منهم فيها فقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الاوس فقتلوا من بعث به الى دورهم اتباعا لرضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما حاك في صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير رضي الله عنهما فلا تنافي وبقي صلى الله عليه وسلم عند الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس حملوا بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات في زمن الحصار وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث وتضحك ظهرا وبطنا أي وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها أي لانها دخلت على عائشة رضي الله عنها وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين بنانة فقالت ها أنا والله قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها مالك وبلك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته وفي لفظ قالت قتلني زوجي فقالت لها عائشة رضي الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرني أن ألقي رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئه فأدركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفي رواية قالت كنت زوجة رجل من بني قريظة وكان بيني وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد الحصار قلت لزوجي يا حسرتا على أيام الوصال كادت أن تنقضي وتتبدل بليالي الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجي ان كنت صادقة في دعوى المحبة تعالي فان جماعة من المسلمين جالسون في ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة فألقي عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضي الله عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول ما رأيت أعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث وهي الحرب التي كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج وذلك ان الزبير بن بطا أخذ ثابت بن قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت للزبير يوم قتل بني قريظة فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم

وأحوج ما كنت اليه الآن ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه كان للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك فجئته فقلت أهلك وولدك لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أى ثابت أما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت الذى عليك ما فعل بالذى كأن وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسد سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادى من يحملهم فى الجدب ويطعمهم فى المحل حيى بن أخطب فقلت قد قتل قال فما فعل بمقدمنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عزال بتشديد الزاى ابن سموأل بفتح السين وكسرها قلت قتل قال ما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلوا قال فانى أسألك ياثابت بيدلك عندى الا ألحقتنى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير أرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لى بذلك فما أنا بصابر افراغة دلو ناضح حتى ألقى الاحبة اى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت فقلت له ما كنت لاقتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ياثابت بن قيس لك أهله وماله ان أسلم أو لم يسلم ثم ان القتل كان لمن أنبت ومن لم ينبت يكون فى السبى قال عطية القرظى كنت غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى عن القتل وكان رفاعة القرظى قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت يارسول الله بأبى أنت وأمى هب لى رفاعة فوهبه لها فأسلم رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة من نساء بنى قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظى فتزوجها بعد ان أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا أى نصف أوقية وأعرس بها فى المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين وقد أشار سبحانه وتعالى الى قصة بنى قريظة بعد ذكر قصة الاحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك والى نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدّوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء

واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم اننا لكم أولياء

ويوم الاحزاب اذ زاغت الابـ * ـصار فيه وضلت الآراء

وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء

كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء

فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء

وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذ الميم فى مواضع باء

كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أو هو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء

ولما انقضى شأن بني قريظة قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم وأقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بني قريظة فانه سأل الله لما أصيب بالسهم في الخندق وقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وقيل ان دعاءه بذلك كان في الليلة التي في صبحتها نزلوا على حكمه ويجوز أن يكون دعا بتلك الدعوة مرتين وفي لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة فاستجاب الله دعوته وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال اللهم انك تعلم انه ليس احد أحب الى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه اللهم اني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقي من حرب قريش شئ فأبقني له حتى أجاهدهم فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها أي الجراحة واجعل موتي فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم أي أهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بني غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دما له هدير فمات منها وجاء في رواية ان عنزا مرت به وهو مضطجع فأصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبي صلى الله عليه وسلم موته بل جاءه جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفي رواية من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش لقدومها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد مات وجاء انه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة ما وطئوا الارض الا يومهم ذلك * واختلف العلماء في اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتزله ومنه اهتزت الارض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشئ المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون أظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان في الانصار كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكأن المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل أم سعد سعدا * صرامة وحدا * وسوددا ومجدا
وفارسا معدا * سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي رواية قال لها لا تزيدي على هذا وكان فيما علمته والله حازما في أمر الله قويا في أمره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها لترقأ دمعتك ويذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان * وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى امام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم

وقف ودعاله وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهي أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم لهم أتعجبون من لين هذه الحلة والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى في الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لان المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد بن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكرا له على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضي الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاءه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصاري بسبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها سلاحا وخيلا وفي رواية بعث بها سعد بن عبادة رضي الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية القرطا وحديث ثمامة)

وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطا بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمدوهم بطن من بني بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهي قرية لبني كلاب على طريق البصرة الى مكة وهي الى مكة أقرب وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري في ثلاثين راكبا بلا وخيلا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم أي يفرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما أمر به فلما أغار عليهم هرب سائرهم أي باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة وأسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفي روى ابن اسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفي فربطوه بسارية من سواري المسجد بأمره صلى الله عليه وسلم لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك ياثمامة قال عندي خير يامحمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له ماعندك ياثمامة قال ماقلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ماعندك ياثمامة قال عندي ماقلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال والله يامحمد ما كان على وجه الارض وجه أبغض الي من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد أبغض

الى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الى وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم أى بخير الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة يلبي ويبني الشريك عن الله قال له قائل صبوت أى خرجت عن دينك قال لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وروى أنهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه

ومنا الذى لبى بمكة معلنا * برغم أبي سفيان فى الاشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فنعهم أن يحملوا الى مكة شيأ فكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل وروى البيهقى فى الدلائل ان ثمامة بن أثال الحنفى لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فأسلم ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز أى الوبر والدم فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وفى رواية أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه أن يخلى بينهم وبين الحمل فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة يواجهه بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريبا فى وقعة الاحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقا لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بل جاء فى بعض الروايات أنه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفى قصة ثمامة رضى الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر فى المسجد والمن على الاسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحب وان الكافر اذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر فى ذلك الخير وملاطفة من يرجى اسلامه من الاسرى اذا كان فى ذلك مصلحة للاسلام ولاسيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعث السرايا الى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك فى قتله وابقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسيء لانه أقسم أن بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن من غير مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وباللقحة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضى الله عنه بل جاء انه قام مقاما محمودا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم أين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين رضى الله عنه ونفع به

(غزوة بنى لحيان)

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وكانت فى غرة شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس وقيل أربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا والمراد بأصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وان كانوا فى سرية وحدهم فأظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة

وعسكر فى مائتى رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه الى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واد بينه وبين عسفان خمسة أميال وهى منازل بنى لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤس الجبال خوفا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على أحد منهم فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل اسود بطرف الحرة ممتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا * قال ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم لما ماحصل من غرتهم ما أراد قال صلى الله عليه وسلم لو أنا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضى الله عنه مع عشر فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر فى الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرتك ورضوانك وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة فى هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة الغابة)

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست وقيل فى جمادى الاولى وقيل فى شعبان وفى البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهى ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذى لا مالك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذى قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين وكان أبو ذر وابنه وامرأته رضى الله عنهم فيها فأغار عليها عيينة بن حصن الفزارى ليلة الاربعاء فى أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر رضى الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل وأسروا المرأة واسمها ليلى وفى رواية ان أباذر رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم لا لقاحه فقال صلى الله عليه وسلم انى أخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فألح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكانى بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك قال أبو ذر رضى الله عنه بعد ذلك عجبا لى يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ماقال فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرف لهم ابنى فقتلوه وأسروا امرأتى ثم انها تخلصت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبى صلى الله عليه وسلم لانهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفى رواية انهم أوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فأتت الابل فكانت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لانها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا مما يأتى ذكره فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم

أخبرته بذلك وقالت يا رسول الله انى نذرت لله تعالى إن انجانى الله عليها ان انحرها فقال بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك ان تنحريها انه لا نذر لاحد فى معصية ولا لاحد فيما لا يملك انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما اغاروا على اللقاح فى يومهم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودى يا خيل الله اركبى وركب صلى الله عليه وسلم فى خمسمائة وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضى الله عنه فى رمحه وقال امض حتى تلحقك الخيول وأنا على اثرك فأدرك أخريات العدو وفى البخارى ومسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالاولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه يا صباحاه فاسمعت ما بين لابتى المدينة وفى رواية للطبرانى وابن اسحاق فأشرفت من سلع ثم صحت يا صباحاه فانتهى صياحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الفزع الفزع فترامت الخيول اليه فكان أول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد بن زيد الانصارى واسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة وأبو قتادة وأبو عياش وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن زيد وقال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقيل أمر المقداد فساروا وتقدمهم أبو قتادة فأدرك فى طريقه مسعدة بن حكمة الفزارى فقتله وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون اليه وهو مسجى استرجعوا أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ظنا منهم ان المسجى هو أبو قتادة وانه قتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بأبى قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل أبى قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزارى ويحتمل أن له اسمين فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه ولقى عكاشة بن محصن رضى الله عنه فى طريقه أبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز بن نضلة من بنى أسد بن خزيمة ممن شهد بدرا رضى الله عنه قال ابن اسحاق كان أول فارس لحق بالقوم فقال قفوا يا معشر بنى اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه أبو قتادة فقتله وتحول على الفرس وأدرك سلمة بن الاكوع رضى الله عنه القوم قال ابن اسحاق ان سلمة رضى الله عنه صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل فى جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفى البخارى عنه رضى الله عنه ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت راميا وأقول خذها وانا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين بردة وفى صحيح مسلم فأقبلت أرميهم بالنبل وأرتجز فما زلت أرميهم وأعقرهم فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا فى مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فما زلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بعير الا خلفته وراء ظهرى ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها فأتوا مضيقا فأتاهم عيينة ممدا لهم فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال من هذا قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعنى الشدة والاذى ما فارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شئ فى أيدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا انه يرى وراءه طلبا لكم لترككم ليقم اليه أربعة منكم قال سلمة فصعدوا فى الجبل فقلت لهم أتعرفونى قالوا ومن أنت قلت ابن الاكوع

والذى

والذي أكرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا اطلبه فيفوتني فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أي رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره وقيل معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء فنزلوا بذي قرد وأقام يوما وليلة قال سلمة لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ان القوم يعني غطفان وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتني في مائة لاستنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم اي أسرتهم وقتلتهم وفي رواية لمسلم وأتاني عمي عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه فاذا هو قد أخذ كل شئ استنقذته منهم ونحر له بلال رضي الله عنه ناقة وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يا رسول الله خلني أنتخب من القوم مائة رجل فأتبعهم فلا يبقى منهم مخبر فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أتراك كنت فاعلا قلت نعم والذي أكرمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الاكوع ملكت فأسجح أي قدرت عليهم فأحسن وارفق والسجاحة بالكسر السهولة أي لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو فقد حصلت النكاية في العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمد على نصر الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليقرون في قومهم يعني انهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة في البعث في اثرهم لانهم لحقوا بأصحابهم وزاد مسلم فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا هرابا وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضي الله عنه فلما أصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة فأعطاني سهم الراجل والفارس جميعا وفي رواية وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف من الانصار فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشر من اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيحين انه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم بأن سلمة قال ذلك بحسب ظنه وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي بمجرده ان معها زيادة عليها لما روى أن معها جملا كان لابي جهل ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة أبي ذر رضي الله عنهما وكان عودها بعد عود النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف وأقام به يوما وليلة يتحسس الخبر ورجع وقد غاب خمس ليال وأردف اسامة رضي الله عنه خلفه في رجوعه وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وبعث اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل أن الجزائر المنحورة مما بعثه أو مما أخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر وفي القصة من الفوائد جواز العدو الشديد في الغزو والانذار بالصياح العالي وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لا سيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث يؤمن الافتتان والله سبحانه وتعالى أعلم

قوله بالكسر لعل الصواب بالفتح قاله نصر

قد اقتصر في الخميس على الثاني اه

(سرية الغمر)

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم

بعدها رارا • وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال في القاموس قلعة بطريق مكة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلا عقب أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فنذر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجد ديارهم خلوفا أي خالية عن سكانها لهربهم فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم لهم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

(سرية محمد بن مسلمة الانصاري)

الى ذي القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة فورد عليهم ليلا بمن معه وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فما شعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح في أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامة أحد العشرة المبشرين رضي الله عنهم في ربيع الآخر في أربعين رجلا الى مصارعهم فأغاروا عليهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فساقه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث أبي عبيدة رضي الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه ان بني ثعلبة وأنمارا جمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة وهي ترعى بهيفاء وهو موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال وأصابوا رجلا واحدا فأسلم فتركوه وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه وشيئا من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

قوله بهيفا لعله الحيفا بالحاء ويقال الحفياء بالمد ويقصر ولم اجده بالهاء في ق قاله نصر

(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه)

الى بني سليم بالجموم ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة وكانت في شهر ربيع الآخر سنة ست فأصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فأسروها فدلتهم على منازل بني سليم فأصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فأسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها والظاهر انها أسلمت وتوقف بعضهم في ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولا صحبة ولا ترجمة وليس في الصحابيات حليمة الا المرضعة رضي الله عنها ولم يذكروا عدة الابل والغنم والاسرى والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه)

أيضا الى العيص قالت عائشة رضي الله عنها ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه في سرية الا أمره عليهم ولو بقي لاستخلفه أخرجه ابن أبي شيبة وفي البخاري عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد بن حارثة رضي الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة

وكانت غزوة زيد هذه في جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فأدركها وأخذها وما فيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فلما قدم المدينة أسيرا أجارته زوجته السيدة زينب رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان استجار بها ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وفي رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت أيها الناس اني قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم ثم قال والذي نفس محمد بيده ما علمت بشئ من هذا حتى سمعت ما سمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها اكرمي مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له وفي رواية ان زينب رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فأبو ولد واني قد اجرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم ذهب الى مكة فأدى الى كل ذي مال ماله ثم قال هل بقي لاحد منكم عندي مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتي قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوفا ان تظنوا اني انما أردت ان آكل أموالكم فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضي الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه فخرج الى الشام في تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فاشهد أني قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضي الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا له انك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك ان تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئس ما أمرتموني به أن افتتح ديني بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم اموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان اسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبي بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان أسلم وهاجر ردها صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذي عليه العمل لان الاسلام فرق بينهما قال الله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الواقعة فلم يكن اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم الا بعد نزولها وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم اثنى على أبي العاص في مصاهرته خيرا وقال حدثني فصدقني ووعدني ووفى لي وانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب من أبي العاص رضي الله عنهما مات رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهي اكبر بناته رضي الله عنهن والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا)

الى الطرف بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء كـكتف وهو ماء أي ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت في جمادي الآخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فأصاب نعما وشاء وهربت الاعراب لانهم خافوا ان يكون صلى الله عليه وسلم سار اليهم بنفسه وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب اربع ليال عن المدينة

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا)

الى حسمي بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصورا وهي اسم أرض ينزلها جذام وراء وادي القرى وذلك من جهة الشام وكانت في جمادي الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لانها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر لما أرسله صلى الله عليه وسلم اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لانه قارب ان يسلم ولم يسلم خوفا على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض في ناس من جذام بضم الجيم و بالذال المعجمة وهي قبيلة من معد بجبال حسمي فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شئ كان معه ولم يتركوا عليه الا سمل ثوب وهو الخلق البالي من الثياب فسمع بذلك نفر من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامي ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وفي رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان في أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة رضي الله عنه في خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير بالليل و يكمن بالنهار ومعه دليل من بني عذرة فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا أي أكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه واخذوا ماشيتهم ونساءهم فأخذوا من الابل ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبي مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة بن زيد الجذامي في نفر من قومه فدفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتبه له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضي الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضي الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا في الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاؤا منها الا من ختر وكانت أخت حسان في الاسارى فقال له زيد خذها فقالت أم أذا أنطلقون بناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ونهى الجيش ان يهبطوا الى واديهم الذي جاؤا منه فأمسوا في أهلهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعز ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح اليهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يا رسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فردده مرتين أي عندهم فصاحة لسان و بيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا في يومنا هذا الا خيرا ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يا رسول الله

فقال صلى الله عليه وسلم يا غلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فأخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يا رسول الله لا نحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه فقال صلى الله عليه وسلم صدق أبو زيد اركب معهم يا علي فقال ان زيدا لن يطيعني فقال خذ سيفي هذا فأعطاه سيفه فقال ليس لي راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فانزلوه عنها فقال يا علي ما شأني قال مالهم عرفوه فأخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فأخذوا ما في أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل وأخبروهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث عليا رضي الله عنه الى زيد بن حارثة رضي الله عنه يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم وفي رواية فقال علي رضي الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ما بيدك من أسرأو سبي أو مال فقال زيد رضي الله عنه علامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أطلب علامة قال علي رضي الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شيء من سبي أو مال فليرده فهذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ما أخذ منهم وظاهر السياق يقتضي انهم كانوا يطؤن الجواري بلا استبراء وهو كذلك لا توجه انما كان في سبي هوازن والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة أيضا)

رضي الله عنه الى وادي القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت في رجب سنة ست سار رضي الله عنه الى وادي القرى فلقي به بني فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد بن مرداس رضي الله عنه وحمل منهم جريح به رمق والله أعلم

(سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه)

الى دومة الجندل بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحاق في أول هذه القصة حديثا في أوله زيادة لا بأس بذكرها فقال حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد اذ أقبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأكثرهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فأخذوا ما كان في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله الا جعل بأسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سود فأدناه صلى الله عليه وسلم منه فأقعده بين يديه وعممه بيده وفي رواية نقضها ثم عممه بها فأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله

عليه وسلم ثم قال خذه يا ابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فأخذ عبد الرحمن اللواء وفي رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك أي أطاعوك فأسلموا فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم أسلم في اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج ماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضي الله عنها وفي رواية أن عبد الرحمن رضي الله عنه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره باسلام من أسلم من القوم وانه أراد أن يتزوج فيهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بأن عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا فان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد ان أسلم الجميع مع انه قد بقي منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا فولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسماعيل توفي سنة أربع وتسعين والله أعلم

(سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه)

ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر أي الى حي منهم وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون في جمع الناس يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي رضي الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغمج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ماء بين فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا ما أنت قال باغ أي طالب لشئ ضل مني فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد قال لا علم لي به فشددوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له فأين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال على أن تؤمنوني قالوا ان دللتنا عليهم أو على سرحهم أمناك والا فلا أمان لك قال فذاك فخرج بهم دليلا حتى ساءظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم فأغاروا عليها فقال أرسلوني فقالوا حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا فقال الدليل علام تحبسوني وقد تفرقت الاعراب قال علي حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه فلم ير أحدا فأرسلوه وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن وقدم علي رضي الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود والله أعلم

(سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه)

الى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهي بنت ربيعة بن بدر الفزاري التي جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين وبنتان وكانت بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست من الهجرة وسببها ان زيد بن حارثة رضي الله عنه خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وفي رواية أن زيدا رضي الله عنه حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة فرجع وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم في جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناطورا فكانوا يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذي يرون انهم يؤتون منه فيبصر مسافة يوم فأكثر فيقول اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم فاذا كان العشاء أشرف على ذلك الجبل فنظر مسيرة ليلة فيقول ناموا لا بأس عليكم فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ أدلاؤهم الطريق فسار في آخر حتى أمسوا وهم على خطأ فعلم بنوا الحاضرين من بني فزارة فحمدوا اخطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بمن حضر من بني فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف في قومها وأخذوا بنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر وقيل ابن مسحل الى أم قرفة وهي عجوز كبيرة فأسرها وبنتها فقتلها قتلا عنيفا ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة رضي الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الاكوع رضي الله عنه هو الذي أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن

(سرية عبد الله بن عتيك)

لقتل أبي رافع عبد الله أو سلام بشد اللام ابن أبي الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودي وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف الخزرجي الانصاري رضي الله عنه في رمضان سنة ست وقيل في ذي الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحاق ان الزهري أخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الاوس كعب بن الاشرف في عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد اذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنته الخزرج في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحاق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب بن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أي يحمل كل منهما على الآخر والمراد أن كلا من الاوس والخزرج يدفع عن النبي صلى الله عليه وسلم ويتفاخر بذلك لا يصنع الاوس شيئا فيه عنه صلى الله عليه وسلم غنى الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الاسلام واذا فعلت الخزرج شيئا قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا أبدا فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الاشرف فذكروا سلام بن أبي الحقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم في قتله فأذن لهم فخرج اليه من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واسمه الحارث بن ربعي والاسود بن خزاعي ومسعود بن سنان الاسلمي حليف بني سلمة بطن من الخزرج فأمرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا او امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت

الرجل عن الحركة جاؤا الى منزله وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس
بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل
الحصن فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كى لا يعرف كأنه يقضى حاجته وقد دخل
الناس وكانوا فقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه
وجلوسه كأنه يقضى حاجته مخافة أن يعرف فناداه البواب يا هذا ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى
أريد أن أغلق الباب لانه ظن انه من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت
ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد أى المفاتيح على
وتد فى كوة فقمت الى الاقاليد فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفى رواية
فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل وكان فى غرفة عالية له اليها عجلة من خشب
فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت على من داخل وقلت ان القوم
ان نذروا بى لم يخلصوا الى حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله فى بيت مظلم قد طفئ سراجه
لا أدرى أين هو وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية فتقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبى رافع فيظنه
انه من قومه فلا يفزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت قال جئت أبا رافع بهدية
ففتحت له وقالت ذاك صاحبك فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت قال
فقلت أبا رافع لاعرف موضعه فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة وانا دهش فما أغنت
شيئا ولم أقتله وصاح أبو رافع فخرجت من البيت وكنت غير بعيد فقالت امرأته يا أبا رافع هذا صوت
عبد الله بن عتيك قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ثم دخلت عليه كانى اغيثه وغيرت صوتى
فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف فضربته ضربة
أثخنته ولم أقتله فصاح وقام أهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف أى حده فى بطنه حتى دخل
فى ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت انى قد قتلته فجعلت افتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة
فوضعت رجلى وأنا أرى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها
بعمامة ثم خرجت وكنت فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى اذا أيسوا
رجعوا اليه وجلست كامنا وقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك صعد الناعى على
السور فقال أنعى أبا رافع تاجر الحجاز فانطلقت الى أصحابى فقلت النجاء أى أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع
وفى رواية فعصبت رجلى وأتيت أصحابى أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى
لا أبرح حتى أسمع الناعى فلما كان وجه الصبح صعد الناعى فقال انعى أبا رافع فقمت أمشى ما بى قلبة
فأدركت أصحابى قبل أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفى رواية فانتهيت
الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه
وسلم فكأنى لم أشتكها قط وجاء فى رواية ان الاسود بن خزاعى أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن
عتيك تخلف ليتحقق موت أبى رافع قال فذهبت انظر حتى دخلت فى الناس فوجدت امرأته ورجالا من
يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه وتحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم
أكذبت نفسى وقلت أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم نظرت فى وجهه فقالت فاظ أى مات واله يهود
فما سمعت من كلمة كانت ألذ فى نفسى منها ثم أدركت أصحابه فأخبرهم الخبر وجاء فى بعض الروايات أن
عبد الله بن عتيك لما تمادى عليه المشى أحس بألم رجله وهو سائر مع أصحابه فى الطريق فحملوه
ثم لما أتاه صلى الله عليه وسلم مسح عليه فزال عنه جميع الالم ببركته صلى الله عليه وسلم وفى رواية لما كم

عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كمنا أقعدنا منا واحدا يحرسنا فاذا رأى ما يخافه أشار الينا فلما قربنا من المدينة كانت نوبتي فأشرت اليهم فخرجوا سراعا ثم لحقتهم فدخلنا المدينة فقالوا ماذا رأيت قلت ما رأيت شيئا ولكن خشيت أن تكونوا عييتم فأردت أن يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابن أبي الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال أفلحت الوجوه وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والاخذ بالشدة في محاربتهم وايهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته ووقع في بعض الروايات ان الذي قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس والصواب ما في صحيح البخاري ان الذي قتله عبد الله بن عتيك وفي قتل أبي رافع وكعب بن الاشرف يقول حسان رضي الله عنه

لله در عصابة لاقيتهم * يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم * مرحا كاسد في عرين معرف
حتى أتوكم في محل بلادكم * فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

(سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه)

الى أسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء ابن رزام براء مكسورة فزاي مخففة فألف فميم اليهودي بخيبر وكانت في شوال سنة ست وسببها انه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليها أسيرا فقال والله ما سار محمد الى أحد من يهود ولا بعث احدا من أصحابه الا أصاب منهم ما أراد ولكني أصنع مالم يصنع أصحابي فقالوا وما عسيت أن تصنع قال أسير في غطفان فأجمعهم ونسير الى محمد في عقر داره بفتح العين وضمها وسكون القاف أي أصلها فانه لم يغز أحد في عقر داره الا أدرك منه عدوه بعض ما يريد قالوا نعم ما رأيت فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن خبره وغرته أي غفلته فأخبر بذلك وذلك انه أتى ناحية خيبر فدخل في الحوائط وفرق الثلاثة في ثلاثة من حصونها فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان فأخبره بكل ما رآه وسمعه وقدم عليه أيضا خارجة بن حسيل بمهملتين مصغرا فاستخبره صلى الله عليه وسلم ما وراءه فقال تركت أسير بن رزام يسير اليك في كتائب يهود فندب صلى الله عليه وسلم الناس له فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فشاور يهود فخالفوه في الخروج وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مللنا الحرب وخرج وفي رواية لابن اسحاق فلما قدموا عليه كلموه وقربوا اليه وقالوا انك ان قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين وفي رواية فحمله أي أسيرا عبد الله بن رواحة حتى اذا كانوا بقرقرة موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الفتك بعبد الله

ابن رواحة ففطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه أسير بمخرش في يده من شوحط فأمه وفي رواية عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأهوى أسير بيده الى سيفي ففطنت له فدفعت بعيري وقلت غدرا أي عدو الله مرتين فنزلت فسبقت بالقوم حتى انفرد لي أسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم غير رجل واحد أعجزنا شدا أي جريا أفلت على رجليه ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فما قتلوا اليهود بعد التأمين الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن أصحابنا فخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذاهم بسرعان أصحابنا فجلس صلى الله عليه وسلم في أصحابه فانتهينا فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وفي رواية قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ومسح صلى الله عليه وسلم وجهي ودعا لي وقطع لي قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة بيني و بينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلي قيل فيحتمل ان هذا وهم من بعض الرواة والحق انه لا مانع من تكرار اعطائه عصاه وانه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع اذا خص بعض صحبه بشئ لا يسئل لم لم يفعله مع بقية الصحابة والله أعلم

(قصة عكل وعرينة)

وهي سرية كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه كان أحد رؤساء قريش استشهد عام الفتح وعكل حي من قضاعة وعرينة حي من بجيلة وكانت هذه السرية في جمادى الاولى سنة ست وقيل في شوال سنة ست وسببها أن ناسا من عكل وعرينة سبعة أو ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الاسلام وكانوا حين قدموا المدينة سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا يارسول الله انا كنا أهل ضرع أي ماشية وابل ولم نكن أهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل فأمر لهم بذود من الابل وهي من الثلاثة الى العشرة ومعها راع وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وكان عبداً له صلى الله عليه وسلم اسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك في عينيه واستاقوا الذود فجاء الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب في آثارهم قال اللهم أعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل فأعمى الله عليهم السبيل وفي رواية فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم و في رواية فبعث في آثارهم فغدوا فاذاهم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فأعطوني هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فأسروهم ولم يفلت منهم انسان فربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فأمر بهم فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا أعينهم وتركوا في ناحية الحرة في الشمس حتى ماتوا وانما سمر أعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعي كما مر فكان ذلك قصاصا أي كالقصاص قال انس رضي الله عنه فلقد رأيتهم يكدم أي يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفي رواية كانوا يستسقون

أي يطلبون الماء فلا يسقون لانهم ارتدوا فلا حرمة لهم وأنزل الله في هؤلاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا * وفي القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره في مصالحهم ومشروعية الطب والتداوي بألبان الابل وأبوالها وان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا ان قتلهم كان قصاصا والمماثلة في القصاص وانه ليس من المثلة المنهي عنها وثبوت حكم المحاربة في الصحراء وأما في القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل ابل الصدقة في الشرب وفي غيره قياسا عليه باذن الامام والله أعلم

(سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه)

الى أبي سفيان بعثه صلى الله عليه وسلم الى أبي سفيان ليقتله غيلة لان أبا سفيان أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم من يقتله وذلك ان أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا أحد يغدر محمدا فانه يمشي في الاسواق فأتاه رجل من الاعراب في منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا أي جريا فان أنت قويتني خرجت اليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ في عير فأسير وأسبق القوم عدوا فاني هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الاشهل فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فذهب لينحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه بداخلة ازاره أي طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فأسقط في يده أي ندم وقال دمي دمي أي اتركوا دمي أو خلوا دمي فأخذ أسيد بلببه أي منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم أصدقني ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فأخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فأسلم رضي الله عنه وقال يا محمد والله ما كنت أفرق أي أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فأقام الرجل أياما ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فأذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الانصاري رضي الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبي سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبي سفيان وفي رواية قدما مكة وحلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وانهم ان رأوني عرفوني فاني أعرف بمكة من الفرس الابلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فأبى أن يطيعني فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا لنمشي بمكة اذ نظر الي رجل من أهلها فعرفني فقال عمرو بن أمية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل ان هذا الرجل الذي أبهمه هو معاوية بن أبي سفيان وقيل غيره فأخبر أبا سفيان وقريشا بوجود عمرو بمكة فخافوه وطلبوه وكان فاتكا جريا في الجاهلية والفتك القتل على غفلة فحشد أي جمع له أهل مكة وساروا يطلبونه فهرب عمرو وسلمة أو وجبار بن صخر فلقي عمرو رجلا من رؤس المشركين وهو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل آخر من بني الديل سمعه يتغنى ويقول

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

قوله يغدر محمدا أي يقتله غدرا وغيلة فيغتاله

ولقي رسولين لقريش بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان الاخبار فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره و يضحك ثم دعا له بخير * وفي سيرة ابن هشام بعد قوله السابق ان قدمها الا لشر فقلت لصاحبي النجا فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في جبل وخرجوا في طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا في الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعني به عبد الله بن مالك التيمي المتقدم ذكره يقود فرساله و يختلي عليها فغشينا ونحن في الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فأخذنا وقتلنا قال ومعي خنجر قد أعددته لابي سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع أهل مكة ورجعت فدخلت مكاني وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أمسينا النجا فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدي فقال أحدهم والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن أمية فلما حاذى الخشبة التي عليها خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا أي مهبط مسيل فرمى الجثة في الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبي النجا ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفا فبينا أنا فيه اذ دخل علي شيخ من بني الديل أعور في غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بني بكر فمن أنت قال من بني بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي ستعلم ثم أمهلته حتى اذا نام أخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة وفتح التحتية ما عطف من طرفها ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة فقلت استأسرا فأبيا فرميت أحدهما بسهم واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقد مر انه صلى الله عليه وسلم بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فأنزلاه وخافا الطلب فألقياه فابتلعته الارض ويمكن ان عمرو بن أمية التقى معهما حين ارسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما في انزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية)

بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر يسمى المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها في الحرم على تسعة اميال من مكة وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه انه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادي ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا للبيت ومعظما له وأخرج معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وقيل ابورهم كلثوم بن الحصين وقيل استعملهما معا وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال وأربعمائة ألغاه وأما رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبي اوفى رضي الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع

عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة أو ان الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو ان الزيادة من الاتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الاسلاح المسافر السيوف فى القرب فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أى جاسوسا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفى رواية انه لقيه بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد تلبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ان لا تدخلها عليهم عنوة ابدا والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها اطفالها والمراد انهم خرجوا باجمعهم كبارا وصغارا لارادة طول المقام وعدم الفرار وفى رواية قال له انى لا طوف بالبيت فى ليلة كذا وكذا وقريش فى انديتها اذ صرخ صارخ من اعلى جبل أبى قبيس بصوت أسمع أهل مكة يقول

هبوا لصاحبكم مثلى صحابته * سيروا اليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعى فى مهل * وان يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر نكل * لا ينصرون اذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة وتعاقدوا على ان لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الاصنام يوشك ان يقتله الله ان شاء الله فبينما هم كذلك اذ سمعوا من اعلى الجبل صوتا يقول

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما * وخاب سعيهم ما اقصر الهمما
انى قتلت عدو الله سلفعة * شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله فى نفر * وكلهم محرم لا يسفكون دما

فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان اميل الى عيال هؤلاء الكفار الذين يريدون أن يصدونا عن البيت وذراريهم فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عنا من المشركين والا تركناهم محروبين وفى رواية أترون أن نميل ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين وان يجيئوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله ويروى أن المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال صلى الله عليه وسلم فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الامر فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن أبى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا فخرجوا منه بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم اسلكوا ذات اليمين

بين ظهرى الحمض بفتح المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش وفى رواية فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش أى غباره كذا ألحقه بعضهم وقيده بعضهم بالغبار الاسود فانطلق يركض نذيرا لقريش وفى رواية أن خالدا دنا فى خيله حتى نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام بازائه فصف أصحابه وحانت صلاة الظهر فصلاها بهم صلى الله عليه وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن ستأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية فحانت صلاة العصر والعدو جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه فى الثانية من حرس أولا وحرس الاخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهى كلمة تقال للناقة اذا تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء أى حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك التشبيه ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضى الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه لكن سبق فى علم الله انهم لا يدخلون الآن لانه سيدخل فى الاسلام خلق منهم ويستخرج من أصلابهم ناسا يسلمون ويجاهدون وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم وجواب لو محذوف أى لاذن لكم فى الدخول والقتال وانما منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله فى رحمته من يشاء اى من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أى لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ثم قال صلى الله عليه وسلم عقب قوله حبسها حابس الفيل والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة فيها تعظيم حرمات الله أى من ترك القتال فى الحرم والجنوح الى السلم والكف عن اراقة الدماء وفى رواية لا يدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم وهى من حرمات الله الا أعطيتهم اياها أى أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادى ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى نزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد أو خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضى الله عنه فوضعه فى البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا فى ذلك قال فوالله ما زال يجيش أى يفور الماء حتى صدروا عنه أى رجعوا رواء بعد ورودهم وفى رواية فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر وفى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا أنفسهم

وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخارى توضأ فى الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ويمكن الجمع بأنه فعل ذلك كله وفى حديث جابر عند البخارى ومسلم قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فأقبل الناس نحوه فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا مانتوضأ به ولا نشرب الا مافى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع فى وقتين وكان قصة الركوة قبل قصة البئر وقد أخرج الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه القصة وفيها فجاء رجل باداوة فيها شئ من ماء ليس فى القوم ماء غيره فصبه صلى الله عليه وسلم فى قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه فى القدح ثم قال أسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه واختلاف ألفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة ووقع فى بعض الروايات انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملأوا قربهم فقيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا ألفا وأربعمائة وفى حديث زيد بن خالد رضى الله عنه انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله اعلم وفى هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة وكان ذلك قبل اسلامه فانه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم وتقدم أن بنى هاشم فى الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك فى الاسلام فقال بديل للنبى صلى الله عليه وسلم غورت أى أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك فقال لم نجئ لقتال فتكلم أبو بكر رضى الله عنه فقال له بديل أنا لا آتيهم ولا قومى ثم قال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام ان دعا اليه الامر ليكون أدعى الى عدم الفرار وخص كعب بن لؤى وعامر بن لؤى لرجوع انساب قريش الذين بمكة أجمع اليهما وبقى من قريش بنو سامة بن لؤى وبنو عوف بن لؤى وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تيم بن غالب ومحارب بن فهر وقوله اعداد مياه الحديبية قال الحافظ ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه كثيرة وان قريشا سبقوا الى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا لبديل انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب أى اضعفت قوتهم واهزلتهم واضعفت أموالهم واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم أى جعلت بينى وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بينى وبين الناس من كفار العرب وغيرهم فان اظهر أى باظهار الله تعالى دينى بحيث يدخله الناس ويتبعونى فيما جئت به فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا والا أى وان لم اظهر فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم المضمومة يعنى استراحوا من القتال وفى رواية فان ظهر الناس على فذلك الذى يبغون وفى رواية وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة وانما ردد الامر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الامر على مازعمه ثم قال وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى وهى صفحة العنق كنى بذلك عن القتل أى حتى اموت وأبقى منفردا فى قبرى وقيل المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده فى مقاتلتهم والمعنى ان لى من القوة بالله والحول به مايقتضى مقاتلتهم عن دينه لو انفردت فكيف لا اقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم فى نصر

دين الله ولينفذن الله أمره وفي هذا تصريح بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من القوة والثبات
في تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره والندب الى صلة الرحم والابقاء على من كان من أهلها وبذل النصيحة
للقرابة فقال بديل سأبلغهم ما تقول فأذن له * قال الزرقاني في شرح المواهب وفي هذا جواز استنصاح
بعض المعاهدين وأهل الذمة اذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الاسلام على
غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارا على غيرهم
ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة أعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم
وانكاء بعضهم ببعض ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الاطلاق انتهى وبديل بن ورقا
كان سيد قومه وأسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا والطائف وتبوك وكان من كبار مسلمة الفتح
وقيل اسلم قبل الفتح وقال ابن منده وأبو نعيم اسلم قديما ولعله كان يكتم اسلامه والمشهور هو الاول
وخزاعة قبيلة من الازد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشا فقال ناس منهم هذا بديل
وأصحابه وانما يريدون ان يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد فرأى بديل انهم لا يستخبرونه فقال
انا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه
عليكم فعلنا وفي رواية انا جئنا من عند محمد أتحبون ان نخبركم عنه فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان
تخبرنا عنه بشئ ولكن أخبره عنا انه لا يدخلها علينا عامه هذا ابدا حتى لا يبقى منا رجل واحد وقال
ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول ولم يكن أبو سفيان حاضرا هذه القضية على الصحيح بل كان غائبا
في بعض تجاراته فمن ذكره معهم فقد غلط وفي رواية فأشار عليهم عروة بن مسعود الثقفي بان يسمعوا
كلام بديل فان أعجبهم قبلوه والا تركوه فقال صفوان بن أمية والحارث بن هشام أخبرونا بالذي رأيتم
وسمعتم قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فرجعوا الى قريش فقالوا
انكم تعجلون على محمد انه لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا بل
جاء زائرا فوالله لا يدخلها علينا عنوة ابدا ولا تحدث عنا العرب بذلك ابدا فقام عروة بن مسعود الثقفي
وقد أسلم رضي الله عنه عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهو احد الرجلين الذين
قال الله فيهما وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأحدهما الوليد بن المغيرة
كان بمكة ومات كافرا والثاني عروة بن مسعود الثقفي وكان بالطائف فالقريتان مكة والطائف
فقال لقريش يا قوم ألستم بالوالد أي مثل الوالد في الشفقة على ولده قالوا بلى قال أولست بالولد أي
مثله في النصح لوالده قالوا بلى بل جاء ان أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف فأراد أنهم
ولدوه في الجملة قال فهل تتهموني قالوا لا ما أنت عندنا بمتهم قال ألستم تعلمون اني استنفرت أهل عكاظ
أي دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا من الاجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال
فان هذا يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد عرض عليكم خطة رشد أي خصلة خير وصلاح وانصاف
اقبلوها ودعوني آتيه أي أجيء اليه قالوا ائته فأتى عروة بن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما قال بديل بن ورقاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل
السابق وأخبره أنه لم يأت يريد حربا وعند قول النبي صلى الله عليه وسلم فان هم أبوا فوالذي نفسي
بيده لاقاتلنهم قال عروة أي محمد أخبرني ان استأصلت قومك أي أهلكتهم بالكلية هل سمعت بأحد
من العرب اجتاح أي أهلك أصله قبلك وان تكن الاخرى أي وان تكن الغلبة لقريش فاني والله
لا أرى وجوها أشوابا يعني أخلاطا من الناس خليقا أن يفروا عنك ويدعوك وفي رواية فكأني بهم
لو لقيت قريشا قد أسلموك فتؤخذ أسيرا فأي شئ أشد عليك من هذا وانما قال ذلك لان العادة جرت

أنّ الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف من كان من قبيلة واحدة فانهم يأنفون الفرار عادة وما درى عروة أنّ مودّة الاسلام أعظم من مودّة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد من مبالغة المسلمين في تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة بن مسعود ما قاله وعرّض بل صرّح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وكان قاعدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم امصص بظر اللات أنحن نفرّ عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان في فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء هذا مبالغة من أبي بكر رضي الله عنه في سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام امرأة تحقيرا للمعبود وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطبا لابي بكر أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يد لك عندي لم أكافئك بها لاجبتك ولكن هذه بها أي جعلت عدم اجابتك عن شتمي جزاء ليدك التي كنت أحسنت الي بها قال الزهري ان اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فأعانه فيها أبو بكر رضي الله عنه بعون حسن وفي رواية أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وكانت تلك عادة العرب وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف بقصد الحراسة وعليه المغفر قال عروة بن الزبير ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود لبس لامته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة وقام على رأس النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ففيه جواز القيام على رأس الامير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدوّ ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لان محله ما اذا كان على وجه العظمة والكبر فكان المغيرة كلما أهوى عروة بن مسعود بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها وفعل المغيرة ذلك اجلالا وتعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لعروة أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة ما أفظك وأغلظك وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحية والتواصل وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير فرعما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي صلى الله عليه وسلم وما علم حينئذ أنه لا نظير له فالالائق منعه فلذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي أي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفا له ولقومه والمغيرة كان يمنعه فلما تكرّر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال من هذا وفي رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد آذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشرّ منزلة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفي رواية هذا المغيرة ابن شعبة فلما عرف أنه ابن أخيه قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف وفي رواية وهل غسلت سوأتك الا بالامس فيمكن أن الاختلاف من تصرّف الرواة أو أنه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من المغيرة قبل اسلامه فانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك خرجوا للمقوقس ملك مصر بهدايا فأحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من احلافهم فغار منهم ولم يواسه أحد منهم فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ثم جاء الى المدينة فأسلم

فقال أبو بكر رضي الله عنه ما فعل المالكيون الذين كانوا معك قال قتلتهم وجئت باسلابهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمس أو ليرى رأيه فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه في شئ أي لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الامن لان الرفقة يصطحبون على الامانة وهي تؤدي الى أهلها مسلما كان أو كافرا وانما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة فلعله صلى الله عليه وسلم ترك المال في يده لامكان اسلام قومه فيرد اليهم أموالهم وقيل انه لما فعل ذلك كان مثلهم حربيا والحربي اذا أتلف مال الحربي لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفا مافعله المغيرة من قتل أصحابه وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والاحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفرا واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عما للمغيرة نفسه بل عم أبيه ولا ضير في ذلك فعم الاب عم عند العرب والمغيرة ابن شعبة رضي الله عنه كان من دهاة العرب أحصن في الاسلام ثمانين امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه فقال حين حدث الحديث والله ما تنخم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره أي أسرعوا الى فعله واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فكان في فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا أن نفر عنه ونسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا أي تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم فرجع عروة الى أصحابه فقال أي قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وفي رواية واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ أبدا فروا رأيكم وفي رواية فقال عروة أي قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ولقد رأيت الهدي معكوفا وما أراكم الا ستصيبكم قارعة وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود وما رغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف فقال رجل من بني كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له اسلام وكان سيد الاحابيش أي القبائل التي تجمعت من غير قريش دعوني آته يعني النبي صلى الله عليه وسلم أي أذهب اليه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن يعني التي تهدى للحرم فابعثوها أي أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حربا فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال متعجبا سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أي يمنعوا عن البيت وفي رواية قال أبى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفي رواية فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده وقد حبس عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عند الحاكم أنه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم انما أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة

قال الحافظ ابن حجر فيحتمل أنه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعا بين الروايتين فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك فغضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به* وفي القصة دليل على أن كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بني عامر بن لؤي ولم يذكره أحد في الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آتيه فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر وفي رواية غادر قال الحافظ ابن حجر ما زلت متعجبا من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سيأتي من كلامه في قصة أبي جندل الى أن رأيت في مغازي الواقدي في غزوة بدر أن عتبة بن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا وذلك أن حفص بن الاخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرة فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفا بالغدر وذكر الواقدي أيضا أن مكرزا أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكان صلى الله عليه وسلم أشار الى ذلك حين قال وهو رجل فاجر أو غادر فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو العامري وكان خطيب قريش وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضا قال الشافعي سهيل بن عمرو رضي الله عنه كان محمود الاسلام من حين أسلم ولما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدون فخطب الناس خطبة كخطبة الصديق بالمدينة رضي الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لاهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل بن عمرو الى النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا لم يرجع الى قريش فأخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وأن ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز ورجع بأنه رجع فأخبرهم ثم جاء مع سهيل في الصلح ولما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى* قال ابن اسحاق دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل ولا تكن في صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فأتى سهيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبي صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين في الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر اخفض صوتك عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم تخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضي أن ارسال سهيل
ابن عمرو كان قبل أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة وجرى
على ذلك كثير من أهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبي صلى الله عليه
وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية
أحب أن يبعث الى قريش يعلمهم أنه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعي على جمله
عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم
وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله
اني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها
وغلظي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه أي فان بني عمه يمنعونه
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا الى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت الا زائرا
لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان أن يأتي رجالا مسلمين مستضعفين بمكة
ونساء مؤمنات مستضعفات بها ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بأن الله وشيك أي قريب أن
يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضي الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من
الصحابة رضي الله عنهم باذن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل
أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان ابن عم عثمان رضي الله عنه
فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا
فلما فرغ عثمان رضي الله عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت أن تطوف
بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع
النبي صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه قال ذاك ظني به أن
لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكث كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له في ذلك أي قالوا له
طفت بالبيت فقال والذي نفسي بيده لو مكثت بها معتمرا كذا وكذا سنة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها
ثلاثة أيام وأشاع الناس أنهم قتلوه هو والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى
البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينادي الناس الى البيعة قال سلمة بن الاكوع رضي الله
عنه بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفي رواية بايعناه على الموت ولما
لم يكن قتل عثمان رضي الله عنه محققا بل كان بالاشاعة بايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم أي على تقدير
حياته وفي ذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى ان عثمان لم يقتل وانما فعل المبايعة مع القوم لاجل
أخذ ثأر عثمان رضي الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة تثبيتا وتقوية لاولئك القوم فوضع يده اليمنى
على يده اليسرى وقال اللهم هذه عن عثمان فانه في حاجتك وحاجة رسولك وفي لفظ ان عثمان ذهب
في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا لانه علم عدم صحة القول
بقتله وبعد ان جاء عثمان رضي الله عنه بايع بنفسه تحصيلا لتلك الفضيلة وقد أشار الى امتناع عثمان
رضي الله عنه من الطواف والى مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية فقال

وأبى أن يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبى فناء

فجزته منه ببيعة رضوا * ن يد من نبيه بيضاء

أدب عنده تضاعفت الاعـ * ـمال بالترك حبذا الادباء

ويروى ان قريشا بعثت الى عبد الله بن أبي ابن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضى الله عنه يا أبت أذكرك الله أن تفضحنا فى كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت البيعة تحت شجرة هنالك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدى وقيل انه أبو سنان أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما ولما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره صلى الله عليه وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة لانه أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله صلى الله وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة أى غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن رسيم بسهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما أقبل سهيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانيا وطالت المراجعة بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له لم تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة أى بالشدة والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الامر على الصلح على ترك القتال وأن يوضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضا وأن يرجع عنهم عامهم هذا ويأتى فى العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة أيام وأن لا يدخلوا الا بالسيوف فى قربها واشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم شروطا منها أنه قال لا يأتيك منا رجل

وان كان على دينك الارددته اليناوقبل هذا الشرط انما ذكره عند كتابة الكتاب كما سيأتى فلما تم الامر ولم يبق الا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبابكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية أى الخصلة المذمومة فى ديننا فقال أبوبكر رضى الله عنه يا عمر الزم غرزه أى ركابه و فى رواية قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فانى أشهد أنه رسول الله فقال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ماقال لابى بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولة رضى الله عنه وأمره أن يكتب بينهم فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك على أو عثمان بن عفان رضى الله عنهما وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضى الله عنه على بعض الروايات فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أى الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم اى لان قريشا كانت تكتبها فقال المسلمون والله لا نكتبها وانما نكتب بسم الله الرحمن الرحيم وضج المسلمون ثم أسكتهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم نصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم أبيك و فى رواية لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولتابعتك أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه امح رسول الله فقال على رضى الله عنه ما أنا بالذى أمحوه و فى رواية والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال انا رسول الله وان كذبتمونى وأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فجعل على رضى الله عنه يبكى ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة الى رأس الحول فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان فقال عمرو بن العاص وكان أحد الحكمين وكان من جهة معاوية لا تكتب أمير المؤمنين وأرسل معاوية أيضا رضى الله عنه لعمرو بن العاص يقول لا تكتب ان عليا أمير المؤمنين لو كنت أعلم ان عليا أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب على بن أبى طالب وامح أمير المؤمنين فقال أصحاب على رضى الله عنه لعلى يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك فلم يسمع منهم وقال للكاتب امحها ثم تذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم له فى الحديبية ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور فقال الله أكبر مثلا بمثل والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك محمد ابن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه سبحان الله أتشبهنا بالكفار و وقع بينهما نزاع فى ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور ولما أبى على رضى الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فأخذا بيد على رضى الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا

فالسيف بيننا وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطى هذه الدنية فى ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم و يومى بيده اليهم ان اسكتوا ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل أمر محمد بن مسلمة رضى الله عنه فكتب والحق أن الذى كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا الكتاب معى فكتب محمد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين وجاء فى بعض الروايات ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب وجرى على ذلك أبو الوليد الباجى المالكى فشنع عليه علماء الاندلس فى زمانه وقالوا ان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بأن هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك بأن هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن وقبل تحقق أميته أما بعد القرآن و بعد ان تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا والجمهور على أن الروايات التى فيها أخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز اى أمر أن يكتب الكاتب وقوله بيده متعلق بأخذ وليس متعلقا بقوله كتب قال العلماء وافقهم النبى صلى الله عليه وسلم على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم فى محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التى أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وعجب المسلمين عنها حتى ضجوا وتشوشوا من ذلك ولم يكن أحد فى القوم راضيا بجميع ما رضى به النبى صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبهذا يتبين علو مقامه و يمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الاسرار التى ترتبت على ذلك الصلح كما أطلع على ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضى الله عنه كيف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم والله ما صب الله فى قلبى شيئا الا وصببته فى قلب أبى بكر رضى الله عنه قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد ولقد رأيت سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فأنا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم أى وبرسالة النبى صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذى هداه للاسلام مع أنه لا مفسدة فى عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليه ما مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل ثم كتب على رضى الله عنه هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف به وأراد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ما تكلم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمين فى ذلك الصلح فقال سهيل والله لا نخلى بينك و بين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب على رضى الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل الا رددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفى رواية لمسلم من حديث أنس رضى الله عنه أن قريشا صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وفى رواية للبخارى وكان فيما اشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا

بوخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا أى غضبوا وأنفوا منه فأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضى الله عنهم وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله أترضى بهذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاء منهم الينا أى ورددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب فى كتاب الصلح مارواه البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما لا يدخل مكة بالسلاح الا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحاق على أن بيننا عيبة مكفوفة أى أمورا مطوية فى صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وأنه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض فى نفوسهم وأموالهم سرا وجهرا وقيل الاسلال من سل السيوف والاغلال من لبس الدروع وان من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وأنه اذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيره وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفى رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض انتهى فان قيل ما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التى من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا ويرده اليهم فالجواب كما نقله النووى عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون أى الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأى ولانهم كانوا يقولون قوم الرجل أعلم به فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ففيه اشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على اعدائه وفتح مكة يدخل الناس فى دين الله جماعات وكان الامر كذلك فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الارض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة فان صد المسلمين عن البيت كان فى الظاهر هضما للمسلمين وفى الباطن عزا لهم وقوة فأذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لانفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل وقال البخارى عند ذكر كتابة الشروط فبينما هم كذلك وقال ابن اسحاق فان الصحيفة لتكتب اذ دخل

أبو جندل واسمه العاص بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضي الله عنه فحبسه أبوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود فحين سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية احتال على نفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرح به المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن عمرو الى ابنه أبي جندل حين رآه فضرب وجهه ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وتلببه أي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه بنحره وقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك أي أول شئ أحاكمك عليه أن ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد أي لم نفرغ من كتابته فقال سهيل والله اذا لا أصالحك على شئ أبدا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب بلى قد أجزنا ذلك فأخذاه وأدخلاه فسطاطا وكفا أباه عنه فأبى سهيل بن عمرو اجازتهما وقيل انما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور مكرز الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفي باطنه خلافه قال ابن اسحاق ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية أي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره ويتلبه ويجره ليرده الى قريش فلما رأى أبو جندل أباه مصمما على أخذه قال أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي رواية جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى جنب أبي جندل يقول له اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم الكلب ويدني له السيف قال عمر رضي الله عنه رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول ان الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ولعل عمر رضي الله عنه ظن جواز قتل أبي جندل لابيه لكونه أراد ان يفتنه عن دينه وان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب ثم رجع أبو جندل رضي الله عنه مكة في جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه مكة وكفا عنه أباه وسيأتي في آخر القصة ان أبا جندل في مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين وانهم انضموا الى أبي بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام أن يأويهم عنده كما سيأتي ثم لسهيل بن عمرو وله ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديما سرا وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا بدرا خرج من بينهم ودخل في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا والمشاهد كلها وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا أرسلت عثمان بن عفان رضي الله عنه وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع في المواهب ما يقتضي ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذي ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذي وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو وحبست قريش عثمان رضي الله عنه فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا قال الحلبي ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم ومن المشركين حويطب بن

عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون
النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط لا سيما عمر رضي الله عنه
فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم ومن مراجعته انه قال له ألست نبي الله
حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار
قال بلى قال فلم نعطي الدنية أي الحالة الدنية الخبيثة في ديننا اذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت
فنطوف به أي للرؤيا التي رآها قال بلى أفأخبرتك انا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك
آتيه ومطوف به أي وكذلك الصحابة رضي الله عنهم لانه كان صلى الله عليه وسلم أخبرهم بأنه رأى انهم
يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم
حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضي الله عنه لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي صلى الله
عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط حتى قال لي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ألا تسمع يا ابن
الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ
بالله من الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضي الله عنه اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني
أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيي وما ألوت عن الحق فرضي صلى الله عليه وسلم وأبيت
حتى قال يا عمر تراني رضيت وتأبى وفي رواية قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله فرجع
متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا
على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية في ديننا اذا فقال أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي
ربه فاستمسك بغرزه أي ركابه أي لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت أوليس كان يحدثنا انا
سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فأجابه بمثل
ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بأن اتيانه لابي بكر كان بعد اتيانه للنبي
صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بأن ذلك كان قبل اتيانه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع
بأن تلك المراجعة تكررت فجاء لابي بكر وراجعه قبل وبعد ودل جواب أبي بكر الموافق لجواب النبي
صلى الله عليه وسلم على ان أبا بكر رضي الله عنه أكمل الصحابة علما وأعرفهم بأحوال النبي صلى الله
عليه وسلم وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لامر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم
فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وقد جاء في بعض الروايات
ان المسلمين استنكروا الصلح المذكور وكانوا على رأي عمر رضي الله عنه ومنهم فلم يوافقهم أبو بكر رضي الله
عنه بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر في الهجرة ان ابن الدغنة وصفه
بمثل ما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين على
نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء ولجلالة قدر أبي بكر
وسعة علمه عند عمر رضي الله عنه لم يراجع عمر في ذلك أحدا بعده صلى الله عليه وسلم أو قبله غير
الصديق وانما سأله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل لعمر رضي الله عنه من الغيظ
ولقوته في نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه شكا في الدين
حاشاه رضي الله عنه ففي رواية ابن اسحاق أنه لما قال له الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر وأنا أشهد أنه
رسول الله بل كان سؤاله طلبا لكشف ما خفي عليه من المصلحة وحثا على اذلال الكفار وظهور
الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصر الدين واذلال المبطلين ففي ذلك دليل على جواز البحث في العلم

حتى

حتى يظهر المعنى وفى البخارى قال عمر رضى الله عنه فعملت لذلك اعمالا وفى ابن اسحاق فما زلت
اتصدق واصوم واصلى واعتق من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت أن
يكون خيرا وعند الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا
وانما حمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال الامر وان كان معذورا فى جميع ماصدر منه بل مأجورا لانه
مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى هديه فنحره ومن
جملته جمل كان لابى جهل نجيب مهرى غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب
فى لقاحه صلى الله عليه وسلم وفى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما أدخله صلى الله عليه
وسلم فى الهدى ليكون فى ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد فر هذا الجمل من الحديبية ودخل مكة وانتهى
الى دار أبى جهل وخرج فى أثره عمرو بن غنمة الانصارى فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم
سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انا سميناه فى الهدى
فعلنا وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فأمسكوا
هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فأبى وقال لو لم يكن هذا الجمل
للهدى لقبلت المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدى على الفقراء الذين حضروا
الحديبية وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم وفى رواية
أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد
فدخل على أم سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت ماشأنك يارسول الله فذكر لها
مالقى من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظ قال عجبا ياأم سلمة
ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من
الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يارسول الله لاتلمهم فانهم قد دخلهم أمر
عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت اليه أن يخرج ولا
يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل ذلك أى أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى
البدنة رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل قبة له من أدم ودعا خراش الخزاعى فحلق رأسه
ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس وتحاصوه وأخذت أم عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت
تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه وسلم التى نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس
نحر وحلق قاموا فنحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام
وارادة التعجيل اقتداء به صلى الله عليه وسلم وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهى فى الحرم فى قول مالك
رضى الله عنه وبعضها فى الحل وبعضها فى الحرم فى قول الشافعى رضى الله عنه وفى رواية أن النبى
صلى الله عليه وسلم امر بالهدى فساقه المسلمون الى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فأمر
صلى الله عليه وسلم بنحره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت حنت كما تحن
الى أولادها فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث حبسوه وهى الحديبية والمراد نحر أكثره فلا ينافى
مارواه ابن سعد عن جابر رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هديه بعشرين بدنة
لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وبعث الله ريحا فحملت شعورهم فألقتها فى الحرم جبرا لهم
فى صدهم عن البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم * قال الزرقانى ولعل المراد غير شعره صلى الله عليه وسلم
أى لانه أخذه المسلمون كما تقدم ويحتمل أنهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقيه فى الحرم وحلق رجال

والمقصر آخرون فقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا
والمقصرين قال والمقصرين وفي رواية وقال في الرابعة والمقصرين وانما توقف الصحابة رضي الله عنهم
بعد الامر لاحتمال أنه للندب أو لرجاء نزول الوحي بابطال الصلح أو تخصيصه بمن أذن لهم في دخول
مكة ذلك العام لاتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهتتهم
فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء
نسكهم بالغلبة أو لان الامر المطلق لا يقتضي الفور ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم أو فهموا
أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة في حقهم وأنه هو يستمر على الاحرام أخذا
بالعزيمة في حق نفسه فأشارت اليه أم سلمة بالتحلل لينتفي هذا الاحتمال ففعله فلما رأوه بادروا الى
فعل ما أمرهم به اذ لم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر
في رمضان فأبوا حتى شرب فشربوا وفي سؤاله أم سلمة رضي الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة
الفاضلة وفضل أم سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأي
فأصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب في أمر موسى
عليهما الصلاة والسلام أي حين قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وفي قصة
بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال قال لنا النبي صلى الله
عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه لا يدخل النار
من شهد بدرا والحديبية وروى أحمد باسناد حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما كنا
بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لا توقدوا نارا بليل فلما كان بعد ذلك قال أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك
قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وفي مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أصحاب
الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضي الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه
لم يحضر غزوة بدر وأجيب بأن هذه البيعة انما كانت لاجله لما أشاعوا موته وغيبته انما هي لامتثاله
أمر الله ورسوله وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على
الاخرى ولما رجع بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما عدم
حضوره غزوة بدر فكان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لاجل تمريض ابنته رقية رضي الله عنها وقد
عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط
ظاهر ودل قوله لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة
المبشرون بالجنة فالمراد انهم ذكروا بأسمائهم في حديث واحد حيث قال أبو بكر في الجنة الى آخرهم
قال ابن عبد البر ليس في الغزوات ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان
قال الزرقاني لكن قال غيره الراجح تقديم أحد على الحديبية وأنها التي تلي غزوة بدر في الفضل وكانت
اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته
هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي نفوس أصحابه رضي الله عنهم شئ من
عدم الفتح الذي كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال
ابن اسحاق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل على بريد من مكة
وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورة
هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واختلف الناس في المراد من

الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضي الله عنهم الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر ان الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صدّ المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرة ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للأمن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفي اسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا أي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضي لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفى وقيل المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهي الحكومة وفي الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعني بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه اختلاف قديم والتحقيق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة منهما وتتابع الامر الى ان كمل الفتح أي بفتح مكة وأما قوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لانها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وروى الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصاري الاوسي رضي الله عنه قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع امام عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يا رسول الله أو فتح هو قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال نهنيك يا رسول الله فلما هناه جبريل هناه الناس وروى موسى بن عقبة والزهري والبيهقي عن عروة بن الزبير قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصدّ هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم في الامان ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وامره منا وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال لم يكن في الاسلام فتح قبله أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة لم يكلم أحد ذو عقل في تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الاسلام قبل ذلك أو أكثر ويدل عليه أنه صلى الله عليه وسلم خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة في عشرة آلاف ومما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدي الفتح الاعظم الذي دخل الناس عقبه في دين الله أفواجا فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحا اذ مقدمة الظهور ظهور وجاء

أنهم فى مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع و فى الناس ظهر أى ابل فانحره لنا كل من لحمه ولندهن من شحمه ولنحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا القينا عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت أن تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله وملأوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو مايتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف أى يصب فأفرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا أى الاربعة عشر مائة ندغفقه دغفقة أى نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون أنه صلى الله عليه وسلم رأى وهو بالحديبية أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فأخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا له أين رؤياك يارسول الله فأنزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال الحلبى فى السيرة ولا يخالف هذا ماتقدم أن الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وأنها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هذا الذى قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذى قلت لكم فان قيل انه لم يذكر فى الرؤيا أنه أخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة أجيب بأنه يجوز أن يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا أو ان المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم والشجرة التى كانت البيعة عندها بلغ عمر رضى الله عنه فى خلافته ان ناسا يصلون عندها ويطوفون بها فخاف رضى الله عنه من اتساع الامر وظهور البدعة وان تعبد كالاصنام فأمر بها فقطعت ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فى مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وهى أخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه لان أم عثمان رضى الله عنه تزوجها بعد أبى عثمان عقبة بن أبى معيط فولدت له الوليد بن عقبة وأم كلثوم بنت عقبة وذكر بعضهم أنها أول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة وتخوفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بالشرط فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها أعلمته فرحب بأم كلثوم فخرج اخواها عمارة والوليد فى ردها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فقالت يارسول الله أنا امرأة وحال النساء الضعف أفتردنى الى الكفار يفتنونى عن دينى ولا صبر لى فنزل القرآن بأن النساء المؤمنات لا يرجعن وان

الشرط في الرجال فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم وكان الامتحان ان تستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ورسوله وفي رواية كانت المرأة اذا جاءت حلفها عمر بالله أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله فاذا حلفت لم ترد ورد صداقها الى بعلها فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا بذلك ولم يكن لام كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم في مدة الصلح يرد الرجال ولا يرد النساء بعد امتحانهن وممن جاء من الرجال الى النبي صلى الله عليه وسلم أبو بصير وكان مسلما بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب في رده أزهر بن عبد عوف وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه كتابا وبعثا به رجلا من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبي بن كعب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك فقال يا رسول الله أتردني الى المشركين يفتنوني في ديني قال يا أبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما وصار المسلمون يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يريدون بذلك اغراءه على من معه حتى اذا كان بذي الحليفة جلس الى جدار ومعه صاحباه فقال أبو بصير لاحد صاحبيه ومعه سيفه أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامري ثم هزه وقال لاضربن بسيفي هذا في الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير ناولنيه انظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعني مات ثم طلب المولى الذي كان معه يهديه الطريق فوجده قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصى يطير تحت قدميه وفي لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير في أثره قد أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا وفي رواية ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكذب اني لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير أناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان أفتن فيه فقال اذهب حيث شئت فقال يا رسول الله هذا سلب العامري الذي قتلته رحله وسيفه تخمسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمر به ذو والميرة واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذي رده صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين راكبا أسلموا فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة الهدنة خوفا من أن يردهم الى أهلهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه

وسلم تسأله بالارحام ألا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفى رواية أن قريشا أرسلت أباسفيان بن حرب فى ذلك وأن قريشا أسقطت هذا الشرط وقالت ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى جندل وأبى بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهليهم وأمنت قريش على عيرهم وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم سيجعل الله لابى جندل وأصحابه فرجا ومخرجا وعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الذين صعب عليهم رد أبى جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك أن المصالحة كانت أولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة خيبر)

بوزن جعفر وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحاق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه وسلم فى بقية المحرم الى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهرى أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها الى أن فتحها فى صفر وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ما ذكره ابن اسحاق وهو قول الجمهور واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة غيلة بن عبد الله الليثى وقيل سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بأنه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضى استخلاف الآخر وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد فأما الغنيمة فلا أى فلا تعطوا منها شيئا ثم أمر مناديا ينادى بذلك قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طلحة رضى الله عنه وهو زوج أم أنس رضى الله عنها حين أراد الخروج الى خيبر التمس الى غلاما من غلمانكم يخدمنى فخرج أبو طلحة مردفى وأنا غلام وقد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبى وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابنى وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال جاءت بى أمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتنى بنصف خمارها وردتنى بنصفه فقالت يارسول الله هذا أنيس ابنى أتيتك به يخدمك فادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وعند غير مسلم وأطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابى طلحة ما ذكر رجاء أن يأتى له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضى الله عنه وكان الله قد وعد رسوله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية فى سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أى مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضى الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم فى مسيره لعامر بن الاكوع

ثم سلمة بن الاكوع رضي الله عنهما انزل فحدثنا من هنياتك أي من أراجيزك واشعارك وفي لفظ
أنزل حرك بنا الركاب وكان يحدو ويحدو حداء حسنا وفي رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يارسول الله
تركت قول الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا * وألقين سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا * انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عوّلوا علينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الابيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفي رواية غفر لك ربك
وماقال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا استشهد فقال عمر رضي الله عنه وجبت أي
الشهادة يارسول الله هلا أمتعتنا به أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر فاستشهد رضي الله عنه
في هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودي فعاد ذبابه في ركبته فمات
من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه لشهيد وفي رواية قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يارسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن
عامرا حبط عمله وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا حبط عمله اذ قتل
بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك أي أخطأ في قوله وان له أجرين وجمع بين
أصبعيه انه لجاهد مجاهد والجاهد الجاد في أمره فلما قام به وصفان كان له أجران وفي البخاري عن
أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا أي قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ثم
ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتى قوما بليل لم يغزهم أي لم يسرع
بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم والا أغار عليهم فلما أتى خيبر أصبح ولم يسمع
أذانا فركب وفي رواية لابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال
اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين
فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا
باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم
ومكاتلهم وحكى الواقدي ان أهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم لهم فكانوا يخرجون في كل
يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كان
الليلة التي قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا
بالمساحي طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس أي جاء محمد أو هذا
محمد والله والخميس أي الجيش فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا وفي التنزيل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
والثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ودفع
راية لسعد بن عبادة رضي الله عنه وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواد يقال له الرجيع
بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حسا خلفهم
فظنوا ان المسلمين خلفوهم في ذراريهم فرجعوا وأقاموا وخذلوا أهل خيبر أي تركوهم وجاء انه صلى
الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير يقولون الله أكبر

لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بأنفسكم لا تبالغون فى رفع أصواتكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء ان عبد الله بن أبى ابن سلول أرسل الى يهود خيبر يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وأدخلوا أموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهى المساحى والمكاتل تفاءل بأن حصونهم ستخرب ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحى وهو الاصح وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون النطاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاء الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى فقال يارسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمر النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول وفى لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فأدركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف فلعله كان فى الطريق أما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمى وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم يقال له ناشر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما وفى ذلك اليوم قتل محمود بن سلمة أخو محمد بن سلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودى وقيل كنانة بن الربيع اليهودى ويحتمل أنهما اجتمعا فى ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فألقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخى محمود ابن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما يقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضى الله عنه فاذا

أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان يناوب بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضى الله عنه فطاف عمر رضى الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم فأتى برجل من يهود خيبر فى جوف الليل فأمر عمر رضى الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فأمسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضى الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى ماوراءك قال تؤمننى يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فأين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم و يتهيؤن للقتال والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافى ماتقدم انهم أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وأخبره ان فى هذا الحصن يعنى حصن الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الارض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودى ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيرى وأخرى قيل وماهى قال ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق و يدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احقن دمى قال أنت آمن قال ولى زوجة فهبها لى قال هى لك ثم دعاه الى الاسلام فقال أنظرنى وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة فى بعض تلك الايام فبعث أناسا من أصحابه فلم يكن فتح ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبى صلى الله عليه وسلم الا ورجا أن يعطاها وفى رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ماأحببت الامارة الا ذلك اليوم ويروى ان عليا رضى الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم انه يشتكى عينيه فقال من يأتينى به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواء الابيض قال ابن اسحاق لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبى بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضى الله عنها وفى سيرة الحافظ الدمياطى وكانت له راية سوداء وفى رواية بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة فى ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذى فيه الاسود هو المعنى بما جاء فى بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أى بالسواد فلا تنافى بين الروايات فقال على يارسول الله انى أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمى فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع وقال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفى رواية فما رمدت ولا صدعت وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفى هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب شيئا أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخرعنه

سنة أي و بعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لاتقع الا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال علي رضي الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا فكان رضي الله عنه يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين و يلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفي لفظ الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد وكان يفعل ذلك اظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على علي رضي الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أي قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأكم من مالكم فانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك لحمى أصابته في ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد علي رضي الله عنه ببركة ريق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله

وعلي لما تفلت بعينيـ * ـه وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعيني عقاب * في غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى عليا رضي الله عنه الراية ليذهب للقتال فقال علي رضي الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفي رواية قال علي كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وفي رواية لما أعطاه الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله * وعن حذيفة رضي الله عنه قال لما تهيأ علي رضي الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فأبشر بالرضوان والجنة يا علي انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يعطي الراية كل يوم واحدا من أصحابه و يبعثه فبعث أبا بكر رضي الله عنه فقاتل و رجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغد فقاتل و رجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لأعطين الراية أي اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار غير فرار فدعا عليا رضي الله عنه وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ودعا له ومن معه بالنصر وفي رواية ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي رضي الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال علي بن أبي طالب قال اليهودي علوتم والتوراة التي أنزل الله على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحارث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون ووثب علي رضي الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله علي رضي الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب وفي رواية ان مرحبا لما علم ان أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا

وحجر اقد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرّب ٣ * اذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * اكيلكم بالسيف كيل السندره

ثم حمل مرحب على على رضى الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول على رضى الله عنه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبرا ولم يحرّكه بعد ذلك سبعون رجلا الا بعد جهد ففيه دلالة على فرط قوّة علىّ وكمال شجاعته رضى الله عنه وعن أبى رافع رضى الله عنه لقدرأيتنى فى سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر رواه ابن اسحاق والبيهقى والحاكم وعن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن جابر رضى الله عنهم ان عليا رضى الله عنه حمل الباب يوم خيبر وانه جرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا رواه البيهقى وفى رواية للبيهقى ان عليا رضى الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه وهذا لا يعارض رواية أربعين لانهم عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين وأما الرواية السابقة التى فيها لقدرأيتنى فى سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع بينها وبين رواية الاربعين ان السبعة عالجوا قلبه والاربعين عالجوا حمله والفرق بين الامرين ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف حال الابطال ثم ان عليا رضى الله عنه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقدّه وشق المغفر والحجر الذى تحته والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ السيف فى الاضراس والى ذلك أشار بعضهم وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا
قدّ فؤادى فى الهوى قدّة * قدّ علىّ فى الوغى مرحبا

وماذكر من قتل على رضى الله عنه لمرحب هو الصحيح المروى فى صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير ان الذى قتل مرحبا محمد بن مسلمة رضى الله عنه فقال ان مرحبا لطلب المبارزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا يارسول الله فان أخى قتل بالامس ولم يأخذ أحد بثاره وكان الذى قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه مرحب فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد ابن مسلمة فقتله وفى رواية فضربه فى ساقه فيحتمل انه بارزه وضربه فى ساقه وعلى رضى الله عنه هو الذى قتله وقيل ان الذى قتله محمد بن مسلمة انما هو الحارث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول على رضى الله عنه * أنا الذى سمتنى أمى حيدره * أراد بذلك اعلام مرحب برؤية رآها أعلمها على رضى الله عنه مكاشفة وذلك ان مرحبا رأى تلك الليلة مناما ان أسدا افترسه فأشار بقوله حيدره وهو من أسماء الاسد الى انه الاسد الذى يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت عليا به أمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه عليا وقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهو صغير والحيدرة الغليظ القوى فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى ياسر * شاكى السلاح بطل مغادر

---

٣ فى فصل الحاء من القاموس رجل محرب أى كمنبر شديد الحرب شجاع اه ويحتمل أن مافى الرجز من هذا ويكون فيه نوع من البديع قاله نصر

وكان أيضا من مشاهير فرسانهم يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه
فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وكانت مع القوم وهي عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله انه يقتل ابني فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبي حواري وحواري الزبير وذكر الزمخشري
ان هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة قال انه يعني الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك في بني
قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت
أمه صفية رضي الله عنها واحدي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه
الزبير رضي الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه
قال الحلبي قلت تأمل فاني لم أقف في كلام أحد على ان بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفي رواية
ان القاتل لياسر علي بن أبي طالب ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أي من انهما اشتركا في ذلك وكان من
جملة قتلى المسلمين الاسود الراعي كان أجير الرجل من اليهود يرعى له غنما وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم
وقيل يسار فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يا رسول الله اعرض علي الاسلام
فعرضه عليه فأسلم وفي رواية قال ان أسلمت ماذا لي قال الجنة فأسلم فلما أسلم قال يا رسول الله اني كنت
أجير الصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفي رواية انها أمانة وهي للناس الشاة والشاتان واكثر
من ذلك قال اضرب في وجهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فأخذ حفنة من حصى فرمى به
وجهها وقال ارجعي الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت
الحصن ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر وفي رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فأتي
به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فأعرض عنه فقالوا يا رسول الله لم أعرضت
عنه قال ان معه الآن زوجته من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب
وجهك وقتل من قتلك زاد في لفظ لقد اكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه
حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد علي بن
أبي طالب رضي الله عنه وعن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت اثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضي الله
عنه فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخاري وفي البخاري
أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في رجل ممن يدعي الاسلام انه من
أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب
أي يشك في قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته
فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين وهو اكثم الخزاعي فقال يا رسول الله
صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم قم يا بلال فأذن في الناس أنه لا يدخل
الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية عن سهل بن سعد الساعدي
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال الى عسكره ومال الآخرون الى
عسكرهم وفي أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل ما اجزى أحد منا
اليوم كما أجزى فلان فقال صلى الله عليه وسلم أما انه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه
فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت
فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله

قوله رجل اسمه قزمان بالضم كما في شراح الصحيح اه

صلى

صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت فى طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وانما الاعمال بالخواتيم وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الرجل انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك النفاق فى قلبه أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه أو لانه يرتد بعد ذلك ويستحل قتل نفسه قال العلماء هذا الرجل أعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم انه نفذ عليه الوعيد بالنار ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار بل يحتمل ان هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك فى الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافرا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وجاء فى رواية أن الذى نادى بلال وفى أخرى عمر بن الخطاب وفى أخرى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بأنهم نادوا جميعا فى جهات مختلفة ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبى هريرة وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى بعض الالفاظ فقيل ان القصة متعددة فى موطنين لرجلين مختلفين وقيل انها قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة وسيأتى ان أبا هريرة رضى الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء عند قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضى الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتموها وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهى النطاة بوزن حصاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار فى سهمه بعد وكان فى قلة جبل والشق والقموص وحصن البرى وحصن أبى والوطيح والسلالم وهو حصن ابن أبى الحقيق وأخذ صلى الله عليه وسلم كنز آل أبى الحقيق الذى كان فى مسك أى جلد حمار فلما كثر جعلوه فى مسك ثور فلما كثر جعلوه فى مسك جمل وكانوا قد غيبوه فى خربة فدل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه فأخبر بموضعه وكان من مال بنى النضير الذى حمله حيى بن أخطب لما أجلى عن المدينة روى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان أهل خيبر شرطوا له صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم فأتى بكنانة والربيع فقال لهما ما فعل مال حيى الذى جاء به من بنى النضير قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال أين آنيتكم التى كنتم تعيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم نزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شئ فقال ان كتمتمانى شيئا فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما فقالا نعم فدعا رجلا من الانصار فقال اذهب الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فأتنى بما فيها فجاء بالآنية والاموال فقومت بعشرة آلاف دينار فضرب عنقهما وسبى أهليهما بالنكث الذى نكثاه وفى رواية أن كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف فى خربة هاهنا ففتشوها فوجدوا المسك فقتل ابن أبى الحقيق وأصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة أخو أسماء والله انى

لا رجوا أن يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاء أسماء وبلغه ما قالت أسلم فدعا لهم أي قال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدي شئ أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أي سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارز فخرج له الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري فقتله وقال خذها وانا الغلام الغفاري فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضي الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فأقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيئا كثيرا ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أي لا تخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال أصبت من فيء خيبر أي غنيمتها جرابا فاحتملته على عنقي أريد رحلي فلقيني صاحب الغنائم الذي جعل عليها وهو أبو اليسر كعب بن زائد الانصاري رضي الله عنه فأخذ بناصيتي وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيك فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا أبا لك خل بينه وبينه فأرسلني فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم فانهما امكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهم فهم صلى الله عليه وسلم أن يحمل عليهم وان ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وان لا يصحب أحد منهم الا ثوب واحد فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموه شيئا فتركوا مالهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال يا رسول الله أعطني جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فأخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيي من سبط هارون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم أعتقها وتزوجها وفي المواهب وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم قال الحافظ ابن حجر ولد صفية مائة نبي ومائة ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس ممن توهب لدحية لكثرة من في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان في ذلك رضا الجميع

وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب فلم يزل الاثر في وجهها حتى أتي بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فأخبرته وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي برزة رضي الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت في المنام ان الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ماتمنين الاهذا الملك الذي نزل بنا ولاتنافي لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فأخبرت بالمنام الاول أباها وبالثاني زوجها (وفي هذه الغزوة) سمت اليهودية الشاة للنبي صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر والمأمن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم انه مسموم وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا الي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أي وانتسبوا الى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقوني عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أهل النار قالوا نكون فيها زمنا يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لن نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن الشئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك * وفي رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي مشيرا للذراع قالت نعم قال لها ما حملك على ذلك قالت ان كنت نبيا يطلعك الله وان كنت كاذبا فأريح الناس منك وقد استبان لي أنك صادق وانا أشهدك ومن حضرك اني على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضي الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة وفي رواية أن اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل أي أجزاء الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها الذراع فعمدت الى شاة لها فذبحتها ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد أن شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الاكلة بسبب ذلك السم فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لاولياءه فقتلوها فيه وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان في بعضها انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفي بعضها انه قتلها فيحمل على قتلها قصاصا في بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه وقام له وقد قام لصفوان بن امية لما قدم عليه ولعدي بن حاتم رضي الله عنهما ثم قال صلى الله عليه وسلم ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه أشبهت خلقي وخلقي فرقص رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع وقدم من الحبشة مع جعفر رضي الله عنه ابو موسى الاشعري رضي الله

عنه وجماعة من قومه ففي البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم في ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا من قومي فركبنا سفينة فألقتنا الى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي طالب فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا بالاقامة فاقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فاسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا الا لمن شهدها معه الا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فانه قسم لهم معنا وكانت أسماء بنت عميس رضي الله عنها متزوجة بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضي الله عنه سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس باحق بي منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وعند البيهقي حديث طويل في قصتهم وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال اني لاعرف اصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من اصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الايام أيضا أبو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه قال أبو هريرة رضي الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه فأخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر للكثيبة فأقمنا حتى فتح الله وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم حجاج بن علاط السلمي وأسلم وكان مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة فأذن لي ان آتي مكة لاخذ مالي قبل ان يعلموا باسلامي فلا اقدر على أخذ شئ منه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لابد لي أن أقول أي خلاف الواقع لاحتال على التوصل لاخذ مالي قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعد ماوقع بينهم من المراهنة على مائة بعير في ان النبي صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثاني فلما جاءهم حجاج قالوا الحجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ثم قالوا يا حجاج بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندي من الخبر مايسركم فاجتمعوا على يقولون يا حجاج ايه فقلت لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وانهم اسروا محمدا وقالوا لانقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين اظهرهم وفي لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينوني على غرمائي اريد ان اقدم فاصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار الى ماهنالك فجمعوا لي مالي على أحسن مايكون ثم فشا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين ومع بذلك العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فجعل لا يستطيع ان يقوم ثم أرسل الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله اعلى واجل من ان يكون الذي جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له ليخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على مايسره واكتم عني فأقبل الغلام فقال أبشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كان لم يكن مسه شئ وأخبره بذلك وأعتق العباس ذلك الغلام وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه ثلاثة ايام وقال اني أخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فاظهر امرك فوافقه العباس رضي الله عنه على ذلك

فقال

فقال اني اسلمت وان لي عند امرأتي مالا ودينا على الناس ولو علموا باسلامي لم يدفعوه الي واني تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيي بن اخطب وقتل ابن أبي الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما امسى حجاج خرج وطالت على العباس رضي الله عنه تلك الليالي الثلاث فلما مضت الثلاث عمد العباس رضي الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الا خير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لم يصبني الا خير بحمد الله أخبرني حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيي بن اخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها وانما قال لكم ذلك ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة اسهم بعد ان خمسها خمسة اجزاء ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر او زرع وقال لهم انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضي الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فاجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضي الله عنهم في ذلك والله أعلم

(غزوة وادي القرى)

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادي القرى نزلناها اصيلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم أربعة أيام وهيأ صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضي الله عنه وراية الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه وراية الى سهل بن حنيف رضي الله عنه وراية الى عباد بن بشر رضي الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم انهم ان اسلموا احرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله علي رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضي الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقي الى الاسلام حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الارض والنخل بأيدي يهود وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد ابن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادي القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه وكان اسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه أيضا أهل فدك على ان لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فأقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادي القرى لانه صالحهم بعد ان فتح خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله أعلم

(ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء)

(سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

الى تربة بضم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث واد بقرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء وهو موضع على أربع ليال من مكة وكانت فى شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التى كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضى الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم أحدا بل ترفعوا وأخذوا سائر ما لهم من نعم وغيرها فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بنى هلال هل لك فى جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم فقال عمر رضى الله عنه لم يأمرنى صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرنى أن أعمد لقتال هوازن بتربة

(ثم سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

الى بنى كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء وكانت فى شعبان أيضا سنة سبع ويقال الى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذرارى فخشيت أن يسبقونى الى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهى أم قرفة عليها قشع من أدم ومعها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبى بكر رضى الله عنه فنفلنى أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى صلى الله عليه وسلم فقال ياسلمة هب لى المرأة لله أبوك فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين قال بعضهم ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لان ذلك انما كان فى سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم

(ثم سرية بشير بن سعد)

الانصارى الخزرجى رضى الله عنه الى بنى مرة بفدك فى شعبان أيضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم فى بواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير فأصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق فضربوا كعبه اختبار الحاله أهو حى أم ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضى الله عنه يخبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر فى القتلى حتى أمسى فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عند يهودها اياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة

(ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه)

الى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائة وثلاثين راجلا وقيل فى مائتين وثلاثين فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضى الله عنهما نهيك بن مرداس الاسلمى وقيل الغطفانى بعد أن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اسامة من لك بلا اله الا الله فقال يا رسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا اله الا الله وفى رواية ان قوم مرداس لما

انهزموا بقى وحده وكان ألجأ غنمه لجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد رضى الله عنهما فلما رجعوا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك فى سرية أخرى سنة ثمان كان اسامة هو أميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال اسامة قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فما زال يكررها أى قوله أقتلته الخ حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أى لان الاسلام يجب ما قبله فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم دفع لاهل القتيل ديته وأمر اسامة أن يعتق رقبة والله أعلم

(ثم سرية بشير بن سعد أيضا)

الانصارى رضى الله عنه الى يمن وجبار وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت فى شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان واعدهم عيينة ابن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما فأرسلهما والمناوشة تدانى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا

(عمرة القضاء)

قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج فى هلال ذى القعدة سنة سبع معتمرا وأمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى رضى الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتوثقا خوفا من غدر أهل مكة فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضى الله عنه وأحرم صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الفرع ولبى ولبى المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فأتوا قريشا فأخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد فى أصحابه وبعثوا مكرز بن حفص فى نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء ثم رجع بأصحابه الى مكة فقال ان محمدا على الشرط الذى شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج موضع على أميال من مكة وخلف عليه أوس بن خولى الانصارى رضى الله عنه فى مائتى رجل حتى قضى الكل مناسك عمرتهم رضى الله عنهم وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون بالبيت وفى رواية خرجوا استنكافا أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا أى حسدا وقدم صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه بذى طوى وخرج راكبا ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه آخذ بزمام راحلته

يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
يارب اني مؤمن بقيله * اني رأيت الحق في قبوله

فقال له عمر رضي الله عنه يا ابن رواحة أبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أي هذه الابيات أي نكايتها فيهم أسرع من نضح النبل وقيل ان قوله نحن ضربناكم على تأويله الخ من قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما يوم صفين ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضي الله عنه قل لا اله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفي أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور لاسيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفي رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم فقالوا هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم لهؤلاء أجلد من كذا وكذا انهم لينفرون نفر الظبي والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم قريش لانهم انما يرونهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هنالك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش في الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك الله والعهد الا ماخرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه فأسكته صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ ابن حجر كأنه دخل في أوائل النهار فلم تكمل الثلاث الا في مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفي البخاري من حديث البراء فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل أي الايام الثلاثة أتوا عليا رضي الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنها واسمها امامة أو عمارة أو سلمى أو غير ذلك تنادي ياعم ياعم فتناولها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها وهي في هودجها دونك ابنة عمك وقال علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أي في انها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال علي رضي الله عنه أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهراني المشركين وقال جعفر بن أبي طالب هي ابنة عمي وخالتها اسماء بنت عميس تحتي وقال زيد بن حارثة هي ابنة اخي أي لان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين حمزة رضي الله عنه فكان لكل فيها شبهة فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلي

أنت

أنت مني وأنا منك تطييبا لخاطره وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وانما أقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على اخراجها مع اشتراط المشركين ان يرد اليهم من جاء اليه وان لا يخرج بأحد من أهلها لانهم لم يطلبوها ولان النساء المؤمنات لم يدخلن في ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضي الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء في رواية انه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الاول واختلف الناس في تسمية هذه العمرة عمرة القضاء فقال مالك والشافعي والجمهور لانه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الحكم لا لانها قضاء عن العمرة التي صدعنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال أبو حنيفة واحمد في رواية عنه ان من صدعن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة سرية الاخرم)

ابن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه الى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبني سليم فأخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم فجمعوا لابن أبي العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا الى ما دعوتنا اليه فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الامداد وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وفي رواية قتلوا جميعا حتى اميرهم وقيل تركوه جريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول يوم من صفر وقيل نجا معه اثنان أو اكثر فعاونوه في الذهاب الى المدينة والله أعلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه)

الى بني الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت في صفر سنة ثمان روى ابن اسحاق وغيره عن جندب بن مكيث الجهني رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وأمره بشن الغارة على بني الملوح بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال اني جئت أريد الاسلام وما خرجت الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة وان تك غير ذلك كا قد استوثقنا منك فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا اسود وقلنا له ان عازك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيئة لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله اني لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته اني لارى على التل سوادا ما رأيته في أول يومي فانظري الى أوعيتك هل تفقدين شيئا لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله افقد شيئا قال فناوليني قوسي وسهمين فناولته فأرسل سهما فما أخطأ بين عيني فنزعته وثبت مكاني فأرسل الآخر فوضعه في منكبي فنزعته ووضعته وثبت مكاني فقال لامرأته لو كان ربيئة لقوم لقد خالطه سهماي لا أبا لك اذا اصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان في وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا وادي قديد فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشئ ليس لاحد به قوة ولا يقدر احد ان

يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم ان يعز الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث بن مالك هو ابن البرصاء وهي أمه وقيل أم أبيه وهو صحابي رضي الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفي آخر خلافة معاوية رضي الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذي وابن حبان وصححاه والله أعلم

(اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبي وعمرو بن العاص رضي الله عنهم)

قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى في نفسي اني في غير شيء وان محمدا يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم اشهد دخوله فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني لم ار أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام يجهله احد قد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب اما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا فقال لو لم يبق غيري ما اتبعته ابدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا اذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت هذا لي صديق فأردت ان اذكره ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الاربع مسافع والجلاس والحارث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم احد فكرهت ان اذكره ثم قلت له انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة وواعدني ان سبقني اقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم قلنا الدخول في الاسلام قال وذلك الذي أقدمني وفي لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أي تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبي فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا والله ما جئت الا للاسلام فاصطحبنا جميعا وحدث عمرو بن العاص رضي الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحاق وغيره قال عمرو لما انصرفنا عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني فقلت لهم تعلمون والله ان أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشي فان ظهر محمد فنكون تحت يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم الا الخير قالوا ان هذا الرأي قلت فاجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمري رسوله صلى الله عليه وسلم في شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابي هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشي فأعطانيه فضربت عنقه لرأت قريش اني أجزت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له

كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقي أهديت لي من بلادك شيئا قلت له نعم أدما كثيرا وقربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له اني رأيت رسول عدونا خرج من عندك فأعطنيه لا قتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفي ضربة بيده ظننت انه كسره فلو انشقت بي الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام لتقتله قلت أكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أفتبايعني له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفي اسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة هي ان صحابيا أسلم على يد تابعي ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة فأخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بهم وقال لاصحابه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها قال خالد فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخي فقال أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله قال الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله لي يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فأسلما وفي رواية عن عمرو ابن العاص رضي الله عنه قال قدمنا المدينة فأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه قال فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد في أمر حزبه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة *وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال عمرو كنت أسن منهما فأردت أن أكيدهما فقدمتهما قبلي للبيعة فبايعا واشترطا أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فأضمرت في نفسي أن أبايع على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وأنسيت أن أقول وما تأخر وروى الزبير بن بكار ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت أنت في عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازي أحلامهم الجبال فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا الحق بين فوقع الاسلام في قلبي وكان عمرو رضي الله عنه أمير مصر في خلافة عمر رضي الله عنه وهو أحد دهاة العرب توفي في سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجرا وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه فهو أحد الاشراف كانت اليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل *روى أبو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وغزماته يوم مؤتة ويوم قتال أهل الردة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى اذ كان له فيها العناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل

وروى أبو زرعة الدمشقي مرفوعا نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعيد بن منصور عن خالد رضي الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلها عمرة الجعرانة فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي الا تبين لي النصر ورواه أبو يعلى بلفظ فما وجهت في وجه الافتح والاكثر على انه مات بحمص سنة احدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة وقيل توفي بالمدينة النبوية روى ابن المبارك عن خالد رضي الله عنه انه قال لما حضرته الوفاة لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي الا أن أموت على فراشي وأما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي العبدري فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح في الجاهلية والاسلام ووقع في تفسير الثعلبي بلا اسناد انه أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر في الاصابة وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن المدينة وبها مات سنة ثنتين وأربعين وقيل استشهد بأجنادين قال العسكري وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه أيضا)

لما رجع رضي الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضي الله عنه وقال له سر حتى تنتهي الى مصاب أصحاب بشير فان أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيأ معه مائتي رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحارث الى محالهم فأشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر وروى ابن سعد عن حويصة رضي الله عنه قال بعثني صلى الله عليه وسلم في سرية مع غالب الى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نفترق وآخى بيننا وقال لا تعصوني فانه صلى الله عليه وسلم قال من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فأصبنا القوم وروى انه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمرا فانه لا رأي لمن لا يطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل أوعدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم

(ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه)

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسيء بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة في شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله أعلم

(ثم سرية كعب بن عمير)

الغفاري رضي الله عنه الى ذات الطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات أطلاح فوجدوا جمعا كثيرا وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فأخبر بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح في القتلى قال ابن سعد هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم والله أعلم

(ثم سرية مؤتة)

وسماها البخاري وابن اسحاق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بضم الميم وسكون الواو أو الهمز بدلها آخرها هاء وهي من عمل البلقاء وهي مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت في جمادي الاولى سنة ثمان وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبي شمر الغساني فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودي اسمه النعمان فقال يا محمد ان كنت سميت من سميت أصيبوا جميعا لان أنبياء بني اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد أي أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبيا قال زيد أشهد انه رسول صادق بار وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضي الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثي * يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفي رواية ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبي صلى الله عليه وسلم وفراقه قال له النبي صلى الله عليه وسلم قل شعرا تقتضيه اقتضابا أي من غير روية فقال

اني تفرست فيك الخير نافلة * فراسة خالفت فيك الذي نظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى رآه قال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحقهم فقال صلى الله عليه وسلم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما أدركت غدوتهم وفي رواية لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغساني فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه فلما نزل المسلمون وادي القرى بعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من الكفار فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ المسلمين ان هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من مشركي الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرا ما يبلغون مائة ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء في رواية ان القوم كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضي الله عنه فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لاحد به من العدد الكثير الزائد على مائتي ألف والسلاح والكراع أي الخيل والديباج والحرير والذهب الظهار القوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفي هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لانهم باعوها لله تعالى اذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وهذا انما هو لما وقر في قلوبهم واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح رضي الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فألجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان أسن من علي رضي الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضي الله عنه حين اشتد القتال وأحاط به العدو يقاتل ويقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
علي اذ لاقيتها ضرابها

وانما عقر فرسه خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولان يقاتل ولا يفر ففيه دليل على فرط شجاعته رضي الله عنه ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضع وسبعون وفي رواية وتسعون جرحا ما بين ضربة

بسيف وطعنة برمح ليس فيها شئ في دبره ولا ظهره أي ليس منها شئ في حال الادبار بل كلها في حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يانفس لتنزلنه * لتنزلن أولتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة في شنه

وقال أيضا

يانفس ان لا تقتلي تموتي * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت * ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضي الله عنهما ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في الناس فقال وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل روى سعيد بن منصور انهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وفي الصحيح وما يسرهم انهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلاني البلوي حليف الانصار وكان من أهل بدر رضي الله عنه فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه وفي رواية ان ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال أنت أعلم بالقتال مني فلم يقبل خالد اللواء وقال أنت أحق به مني لانك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يا معشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد ابن الوليد رضي الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفي الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة وانقطع في يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى ما بقي في يده الا صفيحة يمانية وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ما رؤى مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وجاء في رواية انه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم ير اثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفي رواية انه لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو حالهم وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر رجلا وهذا من عناية الله بالاسلام وأهله ومزيد اعزازه ونصره لهم اذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتي ألف فلا يقتل منهم الا اثنا عشر رجلا مع انهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة التي أكرم الله بها أصحابه رضي الله عنهم ورفعت الارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم فأخبر أصحابه وذلك انه لما أطلع على ذلك نادى في الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفي رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم وفي رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك

فانصره فمن يومئذ سمي خالد سيف الله وفي لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياخالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل احد ذهبا لم تدرك عمله فقال يارسول الله انهم يقعون في فأرد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم كون ماوقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتي ألف والصحابة رضي الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ماجاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم انتم الفرارون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفي لفظ العكارون أي الكرارون وجاء في رواية انا فئتكم يشير الى قوله تعالى الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة يعني ان فرارهم كان من الانحياز الى فئة وأيضا زاد العدو على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم والحاصل أن المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة منهم الى المدينة ثم اجتمع الناس لما انحاز خالد بن الوليد رضي الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا على ذلك وأثنى عليه ولما قدم يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بخبر الجيش قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت فأخبرني وان شئت أخبرتك قال فأخبرني يارسول الله لازداد يقينا فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر كله ووصف له ما كان فقال والذي بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معترككم وحين رأى ذلك قال حمي الوطيس أي حميت الحرب واشتدت وقيل ان الذي جاء بخبرهم أبو عامر الاشعري رضي الله عنه ولا مانع من أن كلا منهما جاء بالخبر وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتني ببني جعفر فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفي رواية وبكى حتى نقطت لحيته الشريفة فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمي مايبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شئ قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع علي النساء وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي يا أسماء لا تقولي هجرا ولا تضربي خدا وقال اللهم قدمه يعني جعفرا الى أحسن الثواب واخلفه في ذريته بأحسن ماخلفت أحدا من عبادك في ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وفي لفظ انه دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكي ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفي رواية قد شغلهم ماهم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فأكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتي ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار في بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذي جعل لآل جعفر رضي الله عنه هو أصل لطعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام النساء الوكيرة وروى الامام أحمد بسند صحيح ثم أمهل صلى الله عليه وسلم آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لا تبكوا على أخي بعد اليوم ثم قال ائتوني ببني أخي فجئ بنا كانا أفرخ فدعا الحلاق فحلق

رؤسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ثم دعا لهم قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما دعا لي وقال اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعت شيئا ولا اشتريته الا بورك لي فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لي زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم في خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة في أعناقهما صدودا أي اعراضا ورأيت جعفرا ليس في عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد وفي رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا في الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لي مضينا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى أي فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه ويتردد بعض التردد في النزول وفي لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يارسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال اني صائم فضعه في ترسي عند رأسي فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل الغروب ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يارسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم علي وفي رواية مر بي وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن عبد الله بن جعفر فأتى به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ولد بالحبشة وأمه اسماء بنت عميس رضي الله عنها وتزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ثم تزوجها علي بن طالب رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير مع الملائكة وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروي جناحان من ياقوت قال السهيلي ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لا أنهما جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان والحال في ذلك والله أعلم وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة يرثي بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض من معه فقال

تؤوبني ليل بيثرب أعسم * وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي لوعة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلي ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * جميعا وأسباب المنية تخطر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة ازهر
اغر كضوء البدر من آل هاشم * أبيّ اذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه قنى متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق اخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وامرا حازما حين يأمر
ولا زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى طود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن امه * علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق * عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله انزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

(سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه)

الى بلاد بلي وعذرة وهي وراء وادي ذات القرى بينها و بين المدينة عشرة ايام و بلي قبيلة كبيرة ينسبون الى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض في أول الامر فلا ينافي انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة وأرادوا ان يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال بعث الي النبي صلى الله عليه وسلم يأمرني ان آخذ ثيابي وسلاحي فقال يا عمرو اني أريد ان ابعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت اني لم اسلم رغبة في المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فأراد أبو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت علي مددا أي معينا ومقويا وأنا الامير أي ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال أبو عبيدة لا ولكن انا على ما انا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي لا تختلفا وانك ان عصيتني أطعتك فأطاع له أبو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلي وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا بعد أن اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون وأقام هنالك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويأكلون ولم يكن في ذلك غنائم تقسم وقال البلاذري فلقي العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم أي فرقهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضي الله عنه أمرهم في تلك الغزوة ان لا يوقدوا نارا فانكر ذلك عمر رضي الله عنه فقال له أبو بكر رضي الله عنه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب

فسكت

فسكت عنه وروى ابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انهم سألوه ان يوقدوا نارا فنعهم فكلموا أبا بكر رضي الله عنه فكلمه في ذلك فقال لا يوقد أحد نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فأرادوا أن يتبعوهم فنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثتني نفسي انه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لي عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يارسول الله أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت اني لست أعني النساء انما أعني الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم وقلت في نفسي لا أعود أسأله عن هذا وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل أبي بكر على الرجال وبنته على النساء ومنقبة لعمرو بن العاص رضي الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضي ان له فضلا في الجملة وقد قال رافع الطائي وهذه الغزوة هي التي يفتخر بها أهل الشام أي ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية الخبط)

وهي سرية أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه وعنهم وسماها البخاري غزوة سيف البحر بكسر السين أي ساحل البحر واشتهرت بسرية الخبط بعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومعه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أرض جهينة ليلقى عيرا لقريش ولمحاربة حي من جهينة وكانت في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره فلما فني ما معهم اكلوا الخبط وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم قال جابر رضي الله عنه كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وفي رواية كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة فقالوا لجابر كيف كنتم تصنعون قال نمصها كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل ثم اكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما جزرا ونحرها لهم وفي رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس من يشتري مني تمرا بالمدينة بجزر تجزر هنا فقال له رجل من جهينة من أنت فانتسب فعرفه الجهني فقال عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة وامتنع عمر رضي الله عنه لكون قيس لا مال له فقال الاعرابي ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يقضي عني تمر القوم مجاهدين في سبيل الله فكاد أبو عبيدة يلين وجعل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما وبلغ سعدا المجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت في مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميري قال ولم قال زعم انه لا مال لي وانما المال لابيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهني مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان

الجود من سمت أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا نحر قبل الثلاث ستا عا كان معه من الظهر ثم ثلاثا من
التي اشتراها من الجهني وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة
والبسالة والشجاعة من وقف على ماوقع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما حين ولاه سيدنا علي رضي الله
عنه مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لرأى العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من
الكرم مالامزيد عليه وقفت له عجوز مرة وقالت أشكو اليك قلة الجرذان ببيتي والجرذان نوع من
الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لاكثرن جرذان بيتك فلا بيتها طعاما وقيل قالت له مشت
جرذان بيتي على العصا فقال لها لادعهن يثبن وثوب الاسود ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من تعدد
الواقعة وكان قيس لاشعر بوجهه وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار تقول وددنا أن نشتري لقيس بن
سعد لحية بأموالنا كلها * ولنرجع الى تمام قصة سرية الخبط قال أهل السير ثم أخرج الله لهم دابة من
البحر تسمى العنبر وهي سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل ان العنبر المشموم رجيعها قال
الازهري العنبر سمكة بالبحر الاعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا وفي رواية لجابر رضي الله عنه فألقى لنا
البحر حوتا ميتا لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية ثمانية عشر يوما حتى صحت أجسامنا وادهنا
من ودكه فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته راكبه وفي رواية ثم
أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل فخرج من تحتها وما مست رأسه وفي رواية فدخل أي
الراكب تحتها مايطاطئ رأسه وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه فلقد رأيتنا نغترف من وقب
عينيه أي حدقته الدهن بالقلال ونقتطع منه الفدر أي القطع من اللحم كالثور وفي رواية عن جابر
أيضا فدخلت أنا وفلان فعد خمسة في حجاج عينها مايرانا أحد حتى خرجنا فسبحان القوي القادر
فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم
فهل معكم شئ من لحمه فتطعمونا فكان معنا منه شئ فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل
ولم يذكر أحد من أهل السير انهم قاتلوا أحدا في هذه السرية بل اقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد
ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية أبي قتادة رضي الله عنه)

الى نجد واسم أبي قتادة الحارث وقيل عمرو أو النعمان بن ربعي الانصاري السلمي بعثه صلى الله عليه وسلم
الى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره أن يشن
الغارة على غطفان بأرض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على حي منهم فقاتله منهم رجال وقتل
من أشرف منهم وسبى أبو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير والغنم ألفي
شاة وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا
ابلا كثيرة وغنما فكانت سهامنا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت
غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبي أربع نسوة وأطفال وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبي
وقعت في سهم أبي قتادة فجاء محمية بن جزء الزبيدي فقال يارسول الله ان أبا قتادة قد أصاب في وجهه
هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية فأرسل صلى الله عليه وسلم الى أبي قتادة فقال هب لي
الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدي والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية أبي قتادة أيضا رضي الله عنه الى اضم)

وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية في أول

شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد أن نقضوا العهد كما سيأتى بعث أبا قتادة رضى الله عنه فى ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش لحربه ويدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فخرج أبو قتادة ومن معه رضى الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام أى قال السلام عليكم وقيل عظمهم بالانقياد ومنه كلمة الشهادة التى هى أمارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فأنزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الآية روى الامام أحمد والطبرانى عن عبد الله بن أبى حدرد رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعى على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشئ كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الى آخر الآية وتقدم فى سرية غالب الليثى أن الآية نزلت فى قتل اسامة بن زيد مرداس بن نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر نزول الآية ثم ان أبا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعا وبلغهم انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فأخبروه الخبر فقال لمحلم أقتلته بعد ما قال آمنت بالله وفى رواية بعد ما قال انى مسلم فجلس محلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له وقال انما قالها متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب قال وهل قلبه الا مضغة من لحم قال صلى الله عليه وسلم انما كان ينبئ عنه لسانه وفى رواية لا ما فى قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لى يارسول الله قال لا غفر الله لك أى زجرا وتهويلا لهذا الامر كيلا يتهاونوا الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالى حتى مات فحفروه ودفنوه فلفظته الارض ثم عادوا ودفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء فى بعض طرق هذه القصة ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سأل محلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له فقال اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

(غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى)

وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء* وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء* ودخل الناس بسببه فى دين الله أفواجا* وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا* خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط ان من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم

أحد وقالوا الا ندخل بينك وبين عمك ثم كتب الى اخواله بنى النجار فجاءهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب رضي الله عنه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده وما لا ينسى ابدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم الا تجددا ابد الدهر سرمدا وفى رواية حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أوغرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا * ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه وسلم ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف فى الاسلام وهذا الذى نفاه فى الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلا تنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة وهى قوله لا اله له يا بنى بكر أصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فلا تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين بنى بكر وخزاعة ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل مع بنى بكر جمع من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وان هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة فلما ناصرت قريش بنى بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وفى رواية ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم فى عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت خزاعة يقتلون على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل بن معاوية البكرى قد حصرتهم تريد قتل من بقى وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا

البنية ضبطه الخ وفى غير هذا المحل لموحدة وكسر النون على وزن بمعنى مفعولة قاله نصر

وقالا ان بينكم وبين محمد مدة وهذا انقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال ابن أبي سرح
لا يغزوكم حتى يخيركم في خصال كلها أهون من غزوه يرسل اليكم أن دوا قتلى خزاعة وهم ثلاثة
وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بني بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل بن عمرو نبرأ من حلفهم
أسهل وقال شيبة بن عثمان ندى القتلى أهون وقال قرظة بن عمرو لا ندى ولا نبرأ لكنا ننبذ اليه على
سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشئ وما الرأى الا صوب الا جحد هذا الامر أى كون قريش دخلت
في نقض عهد أو قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فلا علينا قالوا هذا الرأى ولا رأى غيره
وكان هذا النقض من قريش في شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه
حتى قال لعائشة رضي الله عنها صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث ياعائشة في خزاعة أمر فقالت أترى
قريشا تجترئ على نقض العهد الذي بينك وبينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لامر يريده
الله تعالى قالت يارسول الله خير قال خير وروى الطبراني من حديث ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها
قالت بات عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول في متوضئه
بالليل لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول
في متوضئك لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك
أحد فقال هذا راجز بني كعب وهم بطن من خزاعة يستصرخني ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بني بكر
وهذا علم من اعلام النبوة باهر فاما أنه أعلم بذلك بالوحي وعلم ما تصوره الراجز في نفسه أوان الراجز كان
يرتجز وأسمع الله نبيه صلى الله عليه وسلم كلامه قال أهل السير ولما انقضى قتال بني بكر وخزاعة
خرج عمرو بن سالم الخزاعي أحد بني كعب وهم بطن من خزاعة ومعه أربعون راكبا من
خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه وقبل قدومهم
بثلاث أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها أن تجهزه أى تهيئ له أهبة السفر وما يحتاج
اليه في قطع المسافة اعتمادا على ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد وأمرها أن لا تعلم أحدا
فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه قبل أن يخبره النبي صلى الله عليه وسلم ويستشيره في ذلك فقال
يابنية ماهذا الجهاز فقالت ما أدري فقال والله ماهذا زمان غزو بني الاصفر فأين يريد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت لا علم لي وفي رواية لابن أبي شيبة انها أعلمته وجمع بينهما بأنه دخل عليها مرتين
الاولى قالت له لا علم لي ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم فأذن لها في اخبار أبيها لكونه عيبة سره فدخل عليها
ثانيا فأخبرته فقال والله ما انتقضت الهدنة بيننا وخرج رضي الله عنه فذكر ما قالت له للنبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له صلى الله عليه وسلم أنهم أول من غدر قالت ميمونة رضي الله عنها فأقمنا ثلاثا أى
بعد قوله لها هذا راجز بني كعب ثم صلى بالناس صبح اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو
ابن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمسجد فقال منشئا

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
وفي رواية هم قتلونا بصعيد هجدا * نتلو القرآن ركعا وسجدا

الوتير ماء بأسفل مكة لخزاعة كما في القاموس

وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفي رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي وفي رواية قال والذي نفسي بيده لأمنعنهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بني كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان وفي رواية أنه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة مني وأنا منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال في بني بكر قال كلها قال لا ولكن في بني نفاثة وهم بطن من بني بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا في الاودية فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو بن سالم ومعه نفر من قومه فأخبره صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق في نفر من قومه وقيل ان بديلا لم يفارق مكة حتى لقيه في الفتح بمر الظهران وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لركب خزاعة أنا باعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخيرهم في خصال ثلاث فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرأوا من حلف بني نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرطة بن عمرو لا ندي ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ثم ندمت قريش على ما ردوا به فبعثوا أبا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم في المدة وقيل ان أبا سفيان توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة مشيا الى أبي سفيان فقالا لئن لم يصلح هذا الامر لا يروعكم الا محمد في أصحابه فقال أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وما هي قال رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال أبو سفيان هذا أمر لم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا علي والله ما شوورت فيه ولا هويته حتى بلغني ليغزونا محمد ان صدقني ظني وهو صادقي وما بد من أن آتي محمدا فأكلمه فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى مبركهم بعد أن فارقوه فأخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة وفي رواية أن أبا سفيان لقي بديل ابن ورقاء بعسفان فاشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس في قتيل وفي لفظ قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة في هذا الساحل قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أي توجه اليها قال أبو سفيان لئن كان جاء الى المدينة لقد علف بها النوى فجاء الى منزلهم ففتت أبعارا باعرهم فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا وقبل قدوم أبي سفيان المدينة قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد في المدة وهو راجع بسخطة فلما انتهى أبو سفيان الى المدينة دخل على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فأراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه فقال يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر فقالت بل هداني الله للاسلام فأنت يا أبت سيد قريش

وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول فى الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر فقام من عندها
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى عليه وقال ابن اسحاق انه
كلم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئا وفى رواية قال يا محمد انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فاشدد
العهد وزدنا فى المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله
نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك فأعاد أبو سفيان القول
فلم يرد عليه شيئا فذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما أنا بفاعل وفى رواية قال لأبى بكر تكلم محمدا أو تجير بين الناس فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأتى عمر رضى الله عنه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وفى رواية
قال له عمر رضى الله عنه ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه
مقطوعا فلا وصله الله فقال أبو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على على رضى الله عنه وعنده
فاطمة رضى الله عنها وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على انك أمس القوم بى رحما وانى
جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لى فقال على رضى الله عنه ويحك يا أبا سفيان والله لقد
عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد
هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنى
هذا أن يجير بين الناس وما كان أحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انه جاء عثمان
رضى الله عنه قبل على رضى الله عنه فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى سعد
ابن عبادة رضى الله عنه فقال يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد فى المدة فقال سعد
جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فأتى أشراف قريش والانصار فكلمهم
وكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فلما أيس منهم دخل على
فاطمة رضى الله عنها فقال هل لك أن تجيرى بين الناس فقالت انما أنا امرأة وأبت عليه فقال مرى
ابنك فقالت ما بلغ أن يجير فقال لعلى رضى الله عنه يا أبا حسن انى أرى الامور قد اشتدت على
فانصحنى قال والله ما أعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال
أوترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال
أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ثم دخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد انى قد أجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ثم
ركب بعيره وانصرف الى مكة وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش أشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع
محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند امرأته ليلا قالت لقد غبت حتى اتهمك قومك فان كنت مع
طول الاقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت ما صنعت فأخبرها
الخبر وقال لم أجد الا ما قال لى على فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما
أصبح حلق رأسه عند أساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما وقال لا أفارق عبادتكما حتى أموت
وأراد بذلك أن تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم انه صبا فلما صنع ذلك قالوا له ما وراءك هل جئت
بكتاب من محمد أو زيادة فى مدة فانا لا نأمن ان يغزونا فقال والله لقد أبى على وفى رواية كلمته فوالله
ما رد على شيئا ثم جئت أبا بكر فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو وفى رواية
أعدى العدو وكلمت عليه أصحابه فما قدرت على شئ منهم الا انهم يرمونى بكلمة واحدة وما رأيت قوما أطوع
لملك عليهم منهم له الا ان عليا لما ضاقت بى الامور قال أنت سيد بنى كنانة فأجر بين الناس فناديت

بالجلوس قالوا وهل أجاوز ذلك محمد قال لا وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة قالوا رضيت بغير رضا وجئتنا
بما لا يغني عنا ولا عنك شيئا ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين والله ما زاد علي ان
لعب بك تلعبا فقال والله ما وجدت غير ذلك فقالوا ما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنأمن وتجهز رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها وروى ابن
أبي شيبة عن أبي مالك الاشجعي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجلس عند
بابها وكان اذا جلس وحده لم يأته أحد حتى يدعوه فقال ادع لي أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا
ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال ادع لي عمر فجاء فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته فقال يا رسول الله
هم رأس الكفر الذين زعموا انك ساحر وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيئا مما كانوا
يقولون الا ذكره ثم قال وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس
فقال ألا أحدثكم بمثل صاحبكم هذين قالوا نعم يا رسول الله فأقبل بوجهه الكريم على أبي بكر رضي
الله عنه فقال ان ابراهيم عليه السلام كان ألين في الله تعالى من الدهن باللين ثم أقبل على عمر رضي الله
عنه فقال ان نوحا كان أشد في الله تعالى من الحجر وان الامر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا فاتبعوا أبا بكر
فقالوا انا كرهنا ان نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لي كيف تأمرني
في غزو مكة قلت يا رسول الله هم قومك حتى رأيت انه سيطيعني ثم دعا عمر فقال هم رأس الكفر حتى
ذكر له كل سوء كانوا يقولونه وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم
تجهز وما أعلم أحدا والمراد انه ما أعلم عامة الناس فلا ينافي انه أعلم كبار أصحابه رضي الله عنهم فتجهز
الناس وقال حسان رضي الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة * رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم * وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي * سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن أم مجالد * اذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا * لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن اسحاق قوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن أم مجالد عكرمة بن أبي جهل وكان صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة وأمر جماعة أن تقيم
بالانقاب وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الانقاب فيقول لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا
رددتموه وفي رواية ثم أمر بالطرق فحبست فعمي على أهل مكة لا يأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبي
بلتعة البدري حليف بني أسد رضي الله عنه كتابا وأرسله الى مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه
وسلم وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير وقال لها أخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق
فان عليه حرسا فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب
والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على
بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها قال فانطلقنا
تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فالتمسناه
فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لتلقين عنك الثياب
وفي رواية أو لنكشفنك أو لنضربن عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها فأخرجته من عقاصها وفي رواية
فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها فأخرجته فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب

ابن أبي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية أما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لانفسكم والسلام وفي رواية ان لفظ الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال حاطب يا رسول الله لا تعجل على أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش يعني حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفي رواية ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين من له أهل أومال بمكة لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وفي رواية فقال حاطب والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت ولكنني كنت امرأ غريبا ولي في مكة بنون واخوة فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما أخبركم به فقال له عمر رضي الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش وفي رواية أنه قال انه يعلم يا رسول الله انك أخذت على الطريق وأمرت أن لا ترى أحدا ممن تنكره الا رددناه يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي رواية فقد وجبت لكم الجنة وفي أخرى لا يدخل النار أحد شهد بدرا فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله أعلم وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل فالذي نزل في ذلك الى هنا وقيل الى قوله قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم وانما قال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن أنه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من اخفاء مسيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أظهر خلاف ما أبطن وحاطب كان معذورا متأولا بما ذكره من عذره وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا لان يغفر لهم ما يحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج

من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فأرسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا فى كل ناحية فنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون فى غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المهاجرين والانصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وقيل ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان قال الحلبى فى السيرة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا ومعها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من زوجاته أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفارى وجمع بينهما بأن أبارهم جعله للقضايا والاحكام وابن أم مكتوم للصلاة وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال النووى لا أعلم خلافا فى ان ذلك فى شهر رمضان أى وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان أفطر لانه بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من ماء وقيل من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس فشرب فأفطر فناوله رجلا الى جنبه فشرب فلم يزل مفطرا رفقا بالمسلمين حتى انسلخ الشهر لانه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان فى أهبة القتال وبعث السرايا ولم ينو الاقامة ولذا كان يقصر الصلاة *وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قد خرج بأهله وعياله مهاجرا فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان اسلامه قديما وكان يكتمه بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة بمكة ليكتب له أخبار قريش وكان العباس رضى الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين وما أظهر اسلامه لاهل مكة الا يوم الفتح وكان مقيما بمكة على سقايته وكان ينفع المستضعفين بمكة وبه يثقون ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وقيل انه لقى النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة للفتح وروى الطبرانى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال استأذن العباس النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فكتب اليه ياعم أقم مكانك الذى أنت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة ولما لقيه قال هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتى آخر نبوة *وكان ممن لقيه صلى الله عليه وسلم فى الطريق أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبى سفيان ولده جعفر وعبد الله بن أبى أمية المخزومى ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم لابيها لان أمها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبى سفيان ومن معه للنبى صلى الله عليه وسلم بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون مهاجرون واسم أبى سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبى صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضى الله عنه كثيرا وكان عبد الله بن أبى أمية قبل اسلامه شديدا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفى لفظ وكان كل منهما أى من أبى سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما لقياه لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته أم سلمة رضى الله عنها فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك

وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي
قال لي بمكة ما قال يعني قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم
تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضي الله عنها لا يكن ابن عمك
وابن عمتك أشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد
ابني هذا يعني ولده جعفرا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان معتذرا عما مضى فقال

لعمرك اني يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
هداني هاد غير نفسي ونالني * مع الله من طردته كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد * وأدعى وان لم أنتسب من محمد

قال ابن اسحاق انه لما قال ونالني مع الله من طردته كل مطرد ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال
أنت طردتني كل مطرد وقال علي رضي الله عنه لابي سفيان بن الحارث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له
في الدخول عليه ائت من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين
فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبي صلى الله عليه
وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله
عليه وسلم كل الصيد في جوف الفرا وقيل قال ذلك لابي سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفي أبو
سفيان بن الحارث رضي الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة * يروى انه قال عند موته ولا تبكن علي فاني لم أنطق
بخطيئة منذ أسلمت * وأما عبد الله بن أبي أمية المخزومي فكذلك كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبي
صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد في غزوة الطائف رضي الله عنه
وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى لبني سليم لواء وراية ولبني
غفار راية ولاسلم لواءين ولبني كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جماعة من بني
بكر أسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فأعطاهم لواء ولاشجع لواءين ورأى أبو بكر الصديق مناما
قبل عقد الالوية وقيل عندنا ولهم بمر الظهران فقال يا رسول الله رأيت في المنام أنا دنونا من مكة
فخرجت الينا كلبة تهر أي تصوت فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هي تشخب لبنا فقال صلى الله
عليه وسلم ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم سائلونا بأرحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان
فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم أي شدتهم وقوله وأقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل
صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر اصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أو تسمع بها فترعب
من كثرتها واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم
مسيره وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون وتقدم ان العباس رضي الله عنه استقبل النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله الى المدينة ورجع مع النبي صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل
النبي صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسي لاهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر

فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي أجد
بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا
اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره أن خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن
حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقيل انه
بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى أي جهة وقيل ان قريشا بعثوا أبا سفيان يتجسس الاخبار
وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فاقبل أبو سفيان وحكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل
راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران فقال أبو سفيان ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران
عرفة فقال بديل هذه نيران بني عمرو يعني خزاعة فقال أبو سفيان هم أذل وأقل من أن تكون هذه
نيرانها وعسكرها فلما دخل أبو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي رواية أخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤا بهم فلما أخذوا بخطم أبعرتهم قال أبو سفيان من أنتم قالوا هذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم
وروى الطبراني عن أبي ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أبا سفيان
بالاراك فخذوه فأخذناه وفي رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون
وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضي ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤا بهم الى عمر
رضي الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة فقالوا جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة فقال عمر
رضي الله عنه وهو يضحك اليهم والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم قالوا والله أتيناك بأبي سفيان فقال
احبسوه وفي رواية ان العباس رضي الله عنه كان صديقا لابي سفيان فلما ركب البغلة لتوجه الى الاراك
رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبي سفيان فأخذه وجاء به فأمسكه الحرس
فأجاره من الحرس أن يقتلوه وقال عمر رضي الله عنه لابي سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان
عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له يا أبا حنظلة فعرف صوتي
فقال أبو الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفي رواية قد جاءكم في عشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة
فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك فنزل صاحبيه وركب خلف العباس رضي الله عنه فكان كلما مر
بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضي الله عنه يشتد نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودخل عليه عمر في اثري فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد
ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله اني قد أجرته ولعل العباس
وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال العباس
رضي الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دوني رجل فلما
أكثر عمر في شأن أبي سفيان قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا ولكنك
قد عرفت انه من رجال ابن عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب
الي من اسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا اني عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به الى رحلك
فاذا أصبحت فأتني به كذا في رواية ابن اسحاق وذكر موسى بن عقبة وغيره أن العباس قال قلت
يا رسول الله أبو سفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون عليك قال أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا
عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد
بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيئا بعد فأرجئها أي أخرها
وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان أسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر
اخرأ عليهما وكان عمر رضي الله عنه خارج القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت خارج القبة ما قلتها فقال
أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه أكلم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب به
يا عباس فذهب به فلما أصبح أتى به أول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن أبا سفيان
لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال ما للناس أمروا في شيء قالوا لا ولكنهم قاموا الى
الصلاة فأمره العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم
رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس
الاكارم ولا الروم ذات القرون بأطوع منهم له يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك فقال
العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أوذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة
قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبي صلى الله
عليه وسلم له بهذا الخطاب اللين العذب وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى
منه في عداوته ومحاربته قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع
الله اله غيره لاغنى عني شيئا لقد استنصرت الهي واستنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا نصرت
علي فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لكنت غلبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان
ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس
منها شيء فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لاسيما مع شدة حنق المسلمين
عليه فقال له ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهد
شهادة الحق رضي الله عنه وروى الحافظ الذهلي عن سعيد بن المسيب قال لما دخل صلى الله عليه وسلم
مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند أترين هذا
من الله ثم أصبح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قلت لهند أترين هذا من الله فقال أبو سفيان أشهد
أنك عبد الله ورسوله والذي يحلف به ما سمع قولي هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر عن عبد الله
ابن أبي بكر بن حزم قال خرج صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ما أدري
بم يغلبنا محمد فأتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال أشهد أنك رسول الله وروى
الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشي والناس يطأون عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا فجاء عليه
السلام حتى ضرب في صدره فقال اذن يخزيك الله فقال أتوب الى الله وأستغفر الله ما أيقنت انك نبي
الا الساعة اني كنت لأحدث بذلك نفسي * والحاصل أن أبا سفيان كان في أول الامر مستكرها لم يزل
صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى تمكن الاسلام من قلبه ولقد حضر مع النبي صلى الله عليه
وسلم غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها في يده الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت أرجعها
الله اليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها في الجنة فرمى بها وقال خيرا منها في الجنة وفقئت عينه

الاخرى يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال و يقول هذا يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله قال أنس بن مالك رضي الله عنه لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة *قال السيوطي في تحفة الادب روى القزويني في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لطم أبو جهل فاطمة رضي الله عنها في أول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ائت أباسفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل فقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابي سفيان قال ابن عباس رضي الله عنهما ما شككت أن اسلامه كان لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بأصحابه وأنصاره وأصهاره وهو من أصهاره لان ابنته أم حبيبة رضي الله عنها كانت زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن لا يدخل النار أحدا ممن صاهرني أو صاهرته فاياك أن تصغي لما ينقله بعض المؤرخين و يتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفي ابنه أو في أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتكون من الهالكين وما جرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم مأجورون ان شاء الله تعالى فنسأل الله أن يحيينا و يميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة *قال موسى بن عقبة قال أبو سفيان وحكيم بن حزام يارسول الله جئت بأوباش الناس ممن يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعهد الحديبية وظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه فقالا صدقت يارسول الله وقال بديل والله يارسول الله لقد غدروا ولو أن قريشا خلوا بيننا و بين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا ثم قالا لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحما وأشد عداوة لك فقال صلى الله عليه وسلم اني لارجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم فاني أرغب الى الله تعالى في ذلك ثم قال أبو سفيان يارسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت اسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث انه كان متبوعا فأصبح تابعا ليس له من الامر شئ فقال يارسول الله ان أباسفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم ثم أعانه أبو بكر رضي الله عنه فقد روى ابن أبي شيبة أن أبابكر رضي الله عنه قال يارسول الله ان أباسفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيئا فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال وما تسع داري زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن وهي من أسفل مكة ودار أبي سفيان بأعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد قال ومن أغلق بابه فهو آمن قال أبو سفيان هذه واسعة وأمر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي بذلك كله الا من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتي ثم قال له العباس النجا الى قومك أي بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي وفي رواية أنه صلى الله عليه بعث أباسفيان وحكيم ابن حزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى اذا جاء أبو سفيان قومه صرخ بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به أسلموا تسلموا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت اليه هند زوجته

فأخذت

فأخذت بشار به وقالت اقتلوا الحميت أي الزق الضخم الدسم الاحمس قبحت من طليعة قوم وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك والله لتسكتن أو لاضربن عنقك وقال لهم ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه ان بمكة أربعة نفر أربأ بهم عن الشرك وارغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وهذا يدل على أن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر معه وقيل ان اسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهي عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الاسلام ستين وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة رضي الله عنه ولما أراد صلى الله عليه وسلم السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله عنه لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي قال يا رسول الله لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الاراك وفي رواية ومعه حكيم بن حزام فقال أبو سفيان أغدرا قال لا ولكن لي اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفي رواية قال له ان أهل النبوة لا يغدرون وأمر صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر ما معها من القوة والعدة فأصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة والكتيبة بالتاء المثناة القطعة من الجيش وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم وأول من قدم خالد بن الوليد رضي الله عنه في بني سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لواآن يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة فحين مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال خالد الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالي ولبني سليم ثم مر على أثره الزبير بن العوام رضي الله عنه في خمسمائة من المهاجرين وأفناء العرب فكبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن أختك قال نعم ثم مرت كتيبة بني غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم أبو ذر رضي الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال يا عباس من هؤلاء قال غفار قال مالي ولغفار ثم مرت أسلم في أربعمائة فيها لواآن يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الاعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أسلم قال مالي ولاسلم ثم مرت بنو كعب ابن عمرو وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال بنو كعب اخوة أسلم قال هؤلاء حلفاء محمد قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال بن الحارث فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال مزينة قال مالي ولمزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالي ولجهينة والله ما كان بيني وبينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواآن يحملهما

معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الاشجعي فكبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام في قلوبهم فهذا فضل الله ومرت بنو تميم و بنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرور هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم ثم قال أبو سفيان أبعد مامضى محمد فقال له العباس لو أتت الكتيبة التي محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال ومالبس لاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة وجعل الناس يمرون وهو يقول عندمرور كل قبيلة مامر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها اذ في كل بطن منها لواء وهم في الحديد لايرى منهم الا الحدق فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه معه راية الانصار وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضي الله عنه وكان جملة من كان المهاجرين مع النبي صلى الله عليه وسلم والانصار وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفي رواية ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والانصار وفيها الرايات والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء وراية وهم في الحديد لايرى منهم الا الحدق ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفي رواية قال أبو سفيان سبحان الله ياعباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار فقال مالاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقال ياأبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال ياأبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي يوم الحرب الذي لايوجد منه مخلص اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستار الكعبة فقال أبو سفيان ياعباس حبذا يوم الذمار أي حبذا يوم الهلاك تمنى أبو سفيان أن يكون له يد وقوة فيحمي قومه ويدفع عنهم وقيل معناه هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك غلبة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي اقربك من النبي صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فقالا يارسول الله مانأمن أن تكون لسعد صولة في قريش فقال لعلي رضي الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد ابن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما أمر بأخذ الراية منه حين حاذى النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه وهو مار في جنود الله أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له أبو سفيان ماقال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم أي قال له أنشدك الله في قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال ياأبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا أي بالاسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين وفي رواية ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة أشار بهذا الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي يكسوها ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان ثم أرسل الى سعد فأخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضي الله عنه وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يانبي الهدى اليك لجاحي * قريش ولات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الار * ض وعاداهم اله السماء

والتقت حلقتا البطان على القو * م ونودوا بالصيلم الصلعاء

ان سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشئ * غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوءة السوآء
اذ ينادي بذل حي قريش * وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى * يا حماة الادبار أهل اللواء
ثم ثابت اليه من بهم الخز * رج والاوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش * فقعة القاع في أكف الاماء
فانهينه فانه أسد الاسد لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يريد لنا الامر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبي صلى الله عليه وسلم بتسليمها لابنه أبى أن يسلمها الا بأمارة من النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه بعمامته فسلمها لابنه وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سلمها لعلي وفي بعضها انه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر في الجمع بين الروايات انه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضي الله عنه لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا خشي أن يقع من ابنه شئ ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بأبي سفيان قال له العباس النجا الى قومك فجاء اليهم يصيح بالامان فأمسكته زوجته وقالت اقتلوه الى آخر ما تقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير أخبرني نافع بن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضي الله عنهما في حجة اجتمعوا فيها بمكة في خلافة عمر رضي الله عنه يا أبا عبد الله هاهنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم قال الحلبي في السيرة وفي ذلك المحل بني مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث أردف في هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضي الله عنهما والمتكبر يعد ارداف ابنه اذا ركب في السوق عارا عليه باذا لك الا تكبر برأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وفي رواية وعليه عمامة سوداء حرقانية واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفي رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح أي لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبي بكر رضي الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فأنشده قوله

عدمت بنيتي ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات * يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبراني عن العباس رضي الله عنه قال

لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لابى سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قلت ماهذا قال شئ طلع بقلبى لان الله لا يطلع هنالك خيلا أبدا قال العباس رضى الله عنه فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هنالك ذكرت أباسفيان به فذكره وتقدم هذا الحديث باطول من هذا وانهما توجها الى اليمن فى تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود وسألاه عن النبى صلى الله عليه وسلم فسألهما عن صفاته فوصفاه له فقال هو هو ذبحت يهود وقام وترك رداءه فتعجب أبوسفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ ابن حجر وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد وأمره أن يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد فى قبائل منها قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أى أقربها الى الثنية التى دخل منها وهو أول بيوت مكة من الجهة التى دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضى الله عنها وجعل أبا عبيدة على الرجالة أى المشاة وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمر بلا راية فى مقدمة كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم فاندفع خالد بن الوليد رضى الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من بنى بكر وبنى الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد فى أصحابه فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بنى بكر نحو أربعة وعشرين رجلا ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة وكانت سوقا بمكة ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال هربا وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبوسفيان يامعشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ويطرحون السلاح فى الطرق فيأخذه المسلمون وروى ابن اسحاق ان أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو وتجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئا من القتال فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلا الجهنى وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا وفى ذلك يقول حماش بن قيس يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان سابقا يصلح سلاحه ويعدها أن يأتيها ببعض الاسرى المسلمين يكون خادما لها وكانت أسلمت سرا وفى رواية انها رأته وهو يبرى نبلا له فقالت له لم تبرى هذا النبل قال بلغنى ان محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها فائن كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسره فقالت والله لكانى بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبؤك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل اليها وقال ويحك هل من مخبأ فقالت له وأين الخادم فقال لها دعينى عنك وأنشد يقول

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه
وابو يزيد قائم كالموتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يا بنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار

الاوس بابي عبد الله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهري وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرح النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر الاولى ثم لما أسلم استعمله النبي صلى الله عليه وسلم وبعثه في طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال بأسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم الى بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء في رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقل له فليرفع يديه من القتل فأتاه الرجل فقال له ان نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل اليه ألا آمرك ان تسدرخالدا قال أردت أمرا فأراد الله أمرا فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت الا الذي كان فسكت صلى الله عليه وسلم وما رد عليه وقوله قتل سبعين لاينافي رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل في الاكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد رضي الله عنه قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء في رواية ان قريشا وبشت أوباشا لها أي جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أباهريرة رضي الله عنه وقال له اهتف لي بالانصار فهتف بهم فجاؤا وأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال أبوهريرة رضي الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلنا ولايقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبوسفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لاقريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن أي أمر أن ينادي بذلك ويعلن به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يارسول الله هم بدؤنا بالقتال وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فأبوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا في كل وجه فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما * وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استثنى أناسا من الدخول في الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة بن أبي جهل والحويرث ابن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وكعب بن زهير والحارث بن هشام وهو أخو أبي جهل لابويه وزهير بن أبي أمية وسارة وهي مولاة لبني المطلب وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان أم معاوية ووحشي قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتي بيانه أما عبد الله بن أبي سرح بن الحارث العامري فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاع فقال ياأخي استأمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي فغيبه عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يارسول الله امنته فبايعه والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب

قوله مقيس بوزن منبر وصبابة بوزن ذبابة وأوله مهملة أي صاد وكان صاحب القاموس فهم من قول السلف مهملة انها حاء فعنفها بها في باب السين عند ذكر مقيس حتى جرى على ذلك مترجمه عاصم أفندي مع انه رسمها على الصواب في فصل القاف من باب الصاد فقال ومقيس ابن صبابة صوابه بالسين ووهم الجوهري أي في قوله مقيص انتهى قاله نصر

عنه وكان عباد بن بشر رضي الله عنه نذر ان رأى عبد الله بن أبي سرح قتله وكان قائما على رأس النبي
صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم انتظرتك ان توفي بنذرك فقال يا رسول الله خفتك أفلا أومضت الي فقال انه لا ينبغي
لنبي أن تكون له خائنة الاعين وهو الايماء بالطرف قال الزرقاني ثم أدركته العناية الازلية وأتته
السعادة الابدية فأسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضي الله
عنه في فتح مصر وكانت له المواقف المحمودة في الفتوح وهو الذي افتتح افريقية في خلافة عثمان بن
عفان رضي الله عنه سنة ثمان أو سبع وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة
آلاف دينار وغزا الاساود من النوبة سنة احدى وثلاثين وهادن باقي النوبة الهدنة الباقية بعده
وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضي الله عنه صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان رضي
الله عنه مصر كلها وكان محمودا في ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى
البغوي باسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبي سرح اللهم اجعل آخر
عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضي الله عنه * وأما
عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه
وفي رواية كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم
استيقظ فلم يجده صنع له شيئا وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبي صلى
الله عليه وسلم في شعره وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه وقد جاء
انه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل
الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل
سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره فأمر بقتله وقيل لما طاف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا باستار الكعبة فقال اقتلوه فان
الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة الاسلمي وقيل الزبير
وقيل سعيد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد والظاهر انهم اشتركوا في قتله جمعا بين الاقوال
وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى
فأمنها فأسلمت * وأما عكرمة بن أبي جهل فانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد
الناس اذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم
أهدر دمه هرب ليلقي نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته أم حكيم رضي الله عنها
بنت عمه الحارث بن هشام رضي الله عنه أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
ابو داود والنسائي ان عكرمة ركب البحر أي حين هرب فأصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات
والعزى فقال أهل السفينة أخلصوا ان آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينج
من البحر الا الاخلاص لا ينجي في البر غيره اللهم لك عهد ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى
أضع يدي في يده فلا * أجدنه عفوا غفورا كريما فجاء وأسلم أي بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به
وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقي ان امرأته قالت يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى
اليمن وخاف أن تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت في طلبه فأدركته وقد ركب سفينة ونوتي يقول له

أخلص أخلص قال ما أقول قال قل لا اله الا الله قال لماهربت الا من هذا وان هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتى ما الدين الا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال وغير الله قلبي وجاءت أم حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك انى قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول أنت كافر وانا مسلمة فقال ان أمرا منعك منى لامر كبير فلما وافى مكة أو المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذى الحى قال الزهرى وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به ورمى عليه رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام رضى الله عنها وهى متنقبة فقال ان هذه أخبرتنى انك آمنتنى فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فأنت آمن فقال الام تدعو قال أدعو الى أن تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال ما دعوت الا الى خير وأمر حسن جميل قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعونا وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا ثم قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ثم ماذا قال تقول أشهد الله واشهد من حضرنى انى مسلم مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقى وفى رواية قال عكرمة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له يا عكرمة ما تسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لى كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به وردّ صلى الله عليه وسلم زوجته له أى أبقاها على نكاحها الاول حيث اجتمعا فى الاسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وروى ابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه فقال لمن هذا فقيل لابى جهل فشق عليه وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن أبى جهل مسلما فرح به وأوّل ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وانها قد تكون لغير من ترى له ولم يزل عكرمة رضى الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد فى الشام فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقيل انما استشهد فى خلافة عمر رضى الله عنه وتفصيل ذلك ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما فرغ من قتال أهل الردة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر عليهم أبا عبيدة رضى الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو رضى الله عنهم ووقفوا أنفسهم للجهاد وانهم لا يرجعون لحضر وافتتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفى أبو بكر رضى الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وولى أبا عبيدة رضى الله عنه على الجنود وأبقى خالد بن الوليد رضى الله عنه أميرا من الامراء تحت أمر أبى عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التى حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا ولم يكن أحد فى يوم حمص أشد قتالا وأكثر بأسا من عكرمة بن أبى جهل حتى كان يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم أنا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل فى طاعة الملك العلام وانى أرى الحور العين تتشوّقن الىّ ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده حربة عظيمة تضىء وتلهب فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضى الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضى الله عنه

وبكى بكاء شديدا ثم كرّ سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذي قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار في ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضي الله عنهم * وفي الاحياء للامام الغزالي في كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي رضي الله عنه ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضي الله عنها وكانت خرجت مع زوجها الى الشام تزوجها خالد بن سعيد رضي الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يقضي الله هذه الجموع تعني الروم فقال خالد ان نفسي تحدثني اني أصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل بها في خيمته فما أصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضي الله عنها عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التي دخل بها فيها خالد فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء أن عكرمة رضي الله عنه شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم قولهم له عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات وفي رواية لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفي أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد كان قبل اسلامه رضي الله عنه بارز رجلا من المسلمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا قال أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضي الله عنه شهيدا في قتال الروم في وقعة اليرموك كما تقدم * وأما الحويرث بن نقيذ بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد بن قصي فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضي الله عنه حمل فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهما بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الأرض وشارك هبار بن الاسود في نخس جمل زينب رضي الله عنها لما هاجرت فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله علي رضي الله عنه وذلك أنه سأل عنه وهو في بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو في البادية فتنحى علي رضي الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت الى آخر فتلقاه علي رضي الله عنه فضرب عنقه * وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على انصاري فقتله وكان الانصاري قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ في غزوة ذي قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الانصاري ثم ارتد ورجع الى قريش فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله غيلة ابن عبد الله الليثي * وأما هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي فانه كان شديد الاذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضي الله عنها فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال جبير بن مطعم رضي الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الاسود فقالوا يا رسول الله هبار بن الاسود قال قد رأيته فأراد رجل القيام اليه فأشار اليه أن اجلس فوقف هبار فقال السلام عليك يا نبي الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك عني فاني مقر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ما قبله قال الزهري

مصغرا أي وآخره دال مهملة صرح به صاحب المواهب قاله نصر

قوله المزنى مثله فى بعض المؤلفات وهو تحريف عن المرى لانه من بنى مرة كما رأيته فى نسخة صحيحة من شرح المعلقات لبعضهم اه قاله نصر

ان هبارا رضى الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكى ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فكفوا عنه * وأما كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وصار يعير أخاه بجيرا حين أسلم وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيرا قال لكعب اثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فأسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب بأبرق العزاف وهو ماء لبنى أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به وسبب قول بجير لاخيه اثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل الخ أن أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه أن قد مد بسبب أى حبل من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فأول ذلك بالنبى الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان أدركوه أن يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بأنه قد ظهر امره وتحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل * على أى شئ غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولا تلفى عليه أخا لكا
فان كنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

وكان صلى الله عليه وسلم يسمى فى الجاهلية الامين والمأمون ثم أرسل كعب بالابيات الى أخيه بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده اياها فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال صلى الله عليه وسلم من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر أى أقبل مسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاء تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض أى الى محل ينجيك وكتب له هذه الابيات

فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها بالطلا وهى أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين أبى سلمى على محرم

فلما بلغت الابيات كعبا وبلغه انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأراق دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وأرجف به أى خوفه من كان حاضرا عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا له انك لمقتول فلما لم يجد بدا ومخلصا يلتجئ اليه الا الاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال أشهد أن لا اله الا الله

وأن محمدا رسول الله ثم أنشده قصيدته المعروفة التي أولها بانت سعاد فقلبي اليوم متبول الى أن قال فيها

تمشي الوشاة بجنبيها وقولهم * انك يا ابن أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله * لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ * قرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت في الاقاويل

وقال فيها

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول * رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أعطانيه أحدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها في الاعياد وقيل انها فقدت في وقعة التتار وروى ابن اسحاق انه لما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا أي مائلا مشتاقا الى الاسلام كافا عن الشرك تاركا له فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع به صاحبهم وخص المهاجرين بمدحته في قصيدته لانهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لولا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الانصار

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالحي الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضي الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب أن كعبا لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضي الله عنهم فدل على أبي بكر رضي الله عنه فأخبره بخبره فمشى أبو بكر وكعب على أثره حتى صار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يبايعك يا رسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقاني والجمع ممكن بأنه لما قدم المدينة نزل على الجهني فأخبره بأن أبا بكر أرق الصحابة وأتى به اليه فسار به معا ثم تقدم الصديق وكعب على أثره فلما أمن عرفه بنفسه والله أعلم * وأما الحارث بن هشام المخزومي وهو أخو أبي جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكذا زهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها فانه كان شديدا في كفره فأهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فهربا واختبيا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها فأجارتهما فأجاز صلى الله عليه

وسلم جوارها ثم جاءت بهما فأسلما وحسن اسلامهما رضي الله عنهما وكون الذي أجارته مع الحارث ابن هشام هو زهير بن أبي أمية هو الصحيح وقيل الذي أجارته معه هو عبد الله بن أبي ربيعة وقيل هو هبيرة ابن أبي وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشئ لان هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها مشركا حتى مات وكانت أم هانئ رضي الله عنها تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي روى الامام أحمد وغيره عن أم هانئ رضي الله عنها قالت لما كان يوم الفتح فر الي رجلان من احمائي من بني مخزوم فدخل علي علي رضي الله عنه فقال والله لاقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا وأهلا بأم هانئ ماجاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ والمشهور ان اسلام أم هانئ رضي الله عنها كان عام الفتح وقيل أسلمت قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحارث بن هشام رضي الله عنه قال لما أجارتني أم هانئ رضي الله عنها وأجاز النبي صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرضني أحد بعد ذلك وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمر علي وأنا جالس ولم يتعرض لي وكنت أستحيي أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر رؤيته اياي ما كنت أفعله في كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذي هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضي الله عنه وكذا ابن ابنه أبو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم * وأما سارة فهي مولاة لبني المطلب بن عبد مناف وانما أهدر صلى الله عليه وسلم دمها لانها كانت مغنية بمكة تغني بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كان معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقي اليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغني به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها * وأما صفوان بن أمية بن خلف الجمحي فكان أيضا من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فأهدر دمه صلى الله عليه وسلم فاختفى وأراد أن يذهب ويلقي نفسه بالبحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه وقال يا نبي الله ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه فانك أمنت الاحمر والاسود فقال أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني آية يعرف بها أمانك فاني قد طلبت منه العود فقال لا أعود معك الا أن تأتيني بعلامة أعرفها فأعطاه صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان اعزب عني لا تكلمني فقال أي صفوان فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك فقال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التي جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق فقال أمهلني بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال أغصبا يا محمد قال لا ولكن عارية مرجوعة أو مضمونة ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين أعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة

ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا مملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هولك وما فيه وفي رواية ان صفوان رضى الله عنه طاف مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتصفح الغنائم اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هولك بما فيه فقبض صفوان ما في الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسهم بمثل هذا ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا الا نبي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وترك المدة التي كان طلبها وكان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الى فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق الى * وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان وأم ابنه معاوية رضى الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لانها مثلت بعمه حمزة رضى الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت في بيت أبي سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته صلى الله عليه وسلم بالابطح وقالت الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد اني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أنا هند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم أرسلت اليه بهدية جديين مشويين وقديد مع جارية لها فقالت انها تعتذر اليك وتقول لك ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها قالت هند فلقد رأينا من كثرتها ما لم نره قبل وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أرى في النوم انى في الشمس أبدا قائمة والظل قريب مني لا أقدر عليه فلما دنا منا صلى الله عليه وسلم رأيت كأني دخلت الظل فكان ذلك هو الدخول في الاسلام وجاء انها لما أسلمت عمدت الى صنم كان في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك في غرور * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قالت هند بنت عتبة يا رسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الى أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الارض أهل خباء أحب الى أن يعزوا من أهل خبائك قال النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا والذي نفسي بيده أي ستزيدين من ذلك ويتمكن الايمان في قلبك فيزيد حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوى رجوعك عن بغضه ثم قالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك فهل على حرج ان أطعم من الذي له عيالنا قال لا أراه الا بالمعروف وكان اسلامها بعد اسلام زوجها فأقرهما صلى الله عليه وسلم على النكاح الاول لان الاسلام جمعهما في العدة بل قيل ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة وكانت هند امرأة ذات أنفة ورأي وعقل وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة متنقبة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله اني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله ولما قال ولا تزنين قالت أو تزني يا رسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا وفي لفظ وهل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في معروف وحضرت هند

فقال

قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتي كن معها وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه في اليوم الذي توفي فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وكان من جملة من أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ابنها معاوية وأخوه يزيد ابنا أبي سفيان وقيل ان اسلام معاوية كان عام الحديبية وعن معاوية رضي الله عنه قال لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لامي فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فأسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له بعد أن استشار في ذلك جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين * وفي البخاري ان كريبا قال لابن عباس رضي الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم أردفه يوما خلفه فقال ما يليني منك قلت بطني قال اللهم املأه حلما وعلما * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضي الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها وقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا ملكت فأحسن وفي رواية اذا ملكت من أمر امتي شيئا فاتق الله واعدل وفي رواية يا معاوية ان ملكت أمر أمتي فارفق بها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وآزروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى حتى علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وكان أبيض جميلا وهو من الموصوفين بالحلم ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة أشهر وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على أحد منهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * وأما وحشي بن حرب فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت علي المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك والله انه ما يقتل أحدا يدخل في دينه فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه الا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عني فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التي قتل بها حمزة رضي الله عنه فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك أي ان هذه تكفر تلك وممن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس اين ابنا أخيك لا أراهما يعني عتبة ومعتبا ابني أبي

لهب فقال العباس رضي الله عنه تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما فأتيته بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه فقال له العباس رضي الله عنه أسرك الله يارسول الله اني أرى السرور في وجهك قال اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما الي وشهدا معه حنينا والطائف ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين * وممن اختفى أيضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلما فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أمانا فقال صلى الله عليه وسلم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله برا صغيرا برا كبيرا ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ثم أسلم بالجعرانة رضي الله عنه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم حتى ان الله ثبت به أهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه وسلم فكادوا أن يرتدوا فخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق رضي الله عنه بالمدينة وقال فمن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضي الله عنه واستشهد رضي الله عنه في اليرموك وقيل توفي بالشام في طاعون عمواس ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين بين أبي بكر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وهو متواضع مطأطئ رأسه على ناقته القصواء مردفا اسامة ابن زيد رضي الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن أنس رضي الله عنه قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفي رواية حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله أي تواضعا لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح في حال دخوله حتى جاء البيت فطاف به * وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني ان طوافه صلى الله عليه وسلم انما كان بعد ان استقر في خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فادنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وأبو بكر رضي الله عنه يحادثه فمر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبي بكر رضي الله عنه واستنشده قول حسان الماضي * يلطمهن بالخمر النساء * الى ان انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من رمضان وهو حلال غير محرم * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوي به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي رواية لقفاه وفي رواية فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير أن يمسه بما في يده يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وفي رواية فأتى في طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام وكان في يده صلى الله عليه وسلم قوس فجعل يطعن بها في عينيه ويقول جاء الحق الآية ثم أمر به فكسر فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه لابي سفيان رضي الله عنه قد كسر هبل أما انك قد كنت يوم أحد في غرور حتى تزعم انه قد أنعم فقال أبو سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام لقد أرى لو كان مع اله محمد غيره لكان غير ما كان * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قال

عمواس محركا بلد بالشام بقرب القدس انظر المصباح اه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء
فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته *روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال ما وجدنا مناخا في المسجد لراحلته صلى الله عليه وسلم حتى أنزل على أيدي الرجال فأخرجت الراحلة فأنيخت بالوادي ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يتبادرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به ثم جلس صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو وبلال وأسامة ابن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وفي رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفي رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفي رواية ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الاحكام منها لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا وأفلم يسترقوا ولم يؤسروا فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله قد أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم الى آخر ما تقدم وقد اختلفت الروايات في كيفية احضار مفتاح الكعبة له حين أراد الدخول والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال ائتني بالمفتاح وتقدم انه اسلم في مدة صلح الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم فذهب عثمان الى أمه سلافة بنت سعيد الانصارية الاوسية وقد اسلمت بعد ذلك رضي الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح أبت أن تعطيه فقال يا أمه ادفعي لي المفتاح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت أن تعطيه وقالت

لا واللات والعزى فقال لها اللات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطنه وانك ان لم تفعلي
قتلت أنا وأخي وأنت قتلتينا والله لتدفعنه أو ليأتين غيري فيأخذه منك فأدخلته في حجزتها وقالت
أي رجل يدخل يده هنا قال الزهري وأبطأ عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينتظر
حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول ما يحبسه وفي رواية فجعلت تقول ان أخذه منكم
لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار وعمر رافع
صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بني خذ المفتاح فان تأخذه أحب الي من أن يأخذه تيم وعدي
أي أبو بكر وعمر فأخذه عثمان فخرج يمشي حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فحنى عليه وتناوله وفي رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم ببشر
ففتح له عثمان الباب وفي رواية فأخذه صلى الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة فيحتمل انهما تشاركا
في الفتح فقد روى الفاكهي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كانت بنو أبي طلحة يزعمون
انه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتح بيده قال
العلامة الزرقاني ويحتمل الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب
ففتحه له أي فصح اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبي صلى الله عليه
وسلم الكعبة على باب الكعبة يذب الناس ولما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة جلس في المسجد
ومفتاح الكعبة في يده فقام اليه علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة
مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه انما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم
للناس أي وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهي الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم
وفي رواية ان العباس رضي الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح في رجال من بني هاشم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعي به فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم
بر ووفاء وأنزل الله هذه الآية في شأن عثمان بن طلحة ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها
وروى الازرقي وغيره عن مجاهد قال نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة أخذ عليه الصلاة
والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال
خذوها أي الحجابة يا بني أبي طلحة لا ينزعها منكم الا ظالم قال وقال عمر رضي الله عنه خرج صلى الله
عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ما سمعته يتلوها قبل ذلك * قال السيوطي ظاهر هذا انها
أنزلت في جوف الكعبة وروى الازرقي عن ابن المسيب خذوها خالدة تالدة لا يظلمكموها
الا كافر وفي رواية عند ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط انه صلى الله عليه وسلم دفع المفتاح
الى عثمان فقال خذوها خالدة مخلدة اني لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم
الا ظالم وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضي الله عنه قال لقيني صلى الله عليه وسلم بمكة
قبل الهجرة فدعاني الى الاسلام فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع أن أتبعك وقد خالفت دين قومك
وجئت بدين محدث قال وكانت نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي صلى الله عليه
وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان
لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعني
ما دامت قريش أنت لا تقدر على ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني
موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال أي لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فأردت
الاسلام فاذا قومي يزبرونني زبرا شديدا فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه

الى

الى" وقال خذوها يابنى ابى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت نادانى فرجعت اليه فقال الم يكن الذى قلت لك فذكرت قوله لى بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدى أضعه حيث شئت فقلت بلى أشهد أنك رسول الله و فى تفسير الثعالبى بلا سند أن هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى على يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح و يجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان و يعتذر اليه ففعل ذلك على رضى الله عنه فقال عثمان لعلى رضى الله عنهما أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال على رضى الله عنه لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه أسلم قبل الفتح وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله فى أول الحديث فلوى على يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقانى ولعله يشرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لانه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى لانه لم يكن من هو أجل منه منع شئ ولا قول شئ يومئذ والروايات السابقة هى التى صحت بها الاحاديث وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب العبدرى وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد و يقال لعثمان الحجبى ولآل بيته الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو ابن عم عثمان ابن طلحة بن أبى طلحة قال الحافظ ابن حجر ان أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة أبى عثمان شيبة وأبى طلحة بعثمان فلما مات عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة لان عثمان بن طلحة كان لا ولد له و بقى فى أولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة الزرقانى وفى هذه الاخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن قال العلامة الشمس الحطاب المالكى المكى ولا التفات الى قول بعض المؤرخين ان عقبهم انقطع فى خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضى الله عنه لا يشرك مع الحجبة فى الخزانة أحد لانها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام بن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم فى زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة وكذا ذكر العلامة القلقشندى وعاش الى احدى وعشرين وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم فى اخذ أم معاوية رضى الله عنه لكعبة عبد الان اخذامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا ما يقع فى كلام المؤرخين كالازرقى والفاكهى ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى وقد تقدم الكلام على اسلام عثمان بن طلحة بن أبى طلحة فى قصة اسلام خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهم وأما شيبة بن عثمان بن أبى طلحة فأسلم عام الفتح وكان رضى الله عنه يحدث عن سبب اسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم سار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذى قمت بثار قريش كلها وفى لفظ اليوم أدرك ثارى من محمد أى لان أباه وعمه وجملة من بنى عمه قتلوا يوم أحد قتلهم حمزة وعلى وغيرهم رضى الله عنهم قال وقلت لو لم يبق من العرب والعجم

أحد الا اتبع محمدا ماتبعته لا يزداد ذلك الامر عندى الاشدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه أريد الذى أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يهلكنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه وفى رواية فلما هممت به حال بينى و بينه خندق من نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك قال فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذى أريد فنادانى ياشيبة ادن منى فدنوت منه فمسح صدرى ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو فى الساعة صار أحب الى من سمعى و بصرى وأذهب الله ما كان فى ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفى والله أعلم أنى أحب أن أقيه بنفسى وكل شئ ولو كان أبى حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أى ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما وجاء فى رواية عن شيبة بن عثمان الحجبى رضى الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله انى لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قلت يارسول الله انى لارى خيلا بلقا قال ياشيبة انه لايراها الا كافر فضرب بيده على صدرى ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدرى الثالثة حتى ما أحد من خلق الله أحب الى منه ولما انقضى القتال و رجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه مادخل عليه غيرى حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسرورا به فقال ياشيبة الذى أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثنى بكل ماأضمرته فى نفسى مما لم أذكره لاحد قط فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله ثم قلت له استغفر لى فقال غفر الله لك وجاء ان بلالا رضى الله عنه أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبوسفيان وعتاب بن أسيد وفى رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحارث بن هشام وغيرهم جلوسا بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لايكون يسمع هذا فيسمع منه مايغيظه وقال الحارث بن هشام أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفى رواية انه قال أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بنى سعيد بن العاص لقد أكرم الله سعيدا اقبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبى العاص والله ان هذا الحدث عظيم عبد بنى جمح يصيح على بنية أبى طلحة وقال أبوسفيان لا أقول شيئا لو تكلمت لاخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذى قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال أما أنت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا فقال أبوسفيان أما أنا يارسول الله فما قلت شيئا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحارث بن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن و يحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبى والله ايمانا و يقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ستة عشر سنة وأولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة و يروى ان جويرة بنت أبى جهل قالت عند أذان بلال على ظهر الكعبة والله لانحب من قتل الاحبة أبدا ولقد جاء لابى الذى جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ثم أسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها وممن جاءه صلى الله عليه وسلم

يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي وقيل عبد الله بن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس ابن السائب بن عويم وكان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون علي فقال صلى الله عليه وسلم لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك أي لتوقفها على الاسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شئ كنت أذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحب الي منه وفي سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت الى أهلي فررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة رضي الله عنه يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى علي الله والاسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان ويكنى بأبي قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه وفي لفظ لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لابي بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه فأجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فأسلم ولم يعش لابي قحافة ابن ذكر الا أبو بكر رضي الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني من اسلامه يعني اباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك وكان رأس أبي قحافة رضي الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروهما وجنبوه السواد وكانت أم أبي بكر بنت عم أبيه أسلمت قديما حين أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأخته أم فروة رضي الله عنها أسلمت أيضا وأبناؤه وبناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه وأخته وجميع أولاده وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضي الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة أسماء وهي أكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم مات أبو بكر رضي الله عنه وهي في بطن أمها وأخبر بأنها أنثى قبل وفاته وهي حمل في بطن أمها حيث قال لعائشة رضي الله عنها انما هما أخواك وأختاك ولم تكن تعلم ان لها أختا غير أسماء رضي الله عنها فسألته عن ذلك فأشار الى الحمل المذكور وقال أراها أنثى فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف في الصحابة أربعة متناسلون أسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم

وكل واحد أو الذى بعده الا فى بيت أبى بكر رضى الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ومن أثبت غير ذلك كزيد بن حارثة وأبيه حارثة أى فانه أسلم وابنه أسامة بن زيد وابن أسامة فقد نوزع فى ثبوت ان ابن أسامة رآه النبى صلى الله عليه وسلم فأما أبو بكر رضى الله عنه وأهل بيته فتفق على ثبوت ذلك فيهم وبقى من الاصنام التى كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة وكان من صفر وفى رواية من نحاس موتدا بأوتاد من حديد الى الارض فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أن يرميه فرمى به وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون * وروى الحاكم عن على رضى الله عنه قال انطلق بى صلى الله عليه وسلم حتى أتى بى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد على منكبى ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست ثم قال يا على اصعد على منكبى ففعلت فلما نهض بى خيل لى انى لوشئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه وسلم فقال ألق صنمهم الاكبر وعالجه قال فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فألقيته وقد أجاد القائل

يارب بالقدم التى أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أى بحسب زعمهم وكانت تماثيل على صورشتى فأمر بها فأخرجت وفى رواية أمر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضى الله عنه هو الذى أخرجها وأخرجوا صورة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى أيديهما الازلام التى كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط وفى رواية عن جابر رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه وسلم رآها فقال يا عمر ألم آمرك أن لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فقال امسحوا مافيها من الصورة قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون وفى رواية أسامة بن زيد رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صورا فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولا وذكر بعضهم ان صورة عيسى وأمه بقيتا أو بقى بعض أثرهما حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان فقال انكما لبلاد عربية فلما هدم ابن الزبير رضى الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما أثر ثم نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره فكسروا الاصنام التى كانت فى بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضى الله عنها الى صنم كان فى بيتها وجعلت تضربه وتقول كنا منك فى غرور ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التى حول مكة لانهم كانوا اتخذوا لهم أصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان فى كل حى صنم منها العزى ومناة وسواع وسيأتى ذكر السرايا اليها * ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين

الجبلين

الجبلين فهي حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة يعني من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد أحلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الذهلي وكان مع بني بكر فلما دخل مكة وهو على شركه عرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعي بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراش والمشقص ما طال من النصل وعرض وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة أي لا تغزى على الكفر أي لا يقاتلوا على أن يسلموا * واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحا أو عنوة فقال الاكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعي وأحمد في رواية عنه انها فتحت صلحا وجمع بعضهم بين الروايات بأن أعلاها فتح صلحا أي الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم وأسفلها فتح عنوة أي الذي سلكه خالد بن الوليد رضي الله عنه ولما قرب صلى الله عليه وسلم من دخول مكة أي قبل ان يدخلها بيوم قال له اسامة بن زيد رضي الله عنهما يارسول الله أين تنزل غدا زاد في رواية أتنزل في دارك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور وكان عقيل ورث أبا طالب هو وأخوه طالب ولم يرث جعفر ولا علي معهما شيئا لانهما كانا مسلمين وترك لهما النبي صلى الله عليه وسلم ما يخصه تفضلا واستمالة وتأليفا لهما وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح أنكحتهم ثم ان عقيلا أسلم وأما طالب ففقد ببدر وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفي رواية للبخاري قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله مكة الخيف وفي رواية بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول في ذلك الموضع ليتذكروا ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا غالبا على رغم من سعى في اخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين أساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضي الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته أي التي ضربت له بعد وقال هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضي الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا مكة في خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك أيضا صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فعن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب * وبعد ان فتح الله مكة جاء صلى الله عليه وسلم الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء وقد أحدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض أما الرجل فقد أدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحي بما ذكر القوم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يامعشر الانصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يارسول الله قال فما اسمي اذن ان فعلت ذلك كيف أسمى وأوصف باني عبد الله ورسوله كلالا أفعل ذلك اني عبد الله

ورسوله أي من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك ها جرة الى الله واليكم فالمحيا محيا كم والممات مماتكم فاقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ماقلنا الذي قلنا الا الضن أي البخل بالله ورسوله أي لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم أي يقبلان عذركم ويصدقانكم وفي رواية ان الانصار قالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم * واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري بقصر الصلاة في مدة اقامته بها لانه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لمحاربته وولى مكة عتاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عمره احدى وعشرين سنة وفي رواية ان عمره كان ثماني عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الفرائض والسنن وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضي الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم وفي رواية انه خطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم درهما فلا حاجة لي الى أحد وبقي على عمله الى آخر خلافة الصديق رضي الله عنه وتوفي في اليوم الذي توفي فيه الصديق رضي الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضي الله عنه وعاش الى سنة احدى وعشرين وكانت وفاته في خلافة عمر رضي الله عنه وانما استعمله النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان رأى في المنام ان أسيدا والده ولي على مكة مسلما فمات كافرا فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب رضي الله عنه حين أسلم وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قال له انطلق فقد استعملتك على أهل الله قال ذلك ثلاثا وفي رواية قال له ياعتاب أتدري على من استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضي الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم * قال ابن الجوزي انما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين أراد الخروج الى حرب هوازن وفي كلام غيره ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين أراده صلى الله عليه وسلم الذهاب الى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد انه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة وكان لعتاب رضي الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش حضر وقعة الجمل مع علي رضي الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار الامام البوصيري لبعض ماوقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغى * مدّها المكر منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيول فى الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقفوا * فى الطعن منها ماشانه الابطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا * ظنّ أن الغدوّ منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى * دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا * ملّ منها الاكفاء والاقواء
فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش * قطعتها التِّرات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فارضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الاناء

وقد أجاد العلامة أبو محمد عبد الله بن أبى زكريا يحيى بن على الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة بعد ماساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا فى قصة الفتح لانهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التى هى من أشرف البقاع ويوم عزه فى بلاده التى أوذى فيها ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقال

ويوم مكة اذ أشرفت فى أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذى لجب * عرمرم كزهاء السيل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم * فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى أعنتها * والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذى حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت * له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعد ماقذفت * بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه * كالاسد تزأر فى أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته * وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلمم ولا بأليم اللوم والعذل

أضر بت بالصفح صفحا عن طوائلهم * طولا أطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها * تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقار منه في خفر * أرق من خفر العذراء في الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة الهموت من زحل
حجزت بالأمن أقطار الحجاز معا * وملت بالخوف عن حيف وعن ظلل
وحل أمن ويمن منك في يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منحرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق في الخلل * وعز دولته الغراء في الدول

(هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله)

الذي صبه على الكفار وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها واختلف في المراد من العزى فقيل هي شجرة وقيل صنم وضعه سعد بن ظالم الغطفاني لما قدم مكة ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجر او نقلهما الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش وجميع بني كنانة وحجابها بنى شيبان من بني سليم وكانوا حلفاء بني هاشم وكانت أعظم أصنامهم وذلك أن عمرو بن لحي لعنه الله قال لهم ان الرب يشتي عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويطوفون وينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لانها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قال ابن اسحاق فلما سمع سادن العزى بسير خالد اليه علق سيفه واستند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول

أياعز شدي شدة لاسوى لها * على خالد ألقي القناع وشمري
أياعز ان لم تقتلي المرء خالدا * فبوئي باثم عاجل أو تنصري

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التي هي فيه وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضي الله عنه وهدم البيت وكسرا لصنم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت شيئا خرج منها حين هدمتها قال لا قال فانك لم تهدمها أي الهدم الابدي المزيل لها حقيقة فان الذي فعلته هو ازالة الصورة الظاهرة وبقي أمر خفي لا تزول الابزواله فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضي الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على رأسها ووجهها الفعل السادن يصيح بها وهو يقول ياعزى خبليه * ياعزى عوريه * ولا تموتي برغم فضربها خالد رضي الله عنه وهو يقول

ياعز كفرانك لاسبحانك * اني رأيت الله قد أهانك

فجزلها أي قطعها اثنتين وفي رواية فضرب الشجرة بالفأس فقلعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا

(هدم سواع وهي سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه)

الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة اميال من مكة وكان بعثه في رمضان أيضا بعد الفتح قال ابن جرير سواع بن شيث بن آدم لما مات صوّرت صورته وعظمت لوضعه من الدين ولما عهدوا في دعائه من الاجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر فلما ماتوا صوّرت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الالانها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلي وكان بدء عبادتها في عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب وهي أسماء قوم صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابا وسموها بأسمائهم فلم تعبد فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت قال عمرو بن العاص رضي الله عنه فانتهيت الى سواع وعنده السادن قال ماتريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال يمنعك قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر حتى يمنعني قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئا ثم قلت للسادن كيف رأيت فقال أسلمت لله رب العالمين ولم يذكر أحد عدد الذين كانوا مع عمرو رضي الله عنه

(هدم مناة وهي سرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه)

الى مناة وهي صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم وقيل انها أيضا لهذيل وبني كعب وخزاعة وغسان وكانت بالمشلل بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد وكان بعثه في رمضان أيضا بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضي الله عنه في عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن قال السادن ماتريد قال أريد هدم مناة قال أنت وذاك فكان الظن انه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم ومعه اصحابه فهدموه ولم يجدوا في خزانته شيئا وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ماذكر من ان الذي ذهب لهدمها سعد بن زيد الاشهلي هو ما مشى عليه في المواهب تبعا لطبقات ابن سعد وقال ابن اسحاق ان الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمها أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه وفي سيرة ابن هشام انه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله أعلم

(غزوة حنين)

وهو اسم موضع في طريق الطائف الى جنب ذي المجاز وهو سوق كان في الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة أوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى أيضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر وسببها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا على قتاله صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا أن يسير اليهم ويغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأي أن نغزوه قبل أن يغزونا بل جاء في بعض الروايات انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي الزناد ان هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا لا ناهية له دوننا وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله مالاقى محمد قوما يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل أن يسير اليكم فأجمعوا أمرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس الى

مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال له
النصري بالصاد وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر
وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا
لكنه كبر لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين وقيل قارب المائتين وقد عمي
وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب لانه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف
كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف
وانضم اليهم من أعداد سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا وجعلوا أمر الجميع
الى مالك بن عوف النصري وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه ان يأخذ برأي دريد بن الصمة
فأمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا عند الحرب
ولا يفروا ولما نزلوا بأوطاس قال دريد بن الصمة مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار
الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو فحضر
بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أي غالبهم اما قتلا
واما اخراجا عن ذل وصغار فقال له مالك لا نخالفك في أمر تراه فقال يا مالك أصبحت رئيس قومك وان
هذا يوم كان له ما بعده من الايام مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار
البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال له ولم قال أردت ان اجعل خلف كل رجل
أهله وماله يقاتل عنهم فزجر كما تزجر الدابة وهو ان يلصق اللسان بالحنك الاعلى ويصوت به وهو معنى
قول بعضهم صوت بلسانه في فيه ثم قال له رويعي ضأن والله ماله وللحرب أي من كانت هذه صفته ماله
وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شيء هي ان كانت لك لم ينفعك الا رجل
بسيفه ورمحه لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشي وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فلم يقبل ذلك
منه مالك ثم قال دريد ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء
ورفعة ما غابا ثم قال دريد لمالك ان يومك هذا الذي تلقى فيه محمدا ما بعده يوم فقال له مالك اني لاطمع ان
ترى ما يسرك ثم أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها مالك وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك
فقال لهوازن قد شرط مالك أن لا يخالفني وقد خالفني فأنا أرجع الى أهلي فمنعوه وقال مالك والله
لتطيعنني يا معشر هوازن أو لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها
رأي أو ذكر فقالوا أطعناك فقال دريد يا معشر هوازن ان هذا فاضحكم في عورتكم يعني النساء
والذرية وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه فأبوا فلما رأى دريد
انهم خالفوه **قال**

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع * أقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع

ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم
جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك كيلا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس
اذا رأيتموني شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد * ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اجتماعهم
وتحزبهم أجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه
صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة وألفان من
الذين أسلموا في فتح مكة الذين من عليهم وأطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه
من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال أربعة آلاف من الانصار وألف من المهاجرين وألف من

قوله مجربا بالجيم ويصح بالمهملة
الساكنة بعد كسر الميم بوزن منبر
وهو الاظهر في تأكيد الشجاعة

قوله نصر

جهينة وألف من مزينة وألف من أسلم وألف من غفار وألف من أشجع وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ومن عبد الله ابن ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء وكان صفوان بن أمية على دين قومه وأخذ أمانا من النبى صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل فى الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فأعطاه أربعة أشهر ثم أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره فى عداد من أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول فى الامان ثم انه صلى الله عليه وسلم ذكر واله عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فأرسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهى مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفى رواية أربعمائة درع وسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل *وذكر بعضهم ان بعض تلك الادراع فقد فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فأبى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يارسول الله فى الاسلام أرغب واستعار صلى الله عليه وسلم من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير دين رجاء للغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره ان الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وترك معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الاحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك فى غزوة الفتح وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدمت قصة اسلامهما فلما قرب النبى صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا رضى الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه راية وهكذا وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس لاسيد بن حضير رضى الله عنه وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التى كانت معه وفرق عليهم الالوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفى رواية الشهباء وهى بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وأرسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فرجعوا الى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال ويلكم ماشأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ماتماسكنا أن أصابنا ماترى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن القوم وحبسهم عنده خوفا أن يشيع ذلك فى جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على مايريد وأرسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه وهو عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله عنه وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع مايقولون ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره انه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لاصحابه ان محمدا لم

يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا أغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا وفى رواية ان ابن أبى حدرد رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم أى نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين ألف سيف حق وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقيل كانوا ثلاثين ألفا وأكثر وفى رواية انهم كانوا أربعة آلاف فرجوحة ولما كان صلى الله عليه وسلم بحنين وانحدر فى الوادى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك بن عوف اجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت عليهم أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم * وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون فى الرجوع منهزمين لا يلوى أحد على أحد وفى رواية فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أى قال من كان منهم اسلامه مدخولا اخذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنهما فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبى لهب وأيمن بن أم أيمن وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين وأيمن هذا استشهد يومئذ واختلف فى عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بلجام بغلته يكفها أن تتقدم فى نحر العدو وجاء فى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة وكان أبو سفيان بن الحارث وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنه آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسى وبيدى السيف مصلتا والله يعلم انى أريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الى فقال له العباس رضى الله عنه يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال صلى الله عليه

وسلم غفر الله له كل عداوة عادانيها قال ثم التفت الى وقال يا أخى قبلت رجله فى الركاب وقال صلى الله عليه وسلم فيه أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة وفى رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن ويقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وأخذ كفا من تراب فرماه فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء فى بعض الروايات أنه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضى الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفى رواية قال للعباس ناولنى من الحصباء فأفهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثى فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن مالك بن أوس قال حدثنى عدة من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية من الحصى فما منا أحد الا شكى القذى فى عينيه ولقد كنا نجد فى صدورنا خفقا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر السوائى وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن فيقول انا كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا وعن أبى عبد الرحمن الفهرى قال حدثنى أبناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست وهذا الرمى وقع فى هذه الغزوة وفى غزوة بدر وفى ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى أيها الناس الى قال الراوى للحديث فلم أر الناس يلوون على شئ فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وفى رواية اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضى الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال وفى رواية قال له ناد يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة وفى لفظ ناد يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بنى الخزرج ولا تنافى بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبى صلى الله عليه وسلم له وتكرر نداء وانه نادى بكل تلك الالفاظ وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نادى بنفسه أيضا بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك وفى رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يا رسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أى لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة ما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفى لفظ عطفة البقر على أولادها وفى رواية أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها وفى رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم فى أيمانهم

كأنها الشهب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر
الى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حر
التنور وهذا من فصيح الكلام ولم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار
والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم وكان في ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة في هذا الموطن الذي هو
موطن الحرب والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا
فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والامن ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل لان الخيل
مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب
وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم ما انهزم
مع من انهزم بل صار يقدم في وجه العدو بل ما انهزم في موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك قال
القاضي عياض من قال انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلا
وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ما خيل لنا الا ان كل حجر وشجر فارس يطلبنا وأنزل
الله من الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا
وانما نزلوا لالقاء السكينة في قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع
يديه ودعا وقال اللهم أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي أن يظهروا علينا اللهم كنت وتكون وأنت حي
لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يا حي يا قيوم اللهم ان تشأ
أن لا تعبد بعد اليوم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد
لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان في يوم حنين
امام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من
امامه طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ورجل من الانصار يريدانه فأتى علي رضي الله عنه من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع
على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله
ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة لما في نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل أن يتمكن
الاسلام في قلوبهم وقالوا لا تنتهي هذه الهزيمة دون البحر وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان
ابن أمية تلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل ذلك بفيك الكثكث أي الحجارة والتراب وقال
هشام بن كلدة وكان أخا صفوان لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن
يربني رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن ومر رجل على صفوان فقال له ابشر
بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال أتبشرني بظهور الاعراب فوالله لرب
من قريش أي مالك يدبر أمري أحب الي من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لمن قال
لا يجبرونها أبدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء ان أديل عليه اليوم فان له
العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام في قلوبهم وأظهروا الشماتة
وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم يتغير واعماهم عليه
حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم وعن قتادة
قال مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم من أهلها وأظهروا الشماتة
وقال قائلهم ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه فقال عتاب بن أسيد رضي الله

عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذى يعبده محمد حى لا يموت فأ أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا فى قتالهم هوازن الى قتل الذرية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه روى ان أبا طلحة الانصارى رضى الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم وأدرك ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له دريد يسخر به بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فأخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق امهات لك ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك عنه علينا فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه وكانت رضى الله عنها حازمة وسطها ببردلها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبى طلحة فقال لها زوجها ما هذا الخنجر الذى معك يا أم سليم قالت ان دنا منى أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم فأعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن أى وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم وجرح خالد بن الوليد رضى الله عنه جراحات أثقلت به وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشى فى المسلمين ويقول من يدلنى على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم فى جراحاته فبرأ لوقته * وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيئا أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين فى هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين قيل وفى الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ولم يذكروا عددا البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكر ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه قال أصابتنى رمية يوم حنين فى جبهتى وسال الدم على وجهى وصدرى فسلت النبى صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهى وصدرى الى ترقوتى ثم دعا لى فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فأرسل اليهم صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعرى رضى الله عنه كما يأتى على الاثر والله أعلم

(سرية أبى عامر الاشعرى رضى الله عنه)

وهو عم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث صلى الله عليه وسلم أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فالتقوا بأوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة بأوطاس فانتهى اليهم أبو عامر فاذاهم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه بأني دعوته الى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر ظنا منه انه أسلم فأفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ثم استشهد أبو عامر رضي الله عنه قتله اخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحارث بن جشم وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذي قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذي أسلم بعد ثم خلف أبا عامر أبو موسى رضي الله عنه باستخلاف عمه له فأقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عامر وقال اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة وفي رواية وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما

(ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه)

الى ذي الكفين وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي وذلك انه لما أراد صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقي النار في وجهه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * اني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا لانه كان مطاعا في قومه فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من الطائف بأربعة أيام

(غزوة الطائف)

وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد ابن الوليد على مقدمته في ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيأوا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومر صلى الله عليه وسلم في طريقه بحصن لمالك بن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما أن نحرق عليك حائطك فأبى أن يخرج منه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضي الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من الحصن وعسكر هنالك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها وأصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين في الجنة قال في الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف

قوله اني حشوت النار في فؤادكا في المواهب حششت النار وفي القاموس حش النار أوقدها

اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمى به فى الاسلام وكان الذى
أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالد بن الوليد رضى الله عنه
ينادى أهل الحصن ويقول من يبارز فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد
ولكن نقيم فى حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك
بأسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين
لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فأرسلوا اليهم سكك
الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا والدبابة بفتح الدال المهملة
وموحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث هى آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل
فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم
وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم فانى أدعها
لله وللرحم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر فخرج
منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص فى بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبدا
للحارث بن كلدة فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه
فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا
فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ولا تعطوا بأيديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم
النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه
القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر
منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه أخو أم سلمة رضى الله عنها ولم يؤذن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فى فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها قلت له يا رسول الله ما يمنعك أن تنهض
الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن فذكرت خولة ذلك لعمر بن
الخطاب رضى الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما حديث حدثتنيه
خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يا رسول الله قال لا واستشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له ثعلب فى جحر ان أقمت أخذته وان تركته
لم يضرك قال ابن اسحاق وبلغنى انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه انى رأيت
انى أهديت لى قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أظن أن
تدرك منهم يومك هذا ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك وكانت الحكمة فى انه لم يؤذن له
فى فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فأخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين
مسلمين كما سيأتى ذكره فى الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فأذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا انرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان
شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير
رأيهم لانهم رأوا ان رأيه صلى الله عليه وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا

قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل له يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ورحم الله الابوصيري حيث يقول

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء

وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع للكتاب الذى كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه ونادى أنا سراقة وهذا كتابى فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فأدنوه منه فأسلم رضى الله عنه وسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فى كل ذات كبد حراء أجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم الجعرانة أمر باحصاء السبى فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة وعشرين ألفا ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الامتعة وكان صلى الله عليه وسلم قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبى كما سيأتى وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصرى فقالوا هو مع ثقيف بالطائف فقال اخبروه انه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما أخبر واما لك بذلك ركب مستخفيا فأدرك النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وقال حين أسلم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل اذا احتدى * ومتى تشا يخبرك عما فى غد

فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباة خادر فى مرصد

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما جاء وفد هوازن الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم الغنائم سألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم معى من ترون يعنى من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا اما السبى واما المال فاختاروا السبى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رد سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة بن حصن فانه أبى أن يرد عجوزا كبيرة وقال هذه أم الحى لعلهم أن يغلوا فداءها ثم ردها بست قلائص كما سيأتى وكانت فى السبى أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهى الشيماء قيل وأمه حليمة رضى الله عنها ولما قالت له الشيما أنا أختك يارسول الله قال وما علامة ذلك فأخبرته بعضة كان عضها اياها حين كان مسترضعا عندهم وأرته اياها فعرفها وتذكر ذلك فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بأمه حليمة رضى الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيما ان عرفها سلى تعطى واشفعى تشفعى وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته فى قومك لرجونا أن يحابنا فأتته فقالت أتعرفنى قال من أنت قالت أنا أختك بنت أبى ذؤيب وآية ذلك انى حملتك فعضضت كتفى عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبى وهم ستة آلاف فوهبهم لها فما عرف مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وأرجع الى قومى فأعطاها بعيرا وشاء وغلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه

أمه وقيل هما معا جمعا بين الروايات وجاء ه أبو صرد ويكنى بأبى برقان وكان عماله صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك وان فى من أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات ورغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير بن صرد يارسول الله ان مافى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك أى لان مرضعته حليمة رضى الله عنها كانت من هوازن لو أرضعنا للحارث بن أبى شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل مانزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله

أمنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك يملأ ه من محضها الدرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية ان تعفو وتنتصر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون لانه كان قدم انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفى رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأى الامرين أحب اليكم السبى أم الاموال وفى رواية قال لهم اما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ثم قال لهم اذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا وأظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم فى الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين وانى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم ان يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول مايفىء الله علينا فليفعل وفى رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبى فله بكل انسان ست قلائص وفى رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ فى الزكاة ونعطيه ذلك من أول سبى نصيبه وفى رواية فمن أحب أن يعطى غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطى وأراد أخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن الفزارى أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس السلمى أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتمونى أى أضعفتمونى حيث صيرتمونى منفردا وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيئا فمن كان عنده من النساء سبى فطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبى فليرد ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول مايفىء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال انا لاندرى لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا وكان صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبى على المسلمين قد أمر مناديا ينادى أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة وقد أشار صاحب الهمزية الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله

من فضلا على هوازن اذ كا * ن له قبل ذاك فيهم رباء

وأتى السبي فيه أخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برًّا توهمت النا * س به أنما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء * أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسـ * ـوة والسيدات فيه إماء

والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ردّ عليهم جميع السبي ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فأبى أن يردها وقال حين أخذها أرى عجوزا اني لاحسب أن لها في الحي نسبا وعسى أن يعظم فداؤها فخرّ عليه ولدها وهو زهير بن صرد فساممها منه وأعطاه مائة من الابل فهما فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال له عيينة خذها بالمائة فأبى وقال لا أدفع الا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالعشرة فقال لا آخذها الا بستة والله ماثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد عند فوتها أي حزين ولا درّها بناكد أي غزير فقال له عيينة خذها لا بارك الله لك فيها وذلك بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم فانه دعا على من أبى أن يرد من السبي شيئا أن يبخس أي يكسد ثمنه ولما أخذها ولدها قال لعيينة انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية فقال لا والله ماذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثيابا فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصري عند عمته عاتكة أم عبد الله بن أبي أمية المخزومي حتى جاء مالك فسلم اليه أهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال انما أريد بهم الخير ولم يجز أن تجرى السهمان في مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم

(ذكر قسمة الغنائم)

لما رجع صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا وأراد صلى الله عليه وسلم أن يتمكن الايمان في قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم أسلم كصفوان بن أمية ولما جمعت الغنائم وأحصيت جاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد أصبحت أكثر قريش فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم أعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابني يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان أكبر من معاوية فأعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابني معاوية فأعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فأخذ أبو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة فقال أبو سفيان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لانت كريم في الحرب وكريم في السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها وقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء

فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم كان عمر رضي الله عنه في زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى أن يقبل فكان عمر رضي الله عنه يقول يا معشر المسلمين اني أعرض على حكيم حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يقبله رضي الله عنه والذين أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن حزام والاخنس بن شريق وجبير بن مطعم والجد بن قيس السهمي والحارث بن الحارث والحارث بن هشام أخو أبي جهل وحاطب بن عبد العزى وحرملة ابن خوذة وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد بن أسيد وخلف بن هشام وزهير بن أبي أسيد وزيد الخيل والسائب بن أبي السائب وصيفي بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبي وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفي وسفيان بن عبد الاسد المخزومي وصفوان بن أمية وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة ثم مائة ثم مائة ثم وادياً مملوأً ابلاً وغنماً فلم يزل يعطيه حتى أسلم رضي الله عنه وتقدمت قصته عند ذكره فيمن أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم وممن أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وأعطى العباس بن مرداس السلمي دون المائة وكان مثلهما رئيسا على قومه كما انهما رئيسان على قومهما فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وقد كنت في الحرب ذا تدرأ * فلم أعط شيئا ولم أمنع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه وأعطوه مثل أصحابه وفي رواية يا أبا بكر اقطع عني لسانه وأعطه مائة من الابل فأعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه وأعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين خمسين من الابل منهم عثمان بن وهب المخزومي وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدي بن قيس السهمي وعمرو بن مرداس السلمي أخو العباس بن مرداس ومخرمة بن نوفل الزهري وهشام بن عمرو العامري وسعيد بن يربوع * وذكر بعضهم ان ممن أعطاه مائة أبا جهم بن حذيفة العدوي وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وعكرمة ابن عامر العبدري وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الاهتم والعلاء بن جارية الثقفي وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامري ومالك بن عوف رئيس هوازن ومطيع بن الاسود القرشي والنضير بن الحارث بالتصغير أخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكناني وهشام بن الوليد المخزومي وذكر بعضهم عكرمة بن أبي جهل فيمن أعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بأمان من النبي صلى الله عليه وسلم فرجع كما تقدم ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال أهل المغازي أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من أعظم كتابه صلى الله عليه وسلم باحضار الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثني عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان معه أكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيئا فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله تعالى فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فغضب وقال اذا لم أعدل فمن يعدل رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ائذن لنا نضرب عنقه يا رسول الله

فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس انى اقتل أصحابى فعامل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل بظاهر حاله تألفا للناس ليدخلوا فى الاسلام وقال ناس من الانصار ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا لعجب اذا كانت شدة فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا وددنا ان نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان كان من النبى صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ الخبر النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال فقهاء الانصار أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيئا وأما ناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم انى اعطى رجالا حديثى عهد بكفر ومصيبة أتألفهم وانى اردت ان أجبرهم أو أجبرهم أما ترضون ان يرجع الناس بالاموال وفى رواية بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يارسول الله قد رضينا وفى رواية فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وفى رواية انه خطبهم فقال يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وكنتم عالة فأغناكم الله بى وكلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فأمناك قالوا بل المن علينا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا وانصافا واظهارا لشرف قدرهم والا فالحجة البالغة والمنة الظاهرة فى جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقى فيه من طمع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على محبته صلى الله عليه وسلم لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وانما لم يعط صلى الله عليه وسلم اكابر المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعها لرسوخ الايمان فى قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان فى قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب اتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضى رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم ولتقوية قلب من دخل فى الاسلام منهم فيتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من اموال مكة عند فتحها شئ مع احتياج الجيوش الى المال الذى يعينهم على ما هم عليه ولما قيل له صلى الله عليه وسلم اعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة قال اما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكنى أتألفهما ليسلما أى يقوى اسلامهما وكان جعيل بن سراقة لاسلامه وانى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه مخافة ان يكبه الله فى النار على وجهه وفى رواية انى لاعطى اقواما اخاف هلعهم وجزعهم وأكل اقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو فوالله ما أحب ان لى بها حمر النعم وقد جاءت احاديث كثيرة فى مدح الانصار رضى الله عنهم والدعاء لهم ولابنائهم وابناء ابنائهم وقال حسان رضى الله عنه فى مدحهم

سماهم الله انصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وفى البخارى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين
اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه ان يعطيهم من الغنيمة يقولون يا رسول الله
اقسم علينا فيئنا حتى اضطروه أى ألجؤه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال
أعطونى ردائى فلو كان عندى عدد هذه العضاه نعما وفى رواية لو كان عندى عدد شجر تهامة نعما لقسمته
بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا أى اذا جربتمونى لا تجدونى ذا بخل ولا ذا كذب
ولا ذا جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالى
من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم أى لان أكثره كان يصرفه
صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة لخمس
ليال خلون من ذى القعدة وقيل لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلة الاربعاء وقيل ليلة الخميس
ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتا بها والجعرانة بالتخفيف
أفصح من التشديد وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمى باسم امرأة تلقب بالجعرانة وكانت
مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء فى الحديث إنه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيا ثم توجه صلى الله عليه
وسلم الى المدينة واستعمل على أهل مكة عتاب بن اسيد أى تركه باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل
وأبا موسى الاشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين وكان قدومه المدينة لثلاث
بقين من ذى القعدة وقيل لست بقين منه قال الحافظ ابن حجر ان مدة غيبته كانت أكثر من ثمانين يوما
قال كثير من أهل المغازى ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفأتا جمرة العرب
وأنفدتا سهامهم وأذلتا جموعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين
وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجز الله بها الوعد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه وعده اذا فتح مكة أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا وتدين له العرب بأسرها
فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من
قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه صلى الله عليه وسلم ليظهر الله أمره واعزازه لرسوله صلى الله عليه
وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين
ويعلى دينهم على سائر الاديان بقهر هذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لا يقاومهم
بعدها أحد من العرب واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع
كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم
الله بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل صلى
الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاشعا لربه وليبين سبحانه لمن قال لن
نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له
وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذى أنزل سكينته عليه
وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه
انما تفاض على أهل الانكسار كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواته صلى الله عليه
وسلم ولهذا يجمع بينهما فى الذكر فيقال بدر وحنين وفى لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع والبيضة والمغفر
دليل على ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التى نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فانه صلى الله عليه
وسلم أكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد أنزل

الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب في مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الاسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقي وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجري على خرق العادة لما بقي كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها بأسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للاسلام وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الاسباب فأظهر الله بعض الاشياء على وفق العادة وخرق في بعضها العادة ثم انه كشف ذلك لاناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدي من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وفي صبره صلى الله عليه وسلم على جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر وغير ذلك من صفاته الحميدة صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث قيس بن سعد الى صداء)

بعث صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنهما الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة في أربعمائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال والمد وهم حي من اليمن فقدم زياد بن الحارث الصدائي فسأل عن ذلك البعث فأخبر به فقال يا رسول الله أنا وافدهم اليك فاردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومي وطاعتهم فقال اذهب اليهم فردهم فقال ان راحلتي قد كلت فبعث صلى الله عليه وسلم اليهم خلفهم فردهم ورجع الصدائي الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوما فأسلموا

(البعث الى بني تميم)

وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزاري الى تميم وسببها انه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان العدوي الكلبي الى بني كعب من خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا وانتهزوا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث فجاء في أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان ابن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهيم ورباح بن الحارث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تأذى من صياحهم وفيهم أنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم فقالوا انا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله عليه

وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد ثم قالوا ان مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ثم قالوا فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى رواية انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب وفى رواية قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يافلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب فقال * الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ماعددنا وانا لوشئنا أكثرنا وانما أقول هذا الان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس وفى رواية انه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها مانشاء فنحن خير أهل الارض أكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله عنه فقال * الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله و رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله و رسوله فمن آمن بالله و رسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم وفى رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده و رسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس اخلاقا فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يافلان فقل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت رضى الله عنه فحضر فقال له قم فأجبه فقال يسمعنى ماقال فأسمعه فقال حسان رضى الله عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر
وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضى الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يارسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ماشأنك فقال أخشى أن أكون من أهل النار لانى رفعت صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقد أنزل الله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس رضى الله عنه يرفع

صوته لثقل في سمعه فكان يظن ان الناس لا يسمعونه الا ان رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم فيه نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضي الله عنه في عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه في منامه يقول له اني أوصيك بوصية فاياك أن تقول حلم فتضيعها اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتي بها بعد أن وجدها على ما وصفه ثم لما قدم المدينة أخبر أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدثت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضي الله عنه كل واحد منهما بذكر قصيدة فيها مفاخرة فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

انا أبينا ولن يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الاقرع بن حابس اني والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فأنشده

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وان ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فأجبه فقال حسان رضي الله عنه

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم أن تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا وروى ان الاقرع بن حابس رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال يا رسول الله ان لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع في أدنيه سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال وفي رواية ان الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهتم فقال عمرو وانه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أدانيه فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو وأنا أحسدك والله انك لئيم الخال حديث المال

احمق

أحق الوالد مبغض في القبر فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم ردّ عليهم الاسارى والسبي وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنى عشر أوقية من الفضة واختلف في عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر في الاستيعاب ان القوم لما أسلموا بقوا في المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقي منكم أحد وكان عمرو بن الاهيم في ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام حدث في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو ابن الاهيم ما قاله قيس بن عاصم في حقه أنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ الصدقات من بني المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم وبين الوليد عداوة في الجاهلية وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدّونها عن زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فحدّثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم مستندا لظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة وفي رواية أخبره انهم ارتدوا فهمّ صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية في عسكر معه وأمره أن يخفي عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذا هم ينادون بالصلاة ويصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم الا الطاعة وخيرا فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفي رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحارث بن ضرار الخزاعي وكان رئيس القوم فقال الى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتاني ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة وأردت قتل رسولي قال لا والذي بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان أخا لعثمان رضي الله عنه لامه ولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضي الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع علي رضي الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه

(سرية عبد الله بن عوسجة)

رضي الله عنه الى بني عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو في مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع

من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أي اضطراب في أجسادهم وعجلة في كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدي رأيت بعضهم ذا عي لا يحسن الكلام

(سرية قطبة بن عامر)

الخزرجي رضي الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت في صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

(سرية الضحاك بن سفيان)

الكلابي رضي الله عنه الى بني كلاب في ربيع الاول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم

(سرية علقمة بن مجزز)

بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجي رضي الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه في ثلثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أي مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امنعوا أنفسكم فانما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفي رواية انهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا من النار أي فكيف نلقي أنفسنا فيها وفي رواية انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أي ان كانوا مستحلين الدخول وجاء في بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصاري قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أي انه نصر النبي صلى الله عليه وسلم في الجملة فلا ينافي ان عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفي رواية ان الذي أمره عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه أسند اليه صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية لان تأمير اميره كامره صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن حذافة هذا رضي الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر في خلافة عثمان رضي الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقي عن أبي رافع رضي الله عنه قال وجه عمر رضي الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فقال له ملك الروم تنصر وأشركك في ملكي فأبى فأمر به أن يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هذا في الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسي وأنا أخلي عنك فقال وعن جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم بهم على عمر رضي الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضي الله عنهما

(سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

لهدم صنم طي بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول

سنة

سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفي رواية كانوا مائتي رجل فغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي وهي بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاء تأنيث فأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم الا وجعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا الاسلام أخيها عدي بن حاتم رضي الله عنه وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضي الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحاق في قصة سبي أخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم في سبايا فجعلت في حظيرة في المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بي فقلت له وقال لي مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بي ويئست فأشار الي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خلفه أن قومي اليه فكلميه فقمت فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني فقدم رهط من طي قالت فأخبرته أن لي فيهم ثقة وبلاغا فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي فقال ماترين في هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال في عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأي فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك في الزهد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه مادخل وقت صلاة قط الا وأنا أشتاق اليها وفي رواية ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك وروى ابن سعد أن الذي سبى أخت حاتم خالد بن الوليد وجمع بعضهم بين الروايتين بأن خالدا كان في جيش علي رضي الله عنهما ونوزع بأن الجيش كله كان من الانصار ويمكن أن يقال المراد أكثر الجيش من الانصار فلا ينافي كون خالد معهم أو يكون منهم نظرا لمعنى النصرة بالمعنى الاعم والله أعلم

(ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه)

الى الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلي بفتح الباء وكسر اللام وشد التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكر واسبها ولا عدد من ذهب فيها ولا ماجرى والله أعلم

(غزوة تبوك)

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهي

غزوة العسرة بمهملتين الاولى مضمومة بعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لا تنفروا في الحر وقد فضحهم الله في آيات كثيرة في سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي وكقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكر البخاري انها بعد حجة الوداع من خطأ النساخ قال بعضهم ولعل البخاري تعمد تأخيرها للاشارة الى أنها آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حرا شديدا وقحطا كثيرا ولذلك لم يور عنها كعادته في سائر الغزوات وقد روى البخاري ومسلم عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذي يريد *والتورية ذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد البعيد وروى عبد الرزاق أنهم خرجوا في قلة من الظهر مع كثرتهم وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أي الشدة والضيق واختلف في سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس الى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه في السفر والحرب وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذي يدعي النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة في الذهاب لتلك الارض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضي الله عنه قد جهز عيرا الى الشام فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والحملان قال يارسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية قال عمران رضي الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة انفاقه في سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فان عثمان رضي الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا *وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والاسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله بالامر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيئا قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيئا قال نعم نصف مالي وجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمائتي أوقية اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم ابن عدي بتسعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضي الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم

حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم قال ابن اسحاق أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها و روى عن قتادة انه قال حمل عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا و روى الامام أحمد والبيهقى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال جاء عثمان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره و يقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء فى رواية عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان الذى جاء به عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف جاء بها والعشرة بعث بها وجاء فى هذه الرواية زيادة أن الدنانير صبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده و يقلبها ظهر البطن و يقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة بأن الله غفر له الذنوب أى سترها عنه فنعه منها ببركة دعائه له ونفقته فى سبيل الله فليس يبالى بما عمل اذ لا يقع منه الا الخير و فى بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض و روى البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال خطب صلى الله عليه وسلم فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير باحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا اليوم أو قال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه أى يطلبون منه ما يركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير الانصارى وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الانصارى والعرباض بن سارية السلمى وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصارى وعمرو بن عنمة الانصارى وعبد الله بن مغفل المزنى وآخرون غيرهم وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ومنهم قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ففى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه انه أرسله أصحابه الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان فقال والله لا أحملكم وفى رواية وما عندى ما أحملكم عليه فرجع حزينا الى قومه ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه اياها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه وخلفه أيضا على أهله وعياله فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا فأخذ على رضى الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتنى لانك استثقلت منى وتخففت منى فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع الى المدينة وفى رواية فقال على رضى الله عنه رضيت ثم رضيت ثم رضيت قال أهل السنة ان هارون عليه السلام انما كان خليفة فى حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه بحياة النبى صلى الله عليه وسلم فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلى وانه أوصى له بها وكفرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لسكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم فى الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه انما قال هذا حين استخلفه بالمدينة فى هذه الغزوة فالحديث انما دل على ان عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هارون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام

في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم في مرات أخر غير علي رضي الله عنه فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة ولما سئل علي رضي الله عنه في زمن خلافته هل أوصى لك النبي صلى الله عليه وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لي بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معي الا سيفي وردائي ولو أوصى له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب وزور وانه كان رضي الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بني هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضي عنه وكرم وجهه ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابي بكر رضي الله عنه ورايته العظمى للزبير رضي الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب لواء أو راية أي لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا و وقع له صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة كثير من الاخبار بالمغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتي ان شاء الله التعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله ابن أبي ابن سلول بعد ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بني الاصفر أي وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى مالا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكاني أنظر الى أصحابه مقرنين في الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم و بأصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين في بيت سويلم اليهودي فقال بعضهم أتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكاني بهم يعني الصحابة غدا مقرنين في الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فأوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وما قالوا فقال لعمار بن ياسر رضي الله عنهما أدرك القوم فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك في جلاد بني الاصفر قال يا رسول الله أو تأذن لي في التخلف ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل بأشد عجبا بالنساء مني واني أخشى ان رأيت نساء بني الاصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا والفتنة التي سقطوا فيها هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفي رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له والله ما منعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يا لكع فوالله لانت أشد علي من محمد وفي رواية ان الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن أعينك بمالي فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم والمحققون على ان الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضي الله عنه وعاش الى خلافة عثمان رضي الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر فأنزل الله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الاعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم في التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم في اسلامهم

وستأتي

وستأتي قصتهم ان شاء الله تعالى وكان ممن تخلف أبو خيثمة الانصاري رضي الله عنه فلما ان سار صلى الله
عليه وسلم ومضت أيام دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط
قد رشت كل منهما عريشها وبردت فيها ماء وهيئت لها طعاما وكان اليوم يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر
الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ
وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله
عليه وسلم فهيآ لي زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه ثم خرج في طلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أدركه نزل بتبوك وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب في الطريق يطلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لي ذنبا فلا عليك أن
تخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنى أبو خيثمة قال الناس هذا راكب
مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فلما دنى ونظروه قالوا يا رسول الله هو والله
أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
أولى لك يا أبا خيثمة وأولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه
على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم
وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء يتبعه الفكر والاعتبار فكأنه أمرهم بالفكر في أحوال توجب
البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الارض وامهاله لهم فيها مدة طويلة
ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته مثل ذلك
ونهى صلى الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيئا وأن يتوضؤا به للصلاة وأن يعجن منه عجين
وأن يحاس به حيس وان يطبخ به طعام والعجين الذي عجن به أو الحيس الذي فعل به يعلفونه الابل
والطعام الذي طبخ به يلقى ولا يأكلوا منه شيئا ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم بالناس ولم يزل سائرا بهم
حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم انها تهب عليهم الليلة ريح
شديدة وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس في تلك الليلة عن أن يخرج أحدهم وحده بل
معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر في طلب بعير له ند فاحتملته الريح حتى ألقته
في جبل طي فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم الا ومعه
صاحبه ثم دعا للذي خنق فشفي والذي ألقته الريح بجبل طي أرسلته طي له صلى الله عليه وسلم حين قدم
المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي
بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف في أصحابه على العسكر وأصبح الناس يوما
ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها
ويشربوا ماءها فعن عمر رضي الله عنه خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل
لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وفي لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال أتحب ذلك قال
نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا
ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر متهم
بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي
وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للانواء وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شيء

قال سحابة مارة ؤ في لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلي لو استقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبي الله ماهذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فطر واحتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم انه نبي وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا واني والله لا أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها انها في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فأتوا بها قيل وقع نظير هذا في غزوة بني المصطلق وان الواقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن في الرحل والله لعجب في شيء حدثنا ه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة رجل قال كذا وكذا وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال له بعض من في الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل أن تأتي يسير يعني شخصا حاضرا في رحله فقال يا عباد الله في رحلي داهية وما أشعر اخرج أي عدو الله من رحلي ولا تصحبني فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل على شر حتى هلك وبالطا أجمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا في بعض المنازل وقبل مجيئه قالوا له تخلف أبو ذر يا رسول الله أبطأ به بعيره فقال دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يا رسول الله هذا رجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فقد مات وحده بالربذة رضي الله عنه سكنها في خلافة عثمان رضي الله عنه بسبب اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة في بعض ألفاظ القرآن وتفسير بعض من معانيه فخشي عثمان وأبو ذر رضي الله عنهما اتساع الامر فاستأذن أبو ذر عثمان رضي الله عنهما أن يسكن الربذة فأذن له فبقي بها حتى توفي وحده كما أخبر صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فأبطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه الى عبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية وقال لهم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته وهذا لا ينافي انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه بل قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبي بكر والمراد صلاة كاملة فلا ينافي صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أحد غير أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يستخلف أبا بكر رضي الله عنه على عسكره يصلي بالناس فلعل ذلك في بعض الايام فلا ينافي صلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بهم في هذا اليوم أو انه كان يصلي مع أبي بكر رضي الله عنه بعض القوم ومع النبي صلى الله عليه وسلم بعض لكثرة القوم فلما تأخر صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضي الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم

والله

والله أعلم ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الماء قلة أي ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم تأتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحي النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي وأمر مناديا ان نادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها أربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا انهما سهما مادفعها اليهم فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماههنا قد ملئ جنانا أي بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضي الله عنه اكلأ لنا الفجر فأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفي رواية ان بلالا قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ماقلت قال يا رسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك وفي رواية أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الشيطان صار يهدي بلالا للنوم كما يهدى الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فاخبر بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للصديق فقال الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء وفي منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك قال أبو قتادة رضي الله عنه بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك في التعريس أي النزول للنوم فقلت ماشئت يا رسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفي رواية قال أبو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير ان أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة أخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك معي قلت مازال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على بعض الرواة قال أبو قتادة رضي الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفي رواية خمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم فال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شئ من ماء فتوضأ منها وبقي فيها شئ وفي رواية جرعة من ماء ثم قال لي احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس أي بعد أن ارتحلوا ففي رواية ارتحلوا فان

هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وانا السرنا حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندري ما يحدث له في نومه أي من الوحي فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ورأى ما أصاب الناس أي من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذي أصابهم أي من فوت صلاة الصبح فقال صلى الله عليه وسلم لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا من تفريطنا في صلاتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تهمسون دوني فقلنا يا نبي الله تفريطنا في صلاتنا قال أما لكم في أسوة ثم قال ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الاخرى وقد اختلفت الروايات في حكاية هذه القصة فرواها بعضهم في غزوة خيبر وبعضهم في الحديبية وبعضهم في تبوك فاختلف العلماء في توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة وبعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة وجزم بعضهم بأنها في غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأجيب بأن القلب انما يدري المعاني المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر وأجيب أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغي أن يكون هذا الثاني أغلب أحواله وان الانبياء مثله في ذلك ثم ان أكثر الجيش كان قد تقدم وما بقي معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لمن كان معه ما ترون الناس يعني الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها وقد كادت أعناق الخيل والركاب تنقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم أين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئني بميضأتك فجاء بها وفيها شيء من ماء وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فافرغ ما في الاداوة فيها ووضع أصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا وروت خيلهم وركابهم قال بعضهم والمتجه ان هذا العطش غير المتقدم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفي كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش أرسل نفرا من أصحابه وفيهم علي والزبير رضي الله عنهما لكن تقدم ان عليا رضي الله عنه تخلف في غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبي صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان في غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وأمرهم أن يستعرضوا الطريق وأعلمهم ان عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم اشتروا منها ماءها بما عز وهان وائتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء وفي رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أنا وأهلي أحوج اليه منكم فسألوها أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت هذا الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابئ وخير الاشياء أن لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها أتأذنين لي في الماء

والتصيين ما ءلك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابي قتادة رضي الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الا ملأوه وأرووا ابلهم وخيلهم وبقي في الميضأة ثلثاها والميضأة هي الاداوة التي يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لان الثاني وضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضأة وفي هذا وضع يده في الميضأة بعد أن لم يجدوا في الميضأة شيئا وفي رواية ان تلك المرأة أخبرته صلى الله عليه وسلم انها موتمة أي لها أيتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبي وأطعمي هذا عيالك وفي رواية أسلمك وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حسبني أني رأيت عجبا أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملأوا من القرب والمزاد والمطاهر ما لا أحصي ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فاما أن يكون ذلك الرجل أسحر أهل الارض أو هو نبي كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة أدخلت على قومها من البركة مثل ما أدخلت هذه المرأة على قومها وفي صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تعمها جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر يارسول الله ان فعلت فني الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية ولا مانع من التعدد أو هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبد الله جزورا فأطعمهم وسقاهم فقال له صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فوضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت لخرير النحي فقمت فأخذت رأسه بيدي فقال صلى الله عليه وسلم وقد راى ذلك لو تركته لسال الوادي سمنا * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال رضي الله عنه هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى أن تجد شيئا فأخذ الجراب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال كلوا باسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا العشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني أستحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعمائة فارس الى

أكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسروا أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم فيعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح لخالد دومة الجندل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسه ثم قدم بأكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفي هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتي ذلك ان شاء الله في مكاتباته صلى الله عليه وسلم وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب ايلة ومعه أهل جرباء تأنيث أجرب بمد وبقصر وهي قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هناك وأهدى صاحب ايلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر * وكتب لاهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح أهل مينا على ربع ثمارهم وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وفزع الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة في هذه الغزوة ما حصل من اغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى ويحدث الله أمرا وأخرج البيهقي عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني اسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآيتين فأمره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث فرجع صلى الله عليه وسلم فقال جبريل سل ربك فان لكل نبي مسألة وكان جبريل له ناصحا وكان النبي صلى الله عليه وسلم له مطيعا قال فما تأمرني ان أسأل فقال جبريل قل رب أدخلني مدخل صدق الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وبني في طريقه عشرين مسجدا وكان في بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء

فلا

فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذى فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيئا فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل فى موضع الماء ومسحه بيده ودعا بما شاء أن يدعو به فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا الوادى وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أى وهذا خلاف عين تبوك التى تقدم له فيها ما يشبه هذا حيث قال لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما هنا ملىء جنانا الا ان تلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك وأجمع رأى من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فلما سمع المنافقون النداء أسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وأمر عمار بن ياسر رضى الله عنهما بأخذ زمام ناقته صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أن يسوق من خلفه وفى دلائل النبوة للبيهقى عن حذيفة رضى الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقودها وعمار بن ياسر يسوقها أو أنا أسوقها وعمار يقودها أى نتداول بذلك فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم ويقول اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة رضى الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفى رواية ان حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معى فى العقبة فيزحمونى ويطرحونى منها الى الوادى وان الله أخبرنى بهم وبمكرهم وسأخبركما بهم فاكتماهم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من العقبة فقال أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا وان أحببت فبين أسماءهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤسهم فقال انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم جمعهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية* وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما قرب صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس

لتلقيه وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فلما بلغتهم سلامة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبان كذبهم ساءهم ذلك وأنزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والولائد وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * مادعا لله داعي
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه الى المدينة ولا مانع من تعدد ذلك ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بأن يخلق له المحبة كتسبيح الحصى وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا أهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه أتأذن لي يارسول الله ان أمتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما * في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف أيضا كعب بن مالك رضي الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهما وكانا من الاوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم وأنزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم نزلت هذه الآية في أول أمرهم ونزل في آخر أمرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه في غزوة تبوك قال كعب رضي الله عنه لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا

أوجه غزوهم وأخبر الناس بوجههم الذي يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاظن ان ذلك يخفى مالم ينزل فيه وحي من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى استمر الناس بالجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيئا فهممت ان أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني انى لا أرى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك مافعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يارسول الله حبسه حب برديه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه بئس ماقلت والله يارسول الله ماعلمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك طفقت أتذكر الكذب وأقول بما أخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لم أنج منه بشئ أبدا فأجمعت على الصدق فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ماخلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يارسول الله اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن ان الله يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر ماكنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا ماعلمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازالوا يؤنبوني حتى كدت أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ماقلت وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم مثل ماقال لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت لي فيهما اسوة ومضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى أنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الاسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فان أقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائطا لابي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله مارد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم

ففاضت عيناى وتوليت فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاء فى فدفع لى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا ضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذه الرسالة أيضا من البلايا فألقيتها فى التنور فسجرتها حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت ألحق بأهلك فكونى معهم حتى يقضى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله مابه حركة الى شئ والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال كعب فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهلك قال قلت وما يدرينى مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحالة التى ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسى اذ سمعت صارخا أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فقد تاب الله عليك فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت انه قد جاء فى فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل الى فرسا ومعه ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت أسرع الى من الفرس وجاء فى رواية ان الذى ركض الفرس هو الزبير ابن العوام رضى الله عنه وفى رواية فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى له فكسوته اياهما ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وتلقانى والله ماقام لى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله انما نجانى الله بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله مازلت فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى وجاء فى رواية قلت يارسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فأنزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على بنعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحى شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى سيحلفون

بالله

بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفى رواية عن كعب رضى الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى ولا يسلم على قال وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضى الله عنها وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب فقالت يارسول الله أفلا أرسل اليه أبشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف من غزوة تبوك ابا لبابة رضى الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وأنزل الله توبته فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح ان قصة أبى لبابة انما كانت فى غزوة بنى قريظة لما استشاروه فى النزول على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فأشار لهم الى عنقه يعنى أنه الذبح قال فما برحت قدماى من موضعهما حتى علمت انى خنت الله ورسوله فذهب وربط نفسه بسارية من سوارى المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة بنى قريظة وان الله أنزل فى ذنبه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون الآية وأنزل فى توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية ولما رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه أن يأتى مسجدهم ليصلى فيه وهو مسجد الضرار الذى بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم فدعا صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية الى قوله والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدى بن عامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشن فقال مالك أنظرونى حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيها الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان سنة تسع وبعد قدومه صلى الله عليه وسلم وجد عويمرا العجلانى امرأته حبلى فقذفها بشريك بن سحما فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة فى الصحيحين وغيرهما

(سرية أبى سفيان والمغيرة بن شعبة)

رضى الله عنهما وكانت هذه السرية بعد ان رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك انه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتى قصة وفدهم فأرسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها حتى سووها بالارض وفى رواية ان المغيرة أراد أن يقدم أبا سفيان فى هدمها فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول أى الفاس العظيم التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية أن يرميه أحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا أى مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون أنه لا يمكن هدمها لانها تمتنع من ذلك وفى رواية وأراد

المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفي لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ في هدمها فهدمها الى أن كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابه لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليتها وكسوتها ومافيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله أعلم

(سرية جرير بن عبد الله البجلي)

رضي الله عنه الى ذي الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألا تريحني من ذي الخلصة فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا في اليمن لخثعم وبجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذي بعثك بالحق ماجئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك في خيل أحمس ورجالها خمس مرات وروى الطبراني عن جرير قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا اله الا الله قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر أنه غير بعثه الى الصنم ويحتمل أنه بعثه الى الجهتين على الترتيب ويؤيده ماوقع عند ابن حبان في حديث جرير انه صلى الله عليه وسلم قال له ياجرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذي الخلصة فانه يشعر بتأخر هذه القصة جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وحكى بعضهم ان موضع ذي الخلصة صار مسجدا جامعا لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم

(سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما)

الى أبنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فألف مقصورة وهي ناحية بالبلقاء من أرض الشام وهي آخر السرايا كما أن غزوة تبوك آخر الغزوات *لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان أظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لأسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من المهاجرين الاولين والانصار الا اشتدلذلك وتهيأ للخروج منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن أسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا شديدا فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري

أسامة

أسامة ولئن طعنتم في امارته فلقد طعنتم في امارة أبيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى وانه لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم و يخرجون الى المعسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أنفذوا بعث أسامة واستثنى أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى ان أبا بكر رضي الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لانه كان من جملة الجيش أولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا في أبي بكر رضي الله عنه انه تخلف عن جيش أسامة وانه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة لما علمت ان تخلفه كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وفيه اشارة الى أنه الخليفة بعده وأما اللعن الذي ذكروه فلم يرد في حديث فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فجاء أسامة رضي الله عنه فطأطأ فقبله صلى الله عليه وسلم وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على أسامة قال أسامة فعرفت انه يدعو لي ثم رجع أسامة الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب وفي رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما وانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفي حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا حتى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابي بكر رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضي أسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة أهله وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلي ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل أن يتوجه جيش أسامة فعند ذلك كلم الناس أبا بكر رضي الله عنه أن يمنع أسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فأبى أبو بكر رضي الله عنه أن يمنع أسامة من الخروج وقال والله الذي لا اله الا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفي لفظ والله لأن يخطفني الطير أحب الى من أن أبدأ بشئ قبل تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تنفيذ جيش أسامة وفي رواية ان أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله يأذن لي أن أرجع بالناس فان معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الانصار لعمر رضي الله عنه فان أبى أبو بكر رضي الله عنه الا أن يمضي الجيش فأبلغه منا السلام والطلب اليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر الى أبي بكر رضي الله عنهما فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر رضي الله عنه والله لو تخطفتني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه فان الانصار أمروني أن أبلغك انهم يطلبون أن تولي رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالسا فأخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني

أن انزعه فخرج عمر رضي الله عنه الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم مالقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الانصار لم يكونوا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن في ولاية أسامة رضي الله عنه ولا بانهم أو جوّزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يكون جوّز ذلك أيضا ثم كلم أبو بكر رضي الله عنه أسامة في عمر رضي الله عنه أن يأذن له في التخلف ليستعين به الصديق رضي الله عنه في مشورته وأمر الخلافة ففعل وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه أبو بكر رضي الله عنه بعد أن سار الى جانبه مساعة ماشيا واسامة رضي الله عنه راكب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه فقال أسامة يا خليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان أسامة رضي الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث أرضها فأزال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسرّوا بسلامتهم ودخل اسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ماخرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أن ولي الخلافة اذا رأى أسامة رضي الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا ازال أدعوك ماعشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير وقد كان أسامة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول اللهم أحبهما فاني أحبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وأراد صلى الله عليه وسلم قطع يدها لم يجسر أحد أن يكلمه صلى الله عليه وسلم غير أسامة بن زيد رضي الله عنهما فكلمه فقال صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ومناقبه رضي الله عنه كثيرة توفي بالمدينة أو بوادي القرى سنة خمس أو أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله أعلم ومما ينبغي أن يلحق بالغزوات والسرايا بعوثه صلى الله عليه وسلم

(بعث الصديق رضي الله عنه)

بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه في السنة التاسعة يحج بالناس وأما في السنة الثامنة فأمر عتاب بن أسيد رضي الله عنه أن يحج بالناس وكان أميرا على أهل مكة كما تقدم في قصة فتح مكة فخرج أبو بكر رضي الله عنه في ثلثمائة رجل من المدينة وبعث صلى الله عليه وسلم معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضي الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ

براءة على الناس وأنبذ الى كل ذى عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين المشركين عاما وخاصا فالعام أن لا يصد أحد عن البيت اذا جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر الحرم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب أن لا ينبذ العهد الامن كان قريبا ممن أراد النبذ فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ولم يكتف بأبى بكر رضى الله عنه فضى أبو بكر رضى الله عنه فحج بالناس قيل كان الحج ذلك العام فى ذى القعدة للنسىء الذى كانوا يصنعونه والصحيح انه كان فى ذى الحجة وجاء فى رواية انه بعد أن توجه أبو بكر رضى الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها أبا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدّى عنى الارجل من أهل بيتى ثم دعا عليا رضى الله عنه فقال اخرج بصدر براءة واذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان لانهم كانوا يحجون مع المسلمين و يرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب و يقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتنى أمى ليس على شئ من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهى عارية و يدها على قبلها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وفى ايجاب ستر العورة أنزل الله تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم الآية وفى رواية لما لحق على أبا بكر رضى الله عنه قال له أمير أو مأمور قال بل مأمور فكان على رضى الله عنه فى تلك السفرة يصلى خلف أبى بكر الى أن رجع الى المدينة وفى ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبى صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر رضى الله عنه عن امارة الحج بعلى وقد تواتر ان أبا بكر رضى الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان على من جملة رعيته فى تلك السفرة و يصلى خلفه الى ان رجعوا الى المدينة و فى حديث جابر رضى الله عنه فى هذه القصة قام أبو بكر رضى الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام على رضى الله عنه فقرأ على الناس براءة وجاء فى رواية انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم النفر فيحمل على تعدد وقوع ذلك و بذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول فى السنة التاسعة فى ذى القعدة وجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أبى احتضر فأحب أن تشهده وتصلى عليه قال ما اسمك قال الحباب فقال بل أنت عبد الله الحباب اسم الشيطان وكان من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه بعهد من أبيه بل جاء فى رواية الطبرانى وعبد الرزاق عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبى الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال أهلكك حب يهود فقال يارسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لى ولم أرسل اليك لتوبخنى ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما مرض ابن أبى جاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن على فكفنى فى قميصك وصل على فأعطاه القميص ثم لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يصلى عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال يارسول الله أتصلى عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء مثل قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله

ليخرجن الاعز منها الاذل وفي رواية فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه وكان عمر رضي الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال عمر رضي الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه نهي صريح بترك ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا لظاهر الحكم ولا كرام ولده الذي تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم من النفاق في ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه في قيصه وأن يصلي عليه وصلى عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وترك رأي نفسه وأطال صلى الله عليه وسلم في تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبي * وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله ابن أبي من الوقوف وفي حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين في السياسة الى أن كشف الله الغطاء وقيل انما أعطاه قيصه مكافأة له قان عبد الله بن أبي أعطى قيصه للعباس رضي الله عنه حين أسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان في ذلك تأييد لرأي عمر رضي الله عنه فهي من الآيات التي جاءت موافقة لرأيه رضي الله عنه وكان نزولها بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من أمره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت * وروى الطبراني عن قتادة قال ذكر لنا انه صلى الله عليه وسلم قال وما يغني عنه قيصي من الله واني لأرجو بذلك أن يسلم ألف من قومه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده حتى قبضه الله وفي شرح القسطلاني على البخاري أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(البعث الى اليمن)

بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع في السنة العاشرة وقيل في التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافان والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة أهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن ولها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبي موسى السفلى وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا * وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتي قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين

الله سحاب وروى الامام أحمد عن معاذ رضي الله عنه قال لما بعثني صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن أطاعك من عصاك وروى الامام أحمد أيضا وأبو يعلى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري فبكى معاذ رضي الله عنه لفراقه وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم مشى معه ميلا ومعاذ رضي الله عنه راكب لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذا رضي الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا أو قاضيا فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغساني انه كان أميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بأنه كان أميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضله رضي الله عنه منها أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء بارساله على انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله النبي صلى الله عليه وسلم الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى أن يجعل الامر شورى بين من بقي من الصحابة من أهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الامر الى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث خالد بن الوليد)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع في ربيع الاول سنة عشر وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى سنة عشر الى بني عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذي نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث ويقال لتلك القبيلة بنو الحارث وهم بنجران موضع باليمن سمي باسم نجران بن زيد بن سبأ فأمر صلى الله عليه وسلم خالدا أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا قال فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه و يدعون الى الاسلام و يقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يقدم اليه وفدهم فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية شوال أو صدر ذي القعدة وسيأتي في الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى

(بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى اليمن)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله ما أصنع قال اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة فان أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت وروى أبو داود وغيره من حديث علي رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر

القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال ياعلى اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال على والله ماشككت فى قضاء بين اثنين فخرج على رضى الله عنه فى ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرّق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعى فقتله الاسود وأخذ سلبه ثم صف على رضى الله عنه أصحابه ودفع لواءه الى مسعود ابن سنان الاسلمى فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع على الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أوّل السهام سهم الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه الى اليمن وذلك فى رمضان سنة عشر فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخرّ ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن على الاسلام لكن قوله فى التاريخ سنة عشر وهم لان بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه الى بنى مذحج وأما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضى الله عنه الى اليمن حصل مرّتين وفى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقى ذوات عدد زاد الاسماعيلى فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفا واحدا ثم تقدّم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرئ الكتاب خرّ ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح فى ان البعث الاوّل كان فى أواخر سنة ثمان وانه الى همدان وأما الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

(حجة الوداع)

وفى سنة عشر من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وسميت بذلك لانه ودّع الناس فيها وبعدها وما عرف وداعه حتى توفى بعدها بقليل فعرفوا المراد وانه ودّع الناس بالوصية التى أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفارا وأكد التوديع باشهاد الله عليهم بانهم شهدوا انه بلغ ما أرسل اليهم به وتسمى حجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها وحجة البلاغ لانه بلغ الناس الشرع فى الحج قولا وفعلا وتسمى حجة التمام والكمال لنزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وكان صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة قد أقام بالمدينة يضحى كل عام ويغزو المغازى ويبعث السرايا والبعوث من حين أذن له فى القتال فلما كان فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج فتجهز وامر الناس بالجهاز ولم يحج بعد أن هاجر غير هذه الحجة قال أبو اسحاق السبيعى وحج وهو بمكة أخرى لكن قوله أخرى يوهم انه لم يحج قبل الهجرة الا واحدة وليس كذلك بل حج قبلها مرارا وقيل حج وهو بمكة حجتين وقيل ثلاث حجج والحق الذى لا ارتياب فيه كما

فى شرح الزرقانى على المواهب انه لم يترك الحج وهو بمكة قط لان قريشا فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وانما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف واذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على اقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التى امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه انه فى الجاهلية رأى النبى صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة وانه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان صلى الله عليه وسلم يخالفهم ويصل الى عرفة فيقف بها مع بقية العرب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو قبائل العرب الى الاسلام بمنى ثلاث سنين متوالية قال العلامة الزرقانى فلا يقبل نفى ابن سعد انه لم يحج بعد النبوة الا حجة الوداع لان المثبت مقدم على النافى خصوصا وقد صح بدليل اثباته ولم يصحب النافى دليل نفيه ولذلك قال ابن الجوزى حج صلى الله عليه وسلم حججا لا يعرف عددها وقال ابن الاثير فى النهاية كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذى القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة أبادجانة الساعدى رضى الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفارى وكان نساؤه كلهن معه وقد طاف عليهن كلهن ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع وكان دخوله مكة صبح رابعة من ذى الحجة يوم الاحد وخرج معه صلى الله عليه وسلم تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويقال أكثر من ذلك وهذه عدة من خرج معه وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع على وأبى موسى رضى الله عنهما وجاء فى حديث ان الله وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا اكملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور فى كتب السنة شهير شائع فلا حاجة الى الاطالة به

(باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود)

التى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم قد تقدم انه وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصرى وذلك فى أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم فى سرية عيينة ابن حصن وكان ذلك فى المحرم سنة تسع

(وفد نصارى نجران) وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا جاؤه يجادلونه فى شأن عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة الى جهة اليمن تشتمل على ثلاث وسبعين قرية وكان وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوى بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم الباطل فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم تألفا لهم ورجاء لاسلامهم ولدخولهم بالامان فأقرهم على كفرهم سياسة فليس فيه اقرار على الباطل بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم فى الحق فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا لما دخلوا المسجد النبوى عليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير مختمين بخواتم الذهب ومعهم هدية وهى بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لى فيها وأما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة والزى الحسن تشوفت نفوسهم الى الدنيا فأنزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ولما فرغوا من صلاتهم عرض صلى الله عليه وسلم عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث

عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكم ان لله ولدا وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رهطا من نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما شأنك تذكر صاحبنا قال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله قال أجل قالوا فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين وفي رواية ان واحدا منهم قال له المسيح ابن الله لانه لا أب له وقال آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم انه عبد فقال هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا أن تقول هو اله وقالوا ان كنت صادقا فأرنا عبد الله يحيي الموتى ويشفي الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فيطير فسكت عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم قال لهم ان الله أمرني ان لم تنقادوا للاسلام أباهلكم أي ندعو ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله قد علمتم ان الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أي أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم وفي لفظ انهم ذهبوا الى بني قريظة وبني قينقاع واستشاروهم أي شاوروا من بقي منهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ انهم واعدوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وعند ذلك قال لهم الاسقف اني لارى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني فقالوا له صلى الله عليه وسلم لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ قال آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذه زيادة موافقة لقوله تعالى ونساءنا ونساءكم ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم انهم صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية على ألف حلة في صفر وألف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة وفي رواية هذا القوي الامين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك وفي أهل نجران وفي الرد عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوركم في الارحام كيف يشاء أي بأن يجعلكم من أم وأب أو من أم بلا أب فيكون في أول الكلام اشارة الى الرد عليهم وذلك براعة استهلال وهي من المحسنات البديعية

(وفد تميم الداري وأصحابه)

وفد عليه صلى الله عليه وسلم الداريون أبو تميم الداري وأخوه نعيم وأربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فأسلموا وحسن اسلامهم رضي الله عنهم وكان وفدهم عليه مرتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرة بعدها وفي المرة الاولى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند وهو من أصحاب تميم فنهضنا من

عنه يتشاور في أي الاراضي نأخذ فقال تميم نسأله بيت المقدس وكورها فقال له أبو هند هذا محل ملك
العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا فقال تميم نسأله بيت حبرون وكورتها فنهضنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فدعا بقطعة من أدم وكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين أعطاه الله الارض فوهب لهم
بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم الى الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس
وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابا وقال انصرفوا حتى تسمعوا أني قد هاجرت قال أبو هند
فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا
كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وأصحابه اني أنطيتكم
بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم
ولأعقابهم من بعدهم أبد الأبد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن
الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب * ومن فضائل تميم الداري
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه حيث خطب فقال في خطبته حدثني تميم الداري
وذكر خبر الجساسة أي لأن تميما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم
فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقي انسانا يجر شعره فقال له من أنت قال انا الجساسة
قالوا فأخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من
أنتم قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه
وصدقوه قال ذلك خير لهم قال افلا تخبروني عن عين زغر ما فعلت فأخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل
نخل بيسان هل أطعم بعد فأخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال اما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت
البلاد كلها غير طيبة قال فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك
الدجال قال ابن عبد البر وهذا اولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير
ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب فلما اسلموا دخل الناس في دين الله
افواجا وتتابعت الوفود عليه صلى الله عليه وسلم

(وفد كعب بن زهير رضي الله عنه وقد تقدمت قصته في فتح مكة)

*(وفد ثقيف) ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف
وكان من خبرهم انه لما انصرف صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود حتى ادركه قبل
ان يصل الى المدينة فأسلم رضي الله عنه وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى قومه يأمرهم
بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم
من ابكارهم أي أولادهم وفي رواية من أبصارهم فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه
لمرتبته فيهم لانه كان محبا مطاعا وفيه كانوا يقولون كما حكى الله عنهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة
ابن مسعود الثقفي بالطائف فتوجه الى قومه فلما اشرف لهم على علية دعاهم الى الاسلام واظهر دينه
فرموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله وفي لفظ انه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون
عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه من الاذى ما لم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده
فلما كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له

قبل ان يموت مات في دمك قال كرامة اكرمني الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس في الاماني الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله في قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور في سورة يس وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحارث بعثه صلى الله عليه وسلم الى بني هلال بن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا اقامت بعد قتل عروة اشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم فرأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فاجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود فأبى لانه خشي ان يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه خمسة انفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد أشراف ثقيف ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلا هم اشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة رآهم المغيرة بن شعبة الثقفي فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقي أبا بكر رضي الله عنه فأخبره فقال له أبو بكر رضي الله عنه أقسمت عليك لا تسبقني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا إلا تحية الجاهلية وهي عم صباحا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند متاعهم فكان عثمان رضي الله عنه اذا رجعوا ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى أبي بكر رضي الله عنه وكان يكتم ذلك من أصحابه فاعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه وروى ابن مندة وغيره عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف لاني كنت قرأت سورة البقرة في مدة اقامتهم وعنه رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ان القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده أريد حفظه وعنه رضي الله عنه قلت يا رسول الله ادع الله ان يفقهني في الدين ويعلمني قال ماذا قلت فاعدت عليه القول فقال لقد سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد من أصحابك اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي فقال ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فأذهبه الله عني وكان في هذا الوفد رجل مجذوم فأرسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع وفي الخبر المرفوع لا تديموا النظر الى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وبما جاء في احاديث أخر انه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها مع يده في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه واجيب بان الامر باجتناب المجذوم ارشادي ومواكلته لبيان الجواز وجواز المخالطة في حق من قوي ايمانه وعدم جوازها في حق من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم الصورتين ليقتدى به فيأخذ قوي الايمان

بطريق التوكل وضعيف الايمان بطريق التحفظ والاحتياط ولا تأثير الا لله وما يتخيل من العدوى في امثال ذلك من جملة الاسباب العادية التي لا تأثير لها بل يحصل الشيء عندها لابها والفعل لله وحده الله خالق كل شيء * وعند انصراف وفد ثقيف قالوا يارسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان ابن أبي العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله اني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن وفي رواية ان عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال قلت يارسول الله اجعلني امام قومي قال أنت امامهم وقال له اذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على اذانه اجرا وكان خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه هو الذي يمشي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبو داود وغيره ألا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول بأخذ سلب المتعرض لصيد وج والمدينة هو أحد قولين للشافعي رضي الله عنه والمشهور عنه في وج وحرم المدينة انه يحرم التعرض لصيدهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان هؤلاء الوفد لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى اسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك لهم الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه وفي لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه ان يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم وهي اللات وكانوا يقولون لها الربة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهرا واحدا وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند خروجهم قال لهم كنانة أنا اعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم ان محمدا سألنا امورا عظيمة فأبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وان نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا امورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نعطيه ولا نقبل هذا ابدا فقالوا لهم أصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال ورموا حصونكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا به من طاقة فارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه واسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا اردنا ان ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا اياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم وأخذا ما فيها من المال والحلي فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صلى الله عليه وسلم أبا سفيان ان يقضي دين عروة وأخيه الاسود من مال الطاغية فقضاه وذلك ان أبا مليح بن عروة بن مسعود وابن عمه قارب بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود وقبل ان تسلم ثقيف كما تقدم فأجابهما لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد بني عامر بن صعصعة)

وفيهم عدو الله عامر بن الطفيل واربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكان هؤلاء الثلاثة

رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل سيدهم كان ينادي مناديه بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله
أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من اجمل الناس وكان مضمر الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقال لاربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله
بالسيف وقد قال له قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت على نفسي أي
حلفت ان لا انتهي حتى تتبع عقبي فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالني أي اجعلني خليلا وصديقا لك قال صلى الله عليه
وسلم لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
وينتظر من اربد ما كان أمره به فجعل اربد لا يأتي بشئ ويبست يده على السيف فلم يستطع سله
وفي رواية لما جاءه عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له أسلم يا عامر فقال عامر لي اليك
حاجة قال اقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اتجعل لي الامر بعدك ان اسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك
ولا لقومك أي انما ذلك الى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن في أعنة خيل
نجد أتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا وفي رواية قال له يا محمد مالي ان اسلمت فقال له لك ما للمسلمين وعليك
ما عليهم فقال اما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا وفي رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن
بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل ومكث صلى الله عليه وسلم اياما
يدعو الله ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله واهد قومه ثم قال صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها فحينئذ دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل
كيف شئت وأنى شئت وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال
يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر
وألف شقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا اربد أين ما كنت
أمرتك به وما كان على وجه الارض رجل أخافه على نفسي غيرك وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا
فقال لا أبا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك
أفأضربك بالسيف وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد وفي رواية لما وضعت يدي على
السيف يبست فما أستطيع أحركها وفي رواية لما أردت فصل سيفي نظرت فاذا فحل من الابل فاغرفاه
بين يدي يهوي الي فوالله لو سللته لخفت أن يبلع رأسي ولا مانع من تكرر عزمه على الفعل وعند كل
مرة يرى واحدا مما ذكره ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض
الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فأوى الى بيت امرأة من بني سلول وكانوا
موصوفين باللؤم فصار يتأسف على مجيء الموت له في بيتها ويمس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة كغدة
البعير في بيت امرأة من بني سلول ائتوني بفرسي ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن
فرسه ميتا وكان يقول وهو يجول ابرز يا ملك الموت وفي لفظ يا موت ابرز لي لاقاتلك فلم يزل كذلك حتى
أماته الله وهذا دليل على فرط حماقته وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الاسلام الى أن
مات وذلك انما هو عامر بن الطفيل الاسلمي فانه صحابي رضي الله عنه قال يا رسول الله زودني كلمات
أعيش بهن قال يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحي من الله كما تستحيي من رجل من أهلك واذا
أسأت فأحسن فان الحسنات يذهبن السيئات وأما عامر بن الطفيل العامري فهو الكافر وقد مات

على

على كفره وقد رصا حياه بعد موته على قومهما فقالوا الاربد ماوراءك يا اربد قال لا شئ والله لقد دعانا الى شئ لوددت انه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو بيومين معه جمله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك فى يوم صحو قائظ وأنزل الله قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بنى عامر وحسن اسلامه رضى الله عنه

وفد ضمام بن ثعلبه

(وفد ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه) قيل انه وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر انه سنة تسع قال ابن عباس رضى الله عنهما ماسمعنا بوافد وفد كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاء رجل من أهل البادية على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبد المطلب وفى رواية أيكم محمد قالوا هذا المتكئ فقال انى سائلك فمشدد عليك فلا تجد على فقال سل عما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك وفى رواية أنشدك بالذى خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التى كان آباؤنا يعبدونها قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ من أموال أغنيائنا فنرده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال آمنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة ولما رجع الى قومه كان أول شئ تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه وانى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم

وفد عبد القيس

(وفد عبد القيس) وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد منهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال أبياتا يخاطب بها النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

يانبى الهدى أتتك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقى وقع يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة والآل مايرفع الشخوص فى أول النهار وفى آخره وقيل السراب قيل كان مجيئهم سنة عشر فعرض صلى الله عليه وسلم الاسلام على الجارود بعد انشاده الابيات فقال يا محمد انى كنت على دين وانى تاركه لدينك فتضمن لى دينى فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم انا ضامن أن قد هداك الله الى ماهو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه وجاء فى رواية انه كان مع الجارود سلمة بن عياض الاسدى وان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج يزعم انه نبى فهل لك أن نخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبى الذى بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمرى ان أخبرنا بها انه لنبى يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال بشهادة أن لا اله الا الله وأنى عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند يعبد من دون الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها وصوم رمضان وحج البيت بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا أخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود

فانك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وان دم الجاهلية
موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام ألا وان أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة
وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما
عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما
يوم السباسب فقد أعقب الله ليلة خيرا من ألف شهر فاطلبوها في العشر الاخير من رمضان فانها ليلة
بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ
دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم له فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك
له وانك عبده ورسوله وذكر بعضهم ان وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة ويمكن أن وفادتهم تكررت
وجزم بذلك في المواهب وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم
سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفي رواية يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على
الاسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه
فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من
القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى
معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم
عن ركائبهم بباب المسجد ودخلوا بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان
فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان اصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى اناخها وجمع
المتاع وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين ابيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى
أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقى أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم انما يحتاج
من الرجل الى أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين وفي رواية
خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله أنا أتخلق بهما ام الله جبلني عليهما قال بل
الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله والاناة كقناة
التؤدة أي التأني في الامر وقد جاء في الحديث التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة
وعشرين جزءا من النبوة وفي رواية انهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من
القوم قالوا من ربيعة فقال مرحبا بالقوم وفي رواية بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله
انا نأتيك من شقة بعيدة أي لان مساكنهم بالبحرين أي وما والاها من اطراف العراق وانه يحول
بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام وصرح في بعض الروايات
بانه رجب فمرنا بأمر نأخذه ونخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون
ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان
وان تعطوا الخمس من المغنم وفي مسند الامام أحمد ذكر الحج فيما أمرهم به ونهاهم عن الدباء والحنتم
والنقير وفي رواية والمقير والمراد النهي عن انتباذ النبيذ في هذه الاشياء لانه تسرع بالتخمر
الذي هو سبب الاسكار والدباء القرع والحنتم جرار مدهونة بدهان اخضر والنقير اصل النخلة
ينقر وينبذ فيه التمر والمقير ما طلي بالقار وهو الزفت وجاء في رواية بدل المقير والمزفت وفي رواية
قال واشربوا في أسقية الادم أي الجلود يعني انتبذوا فيها بدل تلك الاواني فقالوا يا رسول الله ان
ارضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لا تبقى فيها اسقية الادم قال وان اكلها الجرذان قال ذلك

مرتين أو ثلاثا فقال له الأشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه وأومأ بكفه فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان أرخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه وفرج يديه وبسطها يعنى أعظم منها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه أى سكر قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان فى القوم رجل قد وقع به ذلك وهو جهم بن قثم قال فلما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت اسدل ثوبى لاغطى الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية انهم سألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ قال فلا تشربوا فى النقير فكانى بكم اذا شربتم فى النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال ما يضحككم قالوا والله لقد شربنا فى النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو اعرج كما ترى ثم ذكر لهم أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبى أنت وأمى يارسول الله لو كنت ولدت فى جوف هجر ما كنت باعلم منك الساعة اشهد انك رسول الله فقال ان أرضكم رفعت لى منذ قعدتم فنظرت من ادناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرنى يذهب بالداء ولا داء معه وانما اقتصر فى المناهى على شرب الانبذة فى الاوعية المذكورة مع ان فى المناهى ماهو أشد فى التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم ان النهى عن الانتباذ فى هذه الاوانى انما كان فى أول تحريم الخمر حين كانت نفوسهم راغبة فى شربها معتادة لها ثم لما استقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الانتباذ فى هذه الاوانى فانتبذوا فى كل اناء واجتنبوا المسكر فالنهى عن الانتباذ فيها منسوخ والقصد اجتناب المسكر فقط والله أعلم

وفد بنى حنيفة

(وفد بنى حنيفة) ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعة عشر رجلا ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاء بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيما له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصحابه معه عسيب من سعف النخل فى رأسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلم النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يشركه معه فى النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لوسألتنى هذا العسيب ما اعطيتكه وقيل ان بنى حنيفة جعلوه فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يارسول الله انا قد خلفنا صاحبنا فى رحالنا يحفظها لنا فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لواحد من القوم وقال اما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ادعى مسيلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم أشركه معه فى النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى اما انه ليس بشركم مكانا ماذاك الا لما كان يعلم انى اشركت معه فى الامر أى وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه وقد بلغه صلى الله عليه وسلم ان مسيلمة قال ان جعل لى محمد الامر من بعده اتبعته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان سألتنى هذه القطعة ما اعطيتكها وانى لاراك الذى رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عنى ثم انصرف عنه صلى الله عليه وسلم والذى رأى منه صلى الله عليه وسلم هو انه رأى فى المنام ان فى يده سوارين من ذهب قال فاهمنى شأنهما فأوحى الله الى فى المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى أى وهما

الاسود العنسي صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فان كلا منهما ادّعى النبوّة في حياته صلى الله
عليه وسلم وكان العنسي يقول ان ملكا يقال له ذو النون يأتيني كما يأتي جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله
عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما في السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذي
في الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان فيها تابعا ومن ثم جاؤا به مستورا حتى
انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم أو قام في حفظ الرحل كما تقدم والثانية كان متبوعا لم يحضر أنفة
واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الكرام تألفا له فأتاه الى قومه وهو فيهم ولما خرج الاسود
العنسي بصنعاء وادّعى النبوّة غلب عامل النبي صلى الله عليه وسلم على صنعاء وهو المهاجر بن أبي أمية
ويقال انه مرّ به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادّعى الاسود انه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له شيئا
فقام وكان مع الاسود شيطانان يقال لاحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق
بمعجمتين وقافين مصغرا وكانا يخبرانه بكل شئ يحدث من امور الناس وكان باذان عاملا للنبي صلى الله عليه
وسلم أيضا بصنعاء فمات فجاء شيطان الاسود فأخبره فخرج في قومه حتى ملك صنعاء وتزوّج المرزبانة
زوجة باذان فواعدت فيروز الديلمي وغيره فدخلوا عليه ليلا وقد سقته الخمر صرفا حتى سكر وكان على
بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه وأخرجوا المرأة
وما أحبوا من متاع البيت وأرسلوا الخبر الى المدينة فوافاهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم قال
أبو الاسود عن عروة اصيب الاسود قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة فأتاه الوحي فأخبر
أصحابه ثم جاء الخبر الى أبي بكر وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي صلى الله عليه وسلم
وقصة أبي مسلم الخولاني مع الاسود العنسي مشهورة رواها جملة من أصحاب السنن عن جملة من
الصحابة حتى قال بعضهم انها من المشهور المستفيض وحاصلها ان الاسود العنسي بعث
الى أبي مسلم الخولاني لما ادّعى الاسود النبوّة بصنعاء اليمن فلما جاءه قال له أتشهد أني رسول الله قال
ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه مرارا وهو يقول كما قال أوّلا فأمر بنار
عظيمة فأججت ثم ألقي فيها أبو مسلم فلم تضرّه فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره
بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه
فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلي الى سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ممن
الرجل قال من أهل اليمن قال ما فعل صاحبنا الذي أحرقه الكذاب قال أنا هو قال أنشدك الله أنت هو
قال اللهم نعم فاعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكا وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما ثم قال
الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمّة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله قال
ابن عباس رضي الله عنهما أنا أدركت أمداد خولان يقولون للامداد من بني عبس صاحبكم الكذاب
أحرق صاحبنا بالنار فلم تضرّه ونقلة هذا الحديث مشهورون ويجراه مجرى الاستفاضة ثم ان مسيلمة
حين ادّعى النبوّة صار يتكلم بالهذيان ليضاهي به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى
أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وصنع اللعين سجعا ومراده أن يكون على منوال سورة
الكوثر فقال انا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر وفي رواية انا أعطيناك
الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر وفي رواية انا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر
واحذر أن تحرص أو تكاثر فظن اللعين المخذول أن الجواهر تعادل الكوثر فجهل اللغة مع أن
الكوثر الخير الكثير فليت شعري ما الذي جاء به فانه أخذ لفظ القرآن وحرف الكلم عن مواضعه
وأبدل شانئك بمبغضك ولكونه هو الفاجر أتى الفجور في لسانه وصرف عن الاتيان بمثله ولم يعرف

المخذول انه محروم عن الوصول الى المطلوب فما أقبح هذا التسجيع الركيك الذى لا يساوى أقل كلام من كلام الفصحاء فضلا عن كلام رب العالمين ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيبا لهم فى اتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة ويدعى أنه مشارك له وهذا من سخافة عقله اذ النبى لا يبيح المحرمات وكانت دعوى مسيلمة النبوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته الا فى زمن الصديق رضى الله عنه وكان مسيلمة أقوى أسباب الفتنة على بنى حنيفة جمع جموعا كثيرة ليقاتل بهم الصحابة فجهز له الصديق رضى الله عنه جيشا أمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد ابن عاصم الانصارى المازنى وقيل عدى بن سهل وقيل أبو دجانة رضى الله عنه وقيل وحشى والاول أشهر ولعل عبد الله بن زيد هو الذى ضربه أولا وكمل عليه الآخرون وفى البخارى عن وحشى لما خرج مسيلمة قلت لأخرجن اليه لعلى أقتله فأكافئ به حمزة فخرجت مع الناس فاذا رجل قائم كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتى فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الانصار بالسيف على هامته وكان عمره حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بنى حنيفة يرثيه

لهفى عليك أبا ثمامه * لهفى على ركن اليمامه
كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلى وكذب أى هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم انه دعا لابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى بئر والآخر أكله الذئب وتفل مرة فى بئر فلح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد طىء

(وفد طىء) وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد طىء وفيهم قبيصة بن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له وكان زيد أعظم قومه جودا وخلقا وأحسنهم وجها وشعرا وكان يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه فى الارض كأنه راكب حمار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذى أتى بك من حزنك وسهلك وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير وعرض الاسلام على من معه فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم فى حق زيد الخيل ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ ما قيل فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير وأجاز كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنى عشر أوقية ونشا وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينج زيد من حمى المدينة أى ما ينجو منها فى اثناء الطريق أصابته الحمى وفى لفظ قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعنى الحمى ولما مات أقام قبيصة بن الاسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أقطعه فيه محلين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة أضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب وقيل ان زيد الخير بقى الى خلافة عمر رضى الله عنه وانه لما ارتدت العرب عند موت النبى صلى الله عليه وسلم ثبت على الاسلام وكتب الى أبى بكر بهذين البيتين

أما تخشين الله بنت أبى نصر * فقد قام بالامر الجلى أبو بكر
نجى رسول الله فى الغار وحده * وصاحبه الصديق فى معظم الامر

وفد عدي بن حاتم

(وفد عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه) قال عدي بن حاتم رضي الله عنه كنت امرأ شريفا في قومي آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعيا لابلي لا أبا لك اعزل لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ثم انه أتاني ذات يوم فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت الرايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي أجمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي والتحقت بأهل ديني من النصارى بالشأم وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله هربي الى الشأم من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى ان قدمت علي الشأم فوالله اني لقاعد في أهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هي هي فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت أي أخية لا تقولي الا خيرا فوالله ما لي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا الرأي قال فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ما هذا بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم محشوة ليفا فقدمها الي وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال له ما معناه يا عدي بن حاتم ألست من القوم الذين لهم دين لانه كما تقدم كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير في قومك بالمرباع أي تأخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت أجل والله وعرفت انه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أي الكعبة لا تخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدي وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد عروة المرادي

(وفد عروة المرادي) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة مفارقا للملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا في يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك في الاسلام الا خيرا واستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفد بني زبيد

(وفد بني زبيد) بضم الزاي وفتح الموحدة توفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادي انك سيد قومك وقد ذكر لنا ان رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبي فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لا يخفى عنك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيسا توعد عمرا فقال عمرو في قيس أبياتا منها

فمن ذا عاذري من ذي سفاه * يرد بنفسه شر المرادي

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مرادي

أي وبعد موته صلى الله عليه وسلم أسلم قيس فليس له صحبة وقيل بل أسلم قبل موته صلى الله عليه وسلم فله صحبة والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد كندة

(وفد كندة) وكندة قبيلة باليمن ينسبون الى كندة لقب جدهم ثور بن عفير وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهي أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون من كندة وقيل ستون فيهم الاشعث ابن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم سرحوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحبرة قد كففوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبئا فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والتكهن في النار فقالوا كيف نعلم انك رسول الله فأخذ كفا من حصباء فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده فقالوا نشهد انك رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وأنزل علي كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ ورب المشارق ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أمن مخافة من أرسلك قال خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الآية ثم قال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فعند ذلك شقوه وألقوه ولعل سجفهم جاوزت الحد الجائز شرعا وكان على النبي صلى الله عليه وسلم حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال لها حلة ذي يزن وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلها وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك وقال الاشعث بن قيس له صلى الله عليه وسلم نحن بنو آكلة المرار وأنت ابن آكلة المرار ويعنون جدته أم كلاب لما تقدم أنها من كندة وآكل المرار هو الحارث بن عمرو ولقب بذلك لاكله شجرا يقال له المرار في غزوة غزاها ولما قال له الاشعث ما ذكر قال صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ونتفي من أبينا أي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء فقال الاشعث بن قيس يا معشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين والاشعث هذا ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه حوصر وجيء به أسيرا فقال للصديق حين أراد قتله استبقني لحروبك وزوجني أختك فزوجه أخته أم فروة وعاد الى الاسلام فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه

وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعني أبا بكر رضي الله عنه زوجني أخته ولو كانت بلادنا كانت لي وليمة غير هذه ثم قال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال لي غلام ولد عند مخرجي اليك لوددت أن لي به سبعة قال انهم لمجبنة محزنة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الاشعث اليرموك بالشأم ثم القادسية وحروب العراق وسكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد ذلك بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل مات سنة ثنتين وأربعين

وفد أزد شنوءة

(وفد أزد شنوءة) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الأزد وفيهم صرد بن عبد الله الازدي وكان أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل اليمن فحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش أن المسلمين انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى اذا أدركوهم عطف المسلمون عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أي ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال صلى الله عليه وسلم بأي بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن يعني قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل الاستعارة أو التشبيه البليغ والمعنى أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الادراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر البدن فجلس الرجلان الى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقالا لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما أي يخبر كما بموتهم فقوما اليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فسألاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ثم بعد ذلك وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد جرش فأسلموا فقال لهم صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها أنتم مني وأنا منكم وحمى لهم حول بلدهم

وفادة رسول الحارث بن كلال

(وفادة رسول الحارث بن كلال وأصحابه) وذلك أن الحارث بن كلال بضم الكاف والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة كتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو أما بعد فانه وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه وانكم أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن وفي رواية أبي زرعة بن سيف ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا ولا تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله

وفادة رسول فروة بن عمرو

(وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامى) وفد رسول فروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه واهدى فروة له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال لها الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب فقبل صلى الله عليه وسلم الهدية وأعطى الرسول اثنتى عشرة أوقية من فضة وكان فروة عاملا للروم على ما يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ومعان بفتح الميم وضمها اسم جبل فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد فانك تعلم أن عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك

وفد الحارث بن كعب

(وفد الحارث بن كعب) قد تقدم بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه اليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفد رفاعة بن زيد

(وفد رفاعة بن زيد الخزاعى) بالخاء المعجمة والزاى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة من دخل منهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففى حزب الله ورسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا رضى الله عنهم

وفد همدان

(وفد همدان) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات بكسر الحاء ثياب مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم ووفدوا عليه على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أى يقول الرجز بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

اليك جاوزنا سواد الريف * فى هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

ومن شعره

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث خالد ابن الوليد اليهم ثم بعث عليا رضى الله عنه وأمر خالدا بالرجوع وان من كان مع خالد ان شاء بقى مع على وان شاء رجع وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه خبر اسلامهم خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الاسلام

وفد تجيب

(وفد تجيب) بضم المثناة فوق وهى قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله اناسقنا اليك حق الله فى أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا

فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد الله به خيرا شرح صدره للدين وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم وأرادوا الرجوع الى أهلهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وملاقاتنا له وكلامنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا فقال أرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك فقال يا رسول الله ان حاجتي ليست كحاجة أصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما أخرجني الا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه واذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله اني لارجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا قال صلى الله عليه وسلم تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الاودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل الصديق رضي الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب الى زياد بن الوليد يوصيه به خيرا وكان زياد واليا على حضرموت

وفد بني ثعلبة

(وفد بني ثعلبة) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بني ثعلبة مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا وقلنا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ثم صلى بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعانا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته تجري علينا ثم لما جاؤا يودعونه قال لبلال أجزهم فأعطى كل واحد منهم خمس أواقي فضة والاوقية أربعون درهما

وفد بني سعد هذيم

(وفد بني سعد هذيم من قضاعة) عن النعمان رضي الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أي جعلها موطوءة قهرا وغلبة واستولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد وهي سهيل بن بيضاء فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي

رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم فقلنا يارسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما أسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر بلالا فأجازنا بأواقي من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام

وفد بني فزارة

(وفد بني فزارة) وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بني فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أي توالت عليهم السنون والجدب على ركائب عجاف أي هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أي وهو خارجة يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أي ما حولنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر ورفع يديه حتى رئي بياض ابطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضي الله عنه فقال يارسول الله ان التمر في المربد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت السماء وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فوالله ما رأوا الشمس سبعا ثم قام الرجل يعني الذي سأله أن يستسقي لهم فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئي بياض ابطيه فقال اللهم حوالينا ولا علينا على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب

* وفي السيرة الحلبية ان هذا المطر كان عاما للمدينة وما حواليها الى محل هؤلاء الوفد وان أحاديث الاستسقاء تعددت وتكررت فهذه القصة غير قصة الاعرابي الذي سأله السقيا وهو صلى الله عليه وسلم على المنبر وقد أشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول

ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسقي وحيث العطاش توهي السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى فقرت عيون * بقراها وأحييت أحياء
فترى الارض غبه كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء

وحديث الاعرابي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ قام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ومافي السماء قزعة فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي أوغيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود أي المطر الكثير وجاء في أحاديث أنه صلى الله عليه وسلم خرج مرة أخرى الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما أن يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه مرة اعرابي فقال يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد أبياتا منها قوله

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقوا ثم قال لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال صلى الله عليه وسلم أجل وفي رواية لما جاءه المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشي وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيرة ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا واسعا طبقا مغدقا عاما هنيئا مريئا مريعا مربعا وابلا شاملا مجللا دارا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل اللهم غيثا تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة ميتا وتسقيه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السماء فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة فأتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفه عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي رضي الله عنه فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أجل فهذه الاحاديث كلها تدل على تعدد الاستسقاء وتكرره منه صلى الله عليه وسلم وفي كل مرة يسقون ففي ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم ثم أجاز صلى الله عليه وسلم بني فزارة بما يجيز به الوفود ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد بني أسد

(وفد بني أسد) وفد عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بني أسد فيهم حضرمي بن عامر فدخلوا

المدينة

المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله ثم أسلم الباقون وقالوا جئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن على من وراءنا وفي رواية ان حضرمي ابن عامر قال أتيناك تدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا وفي رواية يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من القيافة وهي زجر الطير والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا يا رسول الله خصلة بقيت قال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم وفي رواية في مسلم فمن وافق خطه خطه فذاك أي مباح له فلا يباح الا بتيقن الموافقة وفي شرح مسلم أن محصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه أي لانه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم

(وفد بني عذرة) قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة وسلموا سلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائل منهم نحن من بني عذرة أخو قصي لامه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا ما أعرفني بكم أي لقيتم مكانا رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ثم قال فما منعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا ثم قالوا الام تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أني رسول الله الى كافة الناس فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال الكاهنة لانهم قالوا له يا رسول الله ان فينا امرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال لا تسألوها عن شيء ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها لاصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا وكسي أحدهم بردا

(وفد بلي) على وزن علي مكبرا وهم حي من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من بلي منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فأسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات منكم على غير الاسلام فهو في النار وفي رواية عن رويفع قال قدم وفد قومي فأنزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فسلمنا فقال رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يا رسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال يارسول الله انا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حقا ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار وقال له أبو الضبيب يارسول الله ان لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غني أو فقير فهو صدقة قال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أي يضيق عليك وفي لفظ فيؤثمك أي يعرضك للاثم بأن تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الارض قال لك أو لاخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم

وفد بني مرة

(وفد بني مرة) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بني مرة ورأسهم الحارث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أين تركت أهلك قال بسلاح وما والاها قال فكيف البلاد قال والله انا لمسنتون وما في المال صوت يردد فادع الله لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فأمر بلالا أن يجيزهم فأجاز كل واحد عشر أواق فضة وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت بعد ذلك بلادهم

وفد خولان

(وفد خولان) وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والحزون كفلوس جمع حزن وهو ما غلظ من الارض والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة واما قولكم زائرين لك فان من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ثم سألهم عن صنم لخولان اسمه عم أنس كانوا يعبدونه فقالوا بدلنا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد أصابتنا سنة حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لذلك الصنم قربانا في غداة واحدة وتركناها فأكلتها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يواري الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وأنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرا أي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس وان مالت الريح بالذي سميناه لعم أنس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وقالوا كنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله

عليه وسلم عن فرائض الدين فأخبرهم بها وأمرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصفا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا صنمهم التميمي عم أنس

وفد بني محارب

(وفد بني محارب) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر لرجل منهم وقال له قد رأيتك يعني قبل هذا اليوم فقال له ذلك الرجل اي والله لقد رأيتني وكلمتك بأقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال يارسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام مني فأحمد الله الذي جاء بي حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يارسول الله استغفر لي من مراجعتي اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله من الكفر ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى أهليهم

وفد صداء

(وفد صداء) وهم حي من عرب اليمن وفد عليه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التي كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله جئتك وافدا عمن ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد وخرج الصدائي الى قومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا عليه فأعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا الاسلام فيهم فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة في حجة الوداع ويسمى ذلك الرجل الذي كان سببا في رد الجيش ومجيء الوفد زياد بن الحارث الصدائي وقال له صلى الله عليه وسلم يا أخا صداء انك لمطاع في قومك قال فقلت بل من الله عز وجل ومن رسوله وفي رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم فقلت بلى يارسول الله فكتب لي بذلك فقلت يارسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر قال زياد وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أي ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء فقلت معي شيء في اداوتي أي وهي اناء من جلد صغير وفي رواية الا شيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئته به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على الاناء فرأيت من بين كل أصبعين عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا اني أستحيي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا أي من غير نهاية ثم توضأ وقال أذن في أصحابي من كانت له حاجة بالوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم قال فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يارسول الله انه آخذنا بكل شيء كان بيننا وبينه في الجاهلية فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يارسول الله اعطنى من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يكل قسمها الى ملك مقرب ولا نبى مرسل جزأها على ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هو صداع فى الرأس وداء فى البطن ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على رجل من قومك أستعمله فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت يارسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا فى بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولنى سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن الى وقال اذا انتهيت اليها فألق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة

وفد غسان

(وفد غسان) اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو جفنة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندرى هل يتبعنا قومنا أم لا لانهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم

وفد سلامان

(وفد سلامان) بفتح السين وتخفيف اللام وفى العرب بطون ثلاثة ينسبون اليه بطن من الازد وبطن من طىء وبطن من قضاعة ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم حبيب بن عمرو السلامى فأسلموا قال حبيب رضى الله عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال وعليكم من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء قال حبيب قلت يارسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة فى وقتها وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا اليه جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اللهم أسقهم الغيث فى دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته تجرى علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فاعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة واعتذر الينا بلال رضى الله عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفد بنى عبس

(وفد بنى عبس) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هى معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا عن آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أى ينقصكم من أعمالكم شيئا وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه بانه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبى ضيعه قومه لكن ورد ليس بينى وبين عيسى نبى ويمكن الجمع بأن معنى هذا ليس بينى وبينه نبى مرسل فلا ينافى ان خالدا نبى غير مرسل

وفد مزينة

(وفد مزينة) وهى قبيلة تنسب الى مزينة امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر روى البيهقى عن النعمان بن مقرن المزنى رضى الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة رجل وفى رواية غير النعمان انهم رجالا من جهينة فلما أردنا أن ننصرف قال القوم يارسول الله مالنا من طعام نتزوده فقال ياعمر زود القوم قال ما عندى ما أزودهم به الا شئ من تمر ما أحسبه يقع

من

من القوم موقعا قال انطلق فزودهم فانطلق بهم فأدخلهم منزله ثم أصعدهم الى علية قال عمر رضى الله عنه فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فأخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت فى آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها وفى هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان التمر كان قليلا فزاد القليل حتى أخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته وفى رواية وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه أى ننقصه

وفد الاشعريين

(وفد الاشعريين) قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه وهم منسوبون الى أشعر بن أدد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم قيل وكان معهم بعض أهل اليمن من حمير بن سبا وفيهم اياس بن عمرو الحميرى فقالوا يارسول الله أتيناك لنتفقه فى الدين والمحققون على ان قدوم الاشعريين كان مع أبى موسى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان فى سنة تسع وهى سنة الوفود ولذا اجتمعوا مع بنى تميم روى يزيد بن هارون عن حميد عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه

و روى الامام أحمد عن جبير بن مطعم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من فى الارض فقال رجل من الانصار الانحن فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال الانحن فسكت ثم قال الانحن يارسول الله قال الا أنتم ولما لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا وبايعوا فقال صلى الله عليه وسلم الاشعريون كصرة فيها مسك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة فى أهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين بالتشديد جمع فداد وهو من يعلو صوته وهم المكثرون من الابل أهل الوبر قبل مطلع الشمس وقوله الايمان يمان أى منسوب لاهل اليمن لان صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدى الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد وقال أبو عبيدة وغيره معناه ان مبدأ الايمان من مكة لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن وقيل مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبى صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذى هو فيه يمانية وقيل المراد الانصار لانهم يمنيون فى الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم أنصاره وقيل غير ذلك ومعنى الحديث وصف الذين جاؤا بقوة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على ان المخاطبين من الصحابة ليسوا كذلك ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن فى كل زمان والحديث يشمل من ينسب الى اليمن بالسكنى وبالقبيلة فغالب من يوجد فى جهة اليمن رقاق القلوب والابدان بخلاف أهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والابدان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما ان نفرا من بنى تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يابنى تميم فقالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذلم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يارسول الله جئنا لنتفقه فى الدين ونسألك عن أول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قال الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الايمان يمان والحكمة يمانية وروى الطبرانى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعيينة ابن حصن أى الرجال خير قال أهل نجد فقال كذبت بل هم أهل اليمن الايمان يمان الحديث والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد دوس

(وفد دوس) وهم قوم أبى هريرة رضى الله عنه ينتهى نسبهم الى الازد وكان قدومهم بخيبر سنة سبع

قال ابن اسحاق كان الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم بها قبل الهجرة فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا كثير الضيافة
فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت آراءنا وانما قوله كالسحر
يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل
علينا من الكلام فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله مازالوا بي حتى عزمت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه
حتى حشوت في اذني حين غدوت اليه كرسفا أي قطنا فرقا من أن يبلغني شئ فغدوت الى المسجد فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن يسمعني بعض قوله
فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل أمي والله انى لرجل لبيب شاعر مايخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني
ان أسمع من هذا الرجل مايقول فان كان مايقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتى أتى
عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يامحمد ان قومك قد قالوا لي
كذا وكذا فوالله مابرحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لاجل أن لا أسمع قولك ثم
أبى الله الا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فرد الله كيدهم في نحورهم وقلب مكرهم عليهم فأعرض
علي أمرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القرآن قال فلا والله ماسمعت
قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يارسول الله انى امرؤ
مطاع في قومي وانى راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية فقال اللهم اجعل له آية
وفي رواية اللهم اجعل له نورا قال الطفيل فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر
وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي انى اخشى ان يقولوا انها مثلة وقعت
في وجهي لفراقي دينهم فوقع في رأس سوطي فكان يضيء كالقنديل في الليلة المظلمة فكان الطفيل
يسمى ذا النور فرأى قومه ذلك النور وهو مقبل عليهم قال فلما اصبحت فيهم جاءني أبي وكان شيخا
كبيرا فقلت اليك عني ياأبت فلست مني ولست منك قال ولم يابني قلت اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله
عليه وسلم قال يابني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ماعلمت قال
فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ثم أتتني صاحبتي يعني زوجته فقلت
لها اليك عني فلست مني ولست منك قالت ولم قلت فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت وتابعت محمدا
قالت فديني دينك ثم أمرها فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض عليها الاسلام فاسلمت ثم دعا دوسا
الى الاسلام فأجابه أبو هريرة رضي الله عنه وأبطأ الباقون قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة وقلت يارسول الله قد غلبني على دوس الزنا أي حبهم له وعلمهم بانهم ان أسلموا منعوا منه فادع الله
عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا وائت بهم ثم قال لي ارجع الى قومك فادعهم الى الله
وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس ادعوهم الى الله حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ثم قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا وكانوا
في العدد أربعمائة ثم لحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم
قال مرحبا بأحسن الناس وجوها وأطيبهم افواها أي كلاما وأعظمهم امانة وروى البيهقي
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع
ابن عرفطة الغفاري فقرأ في الركعة الاولى بسورة مريم وفي الاخيرة بويل للمطففين فلما قرأ
اذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت تركت عمي له مكيالان اذا اكتال اكتال بالاوفى واذا كال كال
بالناقص فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وهو قادم عليكم فقلت

لا اسمع

لا اسمع به فى مكان ابدا الا جئته فزودنا سباع وجئنا خيبر فجده قد فتح النطاة وهو محاصر الكثيبة فأقمنا حتى فتح الله علينا فاسهم لنا مع المسلمين وروى أن الطفيل بن عمرو رضى الله عنه قال لم أزل مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قلت يارسول الله ابعثنى الى صنم عمرو بن حممة يعنى صنم دوس حتى أحرقه فبعثه فهدمه ثم أوقد النار عليه وهو يقول

ياذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * انى حشوت النار فى فؤادكا

ثم رجع فكان مع المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى قبض فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين حتى فرغوا من قتال أهل الردة من أهل اليمامة وغيرهم وكان وهو متوجه الى اليمامة ومعه ابنه عمرو رأى رؤيا فقال لاصحابه انى رأيت رؤيا فاعبروها انى رأيت ان رأسى قد حلق وانه خرج من فى طائر ولقيتنى امرأة فادخلتنى فى فرجها وان ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى قالوا خيرا قال اما انا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال اما حلق رأسى فوضعه وأما الطائر الذى خرج من فى فروحى وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالارض تحفر لى فاغيب فيها وأما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجهد ان يصيبه ما أصابنى فاستشهد الطفيل باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفى منها ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر رضى الله عنه وقال بعض أهل المغازى ان الطفيل استشهد باليرموك وجزم بهذا ابن حبان وقال موسى بن عقبة انه استشهد باجنادين وأخرج البغوى عن الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه قال أقرأنى ابى بن كعب القرآن فأهديت له قوسا والله سبحانه وتعالى أعلم

وفد طارق بن عبد الله

(وفد طارق بن عبد الله المحاربى رضى الله عنه) روى البيهقى عن جامع بن شداد المحاربى قال حدثنى رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربى قال انى لقائم بسوق ذى المجاز وكان على فرسخ من عرفة بناحية كبكب اذ أقبل رجل فسمعته وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا قالوا غلام من بنى هاشم يزعم انه رسول الله قلت من هذا الذى يفعل به هذا الاذى قالوا عمه عبد العزى أبو لهب قال فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة وهى موضع معروف به قبر أبى ذر رضى الله عنه نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل فى طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم بها قلنا نمتار من تمرها قال طارق بن عبد الله ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال اتبيعونى جملكم هذا قلنا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق به فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا فعرضناه للضياع قال طارق فقالت المرأة التى معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم وفى رواية قالت الظعينة فلا تلاوموا أى لا يلم بعضكم بعضا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئا اشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشى أتانا رجل فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم هذا تمركم الذى بعتم به جملكم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا أى فلا تسامحوا فى الكيل فى مقابلة ما لكم قال فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول أمك فأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك فقام رجل من الانصار فقال يارسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلانا فى الجاهلية فخذ لنا بثارنا فرفع صلى الله عليه وسلم يده حتى رأيت بياض ابطه فقال لا تجنى

أم على ولد مرتين وأسلم القوم على يديه صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى أهلهم والله أعلم

وفد بهراء

(وفد بهراء) بالمد قبيلة من قضاعة روى الواقدى عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت امى ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فأقبلوا يقودون رواحلهم فلما انتهوا الى باب المقداد ونحن فى منازل الانصار خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس وهو تمر يعجن بسمن وأقط فأكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شئ فجمع فى قصعة صغيرة فأرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاة ضباعة وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فأصاب منها هو ومن معه فى البيت حتى نهلوا ثم قال اذهبى بما بقى الى ضيفكم فرجعت بها فأكل منها الضيف ما أقاموا أى مدة اقامتهم يرددون ذلك عليهم وما تنقص فجعلوا يقولون للمقداد يا أبا معبد انك لتنهلنا من أحب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا فى الحين فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أكل منها وردها فان هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذى أراد صلى الله عليه وسلم فاظهروا الاسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهلهم باليمن

وفد غامد

(وفد غامد) قبيلة من الازد باليمن قدم عليه صلى الله عليه وسلم سنة عشر عشرة من غامد فنزلوا فى بقيع الغرقد وفيه يومئذ أثل وطرفاء ثم انطلقوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وخلفوا أصغرهم فى رحالهم فأقروا بالاسلام وسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من خلفتم فى رحالكم قالوا أحدثنا سنا قال فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم فقال أحدهم مالاحد عيبة غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذت وردت الى موضعها فخرجوا حتى أتوا رحالهم فسألوا الذى خلفوه فقال فزعت من نومى ففقدت العيبة فقمت فى طلبها فاذا رجل كان قاعدا فثار يعدو منى فانتهيت الى حيث ينتهى فاذا أثر حفر واذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد انه رسول الله فانه قد أخبرنا خبرها وانها قد ردت فرجعوا وأخبروه صلى الله عليه وسلم وجاء الغلام الذى خلفوه فأسلم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أبى بن كعب أن يعلمهم قرآنا ثم أجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى بلادهم

وفد الازد

(وفد الازد) قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من الازد ينسبون الى جدهم الاعلى وهو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان روى أبو نعيم عن سويد بن الحارث الازدى رضى الله عنه قال وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال ما أنتم أى ما صفتكم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره شيئا منها فنتركه فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التى أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها قلنا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تعملوا بها قلنا أمرتنا أن نقول لا اله الا الله أى مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق فى مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء أى هم حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء

ثم

ثم قال وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون أى متصفين بالخمس عشرة التى ذكرتم فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فى شئ أنتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقا من الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم

وفد بنى المنتفق

(وفد بنى المنتفق) وهى قبيلة من عامر بن صعصعة قدم عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بنى المنتفق وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق قال فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة أى الصبح فقام فى الناس خطيبا فلما فرغ قلت يارسول الله علام نبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لا تشركوا بالله شيئا قال قلت يارسول الله وان لنا ما بين المشرق والمغرب فقال تحل منها حيث شئت ولا يجنى عليك الا نفسك فلما انصرفنا عنه قال انهم من أتقى الناس لله فى الدنيا والآخرة فقال له بعض أصحابه من هم يارسول الله قال بنو المنتفق قالها ثلاثا

وفد النخع

(وفد النخع) بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضى الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله انى رأيت فى سفرى هذا عجبا وفى رواية رأيت رؤيا هالتنى قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى وهو ولد المعز أسفع أحوى والاسفع الذى سواده مشرب بحمرة والاحوى الذى ليس شديد السواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك أمة مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك فقال يارسول الله فما له أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال فوالذى بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط ما يكون فى شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بفتح الميم والسين المهملة قال ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وبهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أى يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعمونى أكلكم وأهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس أى يشتبكون فى الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله بين أصابعه يحسب المسئ فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل وفى رواية أحلى من شرب الماء وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك قال يارسول الله ادع الله انى لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تدركها اياه فمات وبقى ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وكان ممن خلع عثمان رضى الله عنه وفى رواية أن النخع بعثوا رجلين ارطاة بن شرحبيل من بنى حارثة والارقم من بنى بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر وينفذ من الاشياء ما يشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير وقال اللهم بارك فى النخع وعقد لارطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ لكن قوله وكان فى يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم ان وفد النخع كان

قدومه في المحرم سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود النخع والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم) التي أرسلها الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام أي في الغالب والا فيها ماليس كذلك ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يارسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أي ليكون في ذلك اشعار بأن الاحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أي بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به ذووا اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه خواتيمهم فأخبره جبريل عليه السلام من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد آخر الاسطر ورسول في الوسط والله فوق وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء اذا ختم بها فكان ذلك الخاتم في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه واختلفت الروايات في موضع الخاتم من يده صلى الله عليه وسلم فقيل في خنصر اليسار وهو المروي عن عامة الصحابة وقيل في خنصر اليمين وهو المروي عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وجمع البغوي بأن النبي صلى الله عليه وسلم فعل كلا من الامرين تختم في يمينه وفي يساره لكن قال التختم في اليسار كان آخر الامرين وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمين قال الامام النووي التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لانه زينة واليمين به أولى ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زرعة انه صلى الله عليه وسلم كان في يمينه أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلمه مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلفت الحواريون على عيسى ابن مريم فقال أصحابه وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يارسول الله قال دعاهم لمثل مادعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا كره وأبى فشكا ذلك عيسى الى ربه فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر) المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير لانه بقر أي شق عنه لان أم قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج ثم صار قيصر اسما لكل من ملك الروم وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكان وصوله اليه في المحرم سنة سبع وكان ارساله مع دحية الكلبي رضي الله عنه وأمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع الكتاب الى قيصر وكان صلى الله عليه وسلم قال قبل ذلك من ينطلق بكتابي هذا قيصر الى هرقل وله الجنة فقال دحية أنا يارسول الله فأعطاه ذلك الكتاب وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر دحية رضي الله عنه أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحارث ملك غسان ليدفعه الى قيصر فلما انتهى دحية الى الحارث أرسل معه عدي ابن حاتم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية رضي الله عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير

باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر

الله تعالى قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له
فقال دحية وماهو فقال ان له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان أحدا
لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها فافعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب
فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب
رضي الله عنه بالشام قبل اسلامه أي كان بغزة مع رجال من قريش في تجارة لهم زمن هدنة الحديبية
وكان أول الهدنة في ذي القعدة سنة ست وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر من تبوك
في السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه كتب لقيصر مرتين قال أبو سفيان فأتانا رسول قيصر وهو والي
شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله
فقال لترجمانه أيهم أقرب نسبا لهذا الذي يزعم انه نبي وفي رواية لهذا الرجل الذي خرج بأرض
العرب يزعم انه نبي فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا أي لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف
غيره وعبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان زاد في رواية ماقرابتك منه
قلت هو ابن عمي فقال لترجمانه ادنه مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه
اني قدمت هذا أمامكم لاسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وانما جعلتكم خلف كتفيه لتردوا
عليه الكذب ان قاله أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب قال أبو سفيان فوالله
لولا الحياء يومئذ ان يأثروا علي كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وأنا كاره وفي رواية لولا مخافة
ان ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه وبه يعلم ان الكذب من
القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب
قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس
قبل ان يقول ماقال قلت لا وفي رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا قلت لا قال هل كان من آبائه ملك
قلت لا زاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه
أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم والمراد بأشراف الناس أهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر
وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال فانهم من ذوي الانساب الكريمة لكنهم ليسوا من
أهل النخوة والتكبر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار وفي رواية عند ابن اسحاق تبعه منا الضعفاء
والمساكين والاحداث وأما ذوو الانساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الاكثر الاغلب
أي الاكثر والاغلب ان أتباعه الضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد
أحد منهم سخطة لدينه أي كراهة له وعدم رضى به بعد ان دخل فيه قلت لا قال فهل يغدر اذا عاهد قلت لا
ونحن الآن منه في ذمة ماندري ماهو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت
دول وسجال ندال عليه مرة أي كما في أحد ويدال علينا اخرى أي كما في بدر وقد تقدم في غزوة أحد
ان أبا سفيان قال في يوم احد يوم احد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب وفي لفظ قال أبو سفيان لقيصر
علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والانوف والفروج
واشار بذلك ليوم احد قال فبما يأمركم به قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا
عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف أي ترك المحارم وخوارم المروءة
والوفاء بالعهد واداء الامانة فقال لترجمانه قل له اني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله منكم أحد قبله فزعمت ان لا فلو كان
أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب

قبل أن يقول ماقال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك اشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل أي لان الغالب ان اتباع الرسل أهل الخضوع والاستكانة لا أهل التجبر والاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فزعمت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أي اذا حصل به انشراح الصدر وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه اخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت انه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر لانها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه الا بالغدر فعلمت انه نبي وقد كنت أعلم انه خارج ولكن لم أظن انه فيكم وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك أي يقرب ان يملك موضع قدمي هاتين وهذه الاشياء التي سأل عنها هرقل كانت مذكورة عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيصر ولو أعلم اني أخلص اليه أي أصل لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقيه وفي رواية لا استطيع أن أفعل ان فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم *قال الامام النووي ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي فانه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة وأسلم لسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ثم قال هرقل ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا قال أبو سفيان ثم دعا قيصر بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد أي ادعوك اليها أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين أي الفلاحين في القرى وفي رواية اثم الاكارين والاكار هو الفلاح والمراد اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم أسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا أسلم أسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم اسلامهم ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال أبو سفيان فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت اصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي اصواتهم التي لا تفهم فلا أدري بماقالوا وأمرينا فأخرجنا فلما خرجت أنا وأصحابي وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم أمره هذا ملك بني الاصفر يخافه فمازلت موقنا انه سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام أي فاظهرت ذلك اليقين وفي رواية مازلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقوله ابن أبي كبشة قيل انه جد لآمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وجاء في رواية ان أبا سفيان قال لقيصر لما سأله هل تتهمونه بالكذب فقال لا ولكن سأخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وماهو قال يزعم انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح

فقال

فقال بطريق أي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك أي في انه جاء مسجدنا فنظر اليه قيصر وقال وما اعلمك بهذا قال اني كنت لا أنام ليلة ابدا حتى اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع ان نحركه كانما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فلما اصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذي في زاويته مثقوب واذا فيه مربط الدابة فقلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه يا قوم ألستم تعلمون ان بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ثم أمر بانزال دحية واكرامه وجاء في رواية ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ألق به يعني الكتاب فقال له والله انك لضعيف الرأي أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر هو أحق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه وفي لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد ان يقطعه فقال قيصر ما شأنك فقال تنظر في كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر ملك الروم فقال له قيصر انك أحق صغير أو مجنون كبير أتريد ان امزق كتابا قبل أن أنظر ما فيه ولعمري لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق ان يبدأ بها مني ولئن سماني صاحب الروم فلقد صدق ما أنا الا صاحبهم ولا املكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفي رواية سيكون لهم بقية وقد صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الحافظ ابن حجر ان الملك المنصور قلاوون أرسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فأرسل ملك المغرب الى ملك الفرنج في شفاعة فقبله واكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية ثم أخرج صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه قصبة من الذهب فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما زال هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ما صح عنه صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك وملكه لم يبق الا ببلاد الروم * يروى ان قيصر لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر ان يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسطت له البسط وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فأرسل اليهم اني أردت ان اختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذي في البخاري ان قيصر لما سار الى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت وقالوا له أتدعونا ان نترك النصرانية ونصير عبيد الاعرابي فلما رأى نفرتهم وايس من ايمانهم قال ردوهم علي وقال اني قلت مقالتي اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه اني مسلم ولكني مغلوب وأرسل بهدية فلما قرأ صلى الله

عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس) كتب اليه صلى الله عليه وسلم كتابا وبعث به مع عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه لانه كان يتردد على كسرى كثيرا وفي الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس أي الذين هم أتباعك * قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه فمزقه و في رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لحامل الكتاب أن يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليه كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق ملك كسرى وفي رواية مزق الله ملكه وفي رواية اللهم مزق ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى أميره باليمن يقال له باذان انه بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الي برأسه يكتب الي بهذا الكتاب أي الذي بدأ فيه بنفسه وهو عبدي وفي رواية قال له ان لم تكفني رجلا خرج بأرضك يدعوني الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين فليأتياه فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه و بعث معه رجلا آخر من الفرس و بعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث الى الملك باذان أن يبعث اليك من يأتي بك وقد بعثنا اليك فان أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شوار بهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهم ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا قالا أمرنا بهذا ربنا يعنيان كسرى فقال صلى الله عليه وسلم ولكن ربي أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا أي ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاولى سنة سبع فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدني أن يقتل كسرى يوم كذا في شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في هذه الرواية مجرد الوقت وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بأن كسرى قتل تلك

الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين أو رهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الابيض فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقا لدعوته صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر كتابه صلى الله عليه و للنجاشي

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي سنة ست وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم لان السلم بأتي بمعنى السلامة فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى *فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين يدعوه في أحدهما الى الاسلام وفي الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة فأخذ الكتابين ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا اله الا هو والذي هداني للاسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين فأشهد انك رسول صادق مصدق وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأسلمت على يديه لله رب العالمين وفي رواية وقد بعثت اليك يا نبي الله وان شئت أتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه أرسل ابنه في ستين نفسا في أثر من أرسلهم مع جعفر بن أبي طالب عند خروجه من عنده فلما كانوا في وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر وأصحابه وكانوا سبعين وعند وصول كتابه قال النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وفي رواية ان عمرو بن أمية قال للنجاشي عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان علي القول وعليك الاستماع كأنك منا أي في الرقة علينا وكأنا منك أي في الثقة بك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شيء قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك توقع الحد واصابة الفصل والا فأنت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم

رسـله الى الناس فرجالك لما لم يرحهـم له وأمنك على ماخافهم عليـه لخير سالف وأجر ينتظر فقـال النجاشي أشهد بالله انه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وانه ليس الخـبر كالعيان ولكن أعواني من الحبشة قليل فأنظرني حتى اكثر الاعوان وألين القلوب وفي رواية ولو أستطيع ان آتيه لاتيته وتوفي النجاشي سـنة تسع وقيل سـنة ثمان وصلى عليه النبي صـلى الله عليه وسـلم وأصحابه فهذا النجاشي هو الذي أسلم واكرم أصحاب النبي صلى الله عليه وسـلم وأما النجاشي الذي ولي الامر بعده فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وجاء في بعض الروايات انه صـلى الله عليـه وسـلم كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام فقد روى البيهقي عن ابن اسحاق قال هذا كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي عظيم الحبشة سـلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحـده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بدعاية الله فاني رسوله فأسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضـنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فان أبيت فعليـك اثم النصارى من قومك قال في المواهب وقد خلط بعضهم فلم يميز بينهما أي بين النجاشيين فظنهما واحدا وفي صحيح مسلم مايدل على انهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضي الله عنـه ان النبي صـلى الله عليه وسـلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشي الذي صلى عليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صـلى الله عليه وسـلم للمقوقس) ومعناه المطوّل البناء وهو لقب لكل من ملك القبط وهـم أهـل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل بعث صـلى الله عليه وسـلم حاطب بن أبي بلتعة اللخمي رضي الله عنـه الى المقوقس وذلك أنه صـلى الله عليـه وسـلم عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هـذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليـه حاطب وقال أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب فأخذت الكتاب وودعته صـلى الله عليه وسـلم وسرت الى منزلي وشـددت عـلى راحلتي وودعت أهـلي وسرت وفي رواية أنه أرسل مع حاطب جبرا مولى أبي رهـم الغفاري والكتاب مع حاطب وفيـه بسم الله الرحمن الرحيم من محمـد رسول الله وفي رواية عبـد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سـلام عـلى من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسـلام أسـلم تسـلم وأسـلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أي الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخـذ بعضـنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ثم ان حاطبا رضي الله عنـه سار بالكتاب حتى قدم عـلى المقوقس بالاسكندرية بعـد أن ذهب الى مصر فلم يجـده فذهب الى الاسكندرية فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب مامنعه ان كان نبيا أن يدعو عـلى من خالفـه من قومـه وأخرجه من بلده الى غيرها فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث أذاه قومـه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهـم بأن يهلكهم الله حتى رفعـه اليه قال أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعـلى يعني فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ان هذا النبي صـلى الله عليـه وسـلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري مابشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس

بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعا ؤنا اباك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه أي بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة و ينهى عما ترغب عنه ولم أجده بالساحر الضار ولا بالكاهن الكذاب و وجدت معه آلة النبوة باخراج الخبأ أي الشئ الغائب والاخبار بالنجوى أي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وماتدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أي فانه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب و بعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وهما مارية وسيرين و بثياب وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر و في رواية وأرسل له عمائم وقباطي وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ثم قال وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم وفي رواية أنه أهدى له مع الجاريتين جارية أخرى اسمها قيس وهي أخت مارية وفي رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم اهدى واحدة من تلك الجواري لابي جهم بن حذيفة العدوي وهي أم ابنه زكريا الذي كان خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر وأهدى صلى الله عليه وسلم أخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهي أم عبد الرحمن بن حسان و في رواية أن المقوقس أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مع الجواري غلاما أسود خصيا يقال له مأبور وفي رواية أنه أهدى مع البغلة حمارا أشهب يقال له يعفور وأما البغلة فتسمى الدلدل وكانت شهباء ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وأهدى له أيضا فرسا وهو اللزاز ففي رواية أن المقوقس قال لحاطب ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى له عسلا من عسل بنها بكسر الموحدة قرية من قرى مصر فأعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنها بالبركة ولما أكل منه قال ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى وأهدى له مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا وفي رواية أنه أرسل مع الهدية طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ثم ان المقوقس قال لحاطب ارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب فرحلت من عنده و بعث معي جيشا يحرسني الى أن دخلت جزيرة العرب و وجدت قافلة من الشام تريد المدينة فرددت الجيش وارتفقت بالقافلة و في بعض كتب السير أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل اسلام المغيرة فلما دخلوا على المقوقس قال ماصنعتم فيما دعاكم اليه محمد قالوا ما تبعه منا رجل واحد قال كيف صنع قومه قالوا اتبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة قال فالى ماذا يدعو قالوا الى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا و يدعو الى الصلاة والزكاة وصلة الرحم و وفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس هذا نبي مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى وهذا الذي تصفون منه نعت الانبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد و يظهر دينه الى منتهى الخف والحافر فقالت

ثقيف لو دخل الناس كلهم معه ما دخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال أنتم في اللعب ثم سأله عن أشياء مثل سؤال هرقل لأبي سفيان ثم قال لهم ما فعلت يهود بيثرب قلنا خالفوه فأوقع بهم فقال هم حسد أما انهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف وذكر الواقدي وابن أبي الحكم من طريق أبان بن صالح قال أرسل المقوقس الى حاطب أي حين جاءه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أسألك عن ثلاث فقال لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الام يدعو محمد قلت الى أن يعبد الله وحده ويأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم الى أن قال صفه لي فوصفته فأوجزت قال بقيت أشياء لم تذكرها أفي عينيه حمرة قلت ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني على اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك أحدا قال حاطب رضي الله عنه فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فكان كما قال ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمر على نصرانيته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى التميمي) وكان بالبحرين بعث صلى الله عليه وسلم اليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الى الاسلام * قال في شرح المواهب ولم أر أحدا ذكر لفظ ذلك الكتاب فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي يهود ومجوس أي باقين على كفرهم فأحدث الي أمرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فاني أذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا أي من قبولك للحق وانقيادك للايمان واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه أي من مال وزوجات أربع يحل نكاحهن وعفوت عن أهل الذنوب أي المتقدمة منهم في الكفر وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية وجاء في رواية أنه كتب اليه أن افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة وفي رواية كتب اليه أن اعرض عليهم الاسلام فان أبوا أخذت منهم الجزية على أن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم *وذكر السهيلي في الروض أن العلاء لما قدم على المنذر قال له يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه ولمن لا يخون أن لا تأمنه ولمن لا يخلف أن لا تثق به فان كان هكذا فهذا هو النبي الامي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهي عنه أو ما نهى عنه أمر به أوليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه اذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر فقال

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر

المنذر قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت فى دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام ما جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر أى سأنظر فيما أصنع من الذهاب اليه أو مكاتبته وروى الطبرانى وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدى عن أبيه *قال وفد المنذر بن ساوى من البحرين ومعه ناس وأنا معهم أمسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم ووضع المنذر سلاحه ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وأنا مع الجمال أنظر الى نبى الله صلى الله عليه وسلم قال المنذر قال لى النبى صلى الله عليه وسلم رأيت منك مالم أر من أصحابك فقلت أشئ جبلت عليه أو أحدثته قال لا بل جبلت عليه فأسلموا انتهى قال بعض أهل السير ان ذلك اشتباه وان هذا الوفد معروف للاشج واسمه المنذر بن عائذ وان المنذر بن ساوى لم تعرف له وفادة وذكر أبو جعفر الطبرى أن المنذر بن ساوى مات بالقرب من وفاته صلى الله عليه وسلم وكان قد قدم عليه عمرو بن العاص رضى الله عنه وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو كم جعل صلى الله عليه وسلم للميت من ماله عند الموت فقال الثلث قال فما ترى أن أصنع فى ثلث مالى قال ان شئت قسمته فى سبيل الخير وان شئت جعلت غلته تجرى بعدك على من شئت قال ما أحب أن أجعل شيئا من مالى كالسائبة ولكنى أقسمه والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان) بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبا وأما عمان بفتح العين وشد الميم فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن أبى برزة رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الى قوم فسبوه وضربوه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك وروى الامام أحمد عن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا حجر وكان بعث كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان فى ذى القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكتب له فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر على وزن جعفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما وكتب الكتاب أبى بن كعب وختمه صلى الله عليه وسلم قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك بهذا الكتاب أى وبالدعاء الى ما تضمنه من الايمان فقال عبد أخى جيفر هو المقدم على بالسن والملك وأنا أوصلك اليه حتى تقرأ كتابك عليه ثم قال وما تدعوا اليه قلت أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وأن تشهد أن محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للاسلام فسألنى أين كان اسلامك قلت عند النجاشى وأخبرته أن النجاشى قد أسلم قال كيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال انظر يا عمرو ما تقول فانه ليس من خصلة فى رجل أفضح له من كذب قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال ما أرى هرقل علم باسلامه أى النجاشى قلت بلى قال بأى شئ

علمت ذلك قلت كان النجاشي يخرج له خراجا فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألني درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا و يدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به و ينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته و يأمر بالبر وصلة الرحم و ينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن أي أبخل بملكه من أن يدعه و يصير ذنبا أي طرفا وتابعا بعد ان كان رأسا ومتبوعا قلت ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم ويردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن أي لما فيه من من مواساة الفقراء قال وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو و يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه قلت نعم قال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فمكثت ببابه أياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما لأدخل معه على أخيه فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس على عادة ملوك العجم في أن رسول شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض خمته فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا اني رأيت أخاه أرق منه فقال جيفر ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وهي الشجر الملتف والمراد التجوز وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك أي جماعتك فأسلم تسلم و يستعملك على قومك فتبقى على ملكك مع الاسلام ولا تدخل عليك الخيل والرجال و في هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال و في هذا دليل على قوة نفس عمرو رضي الله عنه وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب وأنذره بالحرب والهلاك في محل ملكه بحضرة أعوانه مع انه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته صلى الله عليه وسلم فلم يؤذه جيفر ولا بكلمة بل خاطبه باللين حيث قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا قال عمرو فرجعت الى أخيه فقال يا عمرو واني أرجو أن يسلم أخي ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت الى أخيه فأخبرته اني لم أصل اليه فأوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب أن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله هاهنا أي لبعد الدار وان بلغت خيله هاهنا وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قال عمرو قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بخروجي خلا به أخوه فقال له ما نحن فيما ظهر عليه وكل من أرسل اليه أجابه فأصبح فأرسل الي فأجاب للاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا عونا على من خالفني وأسلم معهما خلق كثير ووضعت الجزية على من لم يسلم قال بعضهم ثم ان عمرا لم يزل بعمان حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد ولعل اقامته كانت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه أو باشارة فهمها ذلك أو باجتهاد حتى يجمع الصدقة والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفي) صاحب اليمامة وهي بلاد بالمشرق كثيرة

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة

النخيل

النخيل على نحو ستة عشرة مرحلة من مكة كتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن على الحنفى وأرسل الكتاب مع سليط بن عمرو العامرى رضى الله عنه وكان ممن أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا وغيرها واستشهد باليمامة فى قتال أهل الردة وفى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم ان دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف قال السهيلى وقال له سليط ياهوذة انك سودتك أعظم حائلة أى بالية وأرواح فى النار وانما السيد من متع بالايمان ثم زود بالتقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا يشقون به وانى آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهى عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت مارجوت وأمنت ماخفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة ياسليط سودنى من لو سودك شرفت به وقد كان لى رأى أختبر به الامور ففقدته فوضعه من قلبى هواء فاجعل لى فسحة يرجع الى فيها رأيى فأجيبك به ان شاء الله وذكر الواقدى أن أركون دمشق الرومى من عظماء النصارى كان عند هوذة فقال له هوذة جاءنى كتاب من النبى يدعونى الى الاسلام فلم أجبه فقال الاركون لم لا تجيبه قال ضننت بدينى وأنا ملك قومى ولئن تبعته لن أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخير لك فى اتباعه وانه للنبى العربى الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وانه لمكتوب عندنا فى الانجيل محمد رسول الله واركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ثم ان هوذة كتب للنبى صلى الله عليه وسلم جواب كتابه وقال فيه ما أحسن ماتدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر أتبعك وكأنه أراد الشركة فى النبوة او الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم وأجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بكتابه على النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فلما قرأ الكتاب على النبى صلى الله عليه وسلم قال لو سألنى سيابة من الارض أى قطعة منها ما فعلت باد وباد ما فى يديه أى هلك وهو خبر أو دعاء فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الفتح اخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بأن هوذة قد مات على كفره فقال صلى الله عليه وسلم أما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل وفى رواية فقال قائل يارسول الله من يقتله قال أنت وأصحابك قال بعضهم والظاهر أن المخاطب من الذين اشتركوا فى قتله أوهو خالد بن الوليد أى فانه رضى الله عنه كان أمير الجيش الذى قاتل مسيلمة لعنه الله والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبى شمر

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن أبى شمر الغسانى) وكان أميرا بدمشق من جهة قيصر وكانت اقامته بغوطتها وهو موضع بالشام كثير الماء والشجر وبعث صلى الله عليه وسلم اليه شجاع ابن وهب الاسدى من اسد بن خزيمة رضى الله عنه وكان من السابقين الاولين واستشهد باليمامة ومعه كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبى شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فانى أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب قال شجاع فانتهيت فوجدته مشغولا بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال شجاع فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حاجبه لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه يسألنى عنه صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول انى قرأت فى الانجيل وأجد صفة هذا النبى بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام فأراه خرج بأرض القرظ فأنا

أو من به وأصدّقه وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني وكان هذا الحاجب روميا اسمه مري قال شجاع وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحارث ويقول هو يخاف قيصر قال فخرج الحارث يوما فوضع التاج على رأسه فأذن لي عليه فدفعت اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته عليّ بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره بخبري فصادف قيصر بايليا وعنده دحية رضي الله عنه وقد بعثه صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب اليه أن لا تسر اليه واله عنه ووافني بايليا قال ورجع اليه جوابه وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه مري بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله مني السلام وأخبره بأني متبع دينه فقدمت فأخبرته صلى الله عليه وسلم بخبر الحارث فقال باد ملكه وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال فقال صلى الله عليه وسلم صدق وفي كلام بعض أهل السير أن الحارث أسلم ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامي فيقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع ابن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال أرسل الى الحارث والى جبلة وأن شجاعا قال له يا جبلة ان قومك يعني الانصار نقلوا هذا النبي الامي من داره الى دارهم فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان ما عند الله خيرا وأبقى فقال جبلة والله اني لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع قومي به وقد دعاني قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكني لست أرى حقا ولا باطلا وسأنظر * وذكر بعضهم أنه أسلم خفية ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل له هدية وكان ثابتا على اسلامه لزمن خلافة عمر رضي الله عنه فكتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه فسر عمر رضي الله عنه بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج والحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عاتق الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته فلما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام عنده بالمدينة مكرما فخرج عمر حاجا فخرج معه وحين تطوف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فغضب فلطم الفزاري لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه وفي رواية فقأ عينه فشكى الفزاري الى عمر رضي الله عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت انفه أو قال له لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين وطئ على ازاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر رضي الله عنه اما أنت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته منك وفي رواية قال والحكم اما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة فيصنع بي ماذا قال مثل ما صنعت به فقال أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقي فقال له عمر رضي الله عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى قال ان كنت أنا وهذا الرجل في الدين سواء فأنا أتنصر فاني كنت يا أمير المؤمنين أظن أني أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية فقال له عمر رضي الله عنه اذا تنصرت أضرب عنقك قال فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري قال ذلك الى خصمك فقال الرجل أمهلته يا أمير المؤمنين فأذن له عمر في الانصراف ثم ركب في بني عمه وهرب الى قسطنطينية فدخل على هرقل وتنصر هناك وكان مع الروم في قتال المسلمين حتى هلك على النصرانية وقيل عاد الى الاسلام

ومات مسلما ولم يصح وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا وكان يمسح الارض برجله وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه قيل فيها قبر ابراهيم بن أدهم والله سبحانه وتعالى أعلم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى بني نهد

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى بني نهد) وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بألفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم ويكاتبهم بلغتهم وذلك من أنواع بلاغته صلى الله عليه وسلم فكان يتكلم مع كل ذي لغة غريبة بلغته ومع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعا في الفصاحة واستحداثا للالفة والمحبة فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب فانظر الى دعائه صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة حين سألوه ذلك * فقال اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم وفي رواية اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم اني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدي يشكو الجدب اليه فقال يارسول الله أتيناك من غوري تهامة بأكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا اليك يارسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشرائع الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعاء لهم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يابني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا الى بني نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يابني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وروى العسكري عن علي رضي الله عنه قلنا يانبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وانك تتكلم بلسان العرب مالا نعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي أي علمني رياضة النفس ومحاسن الاخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت في بني سعد ابن بكر أي فجمع لي بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وخلوص ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها قال في المواهب وتحتاج هذه الالفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة الى التفسير فغوري تهامة ما انحدر منها والاكوار الرحل والميس بفتح الميم وسكون التحتية شجر صلب يعمل منه رحال الابل ونستحلب بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب أبيض متراكب متكاثف أي نستدر السحاب ونستخلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب في الارض شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل وقيل نستخلب الخبير أي نقطع النبات ونأكله ونستعضد البرير أي نقطعه والبرير ثمر الاراك وكانوا يأكلونه في الجدب لقلة الزاد ونستخيل الرهام بكسر الراء وهي الامطار الضعيفة واحدتها رهمة أي نتخيل الماء في السحاب القليل ونستجيل بالجيم الجهام أي نراه

جائلا يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام بفتح الجيم السحاب الذي فرغ ماؤه ويروى ونستخيل بالخاء المعجمة الجهام من خلت أخال اذا ظننت أراد لانتخيل في السحاب الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه فنظن مالا وجود له موجودا ويروى ونستحيل بالحاء المهملة والمراد لا ننظر من السحاب في حال الا الى جهام من قلة المطر وقوله من أرض غائلة النطا بكسر النون أي المهلكة للبعد يقال بلد نطى أي بعيد والمدهن بالضم نقرة في الجبل ومستنقع الماء وكل موضع حفره السيل وآلة الدهن وقار ورته وهذا كناية عن جفاف الماء في جميع نواحيهم والجعثن بالجيم والمثلثة المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون أصل النبات والاملوج بضم الهمزة واللام وبالجيم ورق شجر يشبه الطرفا والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم هو الغصن اذا يبس وذهبت طراوته يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وقوله وهلك الهدي بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشد الياء كالهدي بسكون الدال وتخفيف الياء ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لينحر فأطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا لكونها له تسمية للشيء ببعضه وقوله ومات الودي بشد الياء هو فسيل النخل يريد هلكت الابل ويبست النخيل وبرئنا اليك من الوثن أي الصنم يعنون أنهم تركوا عبادة الاصنام والالتجاء اليها والعن أي الاعتراض يقال عن لي الشيء اذا اعترض كأنه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطل وقوله ما طما البحر بالطاء المهملة أي ارتفع بأمواجه وتعار بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة فألف فراء بزنة كتاب اسم جبل يصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله ولنا نعم همل بفتحتين أي مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة والابل الاغفال التي لا ألبان فيها والوقير القطيع من الغنم وقوله كثير الرسل بفتح الراء أي شديد التفرق في طلب الرعي وقليل الرسل بكسر فسكون اللبن وقوله سنية بالتصغير للتعظيم وقوله حمراء أي شديدة أي أصابها جدب شديد وقوله مؤزلة أي آتية بالازل أي القحط ليس لها علل هو الشرب ثانيا ولا نهل هو الشرب أولا أي لشدة القحط وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أي خالص لبنها ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن وهو الذي حرك في السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها وهو اللبن الممزوج بالماء والضمائر لارضهم أو انعامهم المذكورة في كلام طهفة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم لهم في ألبانهم بأقسامها والقصد الدعاء لهم بخصب أرضهم وسقيها فكأنه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة وابعث راعيها في الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ويجوز فتحها ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير لانه من الدثار وهو الغطاء لانها تغطي وجه الارض وافجر له الثمد بفتح المثلثة واسكان الميم وتفتح الماء القليل أي صيره كثيرا وقوله ودائع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ووضائع الملك بكسر الميم هي الوظائف التي تكون على الملك وهو ما يلزم الناس في أموالهم من الزكاة والصدقة أي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا نتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيئا بل أنتم فيها كسائر المسلمين وقوله لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الاولى مكسورة والثانية ساكنة أي لا تمنع الزكاة يقال لط الغريم اذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة أي لا تمل عن الحق ما دمت حيا والخطاب لطهفة بن رهم ويروى ولا نلطط في الزكاة ولا نلحد في الحياة بصيغة التكلم ولا تتثاقل عن الصلاة أي لا تتخلف عنها وعن أدائها في وقتها وقوله في الكتاب في الوظيفة الفريضة الوظيفة الحق الواجب والفريضة هي الهرمة المسنة التي انقطعت عن العمل والانتفاع بها أي لا نأخذ

فى الصدقات هذا الصنف كالا تأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة أى وهى لكم لا نأخذها فى الزكاة أيضا والفريش بالفاء وكسر الراء وفتحة ساكنة آخره شين معجمة وهى من الابل الحديثة العهد بالنتاج كالنفاس من بنى آدم أى لكم خيار المال كالفريش لانها لبون نفيسة ولكم شراره أيضا كالفريضة والفارض ولنا وسطه رفقا بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف سير اللجام والركوب بفتح الراء أى الفرس الذلول أى المذلل للركوب أى لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب أى بخلاف المعد للتجارة والفلو بفتح الفاء وضم اللام وشد الواو والمهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب امتن عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها وهو ذو العنان الركوب ورديها وهو الفلو الضبيس أى أظهر المنة عليهم فى ذلك لان الله ما أوحى اليه باخذ الزكاة فى ذلك فهى غير واجبة فيه لا عليهم ولا على غيرهم وقوله لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشى أى لا يدخل عليكم احد فى مراعيكم والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها وقوله ولا يعضد طلحكم أى لا يقطع شجركم الذى لا ثمر له فغيره من باب أولى وقوله ولا يحبس دركم أى لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى الى أن تجتمع الماشية ثم تعد أى يعدها الساعى لما فيه من غير رضا صاحبها بعدم رعيها ومنع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة أو المعنى لا نأخذ ذات الدر لما فى ذلك من الاضرار وقوله مالم تضمروا الاماق أى مالم تخلفوا وتكتموا الاماق أى الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف برنة الاكرام وفى رواية الرماق وهو الغدر أيضا وقال الزمخشرى فى تفسير الاماق المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله وقوله وتأكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذى يجعل فيه عرى وتشد به البهمة لتتخلص من الرباط أى الا أن تنقضوا العهد فاستعار الاكل لنقض العهد استعارة تصريحية أو تمثيلية وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه والمعنى هذا أمر مقدر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فان فعلتم فعليكم ما على الكفرة وقوله فعليه الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أى الزيادة يعنى من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له وهو صادق بأى زيادة كانت أى يزاد فى عقوبته ولو بقتاله فان مانع الزكاة يقاتل قال فى المواهب فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذى انطبق على لغتهم أى من حيث المماثلة فى غرابة الالفاظ مع انه زاد عليها فى الجزالة أى حسن النظم والتأليف وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها فلما كان كلام من تقدم على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم فاستعمال الهامع من هى لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ما هو غريب وحشى بالنسبة لغيرهم حتى ان كلام البادية الوحشى فصيح بالنسبة لهم وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وما ذاك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت فى كتب السنة وفى شرح الشهاب الخفاجى على الشفاء ان جماعة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا لا يعرفون

العربية فقال رجل منهم بلغته من أبون أمران أي أبكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشكذ أور ومعنى اشكذ تعال وأقبل وهلم وأور معناه هنا أوالنا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فأسلم و بايع وانصرف لقومه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر الصحابة بقدومه ولغته فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب فلا توازى فصاحته ولا تبارى بلاغته فلا حاجة الى الاطالة بها وفي المواهب والشفاء وشرحهما كثير من ذلك

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لذى المشعار الهمداني

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لذى المشعار الهمداني) المشعار بكسر الميم واسكان الشين المعجمة وعين مهملة فألف فراء اسم موضع باليمن لقب به مالك بن نمط الهمداني وهمدان شعب عظيم أي قبيلة من همدان ويكنى مالك بأبي ثور وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه من تبوك فقال يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما أقام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي أمر بكتابة ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن النمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح (فقوله) نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من ينتصى من القوم ويختار وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع أذناب وقوله أتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة الشابة ولا تزال قلوصا حتى تصير بازلا وهي ما تم لها ثمان سنين ودخلت في التاسعة والنواجي السراع جمع ناجية وقوله متصلة بحبائل الاسلام أي عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فألف فميم ويقال ايام قبيلتان من همدان وقوله ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل أي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد والسنة الطريقة ويروى عن وشية ماحل والماحل هو الواشي والساعي بالافساد والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية أي لا ينقض عهدهم بسعي الواشي ولا بداهية تنزل وقوله سوداء أي شديدة فهو من اضافة الصفة للموصوف أي لا ينقض عن داهية شديدة ولعلع بلامين وعينين جبل وما جرى اليعفور بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ولد الظبية وقوله بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التي لانبات فيها فالمراد ان عهدهم لا ينقض أصلا لان لعلعا مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالارض القفراء وقوله صلى الله عليه وسلم لمخلاف هو الناحية وطرف الاقليم وقوله خارف اسم موضع وأهل جناب الهضب بكسر الجيم والهضب بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع أيضا وحفاف الرمل بحاء مهملة مكسورة ففاءين بينهما ألف اسم موضع أيضا وهذه المواضع ببلادهم وفراعها بكسر الفاء وبراء وعين مهملة جمع فرعة بفتح فسكون أي ما علا من الجبال أو الارض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم أعناب كانت لعمرو بن العاص رضي الله عنه بالطائف على ثلاثة أميال

من و ج وكان يعرشها على ألف ألف خشبة وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهملة ثم زاءين مخففتين ماصلب من الارض وخشن مما لا ملك لاحد فيه وقولها كلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ماتأكله الماشية ففيه مجاز الحذف أي ما كل ماشيتهم أو أنها كلون بمعنى ءاكلون وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد أي المباح الذي ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ اذا اندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وسماها دفئا لانه يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يتدفأ به وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أي لنا من نخلهم مايصرم أي يقطع وما يخرج منه وهو التمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة ماهرم بكسر الراء من ذكور الابل وتكسرت أسنانه والانثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التي طال نابها والفصيل بالمهملة الذي انفصل عن أمه من أولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر والداجن الداجة التي تألف البيوت والكبش الحوري بحاء مهملة فواو مفتوحتين وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذي في صوفه حمرة منسوب الى الحورة وهي جلود تتخذ من الضأن وقيل مادبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تم سنها وذلك اذا دخلت في السادسة وقيل السابعة والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة او السادسة وفي النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه وذلك في السنة السادسة والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة العليمي) وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بمهملة مصغر نسبة لبني عليم الكلبي وفد قطن مع قومه على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله

رأيتك ياخير البرية كلها * نبت نضارا في الارومة من كعب

أغر كأن البدر سنة وجهه * اذا ما بدا للناس في حلل العصب

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها * ودنت اليتامى في السقاية والجدب

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا وكتب له كتابا وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب واحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمي باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي وسعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس عليهم من الهمولة الراعية البساط الظئار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفي العثري شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس *وتفسير ذلك ان العمائر جمع عمارة بالفتح أصغر من القبيلة والاحلاف المحالفون لهم ومن ظأره الاسلام بالظاء المعجمة والهمزة المفتوحة آخره هاء على وزن منعه أي ومن جمعه الاسلام عليهم من غيره والهمولة بفتح الهاء هي التي ترعى بأنفسها بأن تكون سائمة في كلاء مباح والبساط التي معها أولادها والظئار أن تعطف الناقة على غير ولدها فهو اسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله ناقة بالرفع فاعل لحب مقدرا وهذه الصفات ليست للتخصيص لما علم من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع اصناف الابل حتى لو تمحضت من بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لاغية الحمولة بفتح الحاء والمائرة التي تحمل الميرة وهي الطعام والمعنى ان الابل التي تحمل

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة

الهمم المسيرة لا تؤخذ منها زكاة لانها عوامل ومقال قوم وقوله وفى الشوى بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة والورى بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة ما لها سنتان لكن الذى فى الفروع ان الواجب فى الغنم جذعة ضأن لها سنة أو جذعة معز لها سنتان ويمكن حمل ما هنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والابل لانهما غالب أموالهم والجدول النهر الصغير والعين المعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض بلا تعب والعثرى الزرع الذى لا يسقيه الا ماء المطر وقوله بقيمة الامين أى بتقويم الخراص العدل والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر) بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة فراء الحضرمى رضى الله عنه ونسبه ينتهى الى مالك بن مرة بن حمير بن زيد الحضرمى كان أبوه من أقيال اليمن ووفد هو على النبى صلى الله عليه وسلم واستقطعه أرضها فأقطعه اياها وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم معه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ليسلمها اياها وكان معاوية رضى الله عنه حافيا فأحرقه حر الشمس فسأله أن يردفه خلفه فأبى ورأى انه لا يكون كفؤا لان يكون رديفه فقال له لست ممن يردفه الملوك فسأله نعليه أن يلبسهما فأبى وقال دونك ظل ناقتى فامش فيه وذلك كافيك فقال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك فعاش وائل بن حجر حتى أدرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه وأكرمه قال وائل فوددت لو كنت حملته بين يدى وكان له قبل الاسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوما فى الظهيرة فسمع صوتا ثلاثا فى سجده فسمع هاتفا يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا ترجى من نحيت صخر * ليس بذى عرف ولا ذى نكر
ولا بذى نفع ولا ذى ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمرى

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرنى فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقل
فدن بدين الصائم المصلى * محمد الرسول خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فقام اليه فجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فأدناه النبى صلى الله عليه وسلم وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر سيد الاقيال أتاكم من أرض بعيدة راغبا فى الاسلام فقال يا رسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده ثم انه نزل الكوفة فى آخر عمره وتوفى بها فى خلافة معاوية رضى الله عنه وله بها عقب ووقع فى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالكندى فقيل انه غلط والصواب الحضرمى وقال ابن الجوزى الحضرمى أو الكندى فلا مانع من كونه حضرميا كنديا ثم كتب له صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال وتفسيره الاقيال هم الرؤساء دون الملوك وقيل الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون من عهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذوو الهيئات الحسنة الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية سادة الرؤس الحسان الوجوه فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم

ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر

رؤساء سادات فلا يرد انه منسا ولمفهوم الارواع وقوله وفى التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفى القاموس التيعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان أى غير البقر وقوله ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف وشد الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها تحتية فألف آخره طاء مهملة أى لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ما قبلها وهى الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها وقوله وأنطوا بقطع الهمزة بعدها نون أى اعطوا بلغة اليمن أو بنى سعد وقرئ شاذا انا أنطيناك وروى فى الدعاء لا مانع لما أنطيت والثبجة بمثلثة فوحدة فجيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أى اعطوا الوسط فى الصدقة لا من خيار المال ولا من دنيه وفى السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز أو المعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لان الاصل من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهى ساكنة فأدغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل فى الرسم تخفيفا فلذلك اتصلت النون بالميم لفظا وخطا فأدغمت اذ لم يبق مانع من الادغام بخلاف ما لو رسمت فانها تكون فاصلة وقوله فاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أى اضربوه وأصله الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف ويروى فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال صفعت فلانا أصفعه اذا ضربت قفاه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب أى غربوه وانفوه وقوله فضرجوه بالضاد المعجمة المفتوحة وشد الراء المكسورة وبالجيم المضمومة من التضريج وهو التدمية أى ارجموه حتى يسيل دمه ويموت وقوله بالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أى بالحجارة وقوله ولا توصيم فى الدين بصاد مهملة مكسورة تفعيل من الوصم وهو العيب والعار أى لا عار فى اقامة الحدود أى لا تحابوا فيها أحدا وهذا بمعنى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله ولا غمة فى فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم أى لا تستر ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهارا لشعائر الدين ويروى ولا عمه فى الدين بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء أى لا حيرة ولا تردد فيه وقوله يترفل بشد الفاء المفتوحة أى يسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباغه أى تطويله واسباله للفخر والعظمة فاستعير أو هو كناية عن جعله رئيسا عليهم محكما فيهم * فهذه نبذة من مكاتباته صلى الله عليه وسلم ومخاطباته يعلم منها انه كان يكلم كل ذى لغة بلغته من العرب أو العجم وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب وكأنه يسلب الارواح ففصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها ولذا قال بعضهم كلامه صلى الله عليه وسلم معجز قال الزهرى قال رجل من بنى سليم يا رسول الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملفجا فقال له أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما قال لك وما قلت له فقال صلى الله عليه وسلم قال أيماطل الرجل أهله قلت نعم اذا كان مفلسا قال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال أدبنى ربى ونشأت فى بنى سعد رواه ابن عساكر وغيره قال فى القاموس دالكه أى ماطله والملفج بضم الميم واسكان اللام وفتح الفاء وبالجيم اسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو على غير قياس والقياس كسر الفاء ومثله فى الخروج عن القياس أحصن فهو محصن بفتح الصاد المهملة وأسهب الرجل اذا أكثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء والقياس الكسر فى الجميع وقيل ان الكلام كناية عن مماطلة الرجل امرأته فى الايلاج عند ارادة

الوقاع أي أبداعب الرجل امرأته قبل الجماع فقال صلى الله عليه وسلم نعم اذا كان ملفجا أي مفلسا كناية عن كونه عاجزا ضعيف الشهوة ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمي مفلسا تشبيها بمن لا يملك مالا لعجزه وقيل معناه أعنا لها اجهرها اذا كان فقيرا فقد أجاب صلى الله عليه وسلم السائل بجواب محتمل لتلك المعاني كما أن سؤاله كان كذلك فهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم ومن جوامع كلمه التي اختص بها صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث عطية السعدي رضي الله عنه قال قدمت وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومي فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وذكر من كلامه ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وقال الله مسؤل ومنطى وفي شرح الشهاب على الشفاء روي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات يوم جالس مع أصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضا أم خفقا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى الله عليه وسلم الحيا فقالوا يارسول الله ما رأينا أفصح منك قال وما يمنعني من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان عربي مبين وقواعد السحابة أساسها واحدتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شيء علا فقد بسق والوميض اللمع الخفي يقال أومض ايماضا وأومض بعينه غمز والخفق بوزنه الضرب البرق الضعيف قال الجوهري خفق اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض والذي يشق شقا هو الذي يستطيل في الغمام وجونها أسودها وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء وبعد أن بث صلى الله عليه وسلم كتبه في الآفاق أقر أمراء في كل قطر دخل في طاعته وانقاد لشرعه فمن امرائه صلى الله عليه وسلم باذان بن ساسان كان نائبا لكسرى على اليمن فلما هلك كسرى باخبار النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم أسلم باذان لظهور صدق النبي صلى الله عليه وسلم له في اخباره بهلاك كسرى مع ما بلغه عنه من المعجزات وأرسل للنبي صلى الله عليه وسلم باسلامه واسلام من معه فأمره صلى الله عليه وسلم على اليمن وفاء بقوله صلى الله عليه وسلم لرسولي باذان حين أرادا الرجوع اليه قولا له ان أسلمت أقرك على ملكك وهو أول أمير في الاسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم ثم مات واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن باذان وقيل ان باذان خرج للوفود على النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة باليمن فقتله وقيل ان الذي قتله الاسود انما هو ابنه شهر لا هو وأن العنسي تزوج زوجته بعد قتله وكانت مسلمة فأعانت فيروز الديلمي على قتل الاسود فانها امكنته من الدخول عليه ليلا فقتله وأمر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وولى زياد بن لبيد الانصاري رضي الله عنه حضرموت وهو مخلاف باليمن وولى أبا موسى الاشعري رضي الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل رضي الله عنه الجند ومخاليفها وولى أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه نجران وهو موضع باليمن قال بعضهم انه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو سفيان بمكة فلعل مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه يزيد تيماء بلدة بناحية تبوك ثم ان أبا بكر لما جهز الجيوش للشام كان أول أمير عقد رايته يزيد بن أبي سفيان ثم ولي الشام في خلافة عمر رضي الله عنه بعد أبي عبيدة رضي الله عنه وقبل أخيه معاوية وتوفي يزيد رضي الله عنه بالشام وهو أكبر من معاوية قال بعضهم ان يزيد بن أبي سفيان أفضل آل أبي

سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه مكة وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه القضاء باليمن وولى عمرو بن العاص رضي الله عنه عمان الى غير ذلك مما بسطه أهل السير وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

باب في ذكر شيء من معجزاته صلى الله عليه وسلم

(باب في ذكر شيء من معجزاته صلى الله عليه وسلم) اعلم أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يمكن حصرها وانقتصر على المشهور منها وقد يذكر شيء مما تقدم في أول بعثته أو مما اندرج في غزواته وسراياه فلا ينبغي الملل والسآمة عند ذكر شيء من ذلك لان تكراره تزداد الفائدة

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي أي بطلب المعارضة كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها لانها لا تنسب لكسبهم لكونها خارقة للعادة وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة أن تظهر على يد مدعي الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الامر الخارق للعادة الى المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور في كتب الكلام فلا حاجة الى الاطالة به ثم ان دلائل رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار عن شأنه شهيرة فمن ذلك ما وجد في التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له وخروجه بأرض العرب وما خرج بين يدي مولده ومبعثه من الامور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما احل الله بأصحابه فان تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوهة بذكرهم مشيرة الى أنه سيصير لهم نبأ عظيم وذلك ظهور هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وكخمود نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها ألف عام لم تخمد وسقوط أربع عشرة من شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها الى ما حولها من البلاد والمدن فأصبحت ليلة المولد ناشفة كان لم يكن بها شيء من الماء ورؤيا الموبذان وهو قاضي المجوس رأى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فقال له كسرى أي شيء يكون هذا قال حدث يكون من ناحية العرب ومن ذلك ما سمع من هواتف الجن الصارخة بمبعثه وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من أماكنها الى غير ذلك مما روى ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبيا ومن تأمل في جميل مآثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته وقد اكتفى كثير ممن عاصره صلى الله عليه وسلم بتلك الاشياء فآمن وانقاد له صلى الله عليه وسلم وعلم أن تلك الصفات لا يمكن أن يتصف بها غيره فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة اسمه وصفته واني أومن به وأصدقه وعن أبي رمثة التيمي رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قلت هذا نبي الله أي لما شاهده من عظمته ونور نبوته فأوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم أن ضماد بن ثعلبة الازدي كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يغيب في قومه ثم يقدم وافدا الى مكة فقدم مرة في أول مبعثه صلى الله عليه وسلم وسمع الناس يقولون فيه ما قالوا أي من نسبته للسحر أو الكهانة أو الجنون وكان ضماد عاقلا يطبب ويرقي في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون جاءه وقال اني راق فهل بك من شيء فأرقيك فأجابه صلى

الله عليه وسلم بقوله ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغت قاموس البحر أى وسطه أو لجته ثم قال هات يدك أبايعك فآمن به وصدقه وأسلم وانقاد من غير تردد واكتفى بهذه الكلمات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتهما مع ماشاهده من نور وجهه الشريف وحسن سمته وقال بعضهم فى قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يقرأ قرآنا أى وان لم يظهر معجزة كما قال ابن رواحة رضى الله عنه

لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معه صلى الله عليه وسلم مايستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الدين الذى اظهره ودعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية فى العصبية والحمية والتعادى والتباغى وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أفعالهم نظر فى عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء وتناصرت القلوب وتتابعت الايدى فى التعاون والتناصر على اظهار الحق فصار واجمعا واحدا فى نصرته ناظرين الى طلعته ليذبوا عنه مايكره ويعاونوه على مايريد وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم فى محبته وبذلوا أرواحهم فى نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف والسهام والرماح ووطنوا أنفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم لاجل اعزاز كلمته واعلاء دينه واظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا غرض فى العاجل أطمعهم فى نيله فيرغبون بسببه أو ملك أو شرف فى الدنيا يحوزونه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يجعل الغنى فقيرا لانه كان يحمل الاغنياء على صرف أموالهم فى الجهاد ونحوه من أنواع القرب ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر والاعراض عن الاسباب المشعرة بنحو الكبر فهل يلتئم مثل هذه الامور أو يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله بالاختيار العقلى والتدبير الفكرى لا والذى بعثه بالحق وسخر له هذه الامور مايشك عاقل فى شئ من ذلك وانما هو أمر الهى وشئ غالب سماوى ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم أكثرها متواتر رواها جمع عن جمع وكانت تظهر فى مواطن اجتماعهم كيوم الخندق وبقية الغزوات وفى محافل المسلمين ومجمع العساكر والجند ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة ولا انكار على من روى ذلك مع شدة تحريهم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق لانهم منزهون عن السكوت على باطل وعن المداهنة فى الكذب كلهم عدول لا يخافون فى الله لومة لائم ولو كان ماسمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وبعض ألفاظ فى القرآن ثم نقلت الى من بعدهم قرنا بعد قرن تأخذها طائفة عن طائفة وجماعة عن جماعة قال القاضى عياض فى الشفاء فمن اعتنى بطرق النقل لم يشك فى صحة هذه القصص المشهورة أى من المعجزات وخوارق العادات كالاخبار بالمغيبات ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان أكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد وانها مدينة عظيمة وانها دار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها أى فجهل الجاهل بذلك لا ينفى التواتر فكذا مانحن فيه ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم انه كان اميا لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه ولد فى قوم أميين ونشأ بينهم فى بلد

ليس

ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج في سفر قاصدا الى عالم يعكف عليه ليتعلم منه فجاءهم
بأخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت تلك الكتب ودرست وحرفت عن
مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها الا القليل واقلهم لم يجتمع صلى الله عليه وسلم
بأحد منهم حتى يظن انه أخذ عنهم ثم انه جادل كل فريق من أهل الملل المخالفة له بآيات وبراهين
لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيأ لهم نقض ذلك وهذا أدل شئ
على انه أمر جاءه من عند الله تعالى لا صنع لاحد فيه ومن أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم
القرآن العظيم فقد تحداهم بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله
فعجزوا عن الاتيان بشئ منه فكان هذا القرآن الذي أعجزهم أوضح في الدلالة على الرسالة
من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان
والمتقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد
المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص وقريش
كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة وانشاء الكلام البليغ ارتجالا في المحافل جعل الله لهم
ذلك طبعا وخلقة فيأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة في المقامات
وفي كل موضع شديد الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ويرفعون
من مدحوه بمدحهم ويضعون من ذموه بقدحهم فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون الاعناق
بأحسن من عقد اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن
ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم
البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق
فكل من البدوي والحضري لهما الحجة البالغة والقوة الدامغة لا يرتابون ان الكلام طوع مرادهم
والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها
وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فجاءهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبادرت في الحسن
مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه جاءهم وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر
في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها
يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم من الاعوام بضعا
وعشرين على رؤس الملأ أجمعين فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم
ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا عاجزون
عن معارضته وما ذاك الا ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق
دون غيره من المعجزات ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم تستنبط من معجز
سواه فمعجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن
باقية الى يوم القيامة وقد قطع صلى الله عليه وسلم بانهم لا يقدرون على معارضة القرآن حيث تحداهم به
وقال لهم كما أمره الله تعالى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فلولا علمه صلى الله عليه وسلم بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانهم لا يقدرون لما قال لهم ولن تفعلوا لانه كان اعقل الرجال من أهل زمانه بل هو اعقل خلق الله على الاطلاق فلكمال عقله لم يحصل له ريب فى خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه بانهم لا يأتون بشئ من مثله وهذا من أحسن ما يكون فى هذا المجال وأبدعه وأبينه فانه نادى عليهم بالعجز عن معارضته ونفى قدرتهم فى المستقبل حيث قال ولن تفعلوا فلو قدروا فعلوا فصار صارخا بعجزهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعى وتظاهر الاجتهاد وهم فى كل حين ناكصون عن معارضته يخادعون انفسهم بالتكذيب والافتراء يقولون ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين ورضوا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر أى صمم ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقنعوا بادعاء القدرة مع عجزهم كما قال تعالى حكاية عنهم ولو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم فلو استطاعوه ما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعا وعشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم ان يغلبوا خصوصا فى الفصاحة وقال تعالى اظهارا لعجزهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى معينا فهذا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيما لاعجاز القرآن والا فالتحدى انما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على اساليبه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين واعانة بعضهم بعضا ومع ذلك عجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد اعجز فرضيت هممهم الشريفة وأنفسهم الابية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من أهل الفصاحة والبلاغة بانه لا يقدر أحد على معارضته وانه ليس من كلام البشر فمن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك انه ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى ان كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا أو تطلب الشرف فنحن نسودك علينا وان كان الذى يأتيك رئيا بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم اسمع منى بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوضع عتبة يده على فم النبى صلى الله عليه وسلم وقال له لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش ما وراءك فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة اسلام حمزة رضى الله عنه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروى من حديث اسلام أبى ذر رضى الله عنه كما رواه مسلم انه حين بلغه بعثة النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعث أخاه انيسا لينظر له فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وكان أبو ذر يصف أخاه بقوله والله ما سمعت باشعر من اخى انيس قد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية أى عارضهم فى قصائدهم أى فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال فانطلق انيس الى مكة ثم رجع الى أبى ذر يخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلا بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد وانه

لصادق وانهم لكاذبون وروى البيهقى فى قصة الوليد بن المغيرة وكان سيد قريش فى الفصاحة انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم اقرأ على شيئا لانظر فيه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد أعد على قراءتك فاعاد صلى الله عليه وسلم الآية فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار منى ولا باقوال الجن منى والله ما يشبه الذى يقول شيئا من ذلك والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته وقد سبق عند ذكر استهزاء المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ان الوليد بن المغيرة هذا قال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ما هو بكاهن ولا بمجنون ولا بشاعر ولكن أقرب القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطا وروى أبو نعيم من طريق ابن اسحاق عن رجل من بنى سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما أسلم فتيان بنى سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه معاذ أخبرنى ما سمعت من كلام هذا الرجل وكان معاذ أسلم قبل أبيه فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ما أحسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل هذا قال يا أبت وأحسن من هذا * قال فى المواهب نقلا عن بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا فى مصحف فى فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى وان البشر وغيرهم لاقدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك

(ذكر وجوه اعجاز القرآن) اعلم ان وجوه اعجاز القرآن لاتنحصر فمنها الايجاز أى قلة اللفظ وكثرة المعانى والبلاغة الخارقة لعادة العرب حتى كان فى الحد الاعلى مثل قوله ولكم فى القصاص حياة فجمع فى كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معانى كثيرة وحكى أبو عبيد أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام أى انما كان سجوده لانه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتى ذل ومرغ وجهه فى التراب وسمع اعرابى آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام أى لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر وحكى الاصمعى انه رأى جارية صغيرة السن بلغت خمس سنين أو ستا وهى تقول استغفر الله من ذنوبى كلها قال الاصمعى فقلت لها مم تستغفرين وأنت صغيرة لم يجر عليك قلم أى لم تبلغى الحلم فقالت

استغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا لغير حله

مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالامران ارضعيه وألقيه والنهيان ولا تخافى ولا تحزنى والخبران وأوحينا وفاذا خفت وقيل الخبران والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهو خبر من جهة وبشارة من جهة وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم ايها المسلمون قال فتأملتها فاذا هى قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون

فكان ذلك سبب الاسلامه وقد أراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا طرفا من البلاغة وحظا من البيان أن يضعوا شيئا يلبسون به على الناس يزعمون انه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ورأوه مكان النجم من يد المتناول ومنهم من أراد أن يصنع كلاما قليلا يحاكي به نحو سورة الكوثر ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن من القبيح فجاء بما يدل على سخافة عقله وجمود قريحته وسوء فعله وظهر لاهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم فولوا عنه مدبرين واعترفوا بحقية القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله يا ضفدع كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين وما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر الى غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التي ألفوها فيكون حجة على خزيه ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل أي ممتد ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة مالا يخفى على من لا يعلم فضلا عمن يعلم اذ كل من سمعه يمجه و يعلم ضرورة هجانته ولكنه *(ومن وجوه اعجازه)* الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع فلا يشبه نظما ولا نثرا ولا خطبة ولا رسالة ولا سجعا مع أنه يشاركها في أنه مؤلف من كلماتهم ونزل على أساليب كلامهم في البلاغة وقد اشتمل على حسن التأليف والتآم الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب في عجائب تراكيبهم وغرائب أساليبهم وبدائع انشائهم وروائع اشاراتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الوضع المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء به القرآن ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته لم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في حسن كلامهم فلا ريب أنه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وذل ذل الغنم بين الليوث الغضاب وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه أصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما حكي عن يحيى بن حكيم الاندلسي وكان بليغ الاندلس في زمانه قيل انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين أنه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج على منوالها فاعترته خشية ورقة في قلبه حملته على التوبة عما كان رامه وعلم أنه أمر لا يقدر عليه البشر ويحكى أن المقنع بضم الميم وفتح القاف والنون المشددة قبل العين المهملة وكان أفصح أهل وقته وكان في عصر التابعين طلب المعارضة ورامها فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فقال اشهد أن هذا ما هو من كلام البشر وأن هذا لا يعارض أبدا ثم رجع ومحا ما عمله وأبطله وعلم أنه لا مناسبة بينه وبين كلام الله في شيء وبالتأمل في القرآن المجيد يظهر لك من عجائبه ما لا يمكن حصره فتأمل في مثل قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقوله تعالى ويا أرض ابلعي ماءك الآية وقوله تعالى فكلا

أخذنا

سألوه عن حكم الرجم للزاني المحصن وكانوا قد أنكروه في شريعتهم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم
وأخبرهم بأنه مذكور في التوراة وكبيان ما حرم اسرائيل على نفسه واسرائيل هو يعقوب عليه
السلام وكان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم امتحانا له عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم
لحوم الابل والبانها فصدقوه وذلك أن يعقوب عليه السلام نذر أنه ان دخل بيت المقدس سليما من
الامراض والآفات أن يذبح آخر أولاده فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكا وكزفخذه فمرض
بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك لطف من الله به لئلا يلزمه ذبح ولده لانه اشترط في النذر
الدخول الى بيت المقدس سليما من الامراض والآفات فلم يحصل الشرط فحرم على نفسه ما مر لانه
يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح وسألوه صلى الله عليه
وسلم أيضا عما حرم على بني اسرائيل من الطيبات والانعام التي كانت أحلت لهم فحرمها الله عليهم
ببغيهم أي عقوبة لهم بسبب ظلمهم وأنزل الله في ذلك وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام
والاوز والبط وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر
والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه في سورة الانعام وقوله
ببغيهم أي بقتل أنبيائهم وأخذهم أموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لم يحرم
الله علينا شيئا فان حرم علينا شيئا فبينه فأنزل الله هذه الآية الصريحة في تكذيبهم فافتضحوا وجاء أن
اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم أنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك محرم
في شرعه فأنزل الله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن
تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فبكتوا لما لم يجدوا فيها ما ادعوه ومن الاخبار بما
في الكتب السابقة قوله تعالى في وصف أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الانجيل الآية والاشارة لقوله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود ولم يذكر عن أحد منهم أنه
كذبه في شئ من ذلك بل كثير منهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته وبأنهم انما جحدوا نبوته حسدا
وعنادا كأهل نجران وعبد الله بن صوريا وحيي بن أخطب وغيرهم من أحبار اليهود والنصارى حتى
ان نصارى نجران لما طلب مباهلتهم امتنعوا وخافوا من نزول العذاب عليهم واعترفوا بنبوته فيما بينهم
وامتنعوا من اتباعه ظاهرا بغيا وعنادا وصالحوه وانصرفوا كما سيأتي وعن صفية أم المؤمنين رضي
الله عنها وكانت بنت حيي بن أخطب قالت كان عمي أبو ياسر أحسن رأيا من أبي كان يقول لابي أليس
هو الذي نجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته وقد فضح الله أهل
الكتاب الذين حسدوه صلى الله عليه وسلم وأظهر كثيرا مما أخفوه قال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير أي الحلم وستره عليهم رجاء
هدايتهم بتوفيق الله تعالى *(ومن وجوه اعجازه)* ما ذكره تعالى من عجز قوم في قضايا وإعلامهم
بأنه لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادعوا دعاوى باطلة وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا أو نصارى فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت
لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ان كنتم صادقين
انكم من أهل الجنة وأنها مخصوصة بكم فتمنوا الموت لان من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحب
التخلص من هذه الدار وأكدارها ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قال الله تعالى ولن يتمنوه

أبدا بما قدمت أيديهم فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وأبدا وما قدمت أيديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم التوراة ففى هذه الآية من المعجزات الاخبار بالغيب وهو انتفاء تمنيهم الموت فى المستقبل فكان كما أخبر اذ لم يتمنوه ولو تمناه أحد منهم لمات ولم يقع التمنى من أحد منهم مع توفر الدواعى على نقله لو وقع والتمنى وان كان من اعمال القلب الخفية الا ان النطق بقولهم تمنينا ممكن وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحى اليه ولم يتمنه أحد منهم لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا على تكذيبه بأن يتمنوا ولا يموتوا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته وفى الشفا من أعجب أمر اليهود انه لا يوجد منهم أحد يقدم على تمنى الموت ولا يجيب اليه من يوم نزول هذه الآية لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم من التمنى موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنهم به ومثل ما تقدم فى الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم *(ومن وجوه اعجازه)* الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال وهذه الروعة على المكذبين به أعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم له لخبث طباعهم قال تعالى واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحاكم الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر وأما المؤمن فلا تزال روعته به أى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه اجلالا وهيبة توليه عند تلاوته انجذابا فيميل قلبه ويمنعه لحبه استماعه ويزداد هشاشة ونشاطا لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله أى يعرض للجلد الذى الخشية عند القرآن قشعريرة من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشى وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف وانما لم يقع مثل هذا من الصحابة رضى الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين ومما يدل على ان ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شئ خص به القرآن دون غيره من الكلام انه أمر يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره وما ذاك الا لسر فيه وأمر ربانى ولذلك يهاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره وفى الشفا للقاضى عياض ان نصرانيا مر بقارئ يتلو القرآن يجهر افوقف ليسمع قراءته وهو يبكى فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم والمراد بالشجا الطرب وبالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك فى نفسه وهو لا يفهم حتى أبكاه وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام عند سماعهم القرآن فمنهم من أسلم لهذه الروعة لاول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من كفر روى البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه حين جاء الى المدينة ليكلم النبى صلى

قوله توليه يعنى تورثه

الله عليه وسلم فى أسارى بدر قال فلما بلغ هذه الاية أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبى أن يطير أى حدث عنده فزع وخوف شديد حتى ظن أن قلبه يفنى ويطير زاد فى رواية وذلك أول ما وقر الايمان فى قلبى أى لانه لما سمعها وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على ان لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن الايمان فى قلبه بعد اضطرابه وفى رواية فصدع قلبى وفى رواية انه لما سمع قوله تعالى والطور وكتاب مسطور فى رق منشور تحير واندهش فلما سمع ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع جلس وخاف ان العذاب ينزل به فلما سمع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين أخذه خوف شديد فلما وصل الى قوله أم هم المسيطرون قال كاد قلبى يطير الخ الحديث ففيه دليل لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه رضى الله عنه *(ومن وجوه اعجازه)* ان قارئه لا يمله ولو أعاده مرارا مع ان القلوب جبلت على معاداة المعادات وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وحسنا وبهجة وقبولا ولا يزال غضا طريا لا تتغير بهجته ونضارته فكأنه فى كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها والمراد ان غير القرآن يخترع له اسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه ولاختصاص القرآن بعدم ملل قارئه وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الالسن ولا تخلق على الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم *(ومن وجوه اعجازه)* جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحى عليه بل ولا يحيط أحد من علماء الامم بها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين قوية بينة سهلة الالفاظ رام المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وكقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وكقوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وكقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه من دقائق علم النجوم كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ومن دقائق علم الطب كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومن دقائق علم الهندسة انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب ففيه اشارة الى شكل مثلث مع بعض أحكامه التى لا يعرفها الا الراسخون فى علم الهندسة وفيه جمل من علوم السير والاخلاق الحميدة وتزكية النفس وأنباء الامم والمواعظ والحكم وجوامع الكلم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم والامثال والاشياء التى دلت على البعث وآياته والاخبار بما كان وما يكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة

الاحكام الى غير ذلك قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل واخرج ابن أبي شيبة ان الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى منزل عليك توراة أي كتابا يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه تفتح بها أعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب الاحبار عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى فجمع الله فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات *(ومن وجوه اعجازه)* ان الله جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز وحسن تأليفه واعجازه وبلاغته فهذا دليل وفي اثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهي مدلول فالقارئ يفهم الحجة والتكليف من كلام واحد وسورة منفردة *(ومن وجوه اعجازه)* تيسير الله تعالى حفظه لمتعلمه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول اعمارهم وامتداد أزمنتهم قال سعيد بن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤنها الا نظرا في صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير وقد من الله تعالى على هذه الامة بأن يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ويسر حفظه للغلمان في أقرب مدة *(ومن وجوه اعجازه)* مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ما شرع وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده كضرب الامثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر فيها من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن انطلاق الملأ منهم واجتماعهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيده هؤلاء مثل مصابهم وتصبيره النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص الانبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقلل فصاحته *(ومن وجوه اعجازه)* ان الله وسع على الامة بقراءته على أوجه متنوعة وطرق متعددة وهي طرق القراءات المشهورة ومع ذلك لا يختل شيء من بلاغته وجميع انواع اعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه وهذا لا يمكن مثله في كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد في انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شيء من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو أريد قراءتها على أوجه متنوعة بخلاف القرآن العزيز قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر احد أن يأتي بمثل القرآن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها فعجز غيرهم أولى وهم قد عرفوا انه صلى الله عليه وسلم من قبل نبوته بأربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولم يتعلم شيئا ولم ينشد شعرا لغيره فضلا عن انشائه ولا يحفظ خبرا ولا يروي أثرا حتى أكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه

وحاجهم

وحاججهم به قال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وشهد له سبحانه وتعالى فى كتابه بذلك قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ووجوه اعجاز القرآن كثيرة وعجائبه لا تنقضى ولا تتناهى واذا عرفت ما تقدم عرفت انه لا يحصى عدد معجزات القرآن بألف ولا ألفين ولا أكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحداهم بسورة منه فعجزوا عنها وأقصر السور انا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها منه معجزة ثم فى انفسها معجزات كما تقدم وجاء فى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ونور أبصارنا واجعلنا من المنتفعين به العاملين بما فيه التالين له حق تلاوته انك على كل شئ قدير والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم)* انشقاق القمر اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ترجع الى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله الى محل فضله فأما القسم الماضى وهو ما كان قبل وجوده فكثير كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به وغير ذلك مما هو تأسيس لنبوته وارهاص لرسالته وهذا القسم سماه بعضهم ارهاصا وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة وأما القسم الثانى وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ فى كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات بسببه ما لا يحصى فكرامات الاولياء من تتمات معجزاته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيرى حيث يقول

والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته فما وجد قبل البعثة يسمى أيضا ارهاصا وذلك كالنور الذى خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأت أمه قصور بصرى وروى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آمنة قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفى رضاعه وكتظليل الغمام فانه انما كان قبل البعثة وكذا كل ما كان قبل بعثته وما وجد بعد البعثة فكثير جدا منه انشقاق القمر وقد نطق القرآن به قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وروى أحاديثه أهل السنن كالبخارى ومسلم والامام أحمد والبيهقى وبقية أهل السنن ورووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم على وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر قال العلامة عبد الوهاب ابن السبكى ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم قال فى المواهب وقد أجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم قال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا من جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية عن أنس رضى الله عنه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين وكان أنس بالمدينة صغيرا فروايته كانت عن ابن مسعود رضى الله عنه وكذا رواية ابن عباس رضى الله

عنهما لانه اذذاك لم يولد وفى رواية للبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل أى فوقه كما فى الحديث قبله فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية للامام أحمد عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا أى الكفار سحرنا محمد فقال رجل منهم أى وهو أبو جهل ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ سحره أن يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا فأخبر وهم انهم رأوا مثل ذلك وفى رواية لابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبى كبشة ثم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك رواه أبو داود الطيالسى وفى رواية للبيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبى كبشة فسلوا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم وان لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه فقال الكفار هذا سحر مستمر وفى رواية لابى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص ابن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فانشق وفى رواية فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا ورواه البخارى مختصرا عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ انّ القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس رضى الله عنهما وان لم يشاهد القصة كما تقدم ففى بعض طرقه أنه حمل الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه وجاء فى رواية لعبد الرزاق والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه رأيت القمر منشقا شقتين شقة على أبى قبيس وشقة على السويداء والسويداء بالمدّ والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبل وفى شرح المواهب أنّ التعبير بأبى قبيس من تغيير بعض الرواة لان الغرض ثبوت رؤيته منشقا احدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل آخر ولا يغاير ذلك قول الراوى الآخر رأيت الجبل بينهما أى بين الفرقتين لانه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره صدق أنه بينهما وأىّ جبل آخر كان فى جهة يمينه أو يساره صدق عليه أنها عليه أيضا ووقع فى بعض روايات ابن مسعود رضى الله عنه أنّ انشقاق القمر كان والنبى صلى الله عليه وسلم بمنى وفى روايات أنس أنّ ذلك كان بمكة ولا تعارض لان مراد أنس رضى الله عنه أنّ ذلك كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة ويصدق على منى أنها من جملة مكة بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل أن يصير الى المدينة فظهر أنّ المراد بذكر مكة فى رواية أنس الاشارة الى أنّ ذلك وقع قبل الهجرة وقيل انّ الشق تعدّد فمرّة كان وهم بمنى ومرّة وهم بمكة وقيل أنّ مدّة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل فيحتمل أنهم كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة فمرّة ذكروا حراء ومرّة ذكروا أبا قبيس فقد روى أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما انشق القمر ليلة أربع عشرة نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل وجاء أنه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم النبى صلى الله عليه وسلم احدى الفرقتين وقال اشهدوا ثم أراهم الفرقة

الاخرى

الاخرى وقال اشهدوا وعلى هذا حمل بعضهم الرواية التي فيها أنه أراهم انشقاق القمر مرتين وجزم
بعضهم بتكرر الانشقاق وأنه وقع مرتين فلا تنافي بين الروايات قال القاضي عياض في الشفا وحيث
أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وتواترت أحاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بأنه لو كان
هذا الانشقاق ثابتا لم يخف على أهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم وحاصل الرد عليه أنه لم ينقل لنا
عن أهل الارض أنهم رصدوه تلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطلعه فلم يروه انشق بل لو فرض أنهم فعلوا
ذلك لما كانت بهم حجة علينا به اذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الارض لاختلاف أحواله
باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض وقد يطلع على
قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الارض أو يحول بين
قوم وبينه سحاب ولهذا توجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها الا ذو المعرفة ذلك تقدير العزيز العليم وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من
الناس في الليل السكون واغلاق الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا الا من
رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء وكثيرا ما يكون خسوف القمر في البلاد وأكثر الناس لا يعلم به حتى
يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع وأمور عظام تظهر بالليل
في السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ومع ذلك قد سألت قريش كثيرا من أهل الآفاق فأخبروهم
بأنهم شاهدوا ذلك فقالوا سحر مستمر أي عام وكان المخبرون هم السفار لان المسافرين في الليل غالبا
يكونون في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم فان الغالب عليهم أن يكونوا نياما ويكفي ذلك
في ثبوت التواتر وان خفي على كثير من أهل الآفاق وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ان الاجرام
العلوية لملاستها لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الاسراء الى غير
ذلك من انكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك وأجيب بأنه لا انكار للعقل في ذلك
فان القمر مخلوق فلله أن يفعل فيه ما يشاء تحكي أن أبا بكر بن الطيب لما أرسله صاحب الدولة لملك الروم
بقسطنطونية وأخبر ملك الروم بأن هذا أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته ليناظره فقال له
تزعمون أن القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين
المائدة اخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين أنكروها وهم في جواركم
فألقم ولم يحر جوابا *(تنبيه)* ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه
وسلم وخرج من كمه فليس له أصل وسئل النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما انشق فرقتين دخلت احداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر
وقال الآخر بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل في كمه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشق
وهو في موضعه من السماء وظهرت منه احدى الشقتين فوق الجبل والاخرى دونه هكذا أثبت
في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)*
صلى الله عليه وسلم رد الشمس له روت أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها وهي زوج جعفر
ابن أبي طالب رضي الله عنه ثم تزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد استشهاد جعفر رضي الله عنه ثم
تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه قالت ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يصل علي رضي الله عنه العصر حتى
غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها

قوله يحر بضم الياء من أحار المتعدي بمعنى رد لا بفتحها من حار اللازم بمعنى رجع قال تعالى انه ظن أن لن يحور قاله نصر

فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر رواه الامام أبو جعفر الطحاوي وقال ان أحمد بن صالح المصري كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة وأحمد بن صالح من كبار أئمة الحديث الثقات وحسبه أن البخاري روى عنه في صحيحه ولا عبرة باخراج ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال السيوطي

ومن غريب ما تراه فاعلم * فيه حديث من صحيح مسلم

قال في المواهب في حديث رد الشمس قد صححه الطحاوي والقاضي عياض قال الزرقاني وناهيك بهما وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها باسناد حسن ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة باسناد حسن أيضا ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام قاضي القضاة ولي الدين العراقي في شرح التقريب عن أسماء ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا رضي الله عنه في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علي رضي الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فسأله أصليت قال لا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس كي يصلي قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء ورواه الطبراني أيضا عن أسماء رضي الله عنها بلفظ آخر قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا علي أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ صلى الله عليه وسلم وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب وفي لفظ آخر عند الطبراني أيضا في الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما سرّي عنه صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله بكلمتين أو ثلاث فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت أسماء فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حتى صلى العصر علي رضي الله عنه ومن القواعد أن تعدد الطرق يفيد أن للحديث أصلا قال الزرقاني في شرح المواهب ومن لطائف الاتفاقات الحسنة أن أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قرب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا أنها غربت وهموا بالانصراف فأصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فأشار لهم بالجلوس وقال ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروى الطبراني في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن لا تغرب حتى تقدم عير قريش التي رآها ليلة الاسراء وأخبرهم أنها تقدم يوم كذا وولى النهار ولم تجئ فتأخرت ساعة من نهار الى أن قدمت وروى يونس بن أبي بكر عن ابن اسحاق امام المغازي قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي

قبل هذا البيت
وفي كتاب ولد الجوزي
ما ليس بالموضوع في المروي
اه مؤلفه

أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وأشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا ادققت النظر فيها تبين لك أن تحت كل لفظة جملا كثيرة وفصولا جمة ووجدت فيها علوما زواخر مع ايجاز الالفاظ وكثرة المعانى ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها كل شئ فى موضعه بحيث لا ترى محلا أولى من محل واذا تأملت أيضا القرآن وجدته مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة جامعا للحجج والمحتج له واستيفاء هذه الامور متسقة أحسن نسق لا يتمكن لغير الله عز وجل فادعاء أنه من عند النبى صلى الله عليه وسلم وأنه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة أنه جاء على لسانه من عند الله فان عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم بالضرورة كما أن كونه خارقا للعادة معلوم بالضرورة كل ذلك معلوم بعجز المنكرين عن معارضته مع اعترافهم بالعجز بلاغته ثم هو آية معجزة فى سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة الفصحاء نطقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناسق وجوهه وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها قصها الله تعالى على أعجب ترتيب وأبدع تهذيب مرتبطا أولها بآخرها لم ينضب ماء بيانها ولم يحل عقد نظامها ثم ان قصصه اذا كررت فيه وذكرت مرة بعد أخرى اختلفت فيها العبارات وذكرت فى كل مكان أعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسى فى البيان صاحبتها فيكون سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها ولا معاداة لمعادها قال فى الشفا ومن تفنن فى علوم البلاغة وأرهف خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وأن كل واحد من تلك الوجوه معجز على حدته فهو كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى بل أعظم من ذلك لان هذا من جنس ما تعاطونه ومع ذلك لم يأتوا فيه بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا أشمخ الانوف أباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك الذل اختيارا ولا يؤثرونه الا اضطرارا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم فالشغل بها أهون عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم أهل القدرة والمعرفة بالكلام من جميع الانام وما منهم أحد الا جهد جهده واستفرغ ما فى وسعه فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما أظهروا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بقطرة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد فما نطقوا بل انقطعوا

(ومن وجوه اعجازه) ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان فى وقت نزوله ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم علمه الا الله فجاء كما أخبر على الوجه الذى به أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بدخوله معهم المسجد الحرام وهو بالمدينة قبل عام الحديبية فظنوا أنه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فأنزل الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فأخبرهم بأنه سيقع بعد ذلك فكان كما أخبر فلما وقع ذلك قال لهم صلى الله عليه وسلم ذلك الذى قلت لكم وكقوله تعالى غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين فأخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس فى بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع فكان كما أخبر الله وذلك أن الروم كانوا أهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس للروم ويفرحون

بهاتها أولا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا بأذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وأخبر أبو بكر رضى الله عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له أمية بن خلف وقيل أبى بن خلف كذبت فقال له أبو بكر بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بينى وبينك أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار وجعلوا الموعد بينهما ثلاث سنين وأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد فى الرهان فان الله قال فى بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ففعل فجعل القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك أى غلبة الروم لفارس عام الحديبية وهو لم يخرج عن مدة التسع سنين فأخذ القلائص أبو بكر رضى الله عنه من ورثة أمية أو أبى لان أمية قتل يوم بدر وأبى قتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد فتمام الاجل انما وقع بعد موتهما فالقلائص انما أخذت من ورثتهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه تصدق بها وانما أمره بالتصدق بها وان كان هذا قبل تحريم القمار شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (ومن الاخبار بالغيب الواقع فى القرآن قوله تعالى ليظهره على الدين كله فهذا وعد من الله بأن دين رسوله صلى الله عليه وسلم سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله عليه وسلم جميع الامم وقد وقع ذلك كما أخبر ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا أى ليجعلنهم خلفاء فى أرضه مالكين لها منصورين على أعدائهم والآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضى الله عنهم فكانت الغلبة لهم على أهل الردة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وعلى الروم وفارس فى خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم فى البلاد وأبدلهم بعد خوفهم أمنا كما أخبر سبحانه وتعالى ومكن دينهم فى مشارق الارض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيها كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وكقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى عمه العباس رضى الله عنه فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول ففتحت مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا أى جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة لما أعز الله الدين ونشر أعلامه فى الخافقين فما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم أسلموا ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة فكان الامر كما أخبر الله وكقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فأخبر سبحانه وتعالى بأنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الازمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات فكان فى المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله أى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها فالمراد بالذكر فى قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن وقد اجتهد كثير من الملحدة فى ادخال شئ من التبديل فى القرآن بعد أن أجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم فى هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه ولا

تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فكان الحفظ حاصلا بالله كما أخبر الله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه وخيبة سعي من سعى في المغالبة وافتضاح جهلة أعدائه ومما أخبر الله به من المغيبات في القرآن العزيز قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدر وا ما هذا الجمع الذي سيهزم ولا المراد من الآية فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبس صلى الله عليه وسلم درعه وخرج اليهم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر رضي الله عنه فعلمت المراد منها حينئذ أي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم أي يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة ففيها الاعجاز لفظا ومعنى وكقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ففيها اخبار بالغيب وذلك أن ناسا من اليمن وبني خزاعة أسلموا وبقوا بمكة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من أصحابه فلقوا من المشركين أذى شديدا فأرسلوا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا وأبشروا بفرج قريب وأذن الله للمسلمين في الجهاد وأنزل آيات في الامر بالجهاد ومنها هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الى آخرها فكان بعدها ما أوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم حتى خربوا ديار المشركين بالسبي والجلاء وسلب النعم وكقوله تعالى لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون أخبر سبحانه وتعالى عن اليهود بأنهم لا يقدرون عليكم الا بأذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وأنهم ان يقاتلوكم يخذلوا ويكون لكم النصر عليهم فكان الامر كذلك (ومما في القرآن من الاخبار بالمغيبات ما فيه من كشف أسرار المنافقين مما كانوا يخفونه في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله وكشف أسرار اليهود واظهار كذبهم وما قالوه فيما بينهم وهم يظنون أنه لا يشعر به غيرهم وتقريع الله لهم وتوبيخهم فكانوا يحلفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم أنها صادقة فينزل الله تكذيبهم كقوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي يقول اليهود فيما بينهم وفي تناجيهم في خلوتهم هلا يعذبنا الله في قولنا في حق محمد لو كان نبيا لدعا علينا حتى نعذب ففضح الله مقالتهم وأظهر مناجاتهم وزاد ذلك بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا أتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي أخفوه هو قول بعضهم لبعض في الخلوة يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا فأعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فأخبرهم بما قالوه فهو من جملة الاخبار بالمغيبات وكقوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وكقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين أي بالتكذيب والسخرية فأخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وبمقالتهم وعدم طاعتهم وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه في صورة القياس نظره ورعايته مكرا منهم وليا بألسنتهم وهو من الاخبار بالغيب فضيحة لهم ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فهذا اخبار عن المؤمنين بأمر وقع في نفوسهم وودوه وأحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه به جبريل عليه السلام حين نزل عليه بهذه الآية وذلك ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بأحد الامرين الظفر بالعير القافلة من الشام بأموال قريش أو قتل النفير وهم قريش الذين خرجوا من مكة لتخليص تلك العير وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في أنفسهم أخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من

السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدوّ و يقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة أوسبعة من الكفار كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم أشد الاذى و يسخرون به فاخبره الله تعالى بهلاكهم قبل وقوعه فكان كما قال فلما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهلاكهم وقد تقدم الكلام عليهم في مباحث البعثة * ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى والله يعصمك من الناس أي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرسونه صلى الله عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت هذه الآية منعهم من الحراسة وما أصابه يوم أحد لا ينافي هذا لان الآية نزلت بعدها أو المراد من هذه الآية حفظه من القتل فكان محفوظا مع كثرة من رام ضرّه وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة منها ما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها وتفرّق الناس في الوادي ليستظلوا بالشجر فأتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فأخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فسقط السيف من يده وتعتله رعدة فأخذ السيف صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم للصحابة ها هو جالس وهو ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا أكون في قوم هم حرب لك وأمثال هذا كثير وتقدم في الغزوات شئ من ذلك *(ومن وجوه اعجازه القرآنية)* ما أخبر الله به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ الشاذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فأورد الله ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم على أتم حال يليق به و ينبغي له وأتى به على غاية مرتبة من كماله ورفعته فاعترف العالمون بذلك بصحته وصدقه مع أنه لم ينله تعليم ومع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يشتغل بمدارسة ومداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب ولم يغب عن قومه غيبة يحتمل أنه تعلم فيها ما أخبرهم به ولا جهل حاله أحد منهم من ولادته الى وفاته حتى ينسبوه تعلمه ذلك من أهل الكتاب وقد كان أهل الكتاب من أحبار اليهود والنصارى كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أخبار الامم السالفة فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء عليهم السلام مع أممهم فيذكرها لهم صلى الله عليه وسلم مفصلة بأبلغ عبارة وألطف اشارة كخبر موسى والخضر وخبر يوسف واخوته وكقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الانباء والقصص المذكورة في القرآن عمن مضى من الامم السالفة وكبيان ابتداء الخلق وما جرى في ذلك وخلقه للسموات والارض وآدم وحوّاء وما في التوراة والانجيل من الاحكام والشرائع والتوحيد وما في الزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدّقه فيه العلماء بها من أهل الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شئ منها بل أذعنوا لذلك واعترفوا به فمنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الازلية ومنهم من خذله الله فكفر عنادا وحسدا ومع هذا العناد والحسد الذي أظهروه لم يذكر عن واحد من النصارى واليهود تكذيب شئ من ذلك مع شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم وحرصهم على تكذيبه في شئ من كلامه ومع طول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه في طلب أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم فكان يعلمهم بمكتوم شرائعهم وما تضمنته كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكبيان حكم الرجم لما

في العير قالوا له متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار أي قارب ذلك اليوم أن يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجئ العير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة حبست عليه الشمس أي أمسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها وأما حديث لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون عليه السلام فهو محمول على أن المعنى لم تحبس على أحد من الانبياء غيري الا ليوشع وقال الحافظ ابن حجر الحصر محمول على الماضي للانبيا قبل نبينا وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث علي رضي الله عنه لانه في قصة يوشع كان حبسها قبل الغروب وفي قصة علي كان حبسها بعد الغروب وقوله الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو القائم بالرسالة بعده فدعا الله تعالى أن يدنيهم من الارض المقدسة رمية حجر وقاتلهم يوم الجمعة فلما قاربت الشمس الغروب خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم قيل كان علم النجم صحيحا قبل ذلك فلما وقفت الشمس ليوشع عليه السلام بطل أكثره ولما ردت لعلي رضي الله عنه بطل جميعه *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم كلام الشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة وأحاديث كلام الشجر له كثيرة شهيرة رواها أهل السنن عن كثير من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله ابن عباس وعائشة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأسامة بن زيد وأنس ابن مالك ويعلى بن مرة وغيرهم ورواها عنهم أضعافهم من التابعين قال القاضي عياض في الشفا فصارت في انتشارها من القوة حيث هي قال الشهاب الخفاجي يعني أنها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء روى البيهقي والبزار والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أين تريد يا اعرابي قال أهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه السمرة وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الارض أي تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا أي طلب منها أن تشهد له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت له بأنه رسول الله حقا ثم رجعت الى مكانها ورجع الاعرابي الى قومه وقال يا رسول الله أن يتبعوني آتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية أي علامة تدل على أنه رسول فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي أسجد لك أي بعد ان آمن به كما صرح به في رواية فقال له صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها فقال الاعرابي فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال آذنت أي أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وان الجن قالوا له من يشهد لك أي بأنك رسول الله فقال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وتقدم في مباحث البعثة قبيل باب ذكر تعذيب قريش للمستضعفين قصة ركانة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيها أنه صلى الله عليه وسلم لما طلب

منه أن يسلم قال لا الا أن تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم وبدى ركانة فقال أريتني أمراً عظيماً فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فأبى وبقي على كفره حتى كان عام الفتح فأسلم رضي الله عنه وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنين وأربعين وروى البيهقي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه في أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فأوحى الله اليه أن ائت وادي كذا من أودية مكة فان فيه شجرة فادع غصناً منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطاً حتى انتصب بين يديه فحبسه ماشاء الله أي جعله مدة قائماً عنده ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال علمت ان لا مخافة علي ورواه بنحو هذا البزار وابو يعلي والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم قال أرني آية لا أبالي من كذبني فذكر نحوه وروى البخاري في تاريخه والبيهقي والدارمي والترمذي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف انك رسول الله فقال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بي قال نعم فدعاه فجعل ينقز أي يثب حتى أتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه فأسلم الاعرابي وفي رواية فجعل ينزل من النخلة شيئاً فشيئاً حتى سقط على الارض فأقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد فأسلم الاعرابي وقال اشهد انك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الثمار الخ وروى الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة حين كذبوه فقال له مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب أن أريك آية أي تزيل حزنك فقال نعم فنظر الى شجرة من وراء الوادي أي الذي كان فيه مع جبريل فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فأمرها فرجعت الى مكانها فقال صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي وفي رواية لا أبالي من كذبني من قومي بعد هذا أي لان الجماد اذا أطاع دعوته دل ذلك على ان الناس تطيعه لكن تأخير ذلك لحكم خفية ورواه الدارمي من حديث أنس والبيهقي من حديث عمر رضي الله عنهما وروى الامام أحمد والطبراني والبيهقي عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فذكر الحديث الى أن قال ثم سرنا حتى نزلنا منزلاً فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته وفي رواية طافت به ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ صلى الله عليه وسلم ذكرت له ذلك فقال هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم علي فأذن لها وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة حتى نزلنا وادياً أفيح أي واسعاً فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرشيئاً يستتر به فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فأخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي معي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده والمخشوش الذي وضع له الخشاش وهو عود يجعل في أنف البعير لينقاد بسهولة ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا والمنصف بفتح الميم والصاد بينهما نون ساكنة أخره فاء الموضع الوسط بين الموضعين والالتئام الاجتماع وفي رواية انه لما أخذ بغصن احداهما قال لجابر قل لهذه

الشجرة تقول لك رسول الله الحق بصاحبتك حتى أجلس خلفكما فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فرجعت أحضر أي أعدو وأجري وجلست أحدث نفسي بهذا الامر الغريب العجيب فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وهو حديث واحد طوله بعض الرواة واختصره بعضهم وروى البيهقي وابو يعلى عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تقصده وتعينه فقلت ان الوادي مافيه موضع خال عن الناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يامركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما فقضى حاجته ثم قال لي قل لهن يفترقن والذي نفسي بيده لرأيتهن يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى الامام أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عن يعلى بن سيابة رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وقال في رواية فأمر وديتين أي نخلتين صغيرتين فانضمتا وعن غيلان ابن سلمة الثقفي رضي الله عنه مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين ولله در الابوصيري حيث يقول

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم (أي الطريق)

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث واني لاعرفه الآن قال بعضهم هو الحجر الاسود وقال آخرون هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به كذلك في المواهب ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الامام أبو حفص الميانشي قال أخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبني في الجدار المقابل لدار أبي بكر رضي الله عنه المشهورة هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله قال العلماء وانما كان هذا في بدء نبوته تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم لدعوته وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى أبو نعيم عن برة رضي الله عنها قالت لما أراد الله كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم كان يمضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وكان يرد عليهم وعليكم السلام قال بعضهم فهذا أمر يقر به الحجر فكيف ينكره البشر رواه البزار وأبو نعيم وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أي في ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تأمين أسكفة الباب أي عتبته وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم روى البيهقي وابن ماجه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يا أبا الفضل لا ترم بكسر الراء أي لا تبرح من منزلك أنت وبنوك حتى آتيك فان لي فيكم

حاجة فانتظر وه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا أمكنوه أى اتصلوا به اشتمل عليهم بملاءته فقال يارب هذا عمى وصنو أبى أى مثله وهؤلاء أهل بيتى أى من أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه قال فامّنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين وبنو العباس هؤلاء هم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد واختهم أم حبيبة رضى الله عنهم وفيهم يقول عبد الله الهلالى

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أو سهل

كسبعة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل

عم النبى المصطفى ذى الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الامام أحمد والبخارى والترمذى وابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضى الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وروى مسلم مثل هذا عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حرا وزاد وقال ومعه على وطلحة والزبير وفى رواية وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم وقال فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد وأولا تقسيم وروى مسلم أيضا والترمذى والنسائى فى حراء أيضا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه وزاد فيهم عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وفى رواية انه وقع مثل ذلك وهم على ثبير ويجمع بين الروايات بتعدد القصة وتكررها ولا مانع من ذلك ورجف الجبل هذا هو تحركه طربا بصعودهم عليه أو خوفا وهيبة واجلالا وليست رجفة غضب كرجفته ببنى اسرائيل لما حرفوا الكلم وروى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وماقدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرّن عنه وروى البخارى ومسلم والبزار والطبرانى وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب فى يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فما أشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى مابقى منها صنم وفى رواية لابن مسعود رضى الله عنه فجعل يطعنها ويقول جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد ولا تنافى بين الروايتين لاحتمال أن يفسر قوله يطعنها بأنه يشير اليها من غير مس ليوافق ماقبله أو انها لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن بعضها بمس لطيف لا يقتضى سقوطها عادة فعلى الحالين يكون سقوطها معجزة له صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى والبيهقى فى حديث بحيرا الراهب وهو بفتح الباء مقصورا فى ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه أبى طالب فى تجارة وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج تلك المرة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش من أين عرفت هذا فقال لانه لم يبق شجر ولا حجر الا خرساجدا له ولا تسجد الا لنبى ولانه أقبل وعليه غمامة تظلله ولما دنا من القوم وقد سبقوه الى فئ الشجرة جلس صلى الله عليه وسلم فمال الفئ اليه ومما يلتحق بذلك تأثير قدميه صلى الله عليه وسلم فى الحجارة والانة الصخر له قال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا وهذا مما شاع فى الاقطار ونظمه الشعراء فى فصيح الاشعار فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه فى الحجارة بحيث بقى ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه

كما في القدس ونقل منه لمصر في أماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباي اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره هو موجود الى الآن وانه صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر وقال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور وقد جاء حديثا على الالسنة ونطق به الشعراء في قصائدهم النبوية والبلغاء في منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وأنه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل

وعما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه في الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة الى الآن وما ذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم السارى في البغلة ليكون أوضح في الدلالة على انه أوتي مثل ما أوتي الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني ان أثر قدمه صلى الله عليه وسلم وأثر أصابعه موجود على صخرة بيت المقدس وذكر السيوطي في الخصائص ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه ما وطئ على صخر الا وأثر فيه قال بعضهم كان ذلك قبل البعثة وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة محققة عند الائمة الجهابذة من أهل الحديث فلا وجه لانكار بعض القاصرين لها وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة أسئلة رفعت اليه فأجاب عنها بأنها باطلة ان أبا جهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة في دارى آمنت بك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كأنين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل لعنه الله أعرض ولم يؤمن انتهى قال بعض المحققين وفي معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يغني عن حكاية مثل هذه القصة التي لم يرد بها حديث صحيح ولا ضعيف فهي باطلة كما قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من أهل السنن منهم البيهقي والبزار والطبراني وابن عساكر من حديث ابي ذر وأنس بن مالك رضي الله عنهما ففي رواية عن ابي ذر رضي الله عنه قال كنت أتتبع خلوات النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكأني أرى انه في وحي فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله أي حبهما فأمرني أن أجلس فجلست الى جنبه لا أسأل عن شئ ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر رضي الله عنه يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب أبي بكر رضي الله عنه ثم جاء عثمان رضي الله عنه كذلك وجلس الى جنب عمر رضي الله عنه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن بالارض فخرسن ثم أخذهن وناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن وناولهن عمر رضي الله عنه فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن من

الارض وناولهن عثمان رضى الله عنه فسبحن فى كفه كنحو ماسبحن فى كف أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وفى رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن فوضعهن فى الارض فخرسن ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع واحد منا وفى رواية أنس رضى الله عنه ثم وضعهن فى أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن واستشكل قوله ثم وضعهن فى أيدينا بأن ماتقدم يقتضى انه لم يحضر غير أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر رضى الله عنهم واجيب بأنه يحتمل تكرر القصة أوأن ماتقدم باعتبار أول الامر ثم حضر جماعة من الصحابة منهم أنس رضى الله عنه خصوصا وقد كان خادم النبى صلى الله عليه وسلم فتقل مفارقته له ولم يذكر على رضى الله عنه لانه لم يكن حاضرا معهم فى ذلك المجلس وذلك لايشين مقامه رضى الله عنه مع ماله من المناقب ولو كان حاضرا لسبحت فى كفه قطعا (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام وهو يؤكل) روى البخارى والترمذى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى الشفا للقاضى عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وروى أبو الشيخ عن أنس رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال ان هذا الطعام يسبح قالوا أوتفقه تسبيحه قال نعم ثم قال لرجل أدن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها فقال نعم يارسول الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها فردها وظاهر هذا انه كان يسبح وهو فى الاناء وظاهر حديث البخارى انه كان يسبح بعد وضعه فى الفم ولا مانع منهما وفى قوله كنا دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة وهو آية للنبى صلى الله عليه وسلم أعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام وكذا تسبيح الحصى لان الجبال لم تسبح وهى بيد داود عليه السلام بخلاف الحصى فانها سبحت بيده صلى الله عليه وسلم وبيد من أراد من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما اذ لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وانما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لان الطير ناطق فى الجملة بخلاف الطعام وروى البيهقى ان أبا الدرداء وسلمان الفارسى رضى الله عنهما كانا اذا كتب أحدهما للآخر قال له بآية الصحفة وذلك انهما بيناهما يأكلان فى صحفة اذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهور صوت دال على ذلك الشوق والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك حتى صار متواترا قال القاضى عياض والتاج السبكى والحافظ ابن حجر وغيرهم ان حنين الجذع وانشقاق القمر كل منهما أحاديثه متواترة نقلت نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لاممارسة له فى ذلك وهذه الاية من أكبر الايات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الشافعى رضى الله عنه ماأعطى الله نبيا مثل ماأعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقيل له أعطى عيسى عليه السلام أحياء الموتى فقال أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حين سمع صوته فهى أكبر من ذلك وقال القاضى عياض فى الشفا حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أى لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة عن جماعة له يستحيل تواطؤهم على الكذب أخرجه أهل الصحيح أى الذين التزموا اخراج الاحاديث الصحيحة فى كتبهم كالشافعى والامام أحمد والبخارى وابن خزيمة وابن حبان والترمذى وابن ماجه وابى يعلى والطبرانى والحاكم والدارمى ورواه من الصحابة جمع كثير منهم أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة بن الحصيب الاسلمى وأم

نخلة والمطلب بن أبي وداعة السهمي فما رواه الشافعي في مسنده حديث أبي بن كعب رضي الله عنه
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مستندا الى جذع اذ كان المسجد عريشا أي مسقوفا بالجريد
وكانت الجذوع له كالاعمدة وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه أي وهو تميم الداري
رضي الله عنه هل لك أن نجعل منبرا تقوم عليه يوم الجمعة ويسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث
درجات هي التي على المنبر أي في خلافة معاوية رضي الله عنه لأن مروان زاد فيه ست درجات وقال انما
زدت فيه حين كثر الناس واستمر على ذلك الى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين
وستمائة فاحترق ذلك المنبر فلما صنع له صلى الله عليه وسلم المنبر وكان من أثل الغابة وضعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب
فتجاوز الجذع الذي يخطب عليه خار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه
بيده فسكت ثم رجع الى المنبر وفي رواية للبخاري عن جابر رضي الله عنه فجعلوا له منبرا فلما كان
يوم الجمعة رفع أي النبي صلى الله عليه وسلم الى المنبر فصاحت النخلة زاد في رواية صياح الصبي حتى
كادت أن تنشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها أي النخلة وفي رواية فضمه أي الجذع
اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن قال عليه الصلاة والسلام كانت تبكي على ما كانت تسمع من
الذكر عندها وفي رواية للبخاري عن جابر أيضا رضي الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل
فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت والعشار بكسر العين النوق
الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة أشهر وفي رواية للنسائي في السنن الكبرى عن جابر رضي
الله عنه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج بفتح الخاء وضم اللام الخفيفة آخره جيم
الناقة التي انتزع ولدها وفي رواية لابن خزيمة عن أنس رضي الله عنه فحنت الخشبة حنين الواله وفي
رواية للامام أحمد والدارمي وابن ماجه عن أبي بن كعب رضي الله عنه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع
وانشق يعني انه بالغ في الصياح فأخذ أبي ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلي وصار رفاتا
وهذا لا ينافي انه جاء في رواية فأمر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر لاحتمال انه ظهر بعد
الهدم عند التنظيف فأخذه أبي بن كعب رضي الله عنه وفي رواية لابي يعلى عن أنس رضي الله عنه خار
كخوار الثور وارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية سهل بن سعد وكثر
بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت وقال والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة وفي رواية للدارمي عن بريدة بن الحصيب الاسلمي
رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت ان أردك الى الحائط
أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت
أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء أي وهي الجنة على دار الفناء أي وهي الدنيا قال القاضي
عياض في الشفا وكان الحسن البصري رحمه الله اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه قال في المواهب ان الله
خلق في الجذع حياة وعقلا حتى صوت واشتاق وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه
كما يلتزم الغائب أهله وأعزته ببرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ولله در القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ما تعودا

قال العلامة الزرقاني يعني انه أمر مسطر في كل من اعتاد أمرا وانقطع عنه فانه يتألم لذلك ويحزن فاذا رجع اليه فرح والجمان وهذا الجذع لما ألف مقامه صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته فلما ضمه سكن وفرح كفيم وردعليه أحبته المسافرون سفر الطول لاسيما اذا ظن المقيم أن لا يرجع المسافر اليه ولله در القائل

وألقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن أولى أن نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق فقد ساعة * فليس وفاء أن نطيق له بعدا

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم سجود الجمل له وشكواه كثرة العمل وقلة العلف روى الامام أحمد والنسائي باسناد جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون أي يسقون عليه وانه استصعب عليهم فنعهم ظهره أي الانتفاع به فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فدخل الحائط أي البستان والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يارسول الله قد صار مثل الكلب الكلب اى العقور وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه أي واضعا مشفره بار كا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يارسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق بالسجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لامرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وروى الامام أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال بينما نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر أي صوت كثيرا فوضع جرانه وهو بالكسر مقدم العنق فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا البعير فجاء فقال صلى الله عليه وسلم له بعنيه فقال بل نهبه لك يارسول الله وانه لاهل بيت مالهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا اليه أي بقلة العمل وكثرة العلف وروى الدارمي والبزار والبيهقي باسناد جيد عن جابر رضي الله عنه ان جملا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار هو لنا قال فما شأنه قالوا استنونا عليه عشرين سنة فلما كبر سنه أردنا نحره فقال صلى الله عليه وسلم تبيعونيه قالوا هو لك يارسول الله فقال أحسنوا اليه حتى يأتي أجله فقالوا يارسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم فقال لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو كان النساء لازواجهن وفي رواية انه قال لصاحب الجمل ما لبعيرك يشكوك زعم أنك سننته حتى كبر تريد أن تنحره فقال صدقت والذي بعثك بالحق لا أفعل وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا من الانصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطا فسد عليهما الباب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يدعو لهما والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار

فقال

فقال يارسول الله انى جئت فى حاجة وانه كان لى فلان قاغتلما وانى أدخلتهما حائطا وسددت عليهما الباب فأحب أن تدعو لى أن يسخرهما الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معنا فذهب حتى أتى الباب فقال افتح فشفق الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افتح ففتح فاذا أحد الفحلين قريب من الباب فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد له فقال صلى الله عليه وسلم ائتنى بشئ أشد به رأسه وأمكنك منه فجاء بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه ثم مشى الى أقصى الحائط اذا الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجدا فقال ائتنى بشئ أشد به رأسه وأمكنك منه فجاء بخطام فشدّ به رأسه وأمكنه منه وقال اذهب فانهما لا يعصيانك وروى الامام أحمد وأبو داود وابن شاهين عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما قال أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسرّ الىّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس قال وكان أحب ما استتر به النبى صلى الله عليه وسلم أى عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شئ مرتفع على الارض أو حائش نخل أى وهو النخل المجتمع فدخل حائط رجل من الانصار أى لحاجته فاذا جمل فلما رأى الجمل النبى صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عيناه فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح ذفره أى وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لى يارسول الله فقال الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه أى تتعبه بكثرة العمل وفى رواية وكان لا يدخل أحد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه فخطمه أى وضع زمامه الذى يقاد به فى رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن والانس *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم سجود الغنم وطاعتها له صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا أى بستانا لانصارى ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له أى تعظيما له لما شاهدت نور نبوته وألهمها الله معرفته فقال أبو بكر يارسول الله نحن أحق بالسجود لك من الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لاحد أن يسجد لاحد وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وآمن وهو على بعض حصون خيبر وكان الرجل فى غنم يرعاها لاهل خيبر فقال يارسول الله كيف لى بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها الى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها معجزة له صلى الله عليه وسلم فهذا من طاعات الحيوانات له ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم كلام الذئب واقراره برسالته صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد باسناد جيد والترمذى والحاكم باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فقال الراعى ياعجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفى رواية رسول الله فى النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك وفى لفظ يدعوا الناس الى الهدى والى الحق وهم يكذبونه قال أبو سعيد فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى أخبرهم أى بما شاهدته يسروا ويزدادوا ايمانهم فأخبرهم وفى رواية وكان الرجل يهوديا فجاء وأسلم وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه ثم قال صلى الله عليه وسلم انها أمارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل

أن يخرج فلا يرجع حتى تجد ثم نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده وفي رواية أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الذئب للراعي أنت أعجب مني واقف على غنمك وقد تركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه قدرا عنده وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته اسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها اي لم ينقص منها شئ فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها وروى قصة كلام الذئب ايضا الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه وروى سعيد بن منصور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء الذئب فأقعى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه أي يحركه فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فأدبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وهذا الاستفهام مفخم أمره قال القاضي عياض في الشفاء وقد روى ابن وهب ان الذئب كلم أباسفيان بن حرب وصفوان بن أمية قبل اسلامهما وذلك أنهما وجدا ذئبا يريد أخذ ظبي فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب عنه فعجبا من ذلك فقال الذئب لما سمع تعجبهما أعجب من حالهما أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان لصفوان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة أي لاهلها ليتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة أي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغيير في أهلها باسلامهم وهجرتهم الى المدينة وسمى ذلك فسادا باعتبار زعمهم الذي كانوا يعتقدونه قبل اسلامهم (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الحمار أخرج ابن عساكر عن ابن منظور رضي الله عنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كل منهم لا يركبه الا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبني لانه لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور وهو اسم ولد الظبي كأنه سمي به لسرعته فكان عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر كانت لابي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الواقدي مات يعفور منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وبه جزم النووي عن ابن الصلاح فيكون موته قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وأخرجه ابن حبان وغيره وأنكره بعضهم وقال انه موضوع وقال بعضهم انه ضعيف وقد تعددت طرقه قال العلامة الزرقاني وليس فيه ما ينكر شرعا فلا بدع في وقوعه له صلى الله عليه وسلم فنهايته الضعف لا الوضع ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الضب بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بري يشبه الورل قال ابن خالويه لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا يقال انه يبول كل أربعين يوما قطرة ولا يسقط له سن ويقال ان اسنانه قطعة واحدة وليست متفرقة وحديثه مشهور على الالسنة وقد رواه البيهقي والطبراني وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي والدارقطني كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاءه اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة أي الصحابة قال من هذا قالوا نبي الله وفي رواية الدارقطني فقال على من هؤلاء الجماعة فقيل له على هذا الذي يزعم انه نبي فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك ولولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك ولسررت الناس أجمعين بقتلك فقال عمر يارسول الله دعني أقتله فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان بين وفي رواية فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربي مبين يسمعه وفي رواية يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الاعرابي زاد الدارقطني وابن عدي فقال الاعرابي أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد هو أبغض الي منك والله لانت الساعة أحب الي من نفسي وولدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمني فعلمه صلى الله عليه وسلم الفاتحة والاخلاص فقال يارسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام رب العالمين وليس بشعر واذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي نعم الاله الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير ثم قال صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال ما في سليم قاطبة أفقر مني فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثروه فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اني أعطيه يارسول الله ناقة عشراء أهديت الي يوم تبوك تلحق ولا تلحق أتقرب بها الى الله دون البختي وفوق العرابي فقال صلى الله عليه وسلم لقد وصفت ما تعطي فأصف لك ما يعطيك الله قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه ألف اعرابي من بني سليم على ألف دابة بألف رمح وألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا هذا الذي يكذب ويزعم أنه نبي فقال الاعرابي اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بلا رداء فنزلوا عن ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا يارسول الله مرنا بأمرك فقال كونوا تحت راية خالد بن الوليد قال ابن عمر رضي الله عنهما فلم يؤمن في أيامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم وهذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعى بعضهم انه موضوع وذلك مردود كيف وقد رواه الائمة الحفاظ الكبار كابن عدي وتلميذه البيهقي وهو لا يروي موضوعا والدارقطني وناهيك به وحديث ابن عمر طرق ورواه أبو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن علي رضي الله عنه ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما غاية الامر أن بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوي بعضها بعضا والله أعلم ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الغزالة أي كلامها له روي حديثها

البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من طرق يقوي بعضها بعضا فيعلم أن له أصلا فيكون حسنا لغيره وذكره القاضي عياض بلا سند عن أم سلمة رضي الله عنها بدون تمريض فيدل على قوته فلا عبرة بتضعيف بعضهم له ورواه أبو نعيم في الدلائل النبوية عن أنس وعن أم سلمة أيضا رضي الله عنهما قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا الظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس فقال لها ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان أي ولدان في ذلك الجبل فاطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أرجع فأطلقها فذهبت فأرضعتهما ورجعت عن قرب فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت فانتبه الاعرابي من نومه فقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وفي رواية لزيد بن أرقم رضي الله عنه قال فيها فأنا والله رأيتها تسبح في البرية وهي تقول لا اله الا الله محمد رسول الله ورواه الطبراني بنحو هذا وساق الحافظ المنذري لفظ الطبراني في الترغيب والترهيب من باب الزكاة وأنكر السخاوي حديث تكليم الغزالة ثم قال لكنه في الجملة وارد في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخنا شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث المختصر الكبير في الاصول لابن الحاجب وقال العلامة ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وان لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواترا اذ ذاك وقال الحافظ ابن حجر والذي أقوله انها كلها مشتهرة بين الناس انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تعظيم داجن البيوت له وانقيادها وطاعتها له وشهادتها عنده صلى الله عليه وسلم والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة وقد روى ذلك الامام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطي الاندلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر أي سكن وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب أي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل معناه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله عليه وسلم شوقا له وكلاهما أي ألف الحيوان الذي لا يعقل له صلى الله عليه وسلم ومهابته عنده آية ظاهرة وذكره القاضي عياض في الشفاء بسنده الى قاسم بن ثابت أيضا وعن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أوست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بأيتهن يبدأ أي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة في أن يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالى رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم وروى الطبراني عن زيد بن ثابت والحاكم عن ابن عمر رضي عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال ان هذا الاعرابي سرق هذا البعير فرغا البعير وهو صلى الله عليه وسلم منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير يشهد بأنك كاذب وعبارة الشفا ومن معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وانها ملكه وفي الشفا أيضا ومن هذا القبيل ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره والفرس غير مربوط لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله في قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ففيه معجزة له حيث فهم الحيوان كلامه ومما يندرج في تسخير الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما رواه

البخاري

البخاري في تاريخه والبيهقي في سننه من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كأنه فألهمه الله تعالى أن فهم كلامه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه من اليمن مثل ذلك وفي رواية للبزار والبيهقي صححها السيوطي ان سفينة رضي الله عنه كان في سفينة في البحر فانكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد قال فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم مرة بأذن شاة أي مسكها باصبعيه ثم خلاها فصار ذلك ميسما فيها وفي نسلها ويلتحق بهذا المبحث ما روى الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والواقدي امام جليل من أئمة السير وثقه بعضهم وتكلم فيه بعضهم قال الشهاب الخفاجي وكفى برواية الشافعي عنه دليلا على صحة ما رواه وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما بترجمة جليلة قال القاضي عياض في الشفا والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر ولم يرد عن أحد منهم انكار على الراوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق وعن جابر عندهم من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند الامام أحمد والطبراني من طريقين فقول ابن بطال لم يرد الا من طريق أنس مردود وهذه المعجزة لم يسمع انها وقعت لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي أعظم من نبع الماء من الحجر الذي وقع لموسى عليه الصلاة والسلام حين ضرب الحجر بعصاه فتفجر منه اثنتا عشرة عينا لان خروج الماء من الحجارة معهود في الجملة بخلاف نبع الماء من بين لحم ودم فانه ليس بمعهود وما أحسن قول بعضهم

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

قال في المواهب وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس وأبو ليلى رضي الله عنهم فأما حديث أنس ففي الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر زاد في رواية وهو بالزوراء موضع بسوق المدينة فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وكانوا سبعين أو ثمانين وفي رواية فقلنا لانس كم كنتم قال كانوا زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة وانهم كانوا مرة ثمانين أو سبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعا أنس رضي الله عنه وقوله حتى توضؤا من عند آخرهم مبالغة في التعميم حتى كأن الآخر هو الذي ابتدئ به اشارة الى أن الآخر اسبغ الوضوء من غير نقص مثل اسباغ الاول بل كأنه هو الاول وروى ابن شاهين عن أنس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن أي قربة بالية بشئ من ماء فقال هاتوا صحفة فصب الماء

ثم وضع راحته في الماء قال أنس رضي الله عنه فرأيتها أي الصحفة تخلل عيونا أي تتخلل أي تنفذ عيونها بين أصابعه فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا أي حملنا الماء معنا فقال صلى الله عليه وسلم أكفيتم قلنا نعم يارسول الله فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء وأخرج البيهقي عن أنس أيضا رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعها القدح فأدخل أصابعه الاربعة ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال أنس رضي الله عليه بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا وأما حديث جابر رضي الله عنه ففي الصحيحين من رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها فجهش الناس . قوله أي اسرعوا فقال ما لكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشربه الاما بين يديك فوضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قال سالم قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة البخاري أيضا عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما وقال كنا أربع عشرة مائة وجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من أربع عشرة مائة فبعضهم جبر الكسر وبعضهم ألغاه ويؤيده انه جاء في رواية للبخاري كنا ألفا وأربعمائة أو أكثر واعتمد النووي هذا الجمع قال لصحة الروايات كلها وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه كان مثل ذلك في غزوة بواط وهو اسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ولفظه قال جابر رضي الله عنه قال لي رسول الله ناد ألا وضوء فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء قال ثم قلت يارسول الله ما وجدت في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ماء في أشجاب على حمارة من جريد قال فقال لي انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في أشجابه من شئ فانطلقت اليه فنظرت اليها فلم أجد الا شيئا يسيرا لو أني أفرغه لشربه يابس الاناء فرجعت فأخبرته قال اذهب فأت به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشئ لا أدري ما هو ويغمز بيده ثم أعطانيه فقال يا جابر ناد بجفنة فقلت ياجفنة الركب فأتي بها تحمل فوضعها بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل باسم الله فصببت عليه وقلت باسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال ياجابر ناد من كانت له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا وبقي فقلت هل بقي أحد له حاجة فرفع صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى قال الحافظ ابن حجر وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه وقوله في اشجاب جمع شجب وهي القربة البالية وروى حديث جابر رضي الله عنه الامام أحمد في مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيئا من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عن جابر أيضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال باسم الله ثم قال اسبغوا الوضوء قال جابر فوالذي ابتلاني ببصري أي بفقده وذهابه لانه عمي آخر عمره رضي الله عنه لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها أي يده حتى توضؤا أجمعون وروى أيضا عن جابر البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أي وهو الحديبية فأصابنا عطش فجهشنا أي أسرعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في تور من ماء وهو بفتح المثناة

الفوقية

القوقية اناء من حجارة أو صفر يشرب فيه قيل انه يشبه الطست فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال كنا ألفا وخمسمائة وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه ففي صحيح البخاري من رواية علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في سفر قيل هو الحديبية وجزم أبو نعيم بأن ذلك كان في غزوة خيبر ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء وفي رواية فجاؤا باناء فيه ماء قليل فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود رضي الله عنه فجعلت أبادرهم الى الماء أدخله في جوفي أي لطلب البركة وفي رواية قال كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ماء قليلا ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تأدبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير أصل ولئلا يظن بعض القاصرين أنه هو الموجد للماء وللاشارة الى أن الله تعالى أجرى العادة في الدنيا غالبا بالتسبب وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه أيضا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا لطلب الماء فقال بلال لا والله ما وجدت الماء فقال هل من شن فأتى بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب ويكثر وغيره يتوضأ رواه الدارمي وأبو نعيم ورواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أبي ليلى ورواه أبو نعيم أيضا من طريق القاسم بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته صلى الله عليه وسلم وبمسه لمحله وبدعوته فمن ذلك ما تقدم ذكره في غزوة تبوك انه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه جاؤا عين تبوك فوجدوها تبض بشئ من ماء مثل شراك النعل قال معاذ بن جبل الراوي لهذه القصة فغرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ ثم غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فانخرق من الماء ماله حس كحس ألرعد فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماههنا قد ملئ جنانا أي بساتين وعمرانا فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنهما ومروان بن الحكم ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه والثمد بفتحتين حفرة فيها ماء قليل وفي رواية للبخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم توضأ فتمضمض ودعا ومج في بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك وفي مغازي أبي الاسود محمد ابن عبد الرحمن الاسدي المدني يتيم عروة بن الزبير عن عروة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج في الدلو وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر ودعا الله تعالى ففارت الى أن ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها فجمع في هذه الرواية بين التوضي والمج والقاء سهم من كنانته ففي رواية البخاري اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة غير القصة السابقة قريبا في ذكر نبع الماء

من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري ومسلم في المغازي من حديث جابر رضي الله عنه لانه قال في حديثه فجعل الماء يفور من بين أصابعه وفي حديث البراء انه صب ماء وضوءه في البئر فالقصة متعددة فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث المسور والبراء كان في تكثير ماء البئر لارادة ماهو أعم من ذلك كشرب وسقي دواب ويحتمل أن يكون الماء لما تفجر من بين أصابعه ويده في الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها قال في فتح الباري وفي حديث زيد بن خالد انهم أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع رضي الله عنهما مما رواه البخاري ومسلم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرهم لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفيرها قال البراء وأتى صلى الله عليه وسلم بدلو منها فبصق ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قال البراء فتركاها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا وفي رواية فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفي الصحيحين عن عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما وعن ابيهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قيل هو الحديبية وقيل تبوك وقيل غيرهما فاشتكى الناس اليه صلى الله عليه وسلم العطش فنزل صلى الله عليه وسلم ودعا الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة رجليها بين مزادتين فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فأفرغ من أفواه المزادتين واوكأ أفواههما ثم وضع يده في الماء فجعل يفور ونودي في الناس اسقوا واستقوا ففعلوا والمرأة قائمة تنظر مايفعل بمائها ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اجمعوا لها أي للمرأة أي تطييبا لخاطرها في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن المسير الى قومها ومانالها من خوف أخذ مائها قال بعضهم انما أخذوها واستجازوا أخذ مائها لانها كانت حربية وعلى فرض أن يكون لها عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض على ان نفس الشارع صلى الله عليه وسلم تفدى بكل نفس فجمعوا لها مابين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيرا فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها وقال لها صلى الله عليه وسلم تعلمين مارزأنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذي سقانا فأتت أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا ماحبسك يافلانة فقالت العجب اي حبسني العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا وحكت لهم مافعل ثم قالت فوالله انه لاسحر الناس كلهم أو انه لرسول الله حقا فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت المرأة يوما لقومها ما أرى أن هؤلاء يدعونكم الا عمدا فهل لكم رغبة في الاسلام فأطاعوها فدخلوا في الاسلام وتقدمت هذه القصة في غزوة تبوك وتقدم فيها أيضا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ من ميضأة لابي قتادة رضي الله عنه وبقي فيها شئ من ماء ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أصابهم عطش شديد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا بالميضأة فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وأبو قتادة يسقيهم فازدحم الناس على الميضأة بمجرد رؤية الماء لشدة عطشهم فقال صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملء أي لا والنكم فلا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروى ففعلوا أي تركوا الازدحام قال أبو قتادة رضي الله عنه فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وأسقيهم زاد الامام أحمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركائبهم وملؤا ما كان معهم من قربة ومزادة حتى مابقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب الماء فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يارسول الله قال انساقي القوم آخرهم شربا

قال فشرب بت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم في الوفود عند ذكر وفد بني فزارة أنهم شكوا اليه القحط فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء عليهم سبعا حتى قالوا يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادي قناة شهرا وقناة بمنع الصرف بدل من الوادي وهو اسم لواد معين من أودية المدينة بناحية أحد به مزارع ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود بفتح الجيم أي المطر الكثير وتقدم في غزوة تبوك أنهم عطشوا عطشا شديدا فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا أن يسقينا قال أتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء أي غيمت وظهر فيها سحاب فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوزا العسكر وروى ابن اسحاق في مغازيه عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أبيه عن جده عبد الله أن أبا طالب قال كنت بذي المجاز وهو اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية فأدركني العطش فشكوت الى ابن أخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن أخي عطشت وقلت له ذلك وأنا لا أرى عنده شيئا فثنى وركه ثم نزل عن الدابة وكان صلى الله عليه وسلم رديفا لابي طالب وقال يا عم عطشت فقلت نعم فأهوى بعقبه الى الارض أي ضرب الارض بقدمه فاذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت ورواه أيضا ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه روى البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة حفر الخندق قال رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا وهو ضمور البطن من الجوع فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الباء مصغرا وهي الصغيرة من أولاد المعز وفي رواية عناق داجن أي لا تخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير وفي رواية فأمرت امرأتي فطحنت لنا الشعير وفي رواية عن جابر رضي الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر فعندك شئ قالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد اختمر والبرمة بين الاثافي كادت أن تنضج فقالت امرأته لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك يعني دون العشرة وفي رواية فقلت طعيم لنا صنعته فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان وكنت أريد أن ينصرف وحده قال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم أي هلموا مسرعين والسور الطعام الذي يدعى اليه وفي رواية فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم وفي رواية قال فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله تعالى وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على امرأتي أقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند أجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك فقلت نعم فقالت الله ورسوله أعلم نحن أخبرناه بما عندنا وفي رواية أنها خاصمته في أول الامر وقالت بك وبك فلما أعلمها بأنه أعلم به النبي

معجزة تكثير الطعا

صلى الله عليه وسلم سكن ماعندها وقالت الله ورسوله أعلم لعلها بامكان خرق العادة ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها رضى الله عنها واسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء ثم جاء وفى رواية فبعثت وجاء النبى صلى الله عليه وسلم يقدم الناس فأخرجت المرأة له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك أى دعا بالبركة ثم قال ادع خابزة فلتخبز معى واقدحى أى اغرفى من برمتكم ولا تنزلوها وهم أى القوم الذين جاؤا معه ألف وأقعدهم عشرة عشرة فأكلوا فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا أى مالوا عن الطعام وان برمتنا لتغط أى تغلى وتفور كما هى وأن عجيننا ليخبز كما هو وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز و يغرف حتى شبعوا و بقى بقية فقال كلى هذا وأهدى فان الناس أصابتهم مجاعة وفى رواية فمازال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين و يعود التنور والقدر أملأ ما كانا فقال كلى وأهدى فلم نزل نأكل ونهدى يومنا أجمع وفى رواية فأكلنا وأهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك وصريح هذا أن الذى باشر الغرف النبى صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها الدال على أن مباشر ذلك المرأة ويمكن الجمع بينهما فانها كانت تساعده فى الغرف وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه وهو زوج أم أنس لام سليم رضى الله عنها وهى أم أنس رضى الله عنهما لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع وفى رواية لمسلم قال أبو طلحة جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت قالوا من الجوع وفى رواية للامام أحمد أن أبا طلحة رأى النبى صلى الله عليه وسلم طاويا فدخل على أم سليم فقال هل عندك من شىء يأكله النبى صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى أى تحت ابطى ولاثتنى أى ببعض الخمار أى أدارت بعض الخمار على رأسه كالعمامة ثم أرسلتنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس فسلمت عليه وفى رواية فقمت عليهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أأرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام أى لاجله قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه من أصحابه قوموا فانطلق وانطلقوا وهم سبعون أو ثمانون رجلا وانطلقت بين أيديهم ولابى نعيم أخذ صلى الله عليه وسلم بيدى فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى اذا دنوا أرسل يدى فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء معه حتى جئت أبا طلحة فأخبرته بمجيئهم قال يا أنس فضحتنا وللطبرانى فجعل يرمينى بالحجارة ثم قال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم أى قدر ما يكفيهم فقالت الله ورسوله أعلم كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدا ليظهر المعجزة فى تكثير الطعام ودل ذلك على فضل أم سليم رضى الله عنها ورجحان عقلها فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ان الله مبارك فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه حتى دخل على أم سليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمى يا أم سليم ماعندك فأتت بذلك الخبز الذى كانت أرسلته مع أنس رضى الله عنه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت أى كسر وعصرت أم سليم عكة وفى رواية فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان فى العكة شىء فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح صلى الله عليه وسلم به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال باسم الله فلم يزل يصنع ذلك والخبز ينتفخ حتى رأيته فى الجفنة يتسع فأدمته أى صيرت ماخرج من العكة اداماله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيه

فيه ماشاء أن يقول وفي رواية للامام أحمد فقال باسم الله وفي مسلم فمسحها ودعا فيها بالبركة وفي رواية
للامام أحمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال باسم الله اللهم أعظم البركة فيها ثم قال ائذن لعشرة أي بالدخول
لانه أرفق ثم لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون ثم أكل النبي صلى الله
عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا أي بقية وفي مسلم وفضلت فضلة فاهدينا لجيراننا ولابي نعيم حتى
أهدت أم سليم لجيرانها وهذه القصة قيل انها جرت أيام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة فعلى هذا
يكون المراد بالمسجد هنا الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين حاصره الاحزاب
بالمدينة في غزوة الخندق ووقع في هذه القصة اختلاف في الالفاظ في روايات كثيرة وفي بعضها أنهم
صنعوا له صلى الله عليه وسلم عصيدة وهو محمول على تعدد القصة وتكرر ذلك وتقدم في غزوة الحديبية
وفي غزوة تبوك أيضا أن الصحابة أصابتهم مجاعة فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم في نحر بعض ظهورهم
فأذن فقال عمر رضي الله عنه يا نبي الله لو أمرتهم أن يجمعوا فضل أزوادهم ثم تدعو الله لهم بالبركة
فقال صلى الله عليه وسلم نعم فأمرهم فجمعوا ذلك فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا
حتى ماتركوا اناء الاملأوه فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما
عبد غير شاك فيحجز عن الجنة وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها فقالت لي أمي أم سليم لو
أهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت الى تمر وسمن واقط فصنعت
حيسا فجعلته في تور وهو اناء من صفر أو حجارة وفي رواية للبخاري في برمة فقالت يا أنس اذهب بهذا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه
أي التور ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت
فرجعت فاذا البيت غاص بأهله قيل لانس كم كان عددكم قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا
يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا كلهم حتى شبعوا ثم قال
لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وروى مسلم عن جابر رضي الله
عنه قال ان أم مالك الانصارية كانت تهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها
فيسألون الادم وليس عندهم شئ فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا
فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أعصرتيها
فقالت نعم قال لو تركتيها مازال قائما وروى ابن ابي عاصم وابن أبي خيثمة عن أم مالك الانصارية أنها
جاءت بعكة سمن الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة فجاءت
فقالت أنزل في شئ قال وماذاك قالت رددت علي هديتي فدعا بلالا فسأله فقال والذي بعثك بالحق لقد
عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك هذه بركة يا أم مالك هذه بركة عجل الله لك ثوابها ثم علمها أن تقول
دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي
الله عنه عن أمه رضي الله عنها قالت كانت لي شاة فجعلت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر
سمنا فقالت يا زينب أليست أمرتك أن تبلغي هذه العكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها قالت قد
فعلت فان لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال جاءت بها
فقلت والذي بعثك بالهدى ودين الحق انها ممتلئة سمنا تقطر فقال أتعجبين يا أم سليم ان الله أطعمك

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه أي أعطاه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له لولم تكله لأكلتم منه أي دائما ولقام بكم أي مدة حياتكم من غير نقص وهذا الرجل قال بعضهم هو جد سعيد بن الحارث استعان بالنبي صلى الله عليه وسلم في انكاحه فأنكحه امرأة فالتمس صلى الله عليه وسلم ماسأله فلم يجد فبعث أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهنها عند يهودي في شطر وسق من شعير فدفعه صلى الله عليه وسلم اليه قال فأطعمنا منه وأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلنا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له لولم تكله لأكلتم منه ولقام بكم والحكمة في ذهاب السمن حين عصرت أم مالك العكة واعدام الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق الله ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي في شرح مسلم وقيل انما كان ذلك لافشائه سرا من أسرار الله ينبغي كتمه ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه لانه فيمن يخشى الخيانة أو كيلوا ماتخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط بقاء الباقي مجهولا أو كيلوا عند الشراء أو ادخاله المنزل وروى الترمذي وشيخه الدارمي عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة فيها لحم من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد أي أي شئ كانت تزاد به قال من أي شئ تعجب ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء والمراد من احسان الله معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي رواية عن سمرة أيضا رواه الترمذي والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وأبو نعيم قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها أي تعدعليها عشرة بعد عشرة من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد فقال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء وروى الامام أحمد والترمذي والنسائي عن سمرة أيضا رضي الله عنه نحو ذلك وروى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل مع أحد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان أي ثائر الرأس شعثه طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبيعا أم عطية أو قال أم هبة قال لا بل بيع فاشترى شاة فصنعت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى وايم الله ما في الثلاثين ومائة الا وقد حزله النبي صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا أعطاه اياه وان كان غائبا خبأ له فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون وشبعنا ففاضت القصعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهرة وآية باهرة من تكثير القدر اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل وروى الامام أحمد والبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب أي بمكة في ابتداء البعثة وكانوا أربعين رجلا منهم جماعة الواحد منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق وهو اناء يسع اثني عشر صاعا وذلك ستة عشر رطلا فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس من لبن والعس قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة فشربوا منه حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه فلما أراد صلى الله عليه وسلم أن يتكلم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد أعاد لهم ذلك فكان مثل ذلك فأعاد ذلك ثالثا ثم دعاهم الى الله وحذرهم عقابه فقال أبو لهب تبالك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة وروى

ابن أبي شيبة والطبراني وأبونعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن أدعو أهل الصفة لطعام يأكلونه عنده فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فيها طعام
فأكلنا ماشئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت أي لم تنقص شيئا الا أن فيها أثر الاصابع قال أبونعيم
في الحلية كان أهل الصفة نيفا ومائة وفي عوارف المعارف أنهم كانوا نحو الأربعمائة وروى الطبراني
والبيهقي عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي
الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء مايكفيهما أي لهما مايكفي رجلين فقط فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه أي شبعوا وتركوا
الطعام ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وماخرج أحد منهم حتى
أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم
قال أبوأيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة
وثمانين والا فالذين دعاهم مائة وستون وخص النبي صلى الله عليه وسلم أشراف الانصار ليتألفهم
وليشاهدوا تلك المعجزة فيسلموا وينصروه وقد كان ذلك وسماهم أنصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بأنهم
سينصرونه وتفاؤلا بذلك وروى ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي زين
العابدين رضي الله عنهم أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا رضي
الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها صلى الله عليه وسلم فغرفت لجميع نسائه
صحفة صحفة ثم له ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وانها تفيض أي لكثرة مافيها من الطعام
حتى كان يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم فأكلت فاطمة رضي الله عنها منها ماشاء الله
وروى أبوداود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يزود أربعمائة
راكب من أحمس من تمر كان في علية فقال يارسول الله ماهي الا أصوع أي ليس ذلك التمر يكفي
هؤلاء القوم لقلته قال اذهب وافعل ما آمرك به أي ولاتبال بقلة التمر فذهب فزودهم منه وكان
التمر قدر الفصيل أي ولد الناقة الصغير الرابض وبقي بحاله بعد اعطائهم لم ينقص منه شئ ورواه
البيهقي بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن الا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة فيحتمل تعدد
القصة أو أنه كان بعضهم من أحمس وبعضهم من مزينة وروى البخاري حديث جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما في قصة قضاء دين أبيه لما استشهد يوم أحد وعليه دين أراد اداءه لغرمائه وكان قد بذل
لغرماء أبيه أصل ماله أي بستانا له ونخلا كان يتقوت منه فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم
فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهودا فلم يرضوا فجاءه النبي صلى الله
عليه وسلم بعد أن أمره بجذ الثمار وجعلها بيادر في أصولها أي جعلها كوما كوما في أصول النخل
فمشى صلى الله عليه وسلم في أرضها ودعا الله تعالى أن يبارك فيها فنمت وزادت فأوفى منها جابر الغرماء
وفضل مثل ماكانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ماأعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ائت أبابكر وعمر فأخبرهما أي ليسرا بذلك ويزدادا ايمانا
وروى البيهقي والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أصاب الناس مخمصة أي جوع زاد في رواية
في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم وفي أخرى أنها غزوة تبوك فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر في المزود قال فأتني به فقبض قبضة جاء في رواية أنها بضع عشرة
تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع لي عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال ادع عشرة فدعوتهم
فأكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لي خذ ماجئت به وأدخل يدك واقبض

منه ولا تكيله فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت أهلي ومن أردت الطعام مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما الى أن قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب وانما قال له خذ ما جئت به لانه بقي بعد أكلهم ما جاء به كما له فأمره برده الى محله وأن يأخذ منه كل ما أراد وفي رواية الترمذي فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله أي جعلته معي ولا معي في أسفاري وأنا غاز في سبيل الله وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا هريرة رضي الله عنه أصابه الجوع مرة فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم أي طلب منه أن يتبعه فتبعه فوجد صلى الله عليه وسلم في بيته لبنا في قدح قد أهدي اليه صلى الله عليه وسلم فأمر أبا هريرة رضي الله عنه أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما موقع هذا اللبن منهم أي ما مقداره القليل كاف منهم كنت أحق به منهم لشدة جوعي ولا بد من امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم فدعوتهم اليه صلى الله عليه وسلم فأمرني أن أسقيهم فجعلت أعطي الرجل منهم فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم قال أبو هريرة رضي الله عنه فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب ومازال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة وروى البيهقي من حديث خالد بن عبد العزى وهو خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي أسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات في الطريق وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وأخو حكيم بن حزام رضي الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فزر به النبي صلى الله عليه وسلم مرة فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم شاة ليذبحها ويأكلها ضيافة منه له وكان عيال خالد كثيرا ما يذبح الشاة لا جلهم فلا تكفيهم عظما عظما لكثرتهم فأكل النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة وجعل فضلتها في دلو لخالد ودعا له بالبركة وفي رواية أنه قال اللهم بارك لابي خناش فنثر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه قال القاضي عياض في الشفا وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة أي نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح أي من الاحاديث وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن أن يسكت من حضرها على ما أنكره ويلتحق بهذا ما ذكره في الشفا مما أخرجه البيهقي وابن سعد وابن عدي عن سعد مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنهم كانوا في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا زهاء ثلثمائة فنزلوا على غير ماء وأصابهم عطش فجاءتهم عنز فحلبها النبي صلى الله عليه وسلم أي أمر بحلبها فأروى لبنها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع مولاه املكها وما أراك مالكا لها فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت أي انحلت وثاقها وغابت وفي رواية قال رافع ثم غفلت في بعض الليل فلم أجدها فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رافع ذهب بها الذي جاء بها (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم له صلى الله عليه وسلم روى البيهقي في الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعي فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا لي من الدنيا وهذه القصة أوردها القاضي عياض في الشفا بلفظ وعن الحسن اي البصري أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة

احياء الموتى

احيي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وروى ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته عجوز عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر باي أنسا بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال يا أنس ائت أمه فأعلمها قال فأعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت مات ابني فقلنا نعم فقالت اللهم انك تعلم اني أسلمت اليك طوعا وخلعت الاوثان زهدا وخرجت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهلكت أمه وهذا وان كان كرامة لامه فانما أعطيتها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولها في دينه وكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه وروى الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام بها ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها الى الموت وكذا روي من حديث عائشة رضي الله عنها احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك في أول السيرة مستوفى فارجع اليه ان شئت ومما يلحق بذلك ما رواه ابن أبي الدنيا وابن منده والطبراني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كان خارجة بن زيد من سراة الانصار أي أشرافهم فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي فأعلمت به الانصار فأتوه فاحتملوه الى بيته وسجوه بكساء وبردين وفي البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله مسجى لانهم شكوا في موته لكونه مات فجأة فأخروا تجهيزه ودفنه حتى اذا كان بين المغرب والعشاء اذ سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا أنصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسروا عن وجهه الغطاء فاذا هو قائل محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان وكأنه رأى روحه صلى الله عليه وسلم حاضرة عنده لان ما ذكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفي رواية وذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي أثنى عليهم بخير بما فعلوه وأيدوا به الدين ولم يذكر عليا رضي الله عنه لان ذلك كان قبل ولاية علي رضي الله عنه وانما ألحق هذا بما نحن فيه وان كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الكلام بعد الموت كرامة وكرامات أمته صلى الله عليه وسلم من معجزاته أو يقال انه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك ما رواه البيهقي عن عبد الله ابن عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الانصار وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا اليه فاذا هو ميت وتقدم في غزوة خيبر حديث الشاة المسمومة وذلك أن يهودية أهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد سمتها فأكل صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني أنها مسمومة وفي المواهب عن سعيد بن المسيب أن رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله أخرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج أبو نعيم أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا

تكسر واعظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها فأخذتها ومضيت وانها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة ماهذا يا جابر قلت والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله فأحياها فقالت أشهد أنه رسول الله ورواه أيضا الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب والغرائب (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوته صلى الله عليه وسلم وابراء ذوي العاهات ببركته صلى الله عليه وسلم روى البيهقي والدارقطني والحاكم والخطيب البغدادي عن معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء الثقيلة ثم ضاد معجمة معيقيب اليماني قال حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيته صلى الله عليه وسلم فيها ووجهه مثل دائرة البدر وفي رواية لابن قانع كان وجهه القمر ورأيت منه عجبا جاء رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة أي لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك قال الجلال السيوطي رحمه الله في خصائصه الكبرى قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق فهو حديث حسن وقد ذكر السيوطي في نظمه المشهور في عدد الذين تكلموا في المهد مبارك اليمامة هذا حيث قال

شهادة الاطفال وابراء ذوي العاهات

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

أما تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم في أول السيرة انه تكلم حين خرج من بطن أمه وحمد الله تعالى وكان يناغي القمر ويكلمه وأما بقية هؤلاء الذين تكلموا في المهد فالكلام على قصصهم شهير فلا حاجة الى الاطالة به وروى البيهقي مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب أي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم أي لانه خلق أخرس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنا قال أنت رسول الله فانطقه الله معجزة بعد ما كان أبكم فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق وروى الامام أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وشد العين يعني قاء وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى وشفاه الله وروى ابن أبي شيبة عن أم جندب رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يده وأعطاها اياه وأمرها بسقيه ومسحه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وتقدم في غزوة أحد أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه أخذها بيده فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة وهو الحارث بن ربعي الانصاري السلمي رضي الله عنه قال رضي الله عنه فما ضرب

على

علىّ ولا قائد أى ما أوجعنى ولا سائل منه فيح وروى النسائى والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان رجلا أعمى قال يارسول الله ادع الله لى أن يكشف عن بصرى يعنى يزيل عنى العمى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى فما قام القوم من مجالسهم الا ورجع الرجل وقد أبصر وكان عثمان بن حنيف وبنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند تعسر قضاء الحاجات فتقضى وقد أخرجه البرهان الحلبى من طرق متعددة قال الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا فلم يبق فيه شبهة فاحفظه وروى أبو نعيم ان ملاعب الاسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعاء وأن يشفيه الله ببركته فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يظن أن قد هزى به فأتاه بها وهو على شفا أى قريب من الموت فشربها أى بعد أن وضعها فى ماء فشفاه الله ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبى شيبة والبيهقى والطبرانى أن فديك بن عمرو السلامانى جىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان وهو عبارة عن العمى فسأله عما أصابه فقال كنت أقود جملا لى فوقعت رجلى على بيض حية فأصيبت فى بصرى فلا أبصر شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر فكان يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين سنة وتقدم فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ثم بعث الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان به رمد فجىء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع وروى البخارى فى صحيحه عن المكى ابن ابراهيم قال حدثنى يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة وهذا من ثلاثيات البخارى وفى الشفا ورمى كلثوم بن الحصين رضى الله عنه يوم أحد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أى فى نحره ومحل جراحته فبرأ وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد أى لم يسق فيها مدة وقيح وروى أبو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فى غزوة الخندق كما قال السيوطى فأنزى أخى على بن الحكم فرسا له الخندق فأصاب رجله جدار الخندق فدقها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها له وقال باسم الله فما آذاه شئ وقد عده أبو حاتم البغوى فى الثقات وروى ابن اسحاق وغيره ان معاذ بن عفراء رضى الله عنه قطعت يده يوم بدر فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف الذى تفله عليها وروى ابن اسحاق وغيره أيضا ان خبيب بن أساف رضى الله عنه أصيب يوم بدر بضربة سيف على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وروى البيهقى والنسائى والطيالسى باسناد صحيح ان قدرا انكفأت على ذراع محمد بن حاطب الجمحى وهو طفل فمسح عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وتفل عليه فبرأ لحينه وروى الطبرانى والبيهقى أن شرحبيل الجعفى رضى الله عنه كانت فى كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فجعل يطحنها أى يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر فى قوله يطحنها استعارة لطيفة وروى الطبرانى

عن أبى امامة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سألته جارية وهو يأكل قديدا ولها من الطعام الذى بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما أريد من الذى فى فيك فناولها ما فى فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأله أحد شيئا فيمنعه فلما استقر فى جوفها ألقى الله عليها الحياء فلم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة وانقلاب الاعيان له صلى الله عليه وسلم ببركته وبآثاره صلى الله عليه وسلم روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان بطيء فى السير فلما رجع صلى الله عليه وسلم قال لابى طلحة وجدنا فرسك بحرا أى كالبحر فى شدة جريه فكان ذلك الفرس لا يجارى وروى البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه قال جابر رضى الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أى وهى غزوة ذات الرقاع فأبطأ به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شأنك فقال له ابطأ بى جملى وأعيا فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اشتراه صلى الله عليه وسلم منه ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاده ثم وهب له البعير مع الثمن وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد الاشجعى رضى الله عنه قال كنت فى بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة فى أخريات الناس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك قلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت فى يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رأيتنى أول الناس ما أملك رأسها وبعت من بطنها عدة كثيرة وفى رواية فخفقها بمخفقة كانت معه قيل انها الدرة وقيل العصا والخفق الضرب وفى رواية انه باع من بطنها باثنى عشر ألفا يعنى من أولادها وأولاد أولادها وروى ابن اسحاق وابن سعد عن عبد الله ابن أبى طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة الانصارى فرده هملاجا أى سريع السير لا يساير وروى البيهقى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه كانت فى قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فكان لا يشهد قتالا الا رزق النصر وروى مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها انها أخرجت جبة طيالسة أى ذات أعلام خضر وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها فنستشفى بها وروى البيهقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد أى بعد ما سكب فيها فضل وضوئه وفى رواية انه تفل فيها وروى أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بزق فى بئر كانت فى دار أنس بن مالك رضى الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء فى بعض أسفاره فسأل عن اسمه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم أتى بدلو من ماء زمزم فمج فيه أى ألقى فيه ماء فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشا فسكتا وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل فى أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل وفى رواية انه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء وتقدم فى باب ما جاء فى شأنه صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب وقال أدها الغرماءك مما عليك وكان عليه أربعون أوقية فقال سلمان وأين تقع هذه مما على فأخذها صلى الله عليه وسلم

فقلبها

فقلها على لسانه وقال خذها فان الله سيؤدّي بها عنك قال سلمان فوزنت لهم منها أربعين اوقية وبقى عندي مثل ما اعطيتهم وروى الامام قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن حنش بن عقيل وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب صلى الله عليه وسلم اولها وشربت آخرها يعني انه صلى الله عليه وسلم شرب منها اولا لتحصل البركة فيها ثم ناولها الاناء فشرب بقيته قال فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وروى الامام احمد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعطى قتادة بن النعمان رضي الله عنه وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال لقتادة انطلق به فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم دفع لعكاشة بن محصن رضي الله عنه جذل حطب وهو عود غليظ او اصل من اصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال اضرب به فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض اللون شديد المتن أي قوي الجرم صلبا فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له العون وروى أهل السير والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دفع لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفا وقصة شاة أم معبد مشهورة رواها أصحاب السنن والسير وافردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ماعندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت فحلب ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد لها صغير وأسلمت رضي الله عنها وتقدم عند ذكر رضاع حليمة له صلى الله عليه وسلم ان حليمة بعد أن أخذته لترضعه قام زوجها الى شارفها وهي الناقة المسنة فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انها نسمة مباركة فقالت اني والله أرجو بركته الى آخر القصة وروى البيهقي قصة شاة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه وملخصها انه كان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن فقال ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر رضي الله عنه بجفنة فحلب فيها وقال لابي بكر رضي الله عنه اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا هو سبب اسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وروى مسلم والبيهقي قصة شاة المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد أي من الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا منها لنا بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشربه فوقع في نفسي ذات ليلة انه صلى الله عليه وسلم يأتيه الانصار بلبن يشربه فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فأهلك فلم أنم ونام صاحباي فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته فكشف الاناء فلم يجد شيئا فرفع بصره الى السماء فقلت يدعو علي فقال اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني فأخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلهن فحلبت في اناء حتى علت الرغوة وجئت اليه صلى الله عليه وسلم

به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي واصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله عليه وسلم احدى سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ماهذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلك من اخطأها من الناس وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم اعطى بعض اصحابه وقد ارادوا السفر سقاء فيه ماء بعد ان اوكأه ودعا فيه بالبركة فلما حضرت الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فاذا هو لبن حليب وزبدة في فمه وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمر بن سعد ودعا له بالبركة في عمره وصحته فمات وهو ابن ثمانين فما شاب اي ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم مسح برأس مدلوك الفزاري رضي الله عنه فكان ماله مسته يده اسود وسائر رأسه ابيض يعني انه لم يشب موضع المس وروى الطبراني والبيهقي انه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه اي أن رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه حتى قالت زوجته ام عاصم كنا عنده ثلاث نسوة مامنا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لايمس طيبا فكان أطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابتني الشرى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلكها بالاخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ماترون والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه لما جرح يوم حنين أي مسح صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتى أخرج ماعليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء متميزة كغرة الفرس من أثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وروى ابن الكلبي انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضي الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض الا موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه فانه اسود أي لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاغر لما في وجهه من النور وروى البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه ولا مانع من التعدد وجاء انه صلى الله عليه وسلم مسح وجه خزيمة بن سواد بن الحارث فصارت له غرة بيضاء وروى انه مسح أيضا بناصية طلحة بن أم سليم فكانت له غرة ومازال على وجهه نور من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء بشرة حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة أي يقابل الناظر اليه وجهه بوجهه ليرى صورة وجهه فيه كالمرآة لشدة صفاء بشرته وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم الحنفي وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة بوزن درهم ودعا له بالبركة فكان يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيضع محل الورم من الوجه والضرع على الموضع الذي مسه كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم الذي كان أصابه وروى ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب بنت أم سلمة رضي الله عنهما نضحة من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرأوا وفي الشفا أيضا وأتاه رجل ذو ادرة وهي انتفاخ في الخصيتين فأمره أن ينضحها بماء

من

من عين مج فيها ففعل نهر أوروى الطبرى ان المهلب بن يزيد الطائى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه فنبت شعره وروى عن طاوس بن كيسان اليمانى لم يؤت النبى صلى الله عليه وسلم بأحد به مس أى جنون فصك فى صدره الا ذهب المس وروى الامام أحمد عن وائل بن حجر انه صلى الله عليه وسلم مج فى دلو فيه ماء أخرج من بئر ثم صب فى بئر ففاح منها ريح المسك وصح انه ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما أى حقيرا ودعا له بالبركة فى خلقته وسائر أموره ففرع الناس طولا وتماما أى زاد عليهم فى الطول وتمام سائر الاعضاء وكمل الله خلقته بدعائه صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين ان أبا هريرة رضى الله عنه شكى اليه صلى الله عليه وسلم النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه اى فعل فعلا يشبه من يغرف من شئ ما يضعه فى آخر ثم امره بضمه ففعل فما نسى شيئا قال ابو هريرة رضى الله عنه فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبد الله بن عمرو لتقدم اسلامه ولانه كان يكتب وأنا لا أكتب (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) اجابة دعائه لاناس دعا لهم أو عليهم وهذا باب واسع جدا قال القاضى عياض فى الشفا اجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لجماعة دعا لهم أو عليهم متواترة معلومة ضرورة وقد جاء فى حديث رواه الامام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت ولده وولد ولده أى وصل أثر الدعوة وبركاتها الى ولده وولد ولده وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قالت أمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله تعالى له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة أى يزيدون عليها وفى رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا أقول سقطا ولا ولد ولد ولقد أجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم وجاء انه مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه له وأطل حياته وان أنسا قال فأكثر الله مالى حتى ان لى كرما يحمل فى السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه أنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمى وأم حرام خالتى فقالت أمى يا رسول الله خويدمك أنس ادع الله له فدعا لى بكل خير وكان فى آخر ما دعا لى اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفى رواية وأطل عمره واجعله رفيقى فى الجنة فكان أنس رضى الله عنه يقول بعد ان طال عمره وكثر ماله وولده وأنا أرجو هذه يعنى كونه رفيقه صلى الله عليه وسلم فى الجنة ومن دعائه صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالبركة أى بأن يبارك الله له فيما رزقه قال عبد الرحمن رضى الله عنه فلو رفعت حجرا من مكانه بيدى لرجوت ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله له أبواب الخيرات وكان حين قدم المدينة فقيرا لا يملك شيئا فآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فأراد سعد بن الربيع أن يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وأن يقاسمه ماله فقال لا حاجة لى فى ذلك بارك الله لك فى زوجتيك ومالك ثم قال دلونى على السوق فصار يتعاطى التجارة ففى أقرب زمن رزقه الله مالا كثيرا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم حتى انه لما توفى رضى الله عنه بالمدينة سنة احدى وثلاثين أو اثنين وثلاثين حفر الذهب من تركته بالفوس حتى جرحت الايدى من كثرة العمل وأخذت كل زوجة من زوجاته الاربع ثمانين الفا وقيل ان نصيب كل واحدة من الاربع مائة الف وقيل بل صولحت احداهن على نيف

وثمانين الفا من الدنانير واوصى رضى الله عنه بألف فرس وبخمسين الف دينار فى سبيل الله واوصى بحديقة لامهات المؤمنين رضى الله عنهن بيعت بأربعمائة الف واوصى لمن بقى من اهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها واخذ عثمان فيمن اخذو هذا كله غير صدقاته الفاشية فى حياته وعوارفه العظيمة فقد اعتق يوما ثلاثين عبدا ونصدق مرة بعير وهى الجمال التى تحمل الميرة وكانت تلك العير فيها سبعمائة بعير وردت عليه وكان ارسلها للتجارة فجاءت تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره وبأحلاسها وأقتابها وجاء انه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر اربعة آلاف ثم تصدق بأربعين الفا ثم بأربعين الف دينار ثم بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وروى انه رضى الله عنه لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة جاءه بأربعة آلاف درهم وقال يارسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى اربعة آلاف وامسكت لعيالى اربعة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له فى ماله ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا رضى الله عنه هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته ذكره ملا على فى شرح الشفا وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب ودعا له مرة وقال اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضائله أحاديث أخر فكان أول التمكين له أن استعمله أميرا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم فكان أميرا على الشأم عشرين سنة ثم صار خليفة عشرين سنة وانعقد الامر على استخلافه حين نزل له الحسن بن على رضى الله عنهما عن الخلافة فبايعه الناس وأما ما وقع بينه وبين على رضى الله عنه بسبب طلبه لدم عثمان فينبغى الكف عنه لانه كان باجتهاد للمصيب فيه أجران وللمخطئ أجر واحد وقد وردت أحاديث فيها الوعيد الشديد لمن تعرض لسب أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو تنقص أحدا منهم وقد قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فبعد أن شهد الله لهم بالصدق وأخبر بأنه رضى عنهم ورضوا عنه فلا ينبغى لمؤمن أن يتعرض لاحد منهم بل يفوض ما وقع بينهم الى الله ويترك الخوض فيه ويعتقد أنهم مجتهدون مأجورون وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فيؤخذ من مجموع الآيتين أنهم كلهم فى الجنة رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أى لا فرضا ولا نفلا والاحاديث فى ذلك كثيرة فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبتهم وأن لا يجعل لاحد منهم فى عنقنا ظلامة وأن يجعلهم شفعاءنا يوم القيامة آمين وعن المقداد رضى الله عنه أن سعدا رضى الله عنه قال يارسول الله ادع الله أن يستجيب دعائى فقال ياسعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله أن يطيب طعمتى فانى لا أقوى الابدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد واستجب دعوته وقد خرج أهل الصحيح كثيرا من دعوات سعد رضى الله عنه المستجابة وهى مشهورة مأثورة فمنها أن رجلا نال من على رضى الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال اللهم ان كان كاذبا فأرنى فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها مارواه البخارى أن سعدا رضى الله

عنه دعا على أبي سعدة بقوله اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم دعا بعز الاسلام أي بأن الله يعز الاسلام أي يقويه وينصره بأحد الرجلين بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه فكانوا قبل اسلام عمر رضي الله عنه لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضي الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روي من طرق أنه صلى الله عليه وسلم خص عمر رضي الله عنه بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بأنه أولا دعا بأن الله يعز الاسلام بأحدهما ثم لما تبين له باعلام من الله والهام منه أن اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وتقدمت قصة اسلامه رضي الله عنه في باب تعذيب قريش للمستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين ودعا صلى الله عليه وسلم لابي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كأنه ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ودعا صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما أنشده قصيدته التي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بها فلما وصل قوله فيها

فلا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وثمانين وروى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم الحبر وترجمان القرآن وكان أعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم دعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر المال قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البخاري والامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه بيمن دعائه للمقداد قال عروة فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم لسوق بالكوفة أي أقوم فيه للتجارة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديث عروة فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لام أبي هريرة رضي الله عنهما بأن يهديها الله للاسلام فأسلمت وحازت شرف الصحبة رضي الله عنها وكان أبو هريرة قبل ذلك حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فأبت وأسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يبكي وقال اني كنت أدعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهديها فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك يا أبا هريرة فسمع صب الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا أبا هريرة اني أشهد أن لا اله

الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع أبو هريرة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال أبشر يارسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله أمي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يارسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم اليهما فكان لا يسمع به أحد ولا يراه الا أحبه ورواه البيهقي أيضا في الدلائل وروى البيهقي عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأقبلت فاطمة وقعدت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجماعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت ماجعت ياعمران بعد أي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم لها قال البيهقي وكان هذا قبل نزول آية الحجاب وروى ابن اسحاق والبيهقي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم دعا للطفيل بن عمرو الدوسي أن يجعل له آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يارب اني أخاف أن يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي الطفيل ذا النور وتقدمت قصته في باب الوفود عند ذكر وفد دوس وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم دعا على مضر حين تأخر اسلامهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجلود والدم والعظام فقال له أبو سفيان انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا وروى أبو داود والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم دعا على صبي قطع عليه صلاته أي مر بينه وبين سترته أن يقطع الله أثره فأقعد قال ابن مهران رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام فسألته أي عن سبب اقعاده فقال مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد وروى مسلم عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وروى الحاكم والبيهقي وابن اسحاق من طرق صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبي لهب وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد وقيل ان المدعو عليه أخوه عتبة بالتكبير لكن الصحيح الاول لان عتبة المكبر ومعتبا أخاهما أسلما عام الفتح وحسن اسلامهما رضي الله عنهما وعقير الاسد انما هو عتيبة المصغر وتقدمت قصته في باب مراتب الوحي عند تعداد ماوقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه المشهور على أبي جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من عتاة قريش حين وضعوا السلا على كتفيه وهو ساجد مع الفرث والدم فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر وتقدم الكلام على ذلك في الباب المذكور عند تعداد ماوقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروى البيهقي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم دعا على الحكم بن أبي العاص بن أمية وهو أبو مروان وكان يختلج بوجهه أي يحرك وجهه وحاجبه وشفته استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج الى ان مات وتقدم الكلام عليه مبسوطا في الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم وروى البيهقي وابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بن جثامة الكناني الليثي فمات بعد سبع ليال من دعائه ولما دفنوه لفظته الارض ثم دفنوه فلفظته وهكذا مرات فألقوه في شعب ورضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه أنه صلى

الله عليه وسلم بعثه في سرية أمّر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا غدرا لامر كان بينهما فلما بلغه صلى الله عليه وسلم دعا عليه ولما أخبر وه صلى الله عليه وسلم بأن الارض لفظته قال ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يجعله لكم عبرة وهذا الباب واسع جدا لان أدعيته صلى الله عليه وسلم المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر وما ذكر قطرة من بحر وفيه كفاية والله سبحانه أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم اخباره بكثير من المغيبات قال في الشفا وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره أي ماؤه الكثير وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ولا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالى غير ذلك ما تقدم في هذا الكتاب في مواضعه وهو كثير ومن ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما أي يخطب فما ترك شيئا مما يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ورواه البخاري أيضا لكن رواية أبي داود أبسط وفيها انه ليكون منه الشيء أي يوجد الشيء مما حدثنا به قد نسيته فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه أي أظهروا نسيانه خوف الفتن والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته بحيث لم نبق فيه شبهة وروى الامام أحمد والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه الا ذكر لنا منه علما أي يذكر لنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره وقد خرج البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه لغلبتهم وفل شوكتهم كفتح مكة فانه أخبرهم به قبل وقوعه ولما فتحت قال لهم هذا الذي قلت لكم وأخبرهم بفتح بيت المقدس وأخبر تميما الداري رضي الله عنه حين اسلامه بأن الله سيفتح بيت المقدس وأقطعه أرضا بها فلما فتح في خلافة عمر رضي الله عنه أعطى تميما اعطاءه تحقيقا لوعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشأم واليمن والعراق وظهور الامن في الممالك الاسلامية حتى تظعن المرأة أي تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله والحيرة مدينة بقرب الكوفة وقد حقق الله ما أخبر به وأخبر بأن المدينة ستغزى فكان ذلك في وقعة الحرة وأعلمهم بفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه فكان ذلك كما تقدم وأخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان وبما يوسعه الله عليهم من الدنيا ويؤتون من زهرتها وانهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء وأخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف وبأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وان الناجية منها واحدة وان الناجي من كان على ما أنا عليه وأصحابي فكان ذلك كما أخبر وأخبر بأن أمته ستتبع سنن من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قال حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن اذن وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون لامته أنماط وهي جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعني ان أمته يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة وانهم يغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يدي أحدهم صحفة وترفع أخرى وانهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال في آخر الحديث في رواية رواها الترمذي وأنتم اليوم خير منكم يومئذ أي لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه

وسلم ان أمته اذا مشوا المطيطا أى مشوا بالتبختر وخدمتهم بنات فارس والروم ردّ الله بأسهم
بينهم والمراد به وقوع العداوة والقتال بينهم وسلط الله شرارهم على خيارهم واخبر ان الروم
ذات قرون أى جماعات وملك قائم بديارهم الى آخر الدهر بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق
ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم واخبر بذهاب الامثل فالامثل أى الاشرف فالاشرف من الناس
وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لايباليهم الله أى لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا وروى
الترمذى عن أنس رضى الله عنه لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار وهى حشيش يحترق
بسرعة والمراد ارتفاع البركة من الاعوام والايام واخبر بقبض العلم وظهور الفتن وروى
الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب من شرّ
قد اقترب واخبر بأنه زويت له الارض أى جمعت وضم بعضها الى بعض فأرى مشارقها ومغاربها وانه
سيبلغ ملك أمته ما زوى له منها فكان كذلك فامتدت مملكتهم فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند
أقصى المشرق الى بحر طنجة وهى بلدة بساحل بحر المغرب وروى مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة واخبر بملك بنى
أمية وولاية معاوية رضى الله عنه ووصاه اذا تملك بالعدل والرفق وقال له اذا ملكت فأسجح أى ارفق
قال معاوية رضى الله عنه فما زلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى رواية انه قال له يا معاوية اذا ملكت فأحسن وروى الترمذى والبيهقى والحاكم عن أبى هريرة
رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا
وعباد الله خولا ومال الله دولا أى يتداولونه واحدا بعد واحد والمراد انهم يستأثرون بالمال ويمنعون
الحقوق ويبذرون ويسرفون ويضيعون بيت مال المسلمين فكان كذلك وروى البيهقى والامام أحمد
انه صلى الله عليه وسلم اخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على أيديهم
كل جبار وفى رواية تخرج الرايات السود من خراسان لايردها شئ حتى تنصب بايليا أى بيت المقدس
واخبر العباس بأن الخلافة قد تكون فى ولده فكانوا يتوقعون ذلك وروى الحاكم انه صلى الله عليه
وسلم قال ان أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا وأخبر بقتل على بن أبى طالب رضى الله
عنه كما رواه الامام أحمد والطبرانى وان أشقى هذه الامة الذى يخضب هذه يعنى لحية على رضى الله عنه
من هذه يعنى رأسه يشير الى انه يضرب على رأسه ضربة يسيل منها دمه حتى يبل لحيته وروى الشيخان
انه صلى الله عليه وسلم أخبر بقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يقرأ فى المصحف فكان كذلك
وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا
مظلوما يعنى عثمان رضى الله عنه وان الله عسى أن يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه قال لعثمان رضى
الله عنه فلا تخلعه وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
سيقطر من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وتكلم فى هذا الحديث بعضهم لكن قال المحب الطبرى
ان أكثرهم روى ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت فى المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله
ونقل عن حذيفة رضى الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذى نفسى بيده
لا يموت أحد وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره
أخرجه الحافظ السلفى وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الفتن يعنى بين أصحابه لا تظهر مادام عمر رضى الله
عنه حيا ولقى عمر رضى الله عنه يوما أبا ذر رضى الله عنه فأخذ بيده وعصرها فقال دع يدى يا قفل الفتنة

فقال له ماهذا يا أباذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان نتخطى الناس فجلست فى أدبارهم فقال صلى الله عليه وسلم لا تصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وروى الشيخان ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يوما أيكم يحفظ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر فقال حذيفة رضى الله عنه ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل لحذيفة من الباب قال هو عمر قيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة انى حدثته حديثا ليس بالاغاليط وخطب خالد بن الوليد رضى الله عنه مرة بالشأم فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حى فلا انما ذاك بعده وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم اخبر بمحاربة الزبير لعلى وهو أى الزبير ظالم وكان صلى الله عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلى رضى الله عنه أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى فقال للزبير أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن خالى وعلى دينى فقال أما انك ستقاتله وأنت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له على رضى الله عنه وقال له ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلنى وأنت لى ظالم قال نعم ولكن نسيته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك قال ذكرنى على حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لتقاتلنه فقال قد حلفت أن لا أقاتله قال أعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب فلما كان بوادى السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله فقال على رضى الله عنه أشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قاتل الزبير فى النار وكان سبب هذا القتال أن قتلة عثمان رضى الله عنه بايعوا عليا لما بايعه الناس ولم يرض بمبايعتهم لكنه خشى الفتنة لكثرتهم ولغلبهم وأراد تأليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم اياه وامتنع معاوية وجماعة من البيعة لعلى رضى الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان وأرادت عائشة رضى الله عنها أن تساوى الامر بين على ومعاوية رضى الله عنهما وتدفع الخوارج حتى يؤخذ منهم بدم عثمان رضى الله عنه فسارت فى هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبد الله والزبير رضى الله عنهما حتى التقوا مع على رضى الله عنه وأرادوا الصلح بينه وبين معاوية فلم يتم الامر ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد وكانوا كلهم مجتهدين رضى الله عنهم ثم تبين لعائشة رضى الله عنها ان الحق مع على رضى الله عنه فى عدم تسليم قتلة عثمان رضى الله عنه لكثرتهم وانتشارهم وتشعب أمرهم فكان يرى تأخير أمرهم حتى تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون ويقتاد منهم فلما تبين لها ذلك اصطلحت معه ورجعت الى المدينة فى عزواكرام وكان النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى هذا القتال وأخبر به وذلك ان عائشة رضى الله عنها كانت مع نساء النبى صلى الله عليه وسلم يوما والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وهن يتحدثن فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع فى طريق الذاهب من المدينة الى البصرة وفى حديث آخر أخبر انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضى الله عنها بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس الحوأب ثم تبين لها الامر فعادت بعد الصلح كما تقدم وروى الحاكم والبيهقى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله عنها أى تعجبا من خروج المرأة على الخليفة فقال انظرى يا حميرا أن لا تكونى أنت ثم التفت الى على رضى الله عنه فقال ان وليت من أمرها شيئا فارفق بها وقد امتثل الامر رضى الله عنه

فانه أرسلها الى المدينة ومعها أخوها محمد وشيعها على رضي الله عنه بنفسه اميالا وسرح بنيه معها يوما
ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية
وكان هو مع على بصفين وكان كل من على ومعاوية رضي الله عنهما مجتهدا لكن عليا رضي الله عنه هو
المصيب في تأخير أمر قتلة عثمان ومعاوية رضي الله عنه هو المخطئ في طلب التعجيل بأخذ ثاره قبل
استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم لكن حيث كان ذلك ناشئا عن اجتهاد فلا لوم عليه للحديث
المشهور ان المجتهد اذا أصاب له أجران واذا أخطأ له أجر واحد فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضي الله
عنهما هذا مذهب أهل السنة والجماعة وما عداه زيغ وضلال نسأل الله الحفظ منه ومن اخباره صلى
الله عليه وسلم بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ويل للناس منك وويل لك من الناس
وويل هنا للتحسر والتأسف لا للدعاء بالهلاك وسبب قوله ذلك انه صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى دمه
لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ليدفنه وكان صغيرا فتوارى وشربه فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك قال له أما انك لن تمسك النار وقال له أيضا ويل للناس منك وويل لك من الناس حتى كان ما كان
من أمره وأمر عبد الملك بن مروان الى أن وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله وكان عبد الله بن الزبير
رضي الله عنه يكر على الصفوف فيهزمها وكان الناس يرون أن ما عنده من القوة والشجاعة انما كان
من ذلك الدم ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله في حق قزمان انه من أهل النار وذلك
أن قزمان قاتل في بعض الغزوات أي غزوة خيبر وقيل حنين قتالا شديدا حتى أعجب الصحابة رضي الله
عنهم وكان شجاعا وهو مولى لبعض الانصار فلما رأى الصحابة أقدامه وشجاعته أخبروا النبي صلى الله
عليه وسلم بخبره فقال أنه من أهل النار ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة فجعل سيفه بين ثدييه
وتحامل عليه حتى مات وقيل انه أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به
فقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا أن ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا
مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم فيه انه من أهل النار اما لكونه منافقا أو انه ارتد قبل موته لما كثرت
عليه الجراحة أو أنه استحل قتل نفسه فلا ينافي أن قتل الشخص نفسه لا يقتضي كفره وروى الطبراني
والبيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم أبو هريرة وحذيفة
ابن اليمان وسمرة بن جندب آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن البعض فكان سمرة آخرهم
موتا كبر سنه فأصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه بردا لا يدفأ منه فأوقدت له نار ليصطلي بها
فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وأبهم لهم النار
حيث لم يبين لهم أنها نار الدنيا ليجدوا في أعمالهم ويدأبوا على الخوف والمراقبة أو أنه لم يؤذن له في ذلك
وذلك من الحكم الخفية قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت أبا هريرة رضي الله عنه سألني عن سمرة
فاذا أخبرته بحياته فرح فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم موتا
في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله وفي
رواية للبيهقي كان اذا أراد أحد أن يغيظ أبا هريرة قال مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ثم مات أبو هريرة
قبل سمرة رضي الله عنهما وروى ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله عليه وسلم قال
في حنظلة بن أبي عامر الانصاري الغسيل الذي استشهد يوم أحد اني رأيت الملائكة تغسله فسلوا
امرأته عنه فسألوها فقالت انه خرج جنبا أعجله الحال عن الغسل وكان عروسا ابتنى بجميلة بنت
عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وكانت امرأة صالحة قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ووجدنا
رأسه تقطر ماء أي وذلك من أثر تغسيل الملائكة ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه

الامام أحمد والترمذى بل وأصحاب الكتب الستة من قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا فكانت كذلك بمدة الحسن بن على رضى الله عنهما وقال الخلافة فى قريش ولن يزال هذا الامر فى قريش ما أقاموا الدين أى فاذا غير واغيرهم الله وقد وقع كما قاله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال يكون فى ثقيف كذاب ومبير أى مهلك يكثر القتل قال العلماء أن المراد بهما الحجاج والمختار بن أبى عبيد قال النووى أجمع العلماء على أن المبيرهو الحجاج والكذاب هو المختار بن أبى عبيد الثقفى كان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى اليه وكان له كرسى يضاهى به تابوت بنى اسرائيل فهو ضال مضل وكان فى أول أمره يظهر الصلاح والتنسك ويزعم أنه يأخذ بثار الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقا كثيرا واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وأما الحجاج فأمره أشهر من أن يذكر ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن مسيلمة الكذاب يعقره الله وفى رواية يقتله وكان ادعى النبوة فى آخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم فجهز اليه الصديق رضى الله عنه جيشا وأمر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا مسيلمة وقومه حتى قتله الله وكان قتله على يد وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وشاركه فيه ناس وفى التعبير عن قتله بالعقر اشارة الى أنه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنته صلى الله عليه وسلم أول أهله لحوقا به أى أول أهل بيته لحوقا به فماتت بعده بستة أشهر ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات أنه أنذر أصحابه بمن يرتد بعده من العرب وبما يكون من قتالهم فوقع ذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فارتد بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم كثير من العرب الا أهل الحرمين وأهل البحرين فكفى الله أمر المرتدين بأبى بكر رضى الله عنه بعد أن قاسى منهم أمورا شديدة فما توفى رضى الله عنه حتى رجعت العرب الى الاسلام ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه البزار عن أبى عبيدة رضى الله عنه والبيهقى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر أى دين الاسلام بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبرية من الجبر وهو الاكراه والقهر وفسادا فى الامة فكان الامر كما أخبر ومما أخبر به من المغيبات ما رواه مسلم وغيره من التنويه بشأن أويس القرنى رضى الله عنه وكان قد اشتغل ببر أمه عن الاجتماع بالنبى صلى الله عليه وسلم والا فقد أدرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبى صلى الله عليه وسلم وعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به بياض أى برص فبرأ منه الا موضع درهم أى لانه دعا الله تعالى أن يزيله الا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم لهم بأنه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكى على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول فى أهل الارض معروف فى السماء لو أقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله فى ربيعة ومضر يا عمر وياعلى اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر رضى الله عنه قام على ابى قبيس فنادى يا أهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندرى ما اويس ولكن انه اخ لى اخمل ذكرا واهون من ان نرفعه اليك وهو فى ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضى الله عنه كأنه لا يريده ثم قال اين هو فقال بأراك

عرفات فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه وقالا من الرجل قال راعي ابل احد فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبد الله ما اسمك الذي سمتك به امك قال ما تريدان مني فأخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وسألاه إن يكشف لهما عن البياض الذي تحت منكبه الايسر لتحقق العلامة فكشف لهما وتحقق عندهما الوصف كما اخبر صلى الله عليه وسلم وسألاه الدعاء كما امرهما صلى الله عليه وسلم ثم سألاهما من هما فعرفاه بأنفسهما فقام لهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله خيرا عن امة محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وجاء في حديث صحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني وقال الامام احمد ان سعيد بن المسيب أفضل التابعين قال القرافي لعل الامام أحمد لم يقف على هذا الحديث أو لم يصح عنده وقال النووي أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته لله وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه فلا منافاة وقيل أفضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين قال بعضهم ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد بن المسيب والله أعلم وبما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مار واه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه من اخباره بأنه سيكون امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ولفظه كيف انت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل معهم فانها لك نافلة وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم وبما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم من المغيبات مار واه البزار والطبراني بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون أفياءكم و يضربون رقابكم وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن يعني عظم البدن لكثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في عواقب الامور وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش قال أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأراد يزيد و بعض بني مروان ولم يسمهم خوف الفتنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول أعوذ بالله من رأس الستين وامارة الصبيان فتوفي قبل ذلك وكانت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذي أراده أبو هريرة رضي الله عنه وكان ذلك باعلام من النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم وأخبر انهم مجوس هذه الامة وكذا أخبر بظهور الرافضة في أحاديث رواها البيهقي من طرق متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفي رواية فاقتلوهم فانهم مشركون وأخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البغوي وغيره بأنه لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع ذلك من كثير من أهل البدع يتناولون كثيرا من الصحابة وأهل البيت وكثير من السفهاء يتعاطون سب كثير من الاولياء كسيدي محيي الدين بن العربي وسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنهما فنعوذ بالله من أمثال ذلك فانه من موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله أن ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا في زمرتهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الانصار يقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم انكم ستلقون اثرة بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فكان ذلك كله كما أخبر صلى الله عليه وسلم وأخبر

بشأن الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وجاء ذلك في أحاديث رواها الشيخان وغيرهما
أخبر بأن آيتهم رجل اسود احدى ثدييه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر فلما قاتلهم علي رضي الله
عنه خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال
شقوا قميصه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكر الله اذ صدق نبيه صلى الله
عليه وسلم وعلم انه رضي الله عنه على الحق وهم على الباطل أي زاده ذلك يقينا واخبر ان سيماهم التحليق
أي حلق رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في نسك واخبر صلى الله عليه وسلم ان من
أشراط الساعة ان ترى رعاء الشاء رؤس الناس والعراة الحفاة يتطاولون في البنيان وهذا كناية عن
توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله ومما اخبر عنه من
المغيبات ما رواه الشيخان ان قريشا لا يغزونه بعد غزوة الاحزاب وانه هو الذي يغزوهم فكان
كذلك وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس والموتان
على زنة البطلان والمراد منه الموت الكثير فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتح بيت المقدس
ويسمى طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكر المسلمين وهو أول طاعون
وقع في الاسلام مات فيه سبعون ألفا في ثلاثة أيام وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت
المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ثم
استفاضة المال وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت
بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف
وقذف ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها وكلاؤها بشد اللام مرسى سفنها ففي هذا الحديث من اعلام
نبوته ومن الاخبار بالغيب ما لا يخفى فاستمصرت البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة سبع عشرة
بناها عتبة بن غزوان رضي الله عنه وسكنت سنة ثماني عشرة وكان أنس رضي الله عنه ممن سكنها ومن
شرفها انه لم يعبد بها صنم ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان ان أمته يغزون
في البحر كالملوك على الاسرة ولم يكن ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كما أخبر والحديث
مروي في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله
نام عندها يوما ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما أضحكك يا رسول الله فقال أناس من
أمتي عرضوا علي يركبون ثبج البحر أي وسطه كالملوك على الاسرة قالت ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها
ثم نام فرآى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال أولا فقالت ادع الله أن يجعلني منهم فقال لها أنت من
الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه مع المسلمين الغزاة مع معاوية في خلافة
عثمان رضي الله عنهما فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا لها دابة لتركبها فوقعت وماتت شهيدة رضي الله
عنها وكان عمر رضي الله عنه يمنع الناس من ركوب البحر فلما سمع هذا الحديث اذن للناس في ركوبه وأم
حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف يزار واخبر صلى الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا
بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسي والامام أبي حنيفة والبخاري
وأمثالهم رضي الله عنهم وظهر فيهم من الاولياء والعلماء والتصانيف ما لا يعد ولا يحصى وروى مسلم
عن جابر رضي الله عنه قال هاجت ريح والنبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته أي وهي غزوة تبوك
وقيل غزوة بني المصطلق فقال انها هاجت لموت منافق يعني رفاعة بن زيد بن التابوت وكان من عظماء

اليهود كهف المنافقين وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم ووجدوا هلاكه وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني عن رافع بن خديج رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوما القوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار مثل أحد قال أبو هريرة رضى الله عنه فذهب القوم كلهم أى ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ولم يعينه لكراهته أو طلبا للستر وروى أبو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أخبر بالذى غل خرزا من خرز يهود خيبر وكان قد توفى فأخبر صلى الله عليه وسلم به ليصلى عليه فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشوا متاعه وما معه فوجدت تلك الخرزات التى غلها فى رحله وروى البيهقى ان ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت فطلبها الناس فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته ألا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما أزعم انى أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى فهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد بن اللصيب ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما أعلم به أصحابه حين تجهز عام الفتح وقد أراد اخفاء أمره من ان حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه كتب الى أهل مكة يعلمهم بمسيره صلى الله عليه وسلم اليهم وأخفى الكتاب وبعث به مع امرأة وقال لها أخفيه ما استطعت وقال صلى الله عليه وسلم لعلى والزبير والمقداد رضى الله عنهم انطلقوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتونى به فانطلقوا وجاؤا بالكتاب فسأل صلى الله عليه وسلم حاطبا فاعتذر وحلف انه ما فعل ذلك نفاقا ولا ارتدادا فقبل صلى الله عليه وسلم عذره كما تقدم ذلك مبسوطا فى غزوة الفتح ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما أظهره صلى الله عليه وسلم من شأن عمير بن وهب ابن خلف لما قدم المدينة وأظهر انه جاء لطلب فك ابنه وهب من الاسر وقد توافق مع صفوان بن أمية فى الحجر على ان صفوان يتحمل دينا كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة سأله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فأحسنوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بالحجر وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين على وعيالى خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلنى فقال اشهد أنك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لاعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم وتقدم ذلك فى غزوة بدر عند تعداد الاسراء ومن اخباره بالغيب قوله صلى الله عليه وسلم لابى بن خلف أنا أقتلك ان شاء الله حين قال له أبى عندى فرس أعلفها كل يوم فرقا أقتلك عليها وقد حقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم فانه قتل أبيا يوم أحد كما تقدم فى غزوة أحد ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وذكرهم واحدا واحدا مشيرا الى مصارعهم فصرعوا كذلك ما تجاوز أحد منهم موضعه الذى أشار اليه ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحسن بن على رضى الله عنهما ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وذلك انه لما قتل على كرم الله وجهه بايع الناس الحسن على الموت وكان الذين بايعوه أكثر من أربعين ألفا وكانوا أطوع له وأحب من أبيه فبقى نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراآى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن رضى

الله

الله عنه انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين وعلم معاوية رضي الله عنه مثل ذلك فسعى بينهما جماعة
بالصلح وأرسل له معاوية رضي الله عنه رقاً أبيض وقال اكتب فيه ماشئت وأنا التزمه فاصطلحا على ان
الحسن يفوض الامر له بشرط أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان في أيام
أبيه فأجابه معاوية رضي الله عنه الى ذلك واشترط أن يكون الامر له بعد معاوية فالتزم معاوية بذلك كله
وحقن الله دماء المسلمين وحقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به وفي رواية
ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب مارواه
الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام
ويستضر بك آخرون وذلك ان سعدا رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره أن يموت بالارض التي
هاجر منها واشتد مرضه حتى أشفى أي أشرف على الموت فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ولم
يكن لسعد الا بنت فقال يارسول الله أوصي بمالي كله قال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير وهو حديث
مشهور ثم قال له صلى الله عليه وسلم لعلك تخلف أي تعيش حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون
فشفاه الله من ذلك المرض وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وأضر
الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبى وكانت المدة التي عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين
سنة قال النووي فهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما أخبر به فيه ومن اخباره صلى الله عليه وسلم
بالغيب مارواه البخاري عن أنس رضي الله عنه من اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم
قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وذلك انه بعث جيشا جهة الشأم وقال أميركم زيد بن حارثة فان
أصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فان أصيب فمن يرتضيه المسلمون فلما التقوا
مع المشركين كشف الله له عن موضع قتالهم وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي
الارض حتى رأيت معركتهم فنعاهم لاصحابه وقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم اخذها جعفر فأصيب
ثم اخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله
يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله عليهم فلما اتاه يعلى بن امية رضي الله عنه وكان رسولا
من الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرني وان شئت أخبرتك فقال اخبرني
فأخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ماتركت من حديثهم حرفا واحدا وروى الشيخان عن أبي
هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه يعني ارض الحبشة
وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم
اخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات فلما تحقق ذلك أسلم وروى الماوردي في اعلام النبوة
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر اصحابه بأن فيروز الديلمي قتل الاسود العنسي الذي ادعى النبوة بصنعاء
فكان كذلك وروى الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم اخبر اباذر رضي الله عنه بخروجه من المدينة
وانه يعيش وحده ويموت وحده فسكن الربذة في آخر عمره حتى مات بها وروى مسلم انه صلى الله
عليه وسلم اخبر ان اسرع زوجاته لحوقا به اطولهن يدا اي من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام
وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها اكثرهن صدقة فكانت اول الزوجات موتا وروى البيهقي
انه صلى الله عليه وسلم اخبر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بالطف وهو مكان بناحية الكوفة
ويعرف بكربلا واخرج صلى الله عليه وسلم بيده تربة وقال فيها مضجعه وفي رواية ان جبريل عليه
السلام جاء بها وروى ابن عدي والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال في زيد بن صوحان العبدي رضي
الله عنه يسبقه عضو من اعضائه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم

قال فى الذين كانوا معه على حراء حين تحرك بهم وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير اثبت فما عليك الا نبى أوصديق اوشهيد فقتل على وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم وعد بعضهم سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وقدمات بالطاعون وهونوع من أنواع الشهادة وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك حين تعرض له فى طريقه وهومهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى وتقدمت قصة تعرضه للنبى صلى الله عليه وسلم وانه أخذ امانا ثم أسلم عام الفتح رضى الله عنه فلما سلب الله كسرى ملكه فى خلافة عمر رضى الله عنه اتى بسواريه لعمر رضى الله عنه فألبسهما سراقة رضى الله عنه تحقيقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرم لانه انما فعل ذلك تحقيقا وتصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيران يقرهما بعد ذلك ومثل ذلك لا يعد استعمالا محرما وروى ابونعيم فى الدلائل والخطيب البغدادى فى تاريخه انه صلى الله عليه وسلم قال تبنى مدينة بين دجلة والصراة وهونهر بالعراق مشهور تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعنى تلك المدينة وهى بغداد وقدوقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها فى الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقى أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى الامام أحمد والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون فى هذه الامه رجل يقال له الوليد هوشر لامتى من فرعون لقومه قال الاوزاعى فكانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم تبين انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان سفيها مدمنا للخمر تفاءل يوما فى المصحف فخرج له واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشأ يقول

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا ماجئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

وفى هذا الحديث معنى لطيف وهوان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب فشاركه فى التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقدوقع هذا فى صفين فى وقعة على ومعاوية رضى الله عنهما وكانت دعواهما فى اعتقادهما او دينهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهدا وروى البيهقى والحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو العامرى رضى الله عنه عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك فان سهيلا رضى الله عنه قام فى أهل مكة يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطبهم وثبتهم بنحو قيام أبى بكر رضى الله عنه فى أهل المدينة وخطبته لهم وتثبيته اياهم كما تقدم بيان قيام سهيل لاهل مكة عند ذكره فى جملة اسرى بدر وروى ابن اسحاق والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد رضى الله عنه حين أرسله لاكيدر دومة انك تجده يصيد البقر فخرج خالد بن الوليد ومعه اربعمائة وعشرون فارسا فأتوه فى ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هووأخوه حسان فشدوا عليهما فقتلوا أخاه حسان وأسروا اكيدر فقدموا به على النبى صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ومات على نصرانيته وقيل أسلم وعده ابن منده وأبونعيم فى الصحابة والله أعلم ومن أخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما كان يخبر به أصحابه عن المنافقين مما أسروه وأخفوه ببواطنهم من النفاق والكفر ومن أقوالهم فيه صلى الله عليه وسلم وفى المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول لصاحبه

اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء وتقدم في قصة فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا رضي الله عنه أن يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث بن هشام رضي الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل أن يتمكن الاسلام في قلوبهم فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا اذلم يرهذا اليوم وقال الحارث أما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيئا ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكرها لهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول اخبرك ومن أخباره بالغيب في الصحيحين من اعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم اليهودي وانه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه في بئر ذروان والمشاطة مايسقط من الشعر والجف وعاء الطلع الذي يكون عليه كالغشاء فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة فأرسل صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فاستخرجوه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء وروى البيهقي وغيره انه صلى الله عليه وسلم أعلم عمه أبا طالب بأكل الارضة مافي صحيفة قريش التي تظاهروا بها على بني هاشم حين امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وسلم لقريش يقتلونه وان الارضة أبقت فيها اسم الله تعالى فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدمت القصة في ابتداء البعثة بتمامها هذا كله مع ما أخبر به من الحوادث التي تكون بعده فجاء كثير منها كما اخبر وبقي بعض سيظهر كما اخبر صلى الله عليه وسلم فمما أخبر به مما يكون بعده مارواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى أي وهي مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وفي كامل ابن عدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء له أعناق الابل ببصرى قال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري وكذلك العلامة القسطلاني وهذا ينطبق على النار التي ظهرت بالمدينة في المائة السابعة وتقدمتها زلزلة وكان ابتداؤها يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة وقيل ابتدأت يوم الثلاث ثالث الشهر المذكور وجمع بأن الاول نظر لابتدائها الخفي على بعض الناس والثاني نظر الى ظهورها للخاص والعام واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لبارئها تتوسل أن ينظر اليها ودامت حركة بعد حركة حتى أيقن أهل المدينة بالهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا فلما كان يوم الجمعة في نصف النهار ثار في الجو دخان متراكم أمره متفاقم ثم شاع شعاع النار وعلا حتى غشي الابصار ونقل العلامة القسطلاني عن القرطبي في تذكرته كان بدوها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وان النار تزايدت الى ضحى يوم الجمعة فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل الادكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي الى محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار الى قرب المدينة وكان يأتي المدينة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فأحرقتها قال القرطبي وقال لي بعض أصحابنا لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى

وقال أبو شامة وردت كتب من المدينة في بعضها أنه ظهرت نار بالمدينة انفجرت من الارض وسال منها وادمن نار حتى حاذى جبل أحد وفي آخر سال منها وادمقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال يجرى على وجه الارض يخرج منها مهاد وجبال صغار قال السيد السمهودى في تاريخ المدينة ان النفوس حينئذ سكرت من حلول الوجل * وفنيت من نزول الاجل * وهج المجاورون بالجؤار بالاستغفار * وعزموا على الاقلاع عن الاصرار * وعلى التوبة عما اجترحوا من الاوزار وفزعوا بالصدقة بالاموال * ونالهم من الخوف والفزع مالا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال * وظهر حسن بركة نبينا صلى الله عليه وسلم في أمته * ويمن طلعته في رفقته بعد فرقته * وفي المواهب ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون يوما وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج وفي شرح البخارى للعلامة القسطلاني فقد ظهر ان النار المذكورة في حديث الباب هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره وكذلك قال النووي في شرح مسلم وكان ظهورها في أيامه وقد تضمن الحديث ثلاثة أمور خروجها من الحجاز وسيلان وادمنه بالنار وقد وجدا وأما الثالث وهو اضاءة أعناق الابل ببصرى قال العلامة القسطلاني فقد جاء من أخبر به فاذا ثبت هذا فقد صحت الامارات وتمت العلامات ثم ذكر أنه جاء من أخبر أنه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ماهي عليه بالمدينة فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد وأما النار التي تسوق الناس الى أرض المحشر فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهي تخرج من قعر عدن ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عما سيقع مارواه أبو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن ذلك اخباره بأشراط الساعة وظهور المهدى وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وذكر الحشر والنشر وأخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وغير ذلك وحسبك هذا الفصل أن يكون مؤلفا مفردا يشتمل على أجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم مافضله الله به زائدا على غيره من كمال خلقه وجمال صورته ونهاية قوته وفرط شجاعته ووفور علمه وعظيم حلمه وكل ما أكرمه الله به وميزه به على غيره من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية ومعرفة ذلك كله من تمام الايمان فان من الايمان التصديق بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فكل مايشاهد من بدنه صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات لمن شاهده وهي تدل على عظيم أخلاق باطنه فان المشاهد الظاهر يدل على الباطن وذلك الباطن دليل على ما أورد في قلبه من العلوم والمعارف ولله در الابوصيرى حيث يقول

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهي غير منقسمة بينه وبين غيره لانه الذى تم معناه وصورته دون غيره والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره في الاتصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركا وتميز المصطفى صلى الله عليه وسلم بالزيادة التي لم يؤتها غيره وأما قوله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن فالمراد منه أنه أوتي شطر الحسن الذى أوتيه نبينا وفي الاثر ان خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال أما اني أفصل فلا أى لان صفاته لا يمكن الاحاطة بها فقال الرجل أجمل فقال

خالد رضي الله عنه الرسول على قدر المرسل أي على حالة تليق به وهو رسول الله بعثه لتبليغ أحكامه فمن لازمه أنه بالغ الغاية فكل ما تصور فيه من كمال دون ما ثبت له فان الملك اذا بعث رسولا لقضاء ما يريد انما يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا مرتبة شريفة وتصرف تام ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل لان عموم رسالته ونسخها لشرائع من قبله يقتضي رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذي تصل قدرته الى معرفة ما أعطي صلى الله عليه وسلم وفي المواهب نقلا عن القرطبي عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم لعجزنا عن ذلك ولقد أحسن الابوصيري رحمه الله حيث قال

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله في الهمزية

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

يعني أن واصفيه لم يبلغوا حقيقته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لبعض ما لها كما أن الماء لم يحك الا مجرد صورها لا غير ولنشرع في ذكر جملة من أوصاف ذاته الشريفة فنقول أما وجهه الشريف فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وروى الترمذي والامام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ومعناه أن جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن في وجهه أي ان شدة النور والبريق واللمعان يعم وجهه الشريف ولا تختص ببعض منه دون باقيه فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ولله در القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري سئل البراء بن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر فكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء ردا بليغا فقال بل مثل القمر أي في التدوير أو ان السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال بل فوق ذلك وعدل الى التشبيه بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو رد لتوهم السائل أن لمعانه كلمعان السيف بأنه وان شاركه في اللمعان لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شيء وقال بعضهم يحتمل أن السائل سأل عنهما جميعا ففي هذا الحديث اشارة الى أن التشبيه بمن لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان أولى فلذلك رد عليه البراء فقال بل مثل القمر وأبدع في تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا ثقل في العين يضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان النظر اليها يحصل للبصر منه كلال وضعف وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أن رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر والمراد أنه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور فقد كان مستديرا لا طويلا والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ولم يكن كثير اللحم ولا نحيفا والمراد أنه ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم وطبع قويم فالمقصود تشبيه محاسن

كل حسن وروى الترمذى عن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو فى عينى أحسن من القمر وفى رواية بعد قوله حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر فهو عندى أحسن من القمر وروى البخارى عن كعب ابن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على النبى صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق أسارير وجهه وهى جمع أسرار جمع سر بكسر السين وهى الخطوط التى فى الجبهة تبرق عند الفرح ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين وهذه الاستنارة التى تحصل عند السرور زائدة على ما هو موجود قبل من النور والبهاء المشبه بضياء الشمس ونور القمر وروى الطبرانى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر وهى بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات أو أنه كان متلثما فلا ينافى أن وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة وقد أخرج الطبرانى حديث كعب بن مالك رضى الله عنه من طرق فى بعضها كأنه دارة قمر وروى أبو نعيم عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر وروى البيهقى عن امرأة من همدان نسى اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه البردان يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال أبو اسحاق البيهقى الراوى عنها فقلت لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله وروى الدارمى والبيهقى وأبو نعيم والطبرانى عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ رضى الله عنهما صفى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبى الطفيل عامر بن واثلة الليثى الصحابى رضى الله عنه وهو آخر الصحابة موتا ولد عام الهجرة وتوفى عام مائة حدث يوما فى آخر عمره فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقى على وجه الارض أحد رآه غيرى فقيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مليح الوجه وروى الترمذى عن الحسن ابن على رضى الله عنهما قال سألت خالى هند بن أبى هالة وهو أخو السيدة فاطمة رضى الله عنها من أمها خديجة رضى الله عنها وأبوه أبو هالة واسمه النباش وقيل مالك وقيل زرارة وكانت خديجة متزوجة به قبل النبى صلى الله عليه وسلم ثم مات عنها وأما هند ابنه فصحابى رضى الله عنه أسلم وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل وهو مع على رضى الله عنه وهو خال الحسن والحسين رضى الله عنهما قال الحسن بن على رضى الله عنهما كان خالى هند بن أبى هالة وصافا لحلية النبى صلى الله عليه وسلم وكنت أشتهى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به فقال لى يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما أى عظيما فى نفس الامر معظما فى صدور الصدور وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها أبلج الوجه تعنى مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح اذا أسفر قال فى المواهب وما أحسن قول السيد على وفا رضى الله عنه حيث قال

ألا يا صاحب الوجه المليح * سألتك لا تغيب فأنت روحى
متى ما غاب شخصك عن عيانى * رجعت فلا ترى الا ضريحى
تعطف جد لرقك يا حبيبى * وداوى لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم فى الحب أمسى * وأصبح فى الهوى دنفا طريح
محب تساق بالاشواق ذرعا * وآوى منك للكرم الفسيح

الربيع بنت معوذ بضم الراء كذلك غير الربيع فالياء مكسورة مشددة كما فى القاموس قاله نصر

وفي المواهب نقلا عن النهاية لابن الاثير أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر فكان وجهه المرآة وكأن الجدر تلاحك وجهه والملاحكة شدة الموافقة والمراد أنه يرى شخص الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم لشدة ضيائه وقول ابن أبي هالة رضى الله عنه في حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه وجهه الشريف بالبدر وهو أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر لان البدر هو القمر وقت كماله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف تشبيهه صلى الله عليه وسلم معناه الحقيقي أيضا فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر فقد روى أن الله قال لموسى صلى الله عليه وسلم ان محمدا هو البدر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر ولهذا أنشد نساء الانصار لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة في الهجرة ومن غزوة تبوك

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وما أحسن قول ابن الحلاوي في صفته صلى الله عليه وسلم

يقولون يحكى البدر في الحسن وجهه * وبدر الدجا عن ذلك الحسن ينحط

كما شبهوا غصن النقا بقوامه * لقد بالغوا في المدح للغصن واشتطوا

أي فقد حصل للبدر والغصن غاية في الفخر بهذا التشبيه على أن هذه التشبيهات الواردة في صفاته صلى الله عليه وسلم انما هي على عادة الشعراء والعرب والا فلا شئ في هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در سيدي محمد وفا رضي الله عنه حيث قال

كم فيه للابصار حين مدهش * كم فيه للارواح راح مسكر

سبحان من أنشاه من سبحاته * بشرا بأسرار الغيوب يبشر

قاسوه جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور

هذا وحقك ماله من مشبه * وأرى المشبه بالغزالة يكفر

يأتي عظيم الذنب في تشبيهه * لولا لرب جماله يستغفر

غلب الملاح بحسنه وجماله * وبحسنه كل المحاسن تفخر

فجماله مجلا لكل جميلة * وله منار كل وجه نير

جنات عدن في جنى وجناته * ودليله أن المراشف كوثر

هيهات ألهو عن هواه بغيره * والغير في حشر الاجانب يحشر

كتب الغرام على في أسداره * كتبا تؤول بالهوى وتفسر

فدع المدعي وما ادعاه في الهوى * فدعيه بالهجر فيه تهجر

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجير الاذى والهلاك ويقال تهجر سار وقت الهاجرة أي شدة الحر فكأنه قال مدعي المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر في شدة الحر فأتعب نفسه وأذاها ايلام عليه عاجلا وآجلا وأما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله في كتابه العزيز بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى أي مال بصره عما رآه ليلة الاسرى وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها وقد قال تعالى في علة الاسراء لنريه من آياتنا فقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى يفيد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة البصر بحيث أنه لا يحصل له تخيل في شئ رآه حتى يكون على خلاف الواقع بل متى تعلق ببصر أدركه على ما هو به في الواقع وان كان في غاية الخفاء وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء والمعنى أن رؤيته فى النهار الصافى والليل المظلم متساوية لان الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك فى مدركات العيون وروى البيهقى وابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلماء كما يرى فى الضوء وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى المحسوس من وراء ظهره كما يراه من أمامه فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم وفى رواية ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم انى لأراكم من وراء ظهرى وفى رواية لمسلم عن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فانى أراكم من امامى ومن خلفى وعن مجاهد أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه وهذه الرؤية رؤية ادراك وأبصار حقيقية خاصة به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيها العادة فهى من المعجزات والرؤية عند أهل السنة لا تتوقف عقلا على مقابلة ولا على انفصال اشعة من الرائى متصلة بالمرئى نعم ذلك شرط بحسب العادة وقد خرق الله العادة لنبيه صلى الله عليه وسلم كما يخرقها للمؤمنين يوم القيامة فيرون ربهم من غير شرط من تلك الشروط ومما يدل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وان الله أعطاه قوة خارقة للعادة أنه كان يرى فى الثريا اثنى عشر نجما لم يتحقق للناس منها غير ستة أو سبعة فلم ير جميعها غير النبى صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله فى بصره ومن قوة بصره صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى الملائكة والشياطين ورفع له النجاشى حتى صلى عليه ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ورأى جبريل فى صورته وله ستمائة جناح وجاء فى حديث ابن أبى هالة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة فقوله اذا التفت التفت جميعا أراد أنه لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة اذلا يفعل ذلك الا الطايش الخفيف ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل جميعا ويدبر جميعا وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا نظر الى شئ خفض بصره ولا ينظر الى الاطراف والجوانب بلا سبب بل لم يزل مطرقا متوجها الى عالم الغيب مشغولا بحاله متفكرا فى أمور الآخرة لان هذا شأن المتواضع المتفكر المشتغل بربه وقيل هو كناية عن شدة حيائه ولين جانبه أو عدم كثرة سؤاله واستقصائه وقوله نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء أى حال السكوت وعدم التحدث لانه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن واعماله جنانه فيما بعث لاجله أو لكثرة حيائه وأدبه مع ربه أو لانه بعث لتربية أهل الارض لا أهل السماء والاول أحسن وقوله جل نظره الملاحظة معناه أنه يلحظ الشئ بمؤخر عينه من غير التفات فلا ينافى قوله واذا التفت التفت جميعا وقيل المراد من الملاحظة المراقبة وقيل المراد أن نظره الى الاشياء لم يكن كنظر أهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملا بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية وفى حديث الشمايل فى وصف على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أدعج العينين وهو شدة سواد العين مع سعتها أهدب الاشفار جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر والمراد أنه طويل شعر الاشفار مشرب العين بحمرة وهى عروق حمر رقاق وفى رواية لجابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أشكل العينين والشكلة هى الحمرة تكون فى بياض العين وذلك محبوب محمود قال الحافظ العراقى وهى احدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ولما سافر مع ميسرة الى الشام سأل عنه الراهب فقال أفى عينيه حمرة فقال ما تفارقه فقال الراهب هو هو وفى رواية عن

على

على رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان أدعج العينين أهدب الاشفار مقرون الحاجبين وفي رواية أزج الحواجب سوابغ من غير قرن يعني ان طرفي حاجبيه قد سبغا أي طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا وهذا هو مراد من قال مقرون الحاجبين فلا تنافي بين الروايتين وفي رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أي يحركه ويظهره أي يظهر ويرتفع عند الغضب وفي المواهب عن علي رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقمت لاخطب يوما أي أعظهم وأذكرهم ليتمكن ايمان من آمن ويؤمن من لم يكن آمن فخطبت وحبر من أحبار اليهود واقف بيده سفر أي كتاب كبير ينظر فيه فلما رآني قال لي صف لي أبا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث يعني المذكور فيه جملة من أوصافه صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله عنه ثم سكت فقال الحبر وماذا فقلت هذا ما يحضرني الآن أي من صفته قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية فقال علي هذه والله صفته قال الحبر فاني أجد هذه الصفة التي وصفتها يا علي والتي ذكرتها الله في سفر آبائي واني أشهد أنه رسول الله الى الناس كافة (وأما سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم فسبك أنه قال اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذي والامام أحمد وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية أبي ذر رضي الله عنه وقوله أطت بفتح الهمزة وشد الطاء أي صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه اذ قال لهم تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ قال اني لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم (وأما جبينه) صلى الله عليه وسلم فقد جاء في وصفه أنه كان واضح الجبين والمراد جنس الجبين لان لكل انسان جبينين وهما ما يكتنفان الجبهة يمينا وشمالا وفي رواية صلت الجبين أي واسع الجبينين والمراد سعتهما امتدادهما طولا وعرضا وسعتهما محمودة عند كل ذي ذوق سليم وذكر ابن أبي خيثمة أنه صلى الله عليه وسلم كان أجلى الجبين اذا طلع جبينه أي اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضي الله عنه

متى يبد في الليل البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجا المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

وروى البيهقي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم ولا ضرر في ابهامه لان الصحابة كلهم عدول قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدي محمد وفا رضي الله عنه حيث يقول في وصفه صلى الله عليه وسلم

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نونا تها سينا ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه * منضر الحسن قد قلت نظائره

وعن مقاتل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سورأن اني أنا الله الحي القيوم لا أزول فصدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين أي سهل الخدين ليس فيهما نتو ولا ارتفاع الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه كأن عنقه ابريق فضة وفي

حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة وفي حديث آخر من رواية هند بن أبي هالة رضي الله عنه كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج في الاشراق والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال لان صورة العاج يتأنق الناس في صنعتها وبالفضة في اللون والاشراق والجمال وقوله في الحديث السابق أقنى الانف القنا في الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه وهو معنى قول ابن الاثير وهو السائل الانف المرتفع وسطه ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه دقيق العرنين أي أعلى الانف حيث يكون الشمم وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم أي وليس هو بأشم والاشم الطويل قصبة الانف مع استواء أعلاه (وأما رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد دل على وصفه قول غير واحد انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الهامة أي الرأس وفي رواية البيهقي عن علي رضي الله عنه ضخم الرأس أي عظيمه من غير افراط وهو محبوب ممدوح لانه أعون على الادراكات ونيل الكمالات اما مع الافراط في العظم فهو آية البلادة وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم أي عظيمه أو واسعه من غير افراط والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة والصغر على ضدها والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم أو المعنى لا يلتفت اليه أو ان ذلك بالنسبة للنساء وزاد في حديث ابن أبي هالة رضي الله عنه كان يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه أي جوانب فمه وفي حديث عن البزار والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الفم أشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وتحديدها ومفلج الاسنان متفرقها وقال علي رضي الله عنه مبلج الثنايا بالموحدة أي براقها وجاء في رواية براق الثنايا أي مضيئها وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين أي بعيد ما بين الثنايا والرباعيات اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه وكان صلى الله عليه وسلم قوي الاسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ولا يتوهم في سياق المدح غير هذا وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس وهي رؤس العظام وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوى وفي رواية جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين أي عظيمهما وفي الصحاح المشاش رؤس الاصابع اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين وفي المواهب عن أبي قرصافة أي وهو جندرة بن خيشنة الكناني الليثي الصحابي رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمي وخالتي فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل أي خلقا وخلقا الا أحسن وجها ولا أنقى ثوبا ولا ألين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه وأما ريقه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما تقدم في قصته فتح خيبر لما بصق في عيني علي رضي الله عنه وهو أرمد جيء به يقاد فشفي حتى كأن لم يكن به وجع وروى الطبراني انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الانصارية هي واخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديدا أي لحما مقددا فمضغ لهن قديدة فأخذنها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها فلقين الله أي متن وما وجد لافواههن خلوف أي تغير رائحة وتقدم في معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه ذكر جملة من بركات ريقه صلى الله عليه وسلم وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن بن علي رضي الله عنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روي وروى الطبراني ان امرأة بذية اللسان جاءته صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدا فقالت الا تطعمني

فناولها

فناولها من بين يديه فقالت لا الا الذى فى فيك فأخرجه فأعطاه لها فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شئ مما كانت عليه من البذاءة (وأما فصاحة لسانه) صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله كلاما وأعظمهم نظاما وأسرعهم اداء حتى ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده ويكشف عن مراده بحقيقة ذكره فهو أفصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا أى لا يخلط فى كلامه ولا ينطق بما لا ينبغى لانه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها كلامه كله يثمر علما وشرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجزل منه فى عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده أن يكون أحكم الخلق جنانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل بين يعده العاد ليس بهذر مسرع لا يحفظ وروى مسلم والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردا وفى رواية انما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه والمراد المبالغة فى الترتيل والتفهيم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا حتى تعقل عنه وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يارسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال كانت لغة اسماعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها وروى العسكرى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما قدم بنو نهد على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث المتقدم فى المكاتبات وفيه ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبى صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما هو معروف من لغتهم قال على فقلنا يا نبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك لتكلم العرب بلسان ما نعرف أكثره قال ان الله عز وجل ادبنى فأحسن تأديبى ونشأت فى بنى سعد ابن بكر وتقدم فى المكاتبات جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباته صلى الله عليه وسلم لقبائل العرب وتكليم كل قبيلة بما تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب قال فى المواهب وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى مشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذى لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفا للقاضى عياض من ذلك ما يشفى الغليل ثم ذكر فى المواهب جملة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وكقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت وقوله جمال الرجل فصاحة لسانه وقوله انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفى رواية ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقوله القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وحسن الخلق نصف الدين وقوله لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ولا حسب كحسن الخلق وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله وقوله العفو لا يزيد العبد الا عزا وصنائع المعروف تقى مصارع السوء والتواضع لا يزيد العبد الا رفعة وما نقص مال من صدقة وقوله اخسر الناس صفقة من اذهب آخرته بدنيا غيره وقوله ان من كنوز البر كتمان المصائب وقوله لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وقوله من ضمن

لى ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة وقوله لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقوله السعيد من وعظ بغيره وقوله انما الاعمال بالنيات وقوله نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وامثال هذه الاحاديث الجوامع مما أطال العلماء فى شرحها وبيان ما اشتملت عليه من المعانى والاحكام روى الترمذى عن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئا فان اليد العليا هى المنطية والسفلى هى المنطاة ومال الله مسؤل ومنطى قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان من معجزاته وخصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه صلى الله عليه وسلم بأى لغة يقع فى غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا فى الترجمة نازلا عن الاصيل فى تلك اللغة الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه زاده الله تكريما وشرفا اذا تكلم بأى لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتى فى سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس مما لا يضبطه قياس ولا يدخل فى تحقيقه الباس ومن تكلمه صلى الله عليه وسلم بلغة الحبشة ما رواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهى بنت خالد بن سعيد بن العاص سناه سناه وفى رواية سنه سنه يعنى حسنة يصف لها خميصة أعطاها اياها وأم خالد رضى الله عنها ولدت بأرض الحبشة وتربت بها فعرفت شيئا من كلامهم وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة وقوله فى قصة طعام جابر رضى الله عنه ان جابرا قد صنع لكم سورا ومعناه بالفارسية الطعام الذى يدعى اليه وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال هجر النبى صلى الله عليه وسلم وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ومعناه بالفارسية الوجع وهم يقدمون المضاف اليه على المضاف فقوله شكم درد معناه وجع بطن والمعنى على الاستفهام أى أبك وجع بطن فقال أبو هريرة رضى الله عنه نعم فقال له قم فصل فان فى الصلاة شفاء ورواه بعضهم دردم بزيادة ميم فى آخره وهذه الميم فى اللغة الفارسية ضمير المتكلم قال العلامة منلا على القارى فى شرحه على الشفا انه لا يظهر لى وجه خطاب أبى هريرة رضى الله عنه بهذه الكلمة اللهم الا أن يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة يعنى كما اذا رأيت انسانا يشكو شيئا فأظهرت له ان بك مثل ما به من الشكوى اظهارا للطايبة فى المخاطبة لزيادة المحبة وضبطه بعضهم اشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون اشكنبه وذكر الكرش لا يناسب تفسيره بوجع البطن الا أن يقال ان الكرش قد تطلق ويراد بها البطن قال منلا على وحديث العنب دودو يعنى اثنين اثنين والتمر يك يك يعنى واحدة واحدة فشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة والله سبحانه وتعالى أعلم (وأما صوته) الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت وروى نحوه عن على رضى الله عنه وفى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فى العشاء والتين

والزيتون فلم أسمع صوتا أحسن منه وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم حسن
النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك وروى الطبراني والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت
غيره وروى البيهقي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أسمع العواتق في خدورهن وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة في بني غنم فجلس في مكانه
وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ابن عم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وكان من مسلمة
الفتح قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن
في منازلنا وروى ابن ماجه عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت كنا نسمع قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي أي سريري قال العلامة
الزرقاني فسماعها له وهي على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته *(وأما
ضحكه)* صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا أي ضحكا تاما بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته انما كان يتبسم
واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم وأما حديث أبي هريرة
رضي الله عنه الذي فيه فضحك حتى بدت نواجذه أي أضراسه فهذا كان منه نادرا ولم تره عائشة رضي الله
عنها ورآه أبو هريرة رضي الله عنه فرواه وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه جل ضحكه التبسم ويفتر
عن مثل حب الغمام أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام هو البرد بفتحتين فشبه أسنانه بالبرد
في الصفاء والبياض واللمعان والرطوبة قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الاحاديث
انه صلى الله عليه وسلم كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك أي ولم يقهقه
والمكروه من الضحك انما هو الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار فالذي ينبغي أن يقتدى
به صلى الله عليه وسلم من أفعاله ما واظب عليه من ذلك وهو التبسم فيقتصر عليه وضحكه كان لبيان
الجواز وقد روى البخاري في الادب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه واذا ضحك
صلى الله عليه وسلم يتلألأ أي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار أي يشرق نوره عليها
اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام
لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاما له بترك الاشتغال بشئ يشغله عنه أو اعتبارا وتفكرا بما
أتاه به وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش
يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما *(وأما بكاؤه)* صلى
الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع
عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند
سماع القرآن وأحيانا في الصلاة وقد حفظه الله من التثاؤب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن
أبي شيبة عن يزيد بن الاصم ابن أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قال ما تثاءب النبي صلى الله عليه
وسلم قط وفي رواية ما تثاءب نبي قط وفي البخاري مرفوعا ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب
وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين أي غليظهما وغلظ
أصابعهما من غير قصر ولا خشونة وذلك جمال في الرجال وذم في النساء وبأنه عبل الذراعين أي قويهما

ضخمهما رحب الكفين أي واسعهما أو يكنون بذلك عن السخاء والكرم وقد مسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضي الله عنهما تأنيسا وشفقة قال جابر فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجهما من جونة عطار والبرد كناية عن لين كفه ورطوبته أو هو بمعنى الراحة واللذة والطيب قال ابن الاثير كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية قال بعضهم ان برد اليد حقيقة ممدوح عند العرب لاسيما في الزمن الحار ولا بعد في انه خاص به صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وروى الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر رضي الله عنه لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي أي فأعرف أثره بعد مفارقته لي وانه لاطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود رضي الله عنه ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي ابرد من الثلج واطيب ريحا من المسك رواه البيهقي وروى الطبراني عن المستورد بن شداد عن أبيه رضي الله عنهما قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فاذا هي ألين من الحرير وابرد من الثلج وروى الامام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع قال سعد فوضع يده صلى الله عليه وسلم على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل الى اني أجد برديده على كبدي حتى الساعة وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبي صلى الله عليه وسلم والمراد اللين في الجلد فلا ينافي الغلظ في العظام الذي جاء في وصف علي وابن أبي هالة رضي الله عنهما حيث قالا غليظهما أي الكفين في خشونة أي في العظام أي فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير انها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث أنس رضي الله عنه وروى الطبراني والبزار عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئا قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو المزني في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم أي ازاله بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان أثريده عليه الصلاة والسلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما وتقدمت جملة من بركات يده صلى الله عليه وسلم في معجزة ظهور الآثار فيما لمسه *(وأما بياض ابطه)* صلى الله عليه وسلم فقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر واختلف في المراد من ذلك فقيل المراد ان لونهما كلون جسده الشريف وانه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل كان يداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر وعند مسلم في حديث حتى رأينا عفرة ابطيه ولا تنافي بينهما لان الاعفر ما بياضه ليس بناصع وهذا شأن المغابن يكون لونها في البياض دون بقية الجسد وقال الطبري من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون الا هو عليه الصلاة والسلام قال الولي العراقي الخصائص لا تثبت بالاحتمال ولم يثبت ذلك بوجه من الوجوه ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر لاحتمال انه كان يديم تعهده فان الشعر اذا نتف بقي المكان أبيض وان بقي فيه آثار الشعر وقال عبد الله ابن أرقم الخزاعي رضي الله عنه كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع فهذا يدل على ان أثر الشعر هو الذي جعل المكان أعفر والا فلو كان المكان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر نعم الذي نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولي الدين العراقي قال العلامة الزرقاني وقد يمنع دلالته على ما قال بما تقدم عن الحافظ ان شأن المغابن كونها أقل بياضا

من باقي الجسد وروى البزار عن رجل من بني حريش وهم بطن من الانصار قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطيه مثل ريح المسك *(وأما بطنه وظهره)* صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان مفاض البطن أي مستوى البطن مع الصدر عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اعقرالنبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان بعيد ما بين المنكبين أي عريض الصدر وقد روى ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم رحب الصدر أي واسعه *(وأما قلبه)* الشريف صلى الله عليه وسلم فقد ثبت له من الكمال ما لم يثبت لغيره وقد جعل الله القلوب محل السر والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فأول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول مخلوق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو أولهم بوجود صورته النورية المخلوقة قبل الانبياء كلها وآخرهم ظهورا في هذا العالم اذ لا نبي بعده وقد جعل الله سبحانه وتعالى اخلاق القلوب اعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال فيعامل كل انسان بما يليق بحاله بغاية الرفق حتى العصاة نهاهم عن معصيتهم ببيان ما يضرهم وما ينفعهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا لم يفد في كفهم عن المعاصي الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ليكفهم عن العود الى ما صدر منهم وذلك من سعة الخلق لانه نفع لهم بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون أحواله واخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الاولى أن يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ومعناه وسع قلبه الايمان بي ومحبتي ومعرفتي والا فمن قال ان الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا من ذلك بالمسيح وحده وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وارقها وكان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين يضيق صدره من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فلما اسرى به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره وقد صح ان جبريل عليه السلام شق قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك أي هذا هو الموضع الذي يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ثم غسله في طست وانما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية التي اقتضت الحكمة وجودها في الانسان فخلقها تكملة للخلق الانساني فلا بد منها ونزعها أمر رباني طرأ بعد خلقها فاخراجها بعد خلقها ادل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها وأيضا لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فأظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر وهذا الشق وقع له صلى الله عليه وسلم أربع مرات الاولى في بني سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية رضي الله عنها والثانية وهو ابن عشر والثالثة عند البعثة والرابعة عند المعراج وذكر بعضهم خامسة ولم تثبت فالاولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على

قوة الايمان والرحمة والثالثة ليتقوى لتحمل أعباء الوحي والرابعة ليتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من عجائب الارض والسماء والشق باقسامه هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فانه لولم يشرح لكان ضيقا والقلب اذا ضاق لا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر واتسع وتيسر له القيام باداء العبودية ووجد للطاعة لذة وللايمان حلاوة وههنا نكتة دقيقة لطيفة هي انه تعالى قال حكاية عن موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألم نشرح لك صدرك فأعطى بلا سؤال قال الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لي صدري ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له ألم نشرح لك صدرك وفرق بين المريد والمراد *(وأما جماعه)* صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه أي يجامعهن في الساعة الواحدة من الليل او النهار وهن احدى عشرة قال قتادة بن دعامة لانس بن مالك رضي الله عنه أو كان يطيقه أي الدوران عليهن فقال أنس كنا نتحدث انه أعطي قوة ثلاثين وفي رواية أربعين رجلا زاد أبو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال الجنة وروى أبو نعيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع يعني من أهل الجنة وروى الامام أحمد والحاكم عن زيد بن أرقم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة فاذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف وبهذا يندفع ما استشكل من كونه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة أربعين فقط وسليمان عليه السلام أعطى قوة مائة رجل أو ألف رجل فان مثار الاشكال حملهما على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد في سليمان عليه السلام محمول على رجال الدنيا لعدم ورود ما يخالف ذلك وفي نبينا عليه السلام على رجال الجنة كما ورد وذلك بأربعة آلاف فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير وزال الاشكال وذكر ابن العربي انه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة في الوطء الزيادة الظاهرة على الخلق وكان له في الاكل القناعة فأكثر أكله بلغة ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين في الامور الشرعية وهما ما شاركه أمته فيه من التكاليف وما خص به منها ومن كل ما يقربه الى الله تعالى مما لم يطلع عليه أحد من الخلق حتى يكون حاله كاملا في الدارين وروى ابن سعد عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه التسع في ليلة وروى مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ووصله أبو نعيم والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعين فيه ما في القدر وروى ابن سعد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثنايا جبريل عليه السلام فقال له أين أنت من أكل الهريسة فان فيها قوة أربعين رجلا وأخذ من هذا وما أشبهه انه يستحب للرجل تناول ما يقوي شهوته ولاستكثار الوقاع كالادوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام وكالادوية المثيرة للشهوة ورده الغزالي بأنه صلى الله عليه وسلم انما فعله لانه كان عنده من النساء عدد كثير ويحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن أو مات عنهن فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع انه لا يشغل قلبه عن ربه شئ فلا تقاس الملائكة بالحدادين قال وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه احيانا فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على الحقيقة آلام يراد التخلص منها وروى الدارقطني من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ أطعمني

جبريل الهريسة أشدبها ظهري وأتقوى بها وروى مثل ذلك من حديث جابر بن سمرة وابن عباس رضى الله عنهم وكلها أحاديث واهية أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين أيضا بأنها موضوعات فى جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة وقد حفظ الله النبى صلى الله عليه وسلم من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ما احتلم نبى قط أى لأنه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم *(وأما صفة قدميه)* الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كعلى وهند وأنس رضى الله عنهم بأنه كان شثن القدمين أى غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذى وغيره وفى رواية ضخم القدمين وجاء من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم منهوس القدمين أى قليل لحم العقب فيهما وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضى الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الامام أحمد والطبرانى وعلى هذا يحمل ما اشتهر على الالسنة ان سبابة النبى صلى الله عليه وسلم كانت أطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس ان ذلك فى يديه قال الحافظ ابن حجر لما سئل عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك فى أصابع رجليه وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما رواه ابن سعد (وأما طوله) صلى الله عليه وسلم فقال على رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول أقرب رواه البيهقى ورواه الترمذى بلفظ لم يكن بالطويل ولا بالقصير وروى عبد الله بن الامام أحمد عن على رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب أى المفرط طولا وفوق الربعة اذا جاء مع القوم غمرهم أى زاد عليهم فى الطول فكان فوق كل من معه وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول أقرب وفى رواية عند الترمذى عن على رضى الله عنه لم يكن بالطويل الممغط أى المتناهى فى الطول ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله أو زاد عليه صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما أى يزيد عليهما طولا اكراما من الله حتى لا يزيد عليه أحد صورة فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقى واختلف فى زيادة طوله صلى الله عليه وسلم هل هو باحداث الله له طولا حقيقة حينئذ ولا مانع منه أوان ذلك يرى فى أعين الناظرين فقط وجسده باق على أصل خلقته على حد قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم قال الزرقانى وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولى وذلك كيلا يتطاول عليه أحد صورة كما لا يتطاول معنى فمثل ارتفاعه المعنوى فى عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن سبع فى الخصائص انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين وحكمته أن لا يزيد أحد عليه صورة كما تقدم ووصفه ابن أبى هالة بأنه صلى الله عليه وسلم بادن متماسك أى معتدل الخلق كان أعضاءه يمسك بعضها بعضا من غير ترجرج وفسره بعضهم بأنه ليس بمسترخى البدن (وأما شعره) الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سألت أنسا رضى الله عنه عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط أى مسترسل والمراد ان شعره ليس نهاية فى الجعودة وهى تكسره الشديد ولا فى السبوطة وهى عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل كان وسطا بينهما وخير الامور أوساطها قال الزمخشرى الغالب على العرب جعودة الشعر وعلى العجم سبوطته فقد أحسن الله برسوله صلى الله عليه وسلم الشمايل وجمع فيه ما تفرق فى الطوائف من الفضائل وكان شعر رأسه صلى الله عليه وسلم يضرب الى منكبيه وفى رواية الى أنصاف أذنيه وجمع بأنه تارة يكون الى

نصف الاذن وتارة الى المنكب وفي رواية كان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا وتارة كذا فلا تنافي بين الروايات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء تألفا لهم ثم فرق صلى الله عليه وسلم رأسه قال القرطبي حبه لموافقتهم كان أولا في الوقت الذي كان يستقبل فيه قبلتهم لتألفهم حتى يصغوا الى ما جاء به فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك أمر بمخالفتهم في أمور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وسدل الشعر ارساله والمراد انه يترك على حاله يشبه شعر الناصية المقصوص وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه أي شعر رأسه قال العلماء والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل معا لكن الفرق أفضل وروى الترمذي عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمة تعني يوم فتح مكة وله أربع غدائر أي ذوائب وفي رواية لها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع قال في شرح المصابيح لم يحلق رأسه صلى الله عليه وسلم في سني الهجرة الا عام الحديبية ثم عام القضاء ثم في حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه في تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفي بعدها بثلاثة أشهر وأما شعر لحيته صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقي وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب فقال لم يبلغ الخضاب كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفي رواية له لم ير من الشيب الا قليلا لو شئت ان أعد شمطات كن في رأسه فعلت وجاء ان الذي ابيض في لحيته ورأسه كان سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة أو عشرين شعرة وفي رواية ما شانه الله ببيضاء وانما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولان فيه ازالة لبهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالا على ضعف القوة ومفارقة قوة الشباب والنشاط واطلاق الشين على الشيب يحمل على هذه الاعتبارات فلا ينافي انه وقار ونور روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الشيب نور من خلع الشيب فقد خلع نور الاسلام وروى الديلمي عن أنس مرفوعا أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدا صارت رمحا يوم القيامة يطعن به وروى ابن سعد ان حجاما أخذ من شارب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة في لحيته فأهوى اليها فأمسك صلى الله عليه وسلم بيده وقال من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة في الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضي الله عنه انه لم يبلغ الخضاب يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما خضب لحيته ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لما في سنن أبي داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته وحمله بعضهم على عمومه وقال يصبغ شعره واستدل بما في السنن انه كان يصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بهما والحاصل انه اختلف العلماء هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم شيبه أم لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك أي فوافق أنسا على الانكار

وتأول حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر وقال النووي المختار أنه صبغ شعره حقيقة لان التأويل خلاف الاصل لكنه فعل ذلك في وقت وتركه في معظم الاوقات فأخبر كل بما رأى وكان صلى الله عليه وسلم اذا ادهن لم يتبين شيبه لتفرقه وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء وقد وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنه ذو مسربة ونسرت بخيط الشعر بين الصدر والسرة ووصفه أيضا ابن أبي هالة رضي الله عنه بأنه كان صلى الله عليه وسلم موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين أي لم يكن عليهما شعر اشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل أي تيمنا وتبركا وجاء انه صلى الله عليه وسلم لم يحلق رأسه في غير نسك فتبقية الشعر في الرأس وعدم ازالته الا لنسك اقتداء به صلى الله عليه وسلم سنة قال في المواهب ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة السلماني عندنا شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبنا من قبل أنس فقال لان تكون عندي شعرة منه أحب الي من الدنيا وما فيها (وأما مشيه) صلى الله عليه وسلم فعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا أي تمايل الى قدام كأنما ينحط من صبب أي كأنما ينزل في موضع منحدر والمراد ان مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع رواه الترمذي وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له أي كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه مع كونه على غاية من التأني وعدم العجلة أي بالنسبة له لا لمن عاشيه بدليل قول أبي هريرة رضي الله عنه وانا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أي غير مبال بجهدنا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة اي فكان يمشي على هينته ويقطع ما نقطع بالجهد من غير جهد منه وروى ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه قال الزمخشري أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالا لقوله تعالى واقصد في مشيك أي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا يدب دبيب المتماوتين ولا يثب وثب الشياطين وروى انه كان اذا مشى يمشي مجتمعا أي قوي الاعضاء غير مسترخ في المشي وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يمشي مشيا يعرف فيه انه ليس بعاجز ولا كسلان وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر لانه كان نورا رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج قال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لان النور لا ظل له ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا (وأما لونه) الشريف الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور أصحابه الواصفين له بالبياض منهم أبو بكر وعمر وعلي وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبي هالة والحسن ابن علي والطفيل بن واثلة وابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وأنس رضي الله عنهم ورواياتهم في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها كان أبيض مليحا وفي بعضها أبيض مليح الوجه وفي رواية لابي الطفيل ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر أبي طالب

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وفي رواية عن علي رضي الله عنه أبيض مشرب بحمرة وقال أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة أي كأنما خلق منها والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من الاضاءة ولمعان الانوار والبريق الساطع فلا ينافي أنه مشرب بحمرة وفي رواية لانس أزهر اللون وهو بمعنى قول علي أبيض مشرب بحمرة وفي رواية لانس أزهر اللون ليس بأبيض أمهق أي شديد البياض كلون الجص وفي رواية ولا آدم أي شديد السمرة قال الحافظ ابن حجر مبينا المجموع ما يؤخذ من الاحاديث المتفرقة أنه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر ولهذا جاء في بعض روايات أنس رضي الله عنه كان أسمر اللون فالمراد ان بياضه يميل الى السمرة أي فيه حمرة قليلة وفي الشفا من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل (وأما طيب ريحه وعرقه) ودمه ونضلاته صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا روى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسري به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح عروس والمراد أنه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافي أنه طيب الرائحة من حين ولد كما رواه أبو نعيم والخطيب ان أمه آمنة لما ولدته قالت ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر وروى الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري ومسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم واذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرة فلا بدع في أن يدع في أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك في نفس خلقته وفي رواية للترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني زوجت ابنتي وأنا أحب أن تعينني بشئ فقال ما عندي شئ ولكن اذا كان غدا فأتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية ما بيني وبينك أن أجيف ناحية الباب فلما كان الغد أتاه بذلك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسلت العرق عن ذراعيه حتى امتلأت القارورة فقال خذها وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة فتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وروى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال أي خارقة للعادة منها أنه لم يكن يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له ولله در من قال

ولو أن ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وروى أبو يعلى والبزار عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه أي الطريق رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق قال بعض العارفين ان القلب الطاهر الحي يشم منه رائحة الطيب كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن لان نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره والعرق يفيض من الباطن فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرف عرقها حتى يبدو على الجسد والخبيثة ضدها وما أحسن قول من قال

يروح على غير الطريق التي غدا * عليها فلا ينسى علاماتها

تنفسه في الوقت أنفاس عطره * فمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تنسمت * له سحرا من حبه نسماته

وروى ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب باسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال مالك بهت قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم انك أحق بشعره حيث يقول ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت بروق العارض المتهلل

هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب وزاد في شرح الشهاب الخفاجي على الشفا قالت عائشة رضى الله عنها فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال ماسررت بشئ كسروري بهذا وقوله غبر حيضة بضم الغين وشد الباء ومعناه ان أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية وحيضة بكسر الحاء وقوله وفساد مرضعة أي ولا حملت عليه في حال رضاعه فيفسد رضاعه والمغيل بوزن مكرم بالكسر من الغيل بفتح المعجمة وسكون التحتية وهي ان ترضعه وهي حامل وروى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أي في البياض والصفاء وأطيب من المسك الاذفر أي طيب الرائحة وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا أي نام وقت القائلة فعرق فجاءت أمي أم سليم بنت ملحان الانصارية رضى الله عنها بقارورة فجعلت تسلت العرق وتجعله فيها قال القاضي عياض كانت محرما له من قبل الرضاع فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ماهذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وفي رواية لطيبنا وهو أطيب الطيب وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم وليست فيه فينام على فراشها أي لعلمه برضاها وفرحها به قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم في بيتك على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ماتصنعين يا أم سليم قالت يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة مايعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعدها للطيب وفي رواية قالت هذا عرقك ادوف أي أخلط به طيبي وروى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت كفه صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها الطيب أولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها أي طيبا خليقا خصه الله به معجزة ومكرمة ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى الطبراني عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فاتعرفه بعد في يدي وانه لأطيب من ريح المسك وفي الشفا والمواهب أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم يطلع على مايخرج منه بشر قط يعني اذا بال أو تغوط على الارض فلا ينافي ذلك مارواه الحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم عن أم أيمن رضى الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت مافيها وأنا لا أشعر أنه بول أي لطيب ريحه فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومى فأهريقي مافي تلك الفخارة فقلت

قد والله شربت ما فيها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال أما والله لا يبجع بطنك أبدا وروى عبد الرزاق وأبو داود عن أميمة بنت بجاد بن عبد الله التميمي وأمها رقيقة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها فرقيقة خالة السيدة فاطمة رضي الله عنها وكانت أميمة رضي الله عنها صحابية من المبايعات قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه وعيدان بفتح المهملة وإسكان التحتية وبمهملة مفتوحة جمع عيدانة بالهاء وهو الطوال من النخل وكان يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما وكانت أم حبيبة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وكانت بركة جاءت معها من الحبشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف أي جعله الله صحة فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وصحح ابن دحية انهما قصتان احداهما قصة أم أيمن والثانية قصة بركة أم يوسف قال في المواهب وقد وضح ان بركة أم يوسف غير بركة أم ايمن لان أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها وجاءت معها من الحبشة وأم ايمن هي مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته قال القاضي عياض والنووي حديث شرب المرأة البول صحيح وفيه دلالة على طهارة بوله وكذا سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم وحديث شرب البول كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا وكذا حديث الدم الذي شربه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة وما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته فقد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم أر له أثر غائط ولا بول ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا أي طيبا وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بدمه صلى الله عليه وسلم وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة فقال اذهب يا عبد الله فغيبه وفي رواية اذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه أحد فذهبت فشربته ثم أتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته وفي رواية قلت جعلته في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس قال لعلك شربته قلت شربته قال ويل لك من الناس وويل للناس منك فقوله ويل لك للتحسر والتألم وذلك اشارة الى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج وقوله وويل للناس منك اشارة لما أصابهم من حروبه ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب عن شرب دمه فانه بضعة من النبوة منورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق امارة فضلا عن الخلافة وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حملك على ذلك قال قد علمت ان دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسك النار ومسح على رأسه وجاء في رواية ان ابن الزبير رضي الله عنهما لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته في فمه الى ان صلب بعد قتله رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكانت خلافته بمكة تسع سنين قال الامام مالك رضي الله عنه وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فأمسكت عن رضاعه فقال أرضعيه ولو بماء عينيك كبش كبش بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ووقع كما أخبر فقد بويع له بالخلافة سنة

خمس وستين بعد وفاة معاوية فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمان سنين
حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما
حتى لم يبق معه أحد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره ثنتان وسبعون سنة وأيام
وروى الشعبي قال هاج الدم برسول الله صلى الله عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اشكموه فأعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعني الدم فتوارى ابن الزبير رضي الله عنهما
فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه النار أو لا تمسه النار قال الشعبي
فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال اما الطعم فطعم العسل وأما الرائحة فرائحة المسك وهذا
من باب قلب الاعيان الذي عد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم
فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحسا أي شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر
صلى الله عليه وسلم في وجهه فقال ويحك ما صنعت فقلت غيبته في بطني فقال صلى الله عليه وسلم اذهب
فقد أحرزت نفسك من النار ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة وفي سنن سعيد بن منصور أن مالك بن
سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه يوم أحد مص
جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال مجه فقال لا والله لا أمجه أبدا ثم ازدرده اي ابتلعه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد يومئذ
بأحد فظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة وفي رواية انه قال من سره أن ينظر الى
رجل خالط دمي دمه فلينظر الى مالك بن سنان (وكان صلى الله عليه وسلم) يستتر عند البراز وغيره فمن
تستره وحسن أدبه ما دل عليه قول عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط
رواه ابن ماجه والترمذي وعن علي رضي الله عنه قال أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله
غيري فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه وروى الحاكم وأبو عوانة عن عائشة رضي الله عنها
قالت ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ أنزل عليه القرآن وفي رواية قالت من حدثكم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول الا قاعدا وفي رواية الا جالسا
والمراد من حدثكم ان تلك عادته فلا ينافي ما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال أتى النبي
صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما والسباطة المزبلة وموضع القمامة والاوساخ فهذا كان منه
صلى الله عليه وسلم للتشريع وبيان الجواز أو لكونه لم يجد في السباطة المذكورة موضعا خاليا عن
الاوساخ يجلس فيه وأيضا عائشة رضي الله عنها ما شاهدت هذه الحالة فأخبرت بما شاهدته من
أحواله المستمرة وعادته الدائمة وقيل السبب في بوله قائما ما روي عن الامامين الشافعي وأحمد رضي الله
عنهما ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائما فلعله كان به وجع صلب وروى البيهقي
والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه والمأبض
بهمزة ساكنة بعدها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة باطن الركبة فكأنه لم يتمكن لاجله من القعود
وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث أي
ذكران الشياطين واناثهم وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ اظهارا للعبودية والا فهو معصوم
من الشياطين كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويجهر بذلك للتعليم وكان اذا أراد قضاء الحاجة
لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض واذا خرج من الخلاء قال غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الاذى
وعافاني منه وكان يقول اذا اتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره وبقية الآداب شهيرة

فلا حاجة الى الاطالة بها والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم ما أكرمه الله به من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية زيادة على ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وسكناته فمن ذلك ما خصه الله به من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وغير ذلك من الاخلاق الحميدة التى جماعها حسن الخلق وقد اتصف بها جميعها صلى الله عليه وسلم ونحن اذا شاهدنا من اتصف بصفتين او صفتين وجدناه يعظم قدره و يضرب به الامثال ويتقرر له بذلك الوصف فى القلوب مكرمة يتفرد بها كما تراه فى اشتهار حاتم بالكرم وكسرى بالعدل وحسان بالفصاحة وعنتر بالشجاعة فيقولون أجود من حاتم واعدل من كسرى وأفصح من حسان وأشجع من عنتر فما ظننا بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الصفات الحميدة الى ما لا يأخذه عد ولا احصاء ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة وانما يكون بتفضل الكبير المتعال ومن تأمل فى صفاته صلى الله عليه وسلم وجده حائزا لجميع صفات الكمال محيطا بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة الاخبار من ثقات الرجال بل بلغ ذلك مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه الا مخذول مستغرق فى بحار الضلال وناهيك بقوله تعالى له وانك لعلى خلق عظيم وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولنشرع فى ذكر جملة من أخلاقه العظيمة فنقول (أما وفور عقله) وحلمه وذكائه صلى الله عليه وسلم فلا مرية انه كان أعقل الناس وأذكاهم فطنة وفهما ومن تفكر فى تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم بحسن تصرفه وسياسته العامة والخاصة لم يشك فى رجحان عقله وثقوب فهمه وقد أطلعه الله على ظواهر أ... بواطن الخلائق وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وهو مبعوث الى سائر العباد داع الى الله وهذا انما يكون باصلاح بواطنهم وظواهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك فموسى عليه الصلاة والسلام كان ينظر فى أحكام أمته بالظاهر والخضر عليه السلام أعطاه الله العلم بباطن الامر والنظر اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطاه الله العلم بالظاهر والباطن فكان ينظر الى ظواهر الخلائق وبواطنهم و يعامل كل انسان بما يقتضيه حاله من رعاية ظاهره أو باطنه فكان يسوس الخلق على حسب اختلاف أحوالهم حتى انه يأتيه الاعرابى الجلف فيتلطف به و يسوسه حتى ينطق بالحكمة فى أقرب زمن وكانت الاعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهلهم وأباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحباءهم وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل انسان منهم على قدر عقله و يفتيه على حسب حاله وهذا مع ما أفاضه صلى الله عليه وسلم عليهم من العلم وقرره لهم من الشرع وكل ذلك دون تعلم سبق له من غيره ولا بممارسة تقدمت لشئ من ذلك ولا مطالعة للكتب فمن تأمل ذلك كله تحقق انه صلى الله عليه وسلم اعقل العالمين قال وهب بن منبه قرأت فى أحد وسبعين كتابا من كتب الله المنزلة فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفى رواية فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا أى لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة بالنسبة الى رمالها ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شئ فمن ذلك اتساع خلقه فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره وغير ذلك من كريم أخلاقه (أما صبره) فحسبك فيه صبره عليه الصلاة والسلام على الكافرين وعفوه عن المقاتلين المحاربين له مع ما ناله منهم من الجراح

والجهد بحيث كسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف فصار ينشفه ويقول لو وقع شئ منه على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء وشق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة أى لمن أراد الله اخراجه من الكفر الى الايمان ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وفى رواية اللهم اهد قومى وهو المراد من قوله اللهم اغفر لهم فان المغفرة لا تكون الا بعد الهداية فالدعا بالمغفرة متضمن للدعاء لهم بالهداية وفى الشفاء عن عمر رضى الله عنه أنه قال فى بعض كلامه بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهى ان حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه انما هو فيما يتعلق بنفسه الشريفة وأما اذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب أشد الغضب ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا وفى رواية ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا فالصلاة عماد الدين فرجح حق خالقه ودعا على من شغله عنها بخلاف شج الوجه فانه حقه صلى الله عليه وسلم فعفا فالصبر على الاذى هو جهاد النفس الاكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه صلى الله عليه وسلم كثيرا من الاذى فكان يصبر ويعفو اذا كان فى حق نفسه لما علم من جزيل ثواب الصابرين والعافين أما اذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وأما حلمه صلى الله عليه وسلم) وعفوه مع القدرة فيدل عليه ما رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى ان زيد بن سعنة بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها هاء أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال لم يبق من علامات النبوة شئ وفى رواية ما بقى شئ من نعت محمد فى التوراة الا وقد عرفته فى وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت أى اشتريت منه تمرا الى أجل وفى رواية لابى نعيم فأعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالا ذهبا فى تمر معلوم الى أجل معلوم قال زيد بن سعنة فلما كان قبل مجئ الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يا بنى عبد المطلب مطل فقال عمر وفى رواية أبى نعيم فنظر اليه عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير فقال أى عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى فوالله لولا ما أحاذر فوته أى من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر بسكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة وفى رواية تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من أجله ثلاث فتكرم صلى الله عليه وسلم بالتعجيل وقال اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته أى فى مقابلة ترويعك له ففعل ذلك عمر رضى الله عنه قال زيد فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما أى بما رأيت من فعله صلى الله عليه وسلم فاشهد يا عمر انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفى رواية ما حملنى على ما رأيتنى صنعت يا عمر الا انى كنت رأيت صفاته التى فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى أشهدك ان هذا التمر وشطر مالى

فى فقراء المسلمين وأسلم هو وأهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة وروى أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابى قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال له الاعرابى احملنى على بعيرى هذين أى حملهما لى طعاما من مال الله الذى عندك فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله أى لا أحملك من مالى ولا من مال أبى وفى رواية المال مال الله وأنا عبده أى أتصرف فيه باذنه وأعطى من يأمرنى باعطائه ثم قال لا أحملك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى أى تمكننى من القود من نفسك فأفعل معك مثل ما فعلت معى من جبذ ردائى قال الاعرابى والله لا أقيد كها قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم أى تطمينا لقلبه اذا بدى بالمسرة بعقالته وسرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك تنقيصا له وهذا يقتضى انه كان مسلما غير منافق غير ان فيه جفاء البادية ثم دعا صلى الله عليه وسلم رجلا وفى رواية دعا عمر فقال احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه اعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس رضى الله عنه فنظرت الى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته وفى رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته فى عنقه ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء والعطاء المذكور يحتمل انه تحميل البعيرين المذكورين آنفا ويحتمل انه غيره وتكون هذه قصة أخرى وفى هذا بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره على الاذى فى النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا أى متكلفا للفحش أى لم يقم به فحش طبعا ولا تكلفا ولا يجزئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ومثل ذلك روى عن أنس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وروى الحاكم وغيره عن عائشة رضى الله عنها ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر صريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا أن يضرب فى سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم وفى رواية عن أنس رضى الله عنه فان انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضبا وقد وصفه الله بحسن الخلق فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأمر بقوله ادفع بالتى هى أحسن الآية روى أن اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان فصيح اللسان قوى الجنان وكان قد صنع شعرا مشتملا على حكمة وظن أن أحدا لا يقدر أن يأتى بما فيه من الحكمة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم اصغ الى اوصلك ثم قال

خفى ذوى الاضغان تسبى نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النغل

فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل

فان الذى يؤذيك منه استماعه * كأن الذى قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه رضى الله عنه ومما يدل على كمال حلمه وصبره وعفوه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للمنافقين قال ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا

يؤذونه صلى الله عليه وسلم اذا غاب و يتملقون له اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى
يؤيدها العناية الربانية وكان صلى الله عليه وسلم كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة لانه
صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فكان يستغفر لهم و يدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه استغفر لهم
أولا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة والسلام خيرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال الله تعالى ان
تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال صلى الله عليه وسلم فوالله لازيدن على السبعين
وفي رواية فأنا أستغفر سبعين سبعين سبعين الى أن أنزل الله عليه في سورة المنافقين سواء عليهم
استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فترك الاستغفار وروى ابن منده أن الحباب بن
عبد الله بن أبي ابن سلول جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته في النبي
صلى الله عليه وسلم لنفاقه وكان ابنه صحابيا صالحا فأبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن له في قتله وأمره ببره
وحسن صحبته وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي
صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ماتقول فامنن علي وكفني في قميصك وصل علي ففعل فكان
طلب ذلك منه نفاقا لا عن حقيقة ايمان ولما مات كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب خلعه عن
بدنه صلى الله عليه وسلم وصلى عليه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ولما قيل له صلى الله عليه وسلم
في ذلك قال ومايغني عنه قميصي واني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه وروى أن ألفا من الخزرج
أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه و يتوقع اندفاع العذاب عنه وجاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حين أراد النبي أن يصلي عليه منعه وصار يجذبه بثوبه و يقول يارسول الله أتصلي على رأس المنافقين
فنتر ثوبه من عمر رضي الله عنه أي جذبه منه بقوة وقال اليك عني ياعمر وصلى عليه فخالف مؤمنا
في حق عدو منافق كل ذلك رحمة منه لامته لكمال شفقته صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من
الدين وليطيب قلب ولده الصحابي الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم لانه لولم يجب ابنه الى ماسأل
وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله
عليه وسلم أحسن الامرين في السياسة حتى كشف الله الغطاء فأنزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا
ولا تقم على قبره الآية فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره وهذه من الآيات التي جاءت موافقة لرأي
عمر رضي الله عنه وقيل انما كفنه صلى الله عليه وسلم في قميصه مكافأة له لانه ألبس العباس عم النبي صلى
الله عليه وسلم قميصا حين أسر يوم بدر فكافأه بقميصه حتى لا يكون له على عمه منة وفي ذلك كله بيان
عظيم مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ماكان من هذا المنافق من الايذاء له كقوله ليخرجن
الاعز منها الاذل وقوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وتوليه كبر الافك ومع ذلك كله
قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال مجمع بن جارية رضي الله عنه مارأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم أطال الصلاة على جنازة قط ما أطال على جنازة ابن أبي ومشى معه حتى قام
على قبره حتى فرغ منه وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي
قال فصلينا معه قال أبو نعيم ففيه أن عمر رضي الله عنه ترك رأى نفسه وتابعه صلى الله عليه وسلم ومن
مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم عفوه عن لبيد بن الاعصم اليهودي حين صنع له صلى الله عليه وسلم
سحرا فأعلمه الله به فأرسل واستخرجه من بئر ذروان ولم يعاقبه وقال قد شفاني الله وكرهت أن أثير شرا
وعفا عن اليهودية التي سمت له الشاة بالنسبة لنفسه صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه قتلها بعد ذلك
لما مات بشر بن البراء قصاصا وتقدمت القصة بتمامها في غزوة خيبر ورحم الله القائل في حقه صلى
الله عليه وسلم

وما الفضل الاخاتم أنت فصه * وعفوك نقش الفص فاختم به عذري

وحسبك مانقل فى كتب السنة الصحيحة نقلا متواترا بلغ مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة الى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح وهم لا يشكون فى استئصاله جماعاتهم وقطعه دابرهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال هبط ثمانون رجلا من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغتة فأمسكهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وجاؤا بهم اليه صلى الله عليه وسلم فأعتقهم وأطلقهم وأنزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وقد لاطف صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم وتشهد أن لا اله الا الله فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله ما أحلمك وأوصلك فانظر الى هذه اللطافة منه صلى الله عليه وسلم لابى سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الاحزاب وغير ذلك مما صدر منه فعفا عنه ولاطفه بالقول والفعل ومن رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه الدارقطنى والحاكم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصغى أى يميل الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته وأمره اياهم بالستر حيث قال من ابتلى بهذه القاذورات فليستتر وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما اغتاظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وأما تواضعه) صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه مع ما خصه الله به من الرفعة وعلو المقام فأمر لا تدرك له غاية كما يأتى وصفه قال بعضهم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهدة فى قلبه وانما يحصل ذلك برياضة النفس ومجاهدتها فى الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فعند ذلك تذوب النفس وتفنى قواها عن ميلها الى الشهوات ويتيسر لها استعمال القوى والجوارح فى الطاعات كل الاوقات وعند ذلك تصفو من غش الكبر وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها فلم يبق لها تعلق بشئ من مألوفها فتلين للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم فكلما ازداد قربا ازداد تواضعا وحسبك من تواضعه عليه الصلاة والسلام أن خيره ربه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا تواضعا لربه مع أنه لو كان نبيا ملكا ما ضره ولكن رأى التواضع يزيده قربا من ربه فأعطاه الله بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع فلم يأكل متكئا بعد أن اختار العبودية حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى والترمذى وغيرهما لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمعنى لا تجاوزوا الحد فى مدحى بأن تقولوا ما لا يليق بى كما تجاوزته النصارى ولكن قولوا الخ فأثبت لنفسه ما هو ثابت له من العبودية والرسالة وسلم لله ما هو له تعالى لا لسواه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينهر خادما روى البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وفى رواية لابى نعيم فما سبنى قط وما ضربنى من ضربة ولا انتهرنى ولا عبس فى وجهى ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد قال دعوه ولو قدر شئ كان وفى رواية البخارى ولا قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وفى رواية ولكن يقول قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان وكذلك كان صلى الله عليه وسلم

مع عبيده وامائه ماضرب منهم أحدا قط وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ولا تطيقه ولا تقدر عليه لولا التأييدات الربانية وماذاك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم أنه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله وان الخلق آلات ووسائط فالغضب على المخلوق في شئ فعله كالشرك المنافي للتوحيد وقيل سبب ذلك أنه كان يشهد تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم ايستلذ فكل ما يفعله الحبيب محبوب وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شئ فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله نعم يستثنى من ذلك ما رواه النسائي عن طفيل الاشجعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب فرسه لما رآه متخلفا عن الناس وقال اللهم بارك فيها قال طفيل فلقد رأيتني ما أملك رأسها ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا أي وذلك من بركة قوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فيها وكذا جمل جابر رضي الله عنه حتى سبق الناس بعد ما كان متأخراعنهم وذلك معجزة فلا يشكل على قول عائشة رضي الله عنها ماضرب شيئا قط وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت كان ألين الناس بساما ضحاكا لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه وروى أبو نعيم عن عائشة أيضا رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وروى أبو داود والترمذي عن أنس والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنهما ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وروى الامام أحمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ويفعل ذلك ارشادا للتواضع وترك التكبر ومع ذلك فهو المشرف بالوحي والنبوة المكرم بالرسالة والآيات وتفلية الثوب انما كانت للتعليم أو لتفتيش نحو خرق فيه ليرقعه أو لما علق به من نحو شوك أو وسخ لانه صلى الله عليه وسلم نور ولا عفونة فيه وأكثر القمل من العفونة ومن العرق وعرقه طيب فلا يلزم من التفلية وجود القمل وقيل كان في ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما يفليه استقذاراله وقيامه بخدمة نفسه صلى الله عليه وسلم دليل على كمال تواضعه وهذا لا ينافي أنه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه على بعض الاوقات فكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته وبيان ندب الانسان الى خدمة نفسه وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفا وتارة عريا ليس عليه شئ وفي ذلك غاية التواضع وارشاد للعباد وبيان أن ركوبه كذلك لا يخل بمروءة ولا رفعة بل فيه غاية التواضع وكسر النفس وكان يردف خلفه الذكر والانثى فقد أردف صفية أم المؤمنين رضي الله عنها في رجوعه من خيبر وأركب معه الصغار والكبار فكان اذا قدم من غزو واستقبله الصبيان فيركبهم معه ويأمر أصحابه باركاب من بقي وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف وهذا نهاية التواضع وأي تواضع أعظم من هذا وقد ظهر له صلى الله عليه وسلم من النصرة عليهم والظفر بأموالهم ماهو معروف وروى أبو داود وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه ووطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد ياقيس اصحب رسول الله صلى

الله عليه وسلم أي كن معه في خدمته قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت أن أركب أي تأدبا معه لا مخالفة لأمره فقال اما أن تركب واما أن تنصرف أي ترجع ولا تمشي معي فوافقه على الركوب فقال له اركب امامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وفي رواية لابن منده فأرسل ابنه معه ابردة الحمار فقال صلى الله عليه وسلم احمله بين يدي قال سعد سبحان الله أحمله بين يديك قال نعم هو أحق بصدر حماره قال هو لك يا رسول الله قال احمله اذن خلفي وجاء في بعض روايات هذه القصة أنه صلى الله عليه وسلم جاء على حمار مردفا اسامة خلفه فعلى هذا تعين بعث سعد رضي الله عنه الحمار لا لعدم دابة يركبها صلى الله عليه وسلم بل ليرجع عليه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي جاء عليه وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة أي وقعت أو أوقعتها الدابة فقال صلى الله عليه وسلم انها أمكم تذكيرا لهم بوجوب تعظيمها فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت خلفه وصح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فجعل واحدا بين يديه وآخر خلفه وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد حمل قثم بن العباس رضي الله عنهما بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه شك الراوي وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية التي صنفها أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء وأبو هريرة رضي الله عنه معه قال يا أبا هريرة أأحملك قال ما شئت يا رسول الله أي ما فعله فقال اركب فوثب أبو هريرة رضي الله عنه ليركب فلم يقدر فاستمسك أي تعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك قال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر أبو هريرة رضي الله عنه فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر المحب الطبري أيضا في كتابه المذكور أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وأمر أصحابه باصلاح شاة أي تهيئتها للاكل فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال آخر يا رسول الله علي سلخها وقال آخر يا رسول الله علي طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز عليكم فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وروى ابن اسحاق والبيهقي عن أبي قتادة رضي الله عنه قال وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم وروى أبو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وأنا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته رواه أبو داود وروى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس اليك زاد مسلم حتى أقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها وروى النسائي

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة وفي رواية للبخاري كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية للامام أحمد ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد فقد اشتمل ذلك على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عم الاماء أي أمة كانت وبقوله حيث شاءت أي من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك بالخروج معها وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم ومن ثم أورده البخاري في باب الكبر اشارة الى براءته صلى الله عليه وسلم منه ووصفه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بأنه لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وفي رواية وكان لا يخرج شيئا من أطرافه وهو بين أصحابه أي كقطع ظفره أو قلع وسخه أو طرح بزاقه أو مخاطه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان امتنع ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهما عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وقد سجد فركب على ظهره فأبطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده حتى نزل الحسن رضي الله عنه فلما فرغ قال له بعض اصحابه يارسول الله قد أطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري ودخل عليه مرة جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما والحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره صلى الله عليه وسلم راكبين فقال لهما جابر رضي الله عنه نعم الجمل جملكما فقال له صلى الله عليه وسلم ونعم الرا كبان هما وتقدم انه كان يحمل في الصلاة امامة بنت زينب ابنته من أبي العاص رضي الله عنهما ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع وهم الذين لا تحوم حولهم التفرقة فلا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح البشرية فالذي مازاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه قطعة من لحمه وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع والحر والعبد حتى عاد مرة غلاما يهوديا كان يخدمه صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه اطع أبا القاسم فأسلم فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه والعيادة فيها مع التواضع رضى الله وحيازة الثواب ففي الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ولابي داود من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم سبعين خريفا وانما كان فيها تواضع لان فيها خروج الانسان من مقتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى مادون ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع فيتأكد التأسي به صلى الله عليه وسلم وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير وروى البيهقي وابن اسحاق عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس رحله تواضعا لله تعالى

وأخرج الترمذى عن أنس رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام حج على رحل رث وعليه قطيفة أى كساء له خمل لا يساوى أربعة دراهم وذلك لانه فى أعظم مواطن التواضع اذ الحج حالة تجرد وانقلاع وخروج من المواطن وسفر الى الله ألا ترى الى ما فيه من الاحرام فانه اشارة الى ان المراد احرام النفس من الملابس تشبها بالفارين الى الله وليكون تذكرة للموقف الحقيقى وقال فى تلبيته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وهذا قاله تخشعا وتذللا وتعليما لغيره كواحد من الآحاد فيكون دالا على عظيم تواضعه لان الرياء لا يكون ممن حج على رحل رث وانما يكون ممن حج على مراكب نفيسة وملابس فاخرة وأغشية محبرة وأكوار مفضضة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم أهدى فى هذه الحجة مائة بدنة وأهدى أصحابه ما لا يسمع بمثله فمن جملة ما أهداه عمر رضى الله عنه بعير أعطى فيه ثلثمائة دينار فأبى قبولها رواه أبو داود ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى الصبح جاءه خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء يريدون التبرك بأثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاؤه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها ولا يمتنع لاجل البرد وهذا من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والترمذى وغيرهما وفى ذلك دليل على بروزه للناس وقربه منهم ليصل كل ذى حق لحقه وليعلم الجاهل ويقتدى بأفعاله وهكذا ينبغى للائمة بعده وروى أبو نعيم فى الدلائل عن أنس رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس لطفا والله ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد ولا أمة تأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه وما كلمه أحد قط الا أصغى اليه فلا ينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف عنه وما تناول أحد يده قط الا ناوله اياها فلا ينزع حتى يكون هو الذى ينزعها ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان حسن العشرة مع أزواجه فكان ينام معهن فى فراش واحد ولو كانت حائضا مع مواظبته على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا أراد القيام لوظيفته قام فتركها فيجمع بين وظيفته من قيام الليل وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع الزوج معزوجته فى فراش واحد أفضل من نوم كل فى فراش اذا القصد الانس لا الجماع لا سيما ان عرف من حالها حرصها على ان ينام معها فيتأكد الاستحباب ويكون تركه مكروها ولا يلزم من نومه معها الجماع ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم كان يسرب أى يرسل لعائشة رضى الله عنها بنات الانصار يلعبن معها وذلك فى أول تزوجه بها لانها كانت صغيرة وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اذا شربت عائشة رضى الله عنها من الاناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها وهذا من شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم واذا تعرقت عرقا بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذى عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ فى حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وروى أصحاب السنن الستة انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل نساءه وهو صائم كل ذلك للتلطف بهن وحسن العشرة معهن وهذا لا يكون الا ممن حسنت اخلاقه وكمل تواضعه وجاء انه صلى الله عليه وسلم وقف لعائشة رضى الله عنها يسترها وهى تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهى متكئة على منكبه قالت فقال لى اما شبعت اما شبعت فجعلت أقول لا لا رواه الترمذى وقال حسن صحيح وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت خرجت معه فى بعض اسفاره فقال للناس تقدموا ثم قال تعالى أسابقك فسبقنى فجعل يضحك ويقول هذه بتلك وانما قال ذلك لها تلطفا بها وتطييبا لخاطرها رضى الله عنها وذلك من كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وروى الطبرانى

فى الصغير والاوسط عن أنس رضى الله عنه انهم يعنى الصحابة رضى الله عنهم كانوا يوما عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة رضى الله عنها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة من بيت أم
سلمة رضى الله عنها فوضعت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا أيديكم أى للاكل فوضع النبى
صلى الله عليه وسلم يده ووضعنا أيدينا أكلنا وعائشة رضى الله عنها تصنع طعاما عجلته حين رأت الصحفة
التى أتى بها من بيت أم سلمة رضى الله عنها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم
سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا باسم الله أى من صحفة عائشة غارت أمكم ثم
أعطى صحفتها أم سلمة رضى الله عنها وقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء وهذا الحديث رواه البخارى
بلفظ كان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام
فضربت التى النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبى صلى الله
عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول غارت أمكم ثم حبس الخادم
حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها فدفع الصحفة الى التى كسرت صحفتها وامسك المكسورة فى بيت
التى كسرت واتفقوا على ان التى كان فى بيتها هى عائشة رضى الله عنها واختلفوا فى التى جاء الطعام من
عندها فجاء فى رواية انها أم سلمة وفى أخرى انها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه وفى
رواية عن عائشة رضى الله عنها قالت ثم رجعت الى نفسى وندمت فقلت يارسول الله ما كفارته قال اناء
كاناء وطعام كطعام وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم حين كسرت لم يثرب عليها أى
لم يلمها ولم يعبها فوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور أصحابه
لمزيد حلمه وعلمه بما تؤدى اليه الغيرة وقضى عليها بحكم الله فى التقاص بجعل المكسورة عندها ودفع
الصحيحة لضرتها وهكذا كانت أحواله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه لا يؤاخذهن ويعذرهن ويرفع
اللوم عنهن وان أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق ولا غضب فهو رؤف رحيم حريص عليهن وعلى
غيرهن عزيز عليه أى شديد عليه ما يعنتهم أى ما يشق عليهم وفى الحديث اشارة الى أن المرأة ينبغى أن
لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لانها فى تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بالشدة الغضب الذى أثارته
الغيرة وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الغيرى أى المرأة
الغيرى لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه وروى البزار والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال
كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة فقام اليها رجل فألقى
عليها ثوبا وضمها اليه فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم فقال بعض جلسائه أحسبها أى أظنها امرأته
فقال صلى الله عليه وسلم أحسبها غيرى ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فصبر
منهن كان له أجر شهيد وفى المواهب عن عائشة رضى الله عنها قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بخزيرة
طبختها له وقلت لسودة أم المؤمنين رضى الله عنها والنبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينها كلى فأبت فقلت
لها كلى فأبت فقلت لها لتأكلن أو لالطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدى فى الخزيرة فلطخت بها
وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رأسى على فخذه وقال لسودة الطخى وجهها قصاصا
فلطخت بها وجهى فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير
فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من
الفقراء والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التى
لا مرمى وراءها لمخلوق وان كان يشتد فى حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق وحد الزانى الى
غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف أصحابه ويباسطهم بالقول والفعل بما يولج حبه فى القلوب

تطمينا لهم وتقوية لايمانهم وتعليما لهم أن يباسطوا بعضهم بعضا لانهم اذا رأوا ذلك من أكمل الخلق وافضلهم وقد علموا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اطمأنت قلوبهم على فعل ذلك مع بعضهم وروى عبد الرزاق والترمذي عن أنس رضي الله عنه ان رجلا من البادية يسمى زهيرا وفي رواية زاهر بن حرام الاشجعي وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية أي بما يستطرف ويستملح منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بموجود الحاضرة أي بما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم الى السوق فوجده قائما يبيع متاعه فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول بركته وفي رواية فاحتضنه صلى الله عليه وسلم من خلفه وهو لا يبصره فقال ارسلني من هذا فالتفت فعرف انه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألوما ألصق ظهره أي لا يقصر في الصاق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه تبركا وتلذذا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ملاطفة معه من يشتري العبد فقال زهير يارسول الله اذن تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم أنت عند الله غال وفي رواية لكن عند الله لست بكاسد فهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشدة تلطفه بأصحابه وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم ان رجلا يلقب بعبد الله الحمار كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن تارة والعسل أخرى فاذا جاء صاحبه يتقاضاه أي يطلبه الثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعط هذا ثمن متاعه فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم ويأمر فيعطى الثمن وفي رواية وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يارسول الله هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فيقول أعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لي فيقول ليس عندي ما أعطيه فيضحك صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه ووقع نحو ذلك للنعيمان بالتصغير ابن عمرو بن رفاعة الانصاري رضي الله عنه ذكر الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه أحضره الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أعط هذا ثمن متاعه فيقول أولم تهده لي فيقول والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت ان تأكله فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وذلك ان الناس مأمورون بالاقتداء بهديه فلو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس نفوسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فمزح ليمزحوا قال بعض السلف كان للنبي صلى الله عليه وسلم مهابة فلولا أنه كان يتبسط لاصحابه ويداعبهم لما استطاعوا مكالمته ولا المقام معه لشدة ما أفاضه الله عليه من الهيبة والجلال روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يارسول الله انك تداعبنا قال اني لا أقول الا حقا وروى الترمذي وأبو داود وغيرهما أن رجلا كان به بله أي غفلة في أمور الدنيا قال يارسول الله احملني أي مر لي بعيرا أركب عليه لأغزو معكم فباسطه صلى الله عليه وسلم فقال اني حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن الناقة فقال يارسول الله ما عسى أن يغني عني ابن الناقة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة أي لو تدبرت وتأملت لادركت وفهمت أن ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملني على بعير فقال احملوها على ابن بعير فقالت وما أصنع به وما يحملني يارسول الله فقال هل يجيء بعيرا الا ابن بعير وروى الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم باسط عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه حين قالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال

يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز ففزعت فقال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه بالقول والفعل للملاطفة ويخالطهم ويحادثهم تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره جاءته أم قيس رضي الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام فأجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله ولم يقل شيئا وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك قلبه يجول في الملكوت حيث أراد الله به وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين وعن غير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه بل كثيرا ما يولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير قال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به فكل ذلك محمول على الافراط ولذا قيل

فايالك اياك المزاح فانه * يجرئ عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا

والذي يسلم من ذلك هو المباح الذي لا يؤدي الى حرام ولا الى مكروه فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ملاطفة وتأنيساله وتسلية وذلك من حسن الخلق وكرم الشمايل والتواضع وفي رواية للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران كصرد وصردان ومع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة في القلوب قبل بعثته وبعدها قدرا عظيما حتى ان قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة اذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقى عليه من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب وتحيرها فمن رآه بديهة هابه قال الابوصيري

كأنه وهو فرد من جلالته * في عسكر حين تلقاه وفي حشم

أي فجلالته ومهابته عند رؤيته وهو منفرد اعظم من مهابة أعظم ملك عند رؤيته وهو مع عسكره وحشمه ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة أي اللحم المقدد فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اني أوحي الى أن تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا وانما قال ذلك لانه لما رأى تواضعه كان سببا في تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له عند أحد حقا بل يرى الحق لغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فاني لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار وقال أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعا لان القديد طعام أهل المسكنة فكأنه قال أنا ابن امرأة مسكينة تأكل من مفضول الاكل فكيف تخاف مني وروى أبو داود وغيره أن قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالسا في المسجد فارعدت من الفرق أي الخوف والفزع فقال لها صلى الله عليه وسلم يا مسكينة عليك السكينة فلما قال لها ذلك ذهب عنها ما كان بقلبها من الرعب وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال صحبت رسول الله صلى الله

عليه وسلم وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي لصفه أي بجميع أوصافه لما قدرت
واذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره و بين ذلك و يوضحه ما روى أنه عليه الصلاة
والسلام كان اذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها ان كانت مستيقظة والا اضطجع
بالارض ثم خرج بعد ذلك للصلاة وما ذاك الا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتهجد ليلا و يشتغل بما
يقرّ به من الله فيظهر عليه حال حتى يظن أنه ليس من البشر فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها
وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان
عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة و يضطجع
بالارض حتى يحصل التأنس بجنسهم وهو التأنس بعائشة التي هي من البشر أو من جنس أصل
الخلقة الذي هو الارض ثم يخرج اليهم ليتمكن الناس من مخالطته والتكلم معه وما كان يفعل ذلك
الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما وقد جاء في الحديث أنه لما أخبر على لسان اسرافيل بين أن يكون
نبيا ملكا أو نبيا عبدا نظر عليه الصلاة والسلام الى جبريل عليه السلام كالمستشير له فنظر جبريل الى
الارض يشير الى التواضع وفي رواية فأشار الى جبريل أن تواضع فقلت نبيا عبدا فاختار عليه الصلاة
والسلام العبودية متواضعا فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع الى السماء وأطلعه الله على الملكوت
الاعلى وفي البخاري أن محمود بن الربيع الانصاري الخزرجي رضي الله عنه وقف على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم يمازحه بها
فكان في ذلك المج من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا
تلك المجة فعدّ بسبب ذلك من الصحابة فقد علمت أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ومع
القريب والغريب في غاية ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب حتى يظن
كل واحد من أصحابه أنه أحبهم اليه وكان يبدأ من لقيه بالسلام و يقف مع من استوقفه و يمزح مع
الصغير والكبير أحيانا اذا اقتضاه المقام و يجيب الداعي وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا
أو مستحبا أو مباحا فكان يباسط الخلق و يلابسهم ليستضيئوا بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل
و يقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم وكانت مجالسته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم
عامتها مجالس تذكير بالله تعالى وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن أو بما أتاه الله من الحكمة والمواعظ
الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله أن يذكر و يعظ و يقص وأن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة
والموعظة الحسنة وأن يبشر و ينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد
في الدنيا والرغبة في الآخرة حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كنت أظن أحدا من الصحابة يريد
الدنيا حتى نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه
ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب
بأنه لم يكن بأرض قومه وهذا من حسن الادب لان المرء قد لا يشتهي الشيء و يشتهيه غيره وكل مأذون
من جهة الشرع لا عيب فيه أما اذا كان حراما فانه يعيبه و يذمه و ينهى عنه لانه منه شرعا لا من حيث
ذاته فقد يكون حسن المذاق والصنعة فالعيب ان كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز وأما من
حيث صنعة الله فالعيب لا يجوز قال النووي ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض
قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أن هذه الدنيا شاع ضجها
في العالمين قديما وحديثا فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ
الخير و بها ينجو من الشر فكان الذين يسبونها يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها مع أنه

خلاف الواقع لان الله جعلها وسيلة لتحصيل الخير فدحه صلى الله عليه وسلم لها ونهيه عن سبها فيه اظهار للحق من احتياج من فيها اليها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر وفى رواية لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر أى هو الفاعل لما يحدث فيه والمعنى انكم اذا سببتم الدهر وقع السب على الله لانه الفعال لما يريد لا الدهر فجالب الحوادث ومتوليها هو الله لا غيره وجاء فى رواية أنا الدهر بيدى الليل والنهار أى أقلبهما كيف شئت وأدبر فيهما كيف أريد فهو كالتفسير لقوله أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن له بواب راتب روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بامرأة وهى تبكى عند قبر فقال لها اتقى الله واصبرى فقالت اليك عنى فانك خلو من مصيبتى وفى رواية فانك لم تصب بمصيبتى وجاطبته بذلك ولم تعرفه صلى الله عليه وسلم فجاوزها ومضى فمر بها رجل وهو الفضل بن العباس رضى الله عنهما فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته أى لانه صلى الله عليه وسلم من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه اذا مشى كعادة الملوك والكبراء وأيضا فقد كانت هى فى غاية من الوجد والبكاء فقال الفضل للمرأة انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فى رواية فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذى أصابها لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا أى فكأنها تعجبت لانها لما قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة فى نفسها فتصورت أنه كالملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول اليه فوجدت الامر بخلاف ما تصورته فقالت له صلى الله عليه وسلم معتذرة لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الاولى وكونه صلى الله عليه وسلم ليس له بواب انما هو باعتبار أغلب الاحوال فلا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم لما جلس على بئر أريس كان أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه جالسا على باب الحائط كالبواب لا يدخل أحد عليه صلى الله عليه وسلم حتى يستأذن له وجمع بعضهم بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن فى شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه واذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بوابا وأما حياؤه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما فى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها واذا كره شيئا عرف فى وجهه وهو اشارة الى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك وأخرج البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط أى وهذا من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا فى وجهه بشئ يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة فلما قام قال لاصحابه لو غير أو نزع هذه الصفرة وفى رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة وعلى حسب حياة القلب ويقظته ومعرفته لما يضره وينفعه فى الدارين تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب أى من فقد صفاته المقتضية للكمال وكلما كان القلب حيا كان الحياء أتم ولذا كان تمام الحياء فى النبى صلى الله عليه وسلم اذ لا قلب أحيا من قلبه وفى الشرع الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ولذا جاء فى الحديث الحياء من الايمان والحياء خير كله واذا لم تستح فاصنع ما شئت والحياء أقسام كثيرة منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب بنت جحش رضى الله عنها لما تزوجها وطولوا المقام بعد الاكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا الا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق

صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فسلم عليهن ثم قاموا فأخبره أنس رضى الله عنه بقيامهم فجاء فدخل على زينب رضى الله عنها وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بمحبة وخوف ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وان قدر المعبود أعلى وأجل فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحيا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيى باحداهما من الاخرى وهذا من أكمل ما يكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيى من غيره أجدر وأحق والحياء لا يأتى الا بخير لان من استحيا أن يراه الناس يأتى بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الايمان لانه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصى وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله انما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة والحياء غريزى ومكتسب فالمكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون المكتسب غريزة وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها حتى روى انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد أى لا يديم نظره فيه ولا يتأمله (وأما خوفه) صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه أحد فيها وكان اتقى الناس وأشدهم خشية وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغلبة الخشية وكان يصلى و يبكى وتسيل دموعه من غير صوت و يسمع لجوفه صوت خفى والمرجل القدر من النحاس وفى رواية أنين كأنين الرحا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخوفه صلى الله عليه وسلم كان خوف هيبة وتعظيم واجلال وهذا لا يكون الا مع كمال المعرفة والمحبة فهو وتعظيم مقرون بالحب قال بعضهم الخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العاملين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين فهو صلى الله عليه وسلم اكمل المحبين المقربين فكان خوفه خوف هيبة واجلال وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الاشياء عيانا مع الخشية التامة واستحضارا العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره صلى الله عليه وسلم ولذا قال ان اتقاكم وأعلمكم بالله أنا (وأما شجاعته) صلى الله عليه وسلم فانه قد كان أشجع خلق الله وقد تواترت بذلك الاحاديث والاخبار فمن ذلك ما رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت على فرس عرى لابى طلحة والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا وفى رواية كان فزع من عدو بالمدينة فاستعار النبى صلى الله عليه وسلم فرسا من أبى طلحة يقال له المندوب فركبه عليه الصلاة والسلام فلما رجع قال ما رأينا من شئ أى يوجب الفزع وان وجدناه أى الفرس لبحرا أى واسع الجرى قال الراوى وكان فرسا بطيئا أى لا يسرع فى مشيه وفى رواية ان أهل المدينة فزعوا مرة أى ليلا فركب صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أى بطء فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفى رواية فما سبق بعد ذلك ففى هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم وذلك مأخوذ من شدة عجلته فى الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع

قبل

قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا قال القاضي عياض وقد كان في أفراسه صلى الله عليه وسلم فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم قال الزرقاني وهذا أولى وروى الامام أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجدة الشجاعة والشدة وفي رواية ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما اذ الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت ولان النجدة جود بالنفس وهو أقصى مراتب الجود وروى ابن اسحاق والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له ركانة وكان شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه فتؤمن بالله ورسوله فقال له ركانة يا محمد هل لك من شاهد يدل على صدقك فقال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة فقال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك لعجيب قال الحافظ ابن حجر في الاصابة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي روى البلاذري انه قدم من سفر فأخبر خبر النبي صلى الله عليه وسلم أي دعواه النبوة وكان أشد الناس فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه فقال أشهد أنك ساحر ثم أسلم بعد وأطعمه النبي صلى الله عليه وسلم خمسين وسقا وقيل لقيه في بعض جبال مكة فقال يا ابن أخي بلغني عنك شيء فان صرعتني علمت انك صادق فصارعه فصرعه وأسلم ركانة في فتح مكة وقيل عقب مصارعته ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل عاش الى سنة احدى وأربعين وجاء في بعض روايات هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعددت مرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد ولكل منهم صحبة رضي الله عنهما وروى الخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء يزيد بن ركانة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة من الغنم فقال يا محمد هل لك أن تصارعني قال وما تجعل لي ان صرعتك قال مائة من الغنم فصارعه فصرعه ثم قال هل لك في العود قال وما تجعل لي قال مائة أخرى فصارعه فصرعه وذكر الثالثة فقال يا محمد ما وضع جنبي في الارض أحد قبلك وما كان أحد أبغض الي منك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقام عنه ورد عليه غنمه فاتضح بهذا انه صلى الله عليه وسلم صارع ركانة وابنه جميعا وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الاسود الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد أي يتقطع ولم يتزحزح عنه فدعا أبو الاسود رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن به وقد حضر صلى الله عليه وسلم المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفر الكماة والابطال عنه وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة الا النبي صلى الله عليه وسلم روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا وفي رواية انهزموا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام وفرت الاعراب ومن تعلم من الناس ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها

وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمانينة فركوبها دليل على النهاية في الشجاعة والثبات وان الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وكل ذلك مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وروى مسلم من حديث البراء أيضا رضي الله عنه قال كنا اذا احمر البأس أي اشتد اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذي يحاذي به ومعنى قوله اتقينا به جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وروى الامام أحمد والنسائي عن علي رضي الله عنه كنا اذا حمي البأس وفي رواية اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وروى أبو الشيخ في الاخلاق عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب أي يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس كما يومئ اليه قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم مع ما ورد من اعطائه قوة أربعين رجلا وربما يقاوم بعض الرجال أقوى كبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين بل له من القوة الالهية ما تعجز عنها القوى البشرية والملكية (وأما كرمه) صلى الله عليه وسلم فكان لا يوازى ولا يبارى فيه وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر وقد روى البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس أي وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق لابد أن يكون فعله أحسن الافعال فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يدا وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر أي وذلك آية لنبوته صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذي أعطاه الغنم بين الجبلين قيل هو صفوان بن أمية وقيل غيره وروى مسلم والترمذي عن صفوان بن أمية الجمحي رضي الله عنه قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب الزهري أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وجاء انه طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم وكان على دين قومه اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقال صفوان أشهد انك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط الا نفس نبي ثم أسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وعاش الى سنة اثنين وأربعين من الهجرة وقيل توفي أيام قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين والحكمة في كون اعطائه لم يكن دفعة واحدة بل تدريجا ان هذا العطاء دواء لدائه والحكيم لا يعطي الدواء دفعة واحدة بل تدريجا لانه أقرب الى الشفاء وقد علم صلى الله عليه وسلم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء وهو الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم رضي الله عنه وهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته ورأفته اذ عامله بكمال الاحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان علي بن أبي طالب

رضى الله عنه وكرم وجهه اذا وصف النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأصدق الناس لهجة رواه الترمذى وروى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم عن الاجود الله الاجود وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدى رجل تعلم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاهد فى سبيل الله حتى يقتل فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب أجود بنى آدم على الاطلاق كما انه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم فى جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم قال فى المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال فى وصف كرمه صلى الله عليه وسلم

هذا الذى لا يتقى فقرا اذا * أعطى ولو كثر الانام وداموا
وادمن الانعام أعطى آملا * فقصرت لعطائه الاوهام

وقال ابن جابر أيضا فى وصفه صلى الله عليه وسلم

يروى حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجهه أجتلى بدر ومن يده * بحر ومن فمه در لمنتظم
يمم نبيا تبارى الريح أنمله * والمزن من كل هامى الودق مرتكم
لو عامت الفلك فى ما فاض من يده * لم تلق أعظم بحرا منه ان تعم
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ * به ودع كل طامى الموج ملتطم
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام وروت قلب كل ظمى

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وانشأ أمطار السحائب من غمائم يمينه وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون ألف درهم قال بعضهم هى التى جاءته من البحرين وقيل غيرها فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وروى الترمذى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يعطيه فقال ما عندى شئ ولكن ابتع على أى اشتروا حسب على الشراء وفى رواية ما عندى شئ أعطيك ولكن استقرض حتى يأتينا شئ فنعطيك وفى رواية فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر أى ما ليس حاصلا عندك فكره النبى صلى الله عليه وسلم قول عمر رضى الله عنه لما فيه من حرمان السائل فقال رجل من الانصار حين رأى كراهة النبى صلى الله عليه وسلم للمنع يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا أمرت وقيل ان القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماذكر هو بلال رضى الله عنه ولعل القصة تعددت وانما قال عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه والانصارى راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة الى انه أمر خاص به وبمن يمشى على قدمه وذكر ابن فارس انه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة يوم حنين فأنشدت شعرا تذكره فيه أيام رضاعه فى هوازن فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا فكان ذلك عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذى لم يسمع بمثله فى الوجود وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من خراج البحرين فقال انثروه يعنى صبوه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به صلى الله عليه وسلم أى من الدراهم أو الخراج فلا ينافى انه غنم فى حنين ما هو أكثر منه من أموالهم وقسمه ورد عليهم

سبيهم قال أنس رضي الله عنه فخرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه أي عنده فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء العباس عمه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اعطني فاني فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه علي فقال لا قال فارفعه أنت علي فقال لا وانما فعل ذلك تنبيها له على الاقتصاد وترك الاستكثار من المال فنثر العباس رضي الله عنه منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله قال ابن كثير كان العباس رضي الله عنه شديدا طويلا نبيلا فاحتمل شيئا يقارب أربعين ألفا وانطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز بشير الى قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم قال أنس رضي الله عنه فما قام صلى الله عليه وسلم من ذلك المجلس وثم أي هناك منها درهم واشترى صلى الله عليه وسلم من جابر رضي الله عنه جملا ثم أعطاه ثمنه وزاده عليه ثم قال له اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك فيهما وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله في ابتغاء مرضاته فتارة كان يبذل المال لفقير أو محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامهم وتارة يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي ما بيده للمحتاجين ويتحمل المشقة هو وعياله فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع حتى ان ابنته فاطمة رضي الله عنها جاءته تشكو ما تلقى من الرحى وخدمة البيت وكانت جمعت سبي جاءه فطلبت منه خادما فقال لا أعطيك وأدع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد فنع احب اهله شفقة على الفقراء وهذه القصة رواها الامام احمد وغيره عن علي رضي الله عنه انه قال لفاطمة رضي الله عنها لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله اباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي بفتح الجيم وكسرها اي نفطت من كثرة الطحن فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك اي بنية قالت جئت لاسلم عليك واستحييت ان تسأله ورجعت فقال مافعلت قالت استحييت ان أسأله فأتيا جميعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال علي يارسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاء الله بسبي وسعة فأخدمنا فقال والله لا اعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما انفق عليهم ولكن أبيعهم وانفق عليهم اثمانهم فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما اذا غطت رؤسهما كشفت اقدامهما واذا غطت اقدامهما كشفت رؤسهما فثارا فقال مكانكما ثم قال ألا أخبركما بخير مما سألتماني قالا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا فاذا اويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا اربعا وثلاثين والحديث في البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه وفي شرح الزرقاني على المواهب أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه اعياء لان فاطمة رضي الله عنها شكت التعب من العمل فأحالها عليه وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه انه ماتركه هذا الذكر منذ سمعه قيل له ولا يوم صفين قال ولا يوم صفين ومن كرمه صلى الله عليه وسلم مارواه البخاري ان امرأة أتته صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت يارسول الله اكسوك هذه قال نعم فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يارسول الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقال صلى الله عليه وسلم نعم فجلس ماشاء الله في المجلس ثم رجع فطواها فأرسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها

محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسئل شيئا فيمنعه وفي رواية لا يرد سائلا فقال رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها وفي رواية فقال الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفني يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه فكانت كفنه وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها والرجل الذي سألها فكانت كفنه هو عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص كما قيل بكل ويحتمل تعددا لقصة لكن استبعده بعضهم واستنبط السادة الصوفية من هذه القصة جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنهما خميصة سوداء ذات علم رواه البخاري قال في الشفا وهذه الخصال الممدوحة كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث أي لان هذه الفضائل والشمائل طبعت في أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقد قالت له خديجة رضي الله عنها وكذا ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وروى الترمذي عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعني بقوله قناع طبقا وأجرزغب أي قثاء صغار فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا وفي مسند الامام أحمد عن ابنة الربيع بالتصغير قالت بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجرزغب من قثاء وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فأعطاني ملء كفيه حليا أو ذهبا وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغداي لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله أي تسكينا لقلوبهم وهذا وقع في بعض السنين دون بعض وفي الشفا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أي شيئا من العطاء فاستلف له نصف وسق فلما جاء الرجل أي رب الدين يتقاضاه أي يطالب النبي صلى الله عليه وسلم بوفاء الثمن أعطاه وسقا بكماله وقال نصفه قضاء ونصفه نائل أي عطاء قال الشيخ أبو علي الدقاق الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق لا يكون الا للنبي صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهو صلى الله عليه وسلم يقول أمتي أمتي *(وأما أمانته)* صلى الله عليه وسلم وعدله وعفته وصدق لهجته فقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أمانة وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة ولقد اعترف له بذلك أعداؤه وكان يسمى قبل النبوة الامين روى الامام أحمد والحاكم والطبراني انه حين اختلفت أكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا أن يكون الواضع أول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به ففرش صلى الله عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس أن يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته ثم أخذه فوضعه في موضعه وكانوا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم يتحاكمون اليه في كثير من قضاياهم وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء وأمين في الارض وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ان أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك أي لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وفي رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وروى البيهقي والطبراني وغيرهما أن الاخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا اخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط زاد في رواية ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة

والندوة والسقوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه مامنعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق والاخنس بن شريق اختلف فيه فقيل له اسلام وصحبة وقيل قتل كافرا يوم بدر وقيل الذى قتل كافرا شريق لا الاخنس وجاء ان هرقل لما سأل أبا سفيان رضى الله عنه فقال له هل كنتم تتهمونه بالكذب قال لا وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النضر بن الحارث العبدرى قال لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم أى أكثركم افعالا مرضية واصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر لا والله ماهو بساحر وسبب قوله ذلك ان أبا جهل أراد أن يرضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وهو يصلى تحت الكعبة فتمثل له جبريل فى صورة فحل ففر هاربا ويبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحارث قال يامعشر قريش والله قد نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة قد كان محمد الخ ما تقدم زاد فى رواية وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقد قلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون والله ماهو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا فى شأنكم والله قد نزل بكم أمر عظيم وهذا غاية منه فى الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول فى القرآن أساطير الاولين فأخذ أسيرا يوم بدر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة وأما النضير بالتصغير فهو أخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف ويلتبس عليك ومن أمانته صلى الله عليه وسلم مارواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت مامست يده صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط لا يملك رقها أى لا يملكها نكاحا أوملكا فان التزويج يسمى رقا قال صلى الله عليه وسلم لاسماء رضى الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها ومن عدله صلى الله عليه وسلم قوله أبلغوا عنى حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر وفى رواية ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكان صلى الله عليه وسلم لا يخير فى امرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وكان لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد ولا يصدق أحدا على أحد رواه أبوداود عن الحسن البصرى مرسلا ومن عفته صلى الله عليه وسلم مارواه البيهقى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ماهممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين يحول الله بينى وبين ما أريد من ذلك ثم ماهممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معى يرعى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا أى لعبا بالمعازف وهى الملاهى من الدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذنى أى أنامنى الله فما أيقظنى الامس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك أى مثل ماهممت فى المرة الاولى فعصمنى الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط وكان صلى الله عليه وسلم يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير (وأما زهده) صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فقد تقدم من الاخبار مايكفى وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها فأعرض عنها ولقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وكان يقصد بذلك التشريع لامته كيلا يرغبوا فيها فتشغلهم عن الله تعالى وكان يقول فى دعائه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا

وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان والمراد قدر الكفاية وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا حتى مضى سبيله وفى رواية ما شبع من خبز شعير
يومين متتابعين ولو شاء لاعطاه ما لم يخطر ببال وفى رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز بر حتى لقى الله وروى مسلم عن عائشة أيضا رضى الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى رواية للبخارى عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها
ما ترك صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة وروى الشيخان عن عائشة
رضى الله عنها والقدمات وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على
فكلته ففنى فياليتنى لم أكله وقال لى انى عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع
يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع اليك وأما اليوم الذى أشبع فيه
فأحمدك وأثنى عليك وفى حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام
ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل
ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له أى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من
سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها فقال له جبريل
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وفى رواية للبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما لجبريل ما أمسى لآل
محمد كفة سويق ولا سفة دقيق فأتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض
وأمرنى أن أعرض عليك ان أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت
وفى رواية للامام أحمد والله لو شئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة وفى رواية لابن عساكر
لو شئت لسارت معى جبال الذهب وفى أخرى للطبرانى لو سألت الله أن يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل
وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا
التمر والماء وروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وروى ابن ماجه والترمذى عن عائشة وأبى امامة وابن عباس
رضى الله عنهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان
ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط والخوان ما يؤكل عليه كالكرسى على عادة
المترفهين لئلا يحتاجوا الى الانحناء حال أكلهم فالصحابة انما كانوا يأكلون على السفر المبسوطة
فى الارض والسكرجة فارسى معرب وهو بضم الثلاثة وشد الراء اناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم
وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من الهضمات والمرغبات
فى أطراف المأكولات والمرقق الرغيف الابيض اللين الواسع والسميط بمعنى المسموط المشوى بجلده
بعد اخراج ما فيه من القاذورات والنجاسات فان لم تخرج كان حراما وكذا حكم الرؤس والدجاج
وانما يحسن السمط فى صغار الغنم وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت انما كان فراشه
صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما أى جلدا مدبوغا وروى الترمذى عن حفصة أم المؤمنين رضى
الله عنها قالت كان فراش النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى مسحا أى من شعر أبيض وقيل أسود نثنيه
ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع طاقات فلما أصبح قال ما فرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه
بحاله فان وطاءته أى لينته منعتنى أى كمال حضورى فى طاعتى أو شغلتنى عن القيام لصلاتى وقراءتى
ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم فى ابتداء ليلته لاستغراقه فى شهود نوره ووجود حضوره وروى

الشيخان والترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان ينام أحيانا على سرير مرمول أى منسوج بشريط مفتول من سعف حتى تؤثر خشونة الشريط فى جنبه لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه و بينه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى لاحد قط أى لاحد من أصحابه وزوجاته وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا طول ليله فلا يمنعه أى جوعه صيام يومه وهذا كله لكمال زهده واقباله بقلبه على ربه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضى الله عنها ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به من الجوع وامسح بطنه وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى استحى ان ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم ومامن شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى وأخلائى قالت رضى الله عنها فما أقام أى فى الدنيا بعد أى بعد قوله ذلك الاشهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم و فى رواية لابن أبى حاتم عن عائشة رضى الله عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه وقال يا عائشة ان الدنيا لاتنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا أن يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال العلماء من قال مالى صدقة على أعقل الناس يعطى للزهاد لان العاقل من طلق الدنيا كما قيل

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها

انها زوجة سوء * لاتبالى من أتاها

أنت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها

فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة أى لان من كثر شبعه ورغب فيه ربما حصل ما يأكله من غير وجهه فيجازى بالجوع فى الآخرة اما فى الموقف أو فى النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة اذ لاعذاب فيها والجوع عذاب و روى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا فى الآخرة وذلك لان شأن المؤمن الكامل أن يشتد خوفه و يكثر فكره فيشفق على نفسه من استيفاء شهوته فيقل أكله كما ورد فى حديث لابى امامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه أى لان كثرة المطعم تورث قسوة القلب وقال جمع من الصحابة منهم عمرو بن العاص رضى الله عنه البطنة تذهب الفطنة ومن قل طعامه قل شربه وخف نومه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره أى لما يباشره من الطاعات فى يقظته ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن كثر نومه محقت بركة عمره ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه و بطرت نفسه وقسا قلبه فلا تنجع فيه موعظة ولا تدخله حكمة و روى أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط كان اذا تغدى أى أكل فى غدوة النهار و بكرته لم يتعش أى لم يأكل فى المساء واذا تعشى لم يتغد وكان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل أى ان قدموه له ليأكل أكل وما أطعموه قبله منهم وماسقوه أى من الاشربة لبن أو غيره شرب و روى مثل هذا عن عائشة رضى الله عنها

ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة ويفضي
الى النوم والكسل والبطر والاشر وقد تنتهي كراهة الشبع الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من
المفسدة وروى البخاري ومسلم ان عائشة رضي الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير تحمله على التأسي
بالنبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في التقلل والله يا ابن أختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال
ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان
يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء وروى مسلم عنها رضي الله عنها القدمات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين خصت الزيت لانهم كانوا يأتدمون به كثيرا ومع ذلك
لم يأكله في اليوم الامرة زهدا في الدنيا وعن ابي حازم سلمة بن دينار انه سأل سهل بن سعد الساعدي
رضي الله عنه هل رأيتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي يعني الخبز الحواري قال لا قلت كنتم
تنخلون الشعير قال لا ولكنا كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
النقي قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقلت هل كان لكم
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه
الله حتى قبضه قلت كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي
ثريناه فأكلناه أي نديناه ولبناه ثم خبزناه فأكلناه وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم في ساعة لا يخرج فيها أحد ولا يلقاه فيها أحد فاذا هو
بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما أخرجنا الجوع
يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده أخرجني الذي أخرجكما وهذا قاله تسلية وتأنيسا لهما فانطلقوا
الى منزل أبي الهيثم بن التيهان الانصاري رضي الله عنه وكان رجلا كثير النخل والشياه واذا هو ليس
في بيته فلما رأت امرأته النبي صلى الله عليه وسلم قالت مرحبا وأهلا وفي رواية مرحبا بنبي الله وبمن
معه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان يعني زوجها قالت ذهب يستعذب لنا الماء أي
يستقي لنا ماء عذبا من بئر بعيدة وكانت أكثر مياه المدينة مالحة فبينما هم على ذلك اذ جاء الانصاري
فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبي صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه وفي رواية فنظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله أي على هذه التي لم يظفر بها غيري في هذا اليوم ما أحد
اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق بهم الى بستانه فجاءهم بقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ
المدية أي السكين ليذبح لهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب أي باعد نفسك عن ذات
اللبن فلا تذبحها فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه وأتاهم به فلما وضع بين يديه صلى الله عليه وسلم
أخذ من ذلك فجعله في رغيف وقال للانصاري أبلغ بهذا فاطمة رضي الله عنها فانها لم تصب مثله منذ أيام
فذهب به اليها فأكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب فلما ان شبعوا ورووا قال صلى
الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة
أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وفي رواية انه قال هذا والذي نفسي
بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ثم انطلق أبو الهيثم يصنع
لهم طعاما وهذه تدل على انه قال لهم ذلك قبل أكلهم من الشاة وفي رواية فكبر ذلك على أصحابه أي كون
هذا من النعيم الذي يسئلون عنه فقال اذا أصبتم مثل هذا فصار بأيديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم
فقولوا الحمد لله الذي أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله
انا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به

عورته أو بحجر يدخل فيه من القر والحر وفي هذه القصة فوائد منها ان اتيانهم دار أبي الهيثم رضي الله عنه لا ينافي شرفهم فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهما السلام لارادة الله تسلية الخلق بهم وان يستنوا بهم ففعلوا ذلك تشريعا للامة وفي قول امرأة أبي الهيثم يستعذب لنا الماء دليل على ان طلب الماء العذب لا بأس به وانه لا ينافي الزهد وان السبب لا ينافي التوكل اذ التوكل اعتماد القلب على الله وان لا يكون للعبد وثوق بسوى ربه فالحركة الظاهرة لا تنافيه وقصده صلى الله عليه وسلم بيت الانصاري رضي الله عنه من هذا القبيل ومن زهده صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى منزله فأخرج اليه فلق من خبز فقال ما من أدم أي هل عندكم شئ من الادم آكل الخبز به قالوا الا شئ من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنه قال أصاب النبي صلى الله عليه وسلم الجوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الارب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة الارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي طلحة زوج أمه رضي الله عنهما قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين وانما رفع لهم ليعلمهم أنه ليس عنده ما يستأثر به عليهم وتسلية لهم لا شكاية أن ما بهم من الجوع أصابه فوقه حتى احتاج الى حجرين وفي قصة جابر رضي الله عنه في حفر الخندق قام صلى الله عليه وسلم الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وما أحسن قول البوصيري رحمه الله

وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

والكشح ما بين الخاصرة واقصر ضلع وانما حصل له الجوع في بعض الاوقات لعدم ما يحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن به جوعا وانما يعرفه بعض الخواص كأبي طلحة بالصوت ونحوه لان جسمه صلى الله عليه وسلم كان يرى أشد نضارة وحسنا من أجسام المترفين المتلذذين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده البوصيري رحمه الله بقوله مترف الادم أي حسن الجلد ناعمه وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب أي جوع خاف أن يتوهم ان جسمه الشريف يظهر فيه أثر الجوع وهو الضعف فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم وحصول الجوع في بعض الاوقات لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن مواصلته في الصوم لست كأحدكم انى أبيت يطعمني ربي ويسقيني لان كلا منهما حصل له في وقت فأحاديث الوصال تدل على انه يستغني عن الطعام والشراب في بعض الاوقات وان الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيهما وفي بعض الاوقات يحصل له شئ من الجوع حتى يظهر لبعض أصحابه ويكون حكمة ذلك حصول الاجر والثواب وليقتدوا به ويتصبروا اذا حصل لهم شئ من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ليزهدوا في الدنيا ويتقللوا منها وقيل ان عصب الحجر على البطن ليس لاجل الجوع بل لان عادة العرب أو أهل المدينة ان يفعلوا ذلك اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلوبهم بفعل ما يعتادون فعله وليعلموا انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم ومن زهده صلى الله عليه وسلم انه أوتي مفاتيح خزائن الارض فأعرض عنها وفتح كثير من البلاد في حياته صلى الله عليه وسلم وجاءته أموالها فقسمها بين أصحابه وما استأثر بشئ منها ولا أمسك دينارا ولا درهما بل صرفها في مصارفها وبالجملة فما من خلق كريم الا واتصف صلى الله عليه وسلم بأكمله وأعلاه وفي الشفا عن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته أي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال المعرفة

رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوت روحي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي رواية وثمرة فؤادي في ذكر ربي وغمي لاجل أمتي وشوقي الى ربي قال ملا علي القاري في شرحه على الشفا والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها أي هذه الالفاظ الا عن بينة اه *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم التي اختص بها امداده بالملائكة ورؤية أصحابه لهم وقتالهم معه ومع أصحابه يوم بدر حتى هزموا المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض وأرى النبي صلى الله عليه وسلم مرة جبريل لعمه حمزة رضي الله عنه فخر مغشيا عليه من عظمته وهيبته وحديثه رواه البيهقي وفي مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما وعلانيتها وروى ابن سعد انها كانت تصافحه *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم ما تناقلته الاخبار عن الرهبان والاحبار وعن الكهان على السنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش وما جاء عن علماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته كما تقدم بسطه أول الكتاب في مواضعه قال كعب الاحبار نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشأم وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء وقال وهب بن منبه في الزبور يا داود سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وروى البيهقي انه لما قدم الجارود بن العلاء وكان أسقفا للنصارى على النبي صلى الله عليه وسلم رآه وتحقق صفاته قال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله وفي دلائل النبوة للبيهقي ان ثلاثة من اليهود أسلموا على يد النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر وأخبروا أن حبرا من يهود الشأم يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فأقام عند اليهود فكانوا يستسقون به فحضرته الوفاة فجاؤه فقال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبي قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما ذكر في التوراة من صفاته وصفات أمته قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صدوقا سيدا أمته مرحومة افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت

الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود انى فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافا مضاعفة ولهم في المدخور عندي أضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا أو أصرف عنهم سوءا أو أدخره لهم في الآخرة ومما أخبر الله به في القرآن انه مذكور في التوراة والانجيل من صفاته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ولو لم يكن هذا مكتوبا عندهم في التوراة لكان الاخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول دعوته صلى الله عليه وسلم لان الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم وحرفوا ما وجدوه في التوراة والانجيل وبدلوه ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أي وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفي رواية لابن اسحاق ولا صخب بالاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وأخرج ابن سعد عما هو مذكور في بعض الكتب المنزلة ان ابراهيم عليه السلام لما أمر باخراج هاجر حملها على البراق فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة الا قال أنزل ههنا يا جبريل فيقول له لا حتى أتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما هو مختار بعد الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله من سينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى فظهرت فيه نبوته وجبال فاران هي جبال بني هاشم التي بمكة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي وهو حراء قال ابن قتيبة ولا أشكال في هذا لان تجلى الله من سيناء انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وأن يكون استعلانه من جبال فاران

أنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف فان قال قائل منهم ان جبال فاران ليست بمكة قلنا له أليس في التوراة ان الله أسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو الظهور والانكشاف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه قال في المواهب وفي التوراة أيضا مما ذكره ابن ظفر في أثناء خطاب لموسى عليه السلام والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه ما نصه وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل شئ أمرته وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه وفي هذا الكلام أدلة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحاق واخوتهم بنو اسماعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم ولقوله نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام وفي ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل أبدا فذهبت اليهود الى أن هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له في حياته ومؤكدا الدعوته بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ موسى لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى أجعل كلامي في فيه واضح في ان المقصود به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحي اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ولا أنزل صحفا ولا ألواحا لانه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب وفي الانجيل عن عيسى عليه السلام اني أطلب الى ربي فارقليط يكون معكم الى الابد وفيه أيضا على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي أي بالنبوة يعلمكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته واني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفيه أيضا أقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت أرسلت به اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويدينهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه وفيه أيضا مما ذكره ابن ظفر بأن في الدر المنظم عن المسيح عليه السلام انه قال أنا أطلب لكم من الله أن يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقتلوه فهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا الامر الى أن المخلص رسول يأتي بخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذي سأل الله أن يعطيكم فارقليط آخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتي فارقليط آخر وان تنزلنا معهم على القول بأنه الحامد فأي لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا وفي بعض تراجم الانجيل ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو مصدق بالمسيح ويعلم الخلق كل شئ ويذكرهم وفي الانجيل الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وفيه أيضا فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من الذي أرسله وهذا كما قال تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العالم على كتم الحق

وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذى أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در أبى محمد الشقراطسى حيث قال

توراة موسى أتت عنه فصدقها * انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت * عما رأوا أو رووا فى الاعصر الاول

ويعجبنى قول العارف الربانى أبى عبد الله بن النعمان

هذا النبى محمد جاءت به * توراة موسى للامام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق * ذكر لاحمد معرب ومذكر

وفى الدلائل للبيهقى عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبى امامة الباهلى عن هشام بن العاص الاموى قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه أرسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشئ كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء فاذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فاذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه كأنه ينظر اليك فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لآخر البيوت ولكنى عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له من أين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فانزل الله عليه صورهم فكانت فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ووضعها عند دانيال عليه السلام وفى الزبور فى مزبور أربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك الله الى الابد تقلد أيها الجبار السيف فان شرائعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخبرون بحبك فهذا المزبور بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التى فاضت من شفتيه هى القول الذى يقوله وهو الكتاب الذى أنزل عليه والسنة التى سنها وفى قوله تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبى العربى اذ ليس تتقلد السيوف أمة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفى قوله فان شرائعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار هو الذى يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت فى بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لانزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسماعيل نبيا عربيا أميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يرضى بالله ربا وبه رسولا يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبى وشرفته قال الله ياموسى انى انتقم من عدوه فى الدنيا والآخرة وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته بالعدل زينته وللقسط أخرجته وعزتى لاستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم واختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل فى شريعته فهو من الله برىء نقله فى المواهب عن ابن ظفر *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم خبر ورقة بن نوفل بن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان وقد أخبرته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بما رأته منه من اعلام النبوة وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب

وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال

تبكر أم أنت العشية رائح * وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح
فأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذي بالخير حرّ * بفور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى والركاب التي غدت * وهن من الاحمال تعص دوابح
يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء وميسور من الذكر واضح
وتتبعها حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فاني به مستبشر الود فارح
والا فاني يا خديجة فاعلمي * عن ارضك في الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ما ذكره بعضهم من انه صحابي بل هو أول الصحابة بناء على انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه أتاه بعد مجيء جبريل عليه السلام اليه واخباره له عن ربه بأنه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذي خلق عليه و بعد قول ورقة له أبشر فانا أشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبي مرسل وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رآه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مستدرك الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فاني رأيته في الجنة وعليه جبة أو جبتان قال ملا على القارى في شرح الشفا وأما ما نقله الذهبي عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواه جدا ويرده ما في صحيح البخاري عنه صريحا و بالجملة فأخبار الاحبار والرهبان الواردة في ذكره صلى الله عليه وسلم وشهادتهم بأنه النبي الموعود به لا تكاد تنحصر وانما امتنع من امتنع منهم من الدخول في الاسلام حسدا او عنادا او اختيارا للبقاء على الشقاء وقد قرع اسماعهم بأنه مذكور في كتبهم وان صفته عندهم كذا وصفة أصحابه كذا كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم في التوراة ثم قال ومثلهم في الانجيل كزرع الآية فقد احتج عليهم صلى الله عليه وسلم بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ولبهم ألسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ودعاهم الى المباهلة فما منهم الا من فرّ عن معارضته وعن ابداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ولو وجد واخلاف قوله لكان اظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم ما سمع من أجواف الاصنام وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم وأكثر ذلك مشهور وتقدم جملة من ذلك أول هذا الكتاب وكان ذلك سببا لاسلام كثير ممن شاهده *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم ما ظهر من خوارق العادات عند مولده وفي أيام رضاعه عند حليمة رضي الله عنها وما حكته أمه آمنة في مدة حملها وعند ولادتها وما حكاه من حضر مولده من العجائب كما تقدم ذلك كله مبسوطا في باب ذكر الخوارق التي ظهرت في رضاعه وقبله و بعده أيضا فارجع اليه ان شئت *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا

وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه قال القاضي عياض قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا وبحسب هذا الباب لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عديدة ومعجزات نبينا أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وثانيهما انه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أوما هو أبلغ منها أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة وكل آية منه كذلك وقال بعضهم كل جملة منه معجزة وفي القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف واعجازه من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه اعجاز آخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد وان نظرت الى بقية وجوه الاعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف الى مالا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم ان الاخبار والاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أبواب خوارق العادات والاخبار بالمغيبات تبلغ نحو ذلك من التضعيف مع ما في معجزاته صلى الله عليه وسلم من الشهرة والوضوح وكانت معجزات الرسل على حسب حال أهل زمانهم فلما كان زمن موسى عليه السلام كان غاية علم أهله السحر فبعث الله اليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكان في زمن عيسى عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بما لم يحتسبوا من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة للطب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم ثم ان الله بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة المقرونة بالفصاحة والشعر والاخبار بأنساب العرب وأيامها ووقائعها والكهانة وهي مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها فأنزل الله القرآن الخارق لهذه الاربعة بسبب ما فيه من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن السبك الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في أساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الحوادث والاسرار والمخبآت التي كانت على وفق ما أخبر فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشياطين بالشهب وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وأنباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه منضما الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور ما أخبر به على وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وجميع معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بانتقالهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الي فأرجوا اني أكثرهم تابعا يوم القيامة وقوله ما من الانبياء نبي الا أعطي ما مثله آمن عليه البشر معناه ليس نبي منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيئا ألجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولاه في زمانه وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية

تسمى وانما كان الذى أوتيت وحيا معجزا فى أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة فلذا رتب عليه قوله فأرجو أى بسبب بقائه وظهور ضيائه أنى أكثرهم تابعا وقيل المراد انه وحى وكلام لا يمكن فيه التخيل ولا التحيل فان غير معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم قد قصد المعاندون ابطالها بأشياء طمعوا فى التخيل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه ثم ان عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء من أوطانهم والسبى والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد فذلك أبين آية وأظهر علامة وأبهر دلالة للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته فعجزهم عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى أنفسها كقلب العصا حية ونحوه فانه قد يسبق الى بال الناظر بادرة قبل التأمل ان ذلك من الاختصاص بمزيد المعرفة فى ذلك الفن كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر بخلاف ما لا يعرف أنه معجز الا بالتأمل والفكر فانه حينئذ يتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للمتأمل الحى ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل الفاعل القوى القادر والتحدى للعقلاء المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعى على المعارضة ابلغ وأظهر من خرق العادة بغيره ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الادراك ما ليس لغيرهم جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة بوجوه الاعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون وبنى اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ما عدا العرب فانهم لم يكونوا بهذه الطريقة بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم فاستخف قومه فأطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى وجوز عليهم السامرى ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم وعبدت طائفة من بنى اسرائيل المسيح عيسى عليه السلام فجاءتهم من الآيات الظاهرات البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير والعرب مع جهلها بأمور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع وانما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ومنهم من أدرك بعثته صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم بكتاب الله فهموا حكمته لحدة فطنتهم وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا واكتسبوا احسانا وايقانا ورفضوا الدنيا كلها فى محبته وبمن همته وبركة متابعته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم فى نصرته فجميع هذه الاشياء لم توجد فى غير القرآن من بقية المعجزات ولم تكن لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ممن أوتى خوارق العادات وأما كونه لم يؤت أحد من الانبياء شيئا من المعجزات الا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها فقد تصدى العلماء لبيان ذلك فقالوا انه صلى الله عليه وسلم أعطى ما أعطيه جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واختص بأشياء لم يعطها أحد غيره فمن ذلك انه أوتى جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا فى حال نبوته أى بعد بعثته وزمان رسالته ولما أعطى صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة علمنا انه الممد لكل انسان كامل مبعوث فمنه أفاض الله على جميع من تقدمه من الانبياء والمرسلين أحوالا كثيرة زيادة على ما عندهم من الفضائل ورحم الله الابوصيرى حيث يقول

وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظلم

يعني ان كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوجده الله قبل وجوده في هذا العالم وما أحسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شئ وانما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أي تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله بالصفات التي اشتملوا عليها وأوصلوها الى أممهم فانها وصلت اليهم من نوره صلى الله عليه وسلم والحاصل ان جميع ماظهر على ايدي الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين قبله صلى الله عليه وسلم من الانوار فانما هو من نوره الفائض الكثير الذي عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شئ فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو شمعة فنوره سالم ينقص منه شئ ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها بجملته وأول ماظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وأسنده بالاسماء من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلفاء في الارض أي تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام فلما أراد الله ابراز صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم لاظهار منزلته وشرفه عند الله ظهر اندراج كل نور في نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالاته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطي صلى الله عليه وسلم مثلها فجمع فيه مافرق فيهم فآدم عليه السلام أعطي أن الله خلقه بيده فأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي قال تعالى ألم نشرح لك صدرك فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع ان المقصود من خلق آدم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملائكة أمروا بالسجود لآدم لاجل أن نور نبينا صلى الله عليه وسلم كان في جبهته ظاهرا ولله در القائل تجليت جل الله في وجه آدم * فصلى له الاملاك حين توسل وفي المواهب عن الامام سهل بن محمد قال هذا التشريف الذي شرف الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية أتم وأجمع من تشريفه آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف كما اتيه في حقه سبحانه اذ السجود من صفات الاجسام فالتشريف الذي يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين ابلغ من تشريف تختص به الملائكة وهو السجود وأما تعليم آدم الاسماء فقد روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي رافع والحاكم من حديث أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم آدم الاسماء كلها بل هو صلى الله عليه وسلم علم الاسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضرتها فذات العلوم وحقائقها له صلى الله عليه وسلم والذي لآدم من ذلك بالنسبة له صلى الله عليه وسلم الاسماء

فقط

فقط ولله در الابوصيري حيث يقول لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء
ولا ريب أن المسميات أعلى من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات
والية الاسماء بقوله لك ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها وهو المسميات فهي دونها فضل العالم
بحسب فضل معلومه فنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام وأما ادريس عليه الصلاة
والسلام فرفعه الله مكانا عليا وأعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع
اليه غيره لا رسول ولا ملك وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق وأعطى
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فأعطى سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم نظير ذلك وهو اطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أي ابطال مكايد الكفار التي
كانوا يدبرونها الحربه رناهيك بنار حطبها السيوف وحرها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح
والجسد قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فكم أرادوا أن يطفئوا النور بالنار وأبى
الجبار الا أن يتم نوره وان يخمد شرورهم ويحفظ لمحمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره وفي المواهب
انه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مر على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه وروى
النسائي ان محمد بن حاطب رضي الله عنه قال كنت طفلا فانصبت القدر علي واحترق جلدي كله فحملني
أبي وفي رواية أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام في جلدي ومسح بيده
على المحترق وقال أذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بي ورواه الامام أحمد أيضا والبخاري
في تاريخه وقد خمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد وروى ابن سعد عن
عمرو بن ميمون قال أحرق المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالنار فكان صلى الله عليه وسلم يمر به
ويمر يده على رأسه فيقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وروى أبو نعيم عن عباد
ابن عبد الصمد قال أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال يا جارية هلمي المائدة تتغدى فأتت بها ثم قال
هلمي المنديل فأتت بمنديل وسخ فقال اسجري التنور فأوقدته فأمر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض
كأنه اللبن فقلنا ماهذا قال هذا منديل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه فاذا اتسخ
صنعنا به هكذا لان النار لا تأكل شيئا مر على وجوه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد ألقي غير واحد
من أمته صلى الله عليه وسلم في النار فلم تؤثر فيه روى ابن وهب عن ابن لهيعة ان الاسود العنسي لما
ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم
فلم تضره النار فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالمدينة فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله
الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وروى ابن عساكر ان الاسود بن قيس العنسي بعث الى ابي مسلم
الخولاني فأتاه فقال أتشهد اني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأتى بنار
عظيمة فألقاه فيها فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فقدم
المدينة وقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر الحمد لله الذي
ابقني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صنع به كما صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما ما
أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة ومما
أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده في الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام
بالكسر والقسر وقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها بحضر من أولي نصرها عام الفتح
وهم اذلاء لا يستطيعون نصرها وكان كسرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجتزأ

فيها بالانفاس عن الفاس وماعول على المعول ولا عرض فى القول بل قال جهرا غيرسر جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان وتقدم بسط ذلك ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذى بوأه الله له ولا خفاء ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الرب وذلك على التمثيل ولله المثل الاعلى روى الديلمى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ومسحه كناية عن استلامه كما تستلم الايمان بفتح الهمزة جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم من اراد عهدا أو عقدا يمين صاحبه عند المعاهدة والحلف كما كانت عادتهم وقد أعطى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن وضعه بيده كما تقدم قبيل باب ماجاء فى شأنه عن أحبار اليهود وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته مفصلة وكذا مشى الاشجار بين يديه وتكليمها له فان ذلك أعجب من العصا ولما أراد أبو جهل أن يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ثعبانين فانصرف مرعوبا كما انصرف فرعون مرعوبا عند التقاء العصا وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء اى برص فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل فى أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى أن انتقل الى عبد الله أبيه ثم منه الى أمه آمنة وكان بينا ظاهرا فى جباههم وتقدم تفصيل ذلك وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه أبونعيم والامام أحمد والطبرانى واخرج البيهقى وصححه الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فتحدثا عنده حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها اكراما لهما ببركته صلى الله عليه وسلم حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للاخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ مقصده رواه البخارى وغيره وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابونعيم عن حمزة ابن عمرو الاسلمى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم أى ركابهم وماسقط من متاعهم وان أصابعى لتنير أى تضيء ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضا انفلاق البحر فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم فموسى تصرف فى عالم الارض ضرب البحر بعصاه فانفلق وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف فى عالم السماء لما سأل الله انشقاق القمر حين طلبوه منه والفرق بينهما واضح فاذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض سمت آية السماء على آية الارض وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الارض بالنسبة اليه كالقطرة فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام لان بحار الارض قد يقع فيها زوال الماء فى مواضع منها بحيث يمكن المشى فى الارض التى بينها والبحر الذى بين السماء والارض لامقر له من الارض حتى يسلك فيه بل هو على صفة الله أعلم بها ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام اجابة دعائه فى قوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل

عقدة من لساني يفقهوا قولي الآية قال تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى وقال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أعني اجابة الدعاء ما لا يحصر كما تقدم كثير من ذلك ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ في المعجزة لان الحجر من جنس الارض التي ينبع الماء منها بل قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى صلى الله عليه وسلم ويرحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت * وافى بأعجب منها عند اظهار

فما العصا حية تسعى بأعجب من * شكوى البعير ولا من مشي أشجار

ولا انفجار معين الماء من حجر * أشد من سلسل من كفه جار

ومما أعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام فأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والتدلي والقرب المعنوي مع الرؤية التي منعها موسى عليه السلام وأما ما أعطيه هارون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل وتقدم تفصيل ذلك وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فقد أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله ومن تأمل ما تقدم في نعوته وشمائله صلى الله عليه وسلم تبين له التفضيل لنبينا صلى الله عليه وسلم على كل مشهور بالحسن في كل جيل وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك نزر يسير بالنسبة لما أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك لانه أعطي من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وأما ما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان في يده كالعجين والشمع يعرفه كيف شاء من غير احماء ولا طرق بآلة ولا قوة فأعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده وأورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرت وقد تقدمت قصتها وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك فقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم تفصيل ذلك وذلك اقوى في الاعجاز وأبلغ من احياء الانسان لانه جزء حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد أحياه الله وحده منفصلا عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حيا قادرا على النطق ولم يكن حيوانه يتكلم فهو أبلغ من احياء الموتى لعيسى عليه السلام واحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب وشكا اليه البعير وتقدم كل ذلك مفصلا وروي ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذا بولده فقال رجل أنا فقال اردده رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت وأما الريح التي سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا وكانت تحمله أينما أراد من أقطار الارض فقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة وتلك مسافة السموات وأما الى المستوى والرفرف فذلك ما لا يعلمه الا الله وهذا كله بناء على ان العروج الى السموات كان على البراق

والذى اختاره السيوطى ان العروج كان على المعراج الذى تعرج عليه ارواح بنى آدم والاسراء على البراق انما كان لبيت المقدس وأيضا فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحى الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى اليه الارض وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان أبا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سوارى المسجد وهذا أمكن ومما زاده صلى الله عليه وسلم على سليمان ايمان الجن به صلى الله عليه وسلم فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به والنبى صلى الله عليه وسلم استسلمهم ولا شئ أعلى من الاسلام وأما اعداد الجن والطير من جنود سليمان عليه السلام فى قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه فى جملة أجناده باعتبار الجهاد فى بدر العظمى وباعتبار تكثير السواد فى غيرها لارهاب العدو على طريقة الاجناد وتعشيش حمامة الغار وتوكيرها فى الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه اذ الغرض من استكثار الجند انما هو الحماية من الاعداء وقد حصلت حمايته صلى الله عليه وسلم منهم بذلك التعشيش وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بلا طلب بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولله در القائل * يا خير عبد على كل الملوك ولى * أى جعلت له الولاية عليهم وكفى بذلك شرفا وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين لقتادة رضى الله عنه الى مكانها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت وروى أن امرأة معاذ بن عفراء رضى الله عنه كانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فأذهب الله عنها البرص ولم يمسها بيده لانها أجنبية وتقدم تسبيح الحصى فى كفه وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه وذلك أبلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا يتكلم فحلول الحياة والادراك والعقل فى الحجر الذى كان يخاطبه صلى الله عليه وسلم أبلغ من حياة الحيوان لانه كان محلا للحياة فى وقت بخلاف الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية قال أبو نعيم ونظير خلق الطين طيرا جعل العسيب سيفا كما تقدم وفى دلائل النبوة للبيهقى قصة الرجل الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها فأراه اياه فأتاه فقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك وتقدمت القصة بتمامها والحاصل ان النبى صلى الله عليه وسلم شارك عيسى فى ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وزاد بتكليم الجمادله واحياء الجزء من الميت بعد انفصاله كما فى كلام ذراع الشاة المسمومة ولم يعهد مثله لغيره صلى الله عليه وسلم وأما نزول المائدة فكانت محنة لبنى اسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفر وابها وعلى تقدير الكرامة فهى اجابة دعوة لعيسى عليه السلام ونظير ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم اجابته حين خفت أزواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز ولا خفاء ان الطعام أقل من العشرة فدعا بالبركة فلا الناس أوعيتهم والطعام بحاله وهم زهاء ألف ونيف فهذه مائدة نزلت من السماء وطعام مبارك قال الله له كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج الى البرية يلتمس شيئا فقالت امرأته اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز فاذا الجفنة ملأى خميرا والرحى تطحن والتنور ملأى شواء فجاء زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب فقال ماذا كنت تطحنين فأخبرته وان رحاها لتدور وتصب دقيقا فلم يبق فى البيت وعاء الا ملئ فرفع الرحى وكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال ما فعلت بالرحى قال رفعتها ونفضتها فقال صلى الله عليه وسلم لو تركتموها مازالت كما هي لكم حياتكم وفي رواية لو تركتموها لدارت الى يوم القيامة وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من انه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وتقدم جملة من اخباره بالمغيبات وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء وبسوحى فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة وزيادة المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات فهذا تفصيل بعض ما أوتيه في نظير ما أوتيه الانبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص الشكر بما لم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر وروى الامام أحمد والبخاري وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل حيث كان زاد في رواية وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم وفي رواية ولم يكن من الانبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ونصرت بالرعب مسيرة شهر زاد في رواية يقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر ٣ وأعطيت الشفاعة أي العظمى في اراحة الناس من هول الموقف وفي رواية وأعطيت الشفاعة فاخترتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئا وفي رواية فهي لكم ولمن يشهد أن لا اله الا الله فعلى هذا المراد بالشفاعة الشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه في هذه الخمس المذكورة لان العدد لا مفهوم له فلا ينافي ما ورد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل جاء في بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وفي رواية وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وفي رواية وأعطيت مفاتيح الارض وجعلت أمتي خير الامم وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأعطيت الكوثر وفي رواية وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه والحاصل ان خصائصه صلى الله عليه وسلم كثيرة فكان كلما أعلمه الله شيئا منها أعلم أمته به وقد أفردت خصائصه صلى الله عليه وسلم بالتآليف وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

٣ قال في البردة
كأنه وهو فرد من جلالته
في عسكر حين تلقاه وفي حشم

باب في وجوب طاعته ومحبته

(باب في وجوب طاعته ومحبته واتباع طريقته وسنته) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا يعني من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فان أحدا لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من أقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله تعالى لانه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وهذا عام في المطيعين لله من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وان فات فيها معية الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان مولى رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير
وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يارسول
الله مابي وجع غير اني اذا لم أرك اشتقت واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة حيث
لا أراك هناك لاني ان دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك فنزلت هذه الآية . وروى
أيضا عن عكرمة مرسلا قال أتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا
ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلى فأنزل الله هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنت معي في الجنة والعبرة في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ففي الآية الحث على الطاعة
والترغيب فيها وهي عامة لجميع المكلفين وهو ان كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات
العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى وليس المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين والا لدخل الفساق
والكفار بل المراد الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات حسب الاستطاعة وليس المراد ان الكل في
درجة واحدة لانه لا يجوز أن يسوى بين المفضول والفاضل بل المراد كونهم في الجنة مع التمكن من
الرؤية والمشاهدة وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أرادوا الرؤية والتلاقي
قدروا على ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب والمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالروح لا
بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن أقرب الناس اليه
وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن أبي من أبعد الخلق عنه وهو معه في المدينة وذلك ان العبد
اذا أراد بقلبه أمرا من طاعة أو معصية أو شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه
فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية
والمكانية بعد عظيم قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فأنزل الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل سبحانه وتعالى اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله
وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء
محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله لهم الكائن بترك المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكفي في
العبودية وجود أصل المحبة حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومتى كان عنده شيء أحب اليه
منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم
وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم
الفاسقين فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله
ورسوله ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على
خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحدهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله
أحب اليه مما سواهما وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه وقال تعالى فآمنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فجعل رجاء الاهتداء أثر الامرين
الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة وكل ما أتى به
الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه الا ما خصه الدليل ثم ان محبته صلى الله عليه وسلم
هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى
المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي
من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت

بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل أثقال السائرين الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهي مطايا القوم سراهم في ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم للسعادة وهم على الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المذلل * تمشي رويدا وتجي في الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا أنفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه السير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول سراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد وضعوا للمحبة رسوما باعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها فمنها قول بعضهم المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وقال آخر هي محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وقال آخر هي استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال آخر هي استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وقال آخر هي معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال آخر أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيئا وقال آخر أن تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال آخر غض طرف المحب عما سوى المحبوب وقال آخر هي ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وقال آخر هي سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه وقال آخر هي الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود احسان أو انعام وهذا تعريف ببيان أسباب المحبة فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فاذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب في وصولنا للبقاء الابدي في النعيم السرمدي فأي احسان أجل قدرا وأعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخره واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهره فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وازكى من محبتنا لانفسنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده وفي رواية عن أنس رضي الله عنه والناس أجمعين وفي رواية أخرى لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله

و ولده و بذل نفسه في الامور الخطيرة و يجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ورؤية موضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات وتفاوت المحبين في محبته صلى الله عليه وسلم بسبب استحضار ما وصل اليهم من جهته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم لان هذا ثمرة المعرفة وهي فيهم أتم روى ابن اسحاق ان امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظره فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي في الدلائل وفي بعض روايات هذا الحديث لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لا تدري بأيهم استقبلت وكل ما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب وقال عمرو ابن العاص رضي الله عنه ما كان أحد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يازيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك فقال زيد والله ما أحب ان محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني لجالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وفي المواهب ان عبد الله بن زيد الانصاري رضي الله عنه كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا فكف بصره وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فعلق ذوق الايمان بالرضى بالله ربا الخ وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الاشياء الى العبد ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين و يؤثر ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشئ حلو واثبت له لازم ذلك وقال العارف بالله ابن أبي جمرة اختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم الصوفية و يشهد الى ماذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضي الله عنه حين صنع به ماصنع في الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهي حلاوة الايمان ومنه حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فرآى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك وماذاك الا الحلاوة الايمان التي وجدها

محروسة فى وقته ذلك وأمثال ذلك كثيرا قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله ان القلوب السليمة
من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعانى كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم
الايمان من رضى بالله ربا لانه لما رضى بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه فتوجد لذة العيش
وراحة التفويض ولما رضى بالله ربا كان له الرضى من الله وأوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من الله به
عليه وليعرف احسان الله عليه ولما سبقت لهذا العبد العناية عوفى قلبه من المرض فأدرك لذاذة
الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا معناه ان من
رضى بما رضى به المولى فقد رضى بالاسلام دينا ولازم بمن رضى بمحمد نبيا أن يكون له وليا وان يتأدب
بآدابه ويتخلق بأخلاقه زهدا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عمن جنى عليه وعفوا عمن أساء اليه الى غير
ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضى بالله استسلم له ومن رضى بالاسلام
عمل له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا
يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به ومحبة الله على
قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصى على حسب
الاستطاعة فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى
نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسل
فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات والمتصف بذلك فى عموم
الاوقات والاحوال نادر وفى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال ما تقرب الىّ عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه وفى رواية بشئ أحب الىّ
من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى
يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى
يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى
المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ففى الحديث دلالة على أن العبد اذا أدّى الفرائض ودام على اتيان
النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل قوله كنت سمعه الخ
بأنه كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الخ وأجيب بأجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل
والمعنى كنت كسمعه وبصره فى اشارة أمرى فهو يحب خدمتى ويؤثر طاعتى كما يحب هذه الجوارح
ومنها أن المعنى ان كليته مشغولة بى فلا يصغى بسمعه الا الى ما يرضينى ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ومنها
ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف
مضاف أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك ومنها ان
المعنى كنت مسموعه كقولهم فلان أملى بمعنى مأمولى والمعنى انه لا يسمع الا ذكرى ولا يتلذذ الا بتلاوة
كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده الا فيما فيه رضاى ولا يمشى برجله
الا لما فيه رحمتى وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده
منزلة الآلات التى يستعين بها ويدخل فى ذلك سرعة اجابته فى الدعاء ونجحه فى الطلب قال أبو عثمان الحيرى
معناه أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى
والمراد بالحديث حصر أسباب محبته فى أمرين آداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال
يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة
الاولى فتغلب هذه المحبة قلبه فلا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وتملك عليه روحه ولم يبق فيه متسع لغير

محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان أبصر أبصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه فالباء في قوله فبي يسمع الخ للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه أي كما وافقني في مرادي بامتثال أمري والتقرب الى محابي فأنا أوافقه في رغبته وقوى أمر هذه الموافقة حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتته لانه يكره الموت والرب يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في أماتته فانه ما أماته الا ليحييه وما أمرضه الا ليصلحه ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه والقصد بقوله وما ترددت الخ بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت به قلوبهم واستأنسوا بقربه وتنعموا بحبه ففي القلب فاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فيقبل عليها بكليته ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله ولا بخطرة فيصفو لذلك قلبه بذكر الله ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم امامه وأستاذه ومعلمه وشيخه كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع مبادي أموره وكيفية نزول الوحي اليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما منحه الله حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه وماذا أريد بها أو حظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من الامراض *(ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات)* أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف على ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد لربه عز وجل وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة الله تعالى اياه قال الشاعر

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع .

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد فاذا دام ذلك النور أشرقت له ذاته فرآى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلو همته وتقوى عزيمته وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرح أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجد المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته قال المحاسبى علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان فى القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد فى اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء القلبه وسرور اله وقرة عين فى حقه ونعيم الروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد فى الاوراد والاذكار وبقية الاعمال كلفة روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة قال ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحاق الرقى وكان من أقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لا يظهر على أحد شئ من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام فان ادعى علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقته لما جاء الرسول به من ربه تعالى والا فهو من الشيطان والنفس فاتباع هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو حياة القلوب وروضة البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد فى نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا مما قضاه ولم يسلم له قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلى رضى الله عنه وأذاقنا حلاوة مشربه فى هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقى لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن فى كليهما فأحكام التكليف الاوامر والنواهى المتعلقة باكتساب العبد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفى الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج فى نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فى ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد فى المقسم به علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة سواء كان الحق عليها أولها وفى ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط ان لا يوجد الحرج فى نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم موافقا لما فى

أهوائهم أو مخالفاتها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فغيه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملا قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه وقال سهل ابن عبد الله رضي الله عنه من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال العارف بالله أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن أحببت ولا تبقى لك منك شيئا فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خبايا حقائق أسرار أنسه *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* نصرة دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على اعراض الدنيا *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* التسلي عن المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره حتى كأنه اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فسكرب المحبة ممزوجة بالحلاوة فاذا فقدت تلك الحلاوة اشتاق الى تلك السكرب كما قيل

تشكى المحبون المصائب ليتني * تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها * فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيئا أكثر من ذكره قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال آخر للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد أجمع الحكماء على ان من أحب شيئا أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشئ ألذ من ذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الدخائر وبغية الطلبات وربما زاد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما تهوى وربما وله وربما سقط وربما زاد الوجد على المحب فقتله *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من أحب شيئا خضع له كما كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا أو تهيبا وتوقيرا قال بعض السلف واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ من هيبته واجلاله بما كان يأخذ به لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به وكان أيوب السختياني رحمه الله اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه كثير المزح والدعابة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينه دموع وكان

الزهري اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم يتغير وكانك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن حكيم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه *(ومن علامات محبته)* صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه قال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي رضي الله عنه المحبة الشوق لمشاهدة الصفات أو مشاهدة أسرار الصفات فيرى بلوغ النوال ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كانت الصحابة اذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفعوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بن خالد بن معدان ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك فالقلب اذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار ياليت شعري والمنايا أطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات وقال لها أعيدي علي قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكى انه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا قالت بحبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* حب القرآن الذي أتى به وتخلق به واذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر محبة القرآن من قلبك فانه من المعلوم ان من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شئ اليه وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه اقرأ علي قال أقرأ عليك وعليك أنزل قال فاني أحب أن أسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكا رواه البخاري وهذا يجده من استنار قلبه ورق عند سماع الكتاب العزيز قال تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى وأدمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عند المام السماع بالقلب ظهر أثر ذلك في الجسد واقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويرتفع أثره نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح فتموج منه الروح موجا تكاد تضيق منه فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الاحوال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما مر بآية من

وريده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب انه مريض وكان الصحابة رضي الله عنهم اذا اجتمعوا يقولون لابي موسى رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فكانوا يجدون في السماع القرآني من الوجد واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما يجد أهل السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه وطربه ونشأته في سماع الابيات دون سماع الآيات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر واذا أنشد بين يديه شئ من الشعر يميل كالنشوان فاعلم أن هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا غير سبيل سنته ورحمته *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* شغفه بسنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشرب منها روحه وقلبه ونفسه وتعمه تلك الكلمة حتى تصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول لي حبيب خياله نصب عيني * وسره في ضمائري مدفون

ان تذكرته فكلي قلوب * أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويظهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شئ أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شئ أشد للهيبه وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب *(ومن علامات محبته)* صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة أدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف يكون سكره من الفرح أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه ومما يقوي هذه اللذة سماع الاصوات الحسنة المطربة بالانشادات بالصفات النبوية اذ صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وسبب ذلك اجتماع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا ألذ وأطيب من سكر الشراب وفي الحديث ان داود عليه السلام يقوم يوم القيامة عند ساق العرش ويمجد الله فاذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم في لذة السماع وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم التي تغنيهم عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيى به كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلي والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن علامات محبته)* صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته وذلك ان الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما فضله به وحباه أعلى ببركته من انتمى اليه نسبا أو نسبة ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة وألزم الله مودة قرباه كافة بريته وفرض المحبة لاهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم بحسب سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها ولكنها دلت على ذلك فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما

بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أوقال كساءه ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق رواه الامام أحمد عن واثلة بن الاسقع زاد في رواية قال واثلة وأنا يارسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة وانها من أرجى ماأرتجي وروى الامام أحمد أيضا عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فأومأ بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أي خاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة رضي الله عنها فأدخلت رأسي من البيت فقلت وأنا معكم يارسول الله قال انك الى خير انك الى خير وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قيل ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قيل كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة قال نعم والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما في القاموس وهو كل شئ نفيس مصون ومراد زيد بن أرقم أن لا يقتصر على الازواج فقط بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية الكريمة أعني انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت لان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وروى الامام أحمد أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اني أوشك ان أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل أهله ورهطه أي أقاربه وروى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته أي احفظوهم فلا تؤذوهم وروى البخاري أيضا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي أن أصل من قرابتي وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وقال صلى الله عليه وسلم من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد عنه صلى الله عليه وسلم من صنع الى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافئ له يوم القيامة ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكمو * فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكمو * من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولقد أحسن القائل رأيت ولائي آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى * بتبليغه الا المودة في القربى

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذي من أحبني وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذاني وأخرج الذهبي عنه صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبني وقال صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله وأخرج البغوي انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبي طالب اني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم به من حب عمي لك وروى الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب خير أهلي أو من خير أهلي وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار وأما أصحابه رضوان الله عليهم فحبهم من محبته صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم من توقيره وبرهم من من بره فالمؤمن الكامل هو الذي يحبهم ويوقرهم ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم ويحسن الثناء عليهم ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادي من يعاديهم ولا يلتفت الى أخبار المؤرخين وجهلة الرواة ولا الى ما يحكيه الرافضة والمبتدعة مما يقدح في أحد منهم بل ينبغي له أن يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويحمله على أصوب المخارج لانهم أهل لذلك ولا يذكر أحدا منهم بسوء لان الله قد أثنى عليهم في كثير من الآيات قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الخ السورة وعن الامام مالك قال بلغني أن النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين واستنبط الامام مالك من قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من السلف وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا روى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر ورواه الحاكم أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه وروى البزار وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وروى مسلم وغيره لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى أبو نعيم

عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه اذا ذكر أصحابي فأمسكوا وروى الديلمي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني قال الامام مالك رضي الله عنه وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيوب السختياني رحمه الله من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن أبغض أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وروى الطبراني عن سهل بن يوسف بن سهل ابن أخي كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس اني راض عن عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية احفظوني في أصحابي واصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقوله اصهاري هم آباء زوجاته كأبي بكر وعمر وأبي سفيان رضي الله عنهم وقوله وأختاني هم أزواج بناته كعثمان وعلي وابي العاص بن الربيع رضي الله عنه وروى أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم احفظوني في أصحابي وأصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه وروى سعيد بن منصور عن النبي صلى الله عليه وسلم من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة وروى الطبراني من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعد وروى عن كعب الاحبار ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقتهم والفوز بشفاعتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

باب في وفاته عليه الصلاة والسلام

(باب في ذكر وفاته) صلى الله عليه وسلم وهذا الباب مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير وقد عرف الله النبي صلى الله عليه وسلم اقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الى نفسي فقال له جبريل وللآخرة خير لك من الاولى وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال

رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر رضي الله عنه فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبي بكر رضي الله عنه وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخر عمره حتى مرض وكان مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما وكان ابتداء مرضه يوم السبت وقيل الاثنين وقيل الاربعاء في بيت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وقيل في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها وكان يتنقل في بيوت زوجاته رضي الله عنهن على حسب ما كان في صحته ثم لما اشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذن له فخرج يهادى بين العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لما دخل بيتي واشتد وجعه قال أهريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد الى الناس فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه الماء من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وفيه انه قال ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر وهذا أوان انقطاع ابهري من ذلك السم وأصابته صلى الله عليه وسلم حمى شديدة روى ابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا معاشر الانبياء كذلك يشدد علينا البلاء وتضاعف لنا الاجور وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك أي يحم وعكا شديدا فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل اني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك لاجرين قال أجل ذلك كذلك وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت فسألناها بعد ذلك عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني اني أول أهل بيته يتبعه فضحكت ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم مرضه وتعذر عليه الخروج للصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس وفي بعض روايات الحديث ان عائشة رضي الله عنها قالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا وجملة الصلوات التي صلى فيها الصديق بالناس سبع عشرة صلاة فكان في تقديم الصديق رضي الله عنه للصلاة اشارة الى أنه الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ولما رأت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل رضي الله عنهما وتقدم العباس أمامهم والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلف نبي قبلي فيمن بعث

اليه فأخلدفيكم الاانى لاحق بربى وانكم لاحقون بى فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستأثروا عليهم الا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى الا فان موعدكم الحوض الا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى وفى رواية للبخارى عن أنس رضى الله عنه فى ذكر هذه القصة قال مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشى وعيبتى أراد انهم بطانته وموضع سره وأمانته وانهم الذين يعتمد عليهم فى اموره وقيل أراد بالكرش الجماعة أى جماعتى وصحابتى وفى المواهب عن الواحدى بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة رضى الله عنها فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله وأستخلفه عليكم وأحذركم الله انى لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال من أهل بيتى الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وان شئتم فى ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلى عليك قال اذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على أفواجا أفواجا فصلوا على وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابى ومن تبعنى على دينى من يومى هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك قال أهل بيتى مع ملائكة ربى وكذا رواه الطبرانى وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح وفى رواية انها أصغت اليه قبل أن يموت وهو مستند الى ظهره وهو يقول اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الاعلى وروى عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتى وبين التعجيل فاخترت التعجيل وروى ابن حبان عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أسأل الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق الاعلى

المكان الذى تحصل فيه المرافقة مع المذكورين وقال ابن الاثير أراد جماعة الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرحمة والرأفة وقيل المراد به حضرة القدس قال فى المواهب لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية فكانت أحواله صلى الله عليه وسلم فى زيادة الترقى ولذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل يوم لا ازداد فيه قربا من الله فلا بورك لى فى طلوع شمسه وكل فارق مقاما واتصل بما هو أعلى منه لمح الاول بعين النقص وسار على ظهر المحبة ونجمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والاحوال والسفر الى حضرة ذى الجلال الذى كل شئ هالك الا وجهه قال السهيلى الحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره انه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر قال الحافظ ابن رجب وقد روى ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده فى الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبى الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير فكنت قد حفظت ذلك فانى لمسندته الى صدرى فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وفى صحيح ابن حبان عن عائشة رضى الله الله عنها قالت أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجرى فجعلت أمسه وأدعوله بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت وفى رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات قال العلماء وكانت تلك السكرات من شدة الوجع لرفعة منزلته ولتقتدى به أمته فى الصبر وروى الحافظ ابن رجب أنه عليه الصلاة والسلام قال اللهم انك تأخذ الروح من بين القصب والعصب والانامل فأعنى عليه وهونه على والقصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما قالت عائشة رضى الله عنها ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه ان المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج الى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر زاد فى رواية فتوفى من يومه وفى رواية لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا فأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب وروى مسلم ان أبا بكر رضى الله عنه كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه حتى كان يوم الاثنين وهم فى صفوف الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظرنا اليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا أى فرحا باجتماعهم على الصلاة

واتفاق كلمتهم واقامة شريعته وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أرسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل أرسلني اليك وأمرني ان أطيعك في كل ما تأمرني به ان أمرتني ان أقبض روحك قبضتها وان أمرتني ان أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت الى ما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئي من الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي رضي الله عنه أتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام ورواه أيضا غير البيهقي كالحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا ولفظه عن أنس رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل كثير شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر رضي الله عنه لعل هذا الخضر جاء يعزينا قالت عائشة رضي الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري والسحر موضع القلادة من الصدر والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه بين حنكها وصدرها قال السهيلي ان أول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وفي رواية جلال ربي الرفيع ويمكن انه تكلم بهما ولما توفي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر رضي الله عنه غائبا بالسنح يعني العالية وهي منازل بني الحارث ابن الخزرج عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجي رضي الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فأقبل أبو بكر رضي الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضي الله عنها فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين وأشار بذلك الى الرد على من يزعم انه سيحيى فيقطع أيدي رجال لانه لو صح ذلك لزم ان يموت موتة أخرى فأخبر بأنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين وقيل انه أراد لا يجمع الله عليك موت نفسك وموت شريعتك وعن عائشة رضي الله عنها ان عمر رضي الله عنه قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقنك الله موتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال ألا من

كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون رواه البخاري قال نشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعي رضي الله عنه قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بأبي بكر رضي الله عنه فلما رأيته أجهشت بالبكاء فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت سجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما فاستأذنوا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر رضي الله عنه أما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما سمع بشر من الناس الا يتلوها وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان أبا بكر مر بعمر رضي الله عنهما وهو يقول ما مات رسول الله ولن يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث وروى الطبراني ان العباس رضي الله عنه لما سمع عمر رضي الله عنه يقول من قال ان محمدا قد مات ضربته بسيفي قال له هل عندكم عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قال لا قال فانه قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة بيضاء وهذا من موافقة العباس للصديق رضي الله عنهما وفي المواهب لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى وكان عمر رضي الله عنه ممن خبل وكان عثمان رضي الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم وكان علي رضي الله عنه ممن أقعد فلم يستطع أن يتحرك وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع للانبياء قبلك فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس

اذ كرنا يا محمد عند ربك ولنكن على بالك وفى رواية فقبل جبهته وقال واصفياه يا خليلاه وفى رواية فجعل يقبله ويبكى ويقول بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا ثم خرج الى الناس الحديث قال القرطبى وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق رضى الله عنه لان الشجاعة هى ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبى صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضى الله عنه وذكر الوائلى أبو عبد فى كتاب الابانة عن أنس رضى الله عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين بويع أبو بكر رضى الله عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال أما بعد فانى قلت لكم أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت وانى والله ما وجدت المقالة التى قلت لكم فى كتاب الله ولا فى عهد عهده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ويكون آخرنا موتا فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذى عنده على الذى عندكم وهذا الكتاب الذى هدى الله رسوله به فخذوا به تهتدوا وانما المقالة التى قالها ثم رجع عنها هى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدى وأرجل أناس من المنافقين وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه ولكونه خشى الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كأنها لم تنزل قط الا ذلك اليوم رجع عن مقالته المذكورة وروى البخارى ان فاطمة رضى الله عنها لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه من الى جبريل ننعاه زاد فى رواية رواها الطبرى يا أبتاه من ربه ما أدناه وقد عاشت فاطمة رضى الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك وأخرج أبو نعيم عن على رضى الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السماء والذى بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادى وامحمداه وهذه مصيبة أصيب بها المسلمون لم يصابوا قط بمثلها كل مصيبة تهون عندها روى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عند المصيبة التى تصيبه بغيرى فان أحدا من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى قال ابن الجوزى كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه وقال له يا عبد الله اتق الله فان فى رسول الله اسوة حسنة ورحم الله القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها * نوب تنوب اليوم تكشف فى غد
واذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبى محمد

وقال آخر

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذى كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح وكان الحسن البصرى اذا حدث بهذا الحديث بكى ويقول هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق أن تشتاقوا اليه وروى ان بلالا رضى الله عنه كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ما أمر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب

قوله ويكون آخرنا الخ تفسير مراد لقوله يدبرنا فليس من التدبير ولا التدبر بل الدال ساكنة فافهم

لو ذاق طعم الفراق رضوى * لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق * يعجز عن حمله الحديد

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس في الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هجرته صلى الله عليه وسلم وكانت يوم الاثنين بلا خلاف وكان دفنه يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء وقيل يوم الاربعاء ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيرة منها قولها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده * ولكنني أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

قوله لعمرك الخ هذا البيت وتاليه شطب عليهما المؤلف في نسخته اه

ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال

أرقت فبت ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضي الله عنه بقوله ودعنا الوحي اذ وليت عنا * فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا * تضمنه القراطيس الكرام

ورثاه الصديق رضي الله عنه أيضا بقوله لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * يعيى بهن جوانح وصدور

قوله ان حبك بكسر الحاء المهملة اه

ورثاه حسان رضي الله عنه بمراثي كثيرة منها قوله

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ورجع الى قومه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده بك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره فقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي رضي الله عنه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومقعد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض أوهو ميت أي قريب الموت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق انهم حين أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لاندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى مامنهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا أي انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند جيد وغسله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما يعينانه في تقليب جسمه الشريف وقثم بن العباس واسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم كلهم معصوبة حتى لا ينظر واجسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو مالم يؤذن في النظر اليه وقوله وأعينهم كلهم معصوبة أي الا عليا رضي الله عنه فكان يقول وهو يغسله بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وروى أن عليا رضي الله عنه نودي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا أن يديم النظر اليه وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر مايكون من الميت أي من الفضلات الخارجة فلم أر شيئا كان طيبا حيا وميتا وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وعن جعفر الصادق رضي الله عنه قال كان الماء يستنقع أي يجتمع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي رضي الله عنه يحسوه أي يشربه وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة واختلف في معنى هذا الحديث فقال الجمهور ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلا وقال آخرون منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه معناه كفن في ثلاثة أثواب غير القميص والعمامة ثم لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا أي جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفي رواية ان أول من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم النساء واختلفوا في موضع دفنه فقال أناس عند المنبر وقال أناس بالبقيع فقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامات نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال علي

وأنا أيضاً سمعته رواه الترمذي وابن ماجه وفي رواية الموطأ ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه فحفر له صلى الله عليه وسلم في المكان الذي توفي فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الانصاري رضي الله عنه حفر لحداً في موضع فراشه حيث قبض صلى الله عليه وسلم واختلف الناس في من أدخله قبره وأصح ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي والفضل وقثم بن عباس رضي الله عنهم ويقال دخل معهم أوس بن خولي رضي الله عنه وكان آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضي الله عنهما لانه تأخر في القبر حتى خرجوا قبله وروي انه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها صلى الله عليه وسلم فرشها شقران رضي الله عنه وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وهذا الفرش خصوصية له أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش في القبر ولما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة رضي الله عنها أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الايام عدن لياليا

وقالت رضي الله عنها ترثيه اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران

والارض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها * وليبكه مضر وكل يمان

ورش قبره صلى الله عليه وسلم بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء ورفع قبره عن الارض قدر شبر ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه المقدسة وأظلمت الدنيا قال أنس رضي الله عنه ما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أظلم من يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا يريد انهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الالفة والصفا والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد (ومن آياته) صلى الله عليه وسلم بعد موته ما ذكر من حزن حماره يعفور عليه حتى تردى اي ألقى نفسه في بئر وكذا ناقته فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت (ومن ذلك) ظهور ربما أخبر انه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه وقد تقدم في المعجزات كثير من ذلك روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره أي كما وقع لامة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وانما كان قبض النبي قبل أمته خيرا لانهم اذا قبض واقبله انقطعت أعمالهم واذا أراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب * هذا ما يسره الله من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يجعلنا من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتفين لآثاره المقتدين به وأن يحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه وأهل بيته وأن يمنحنا من المدد المحمدي ما منحه عباده الصالحين وان يمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان أبهى وأبهر ما تحلى بمحاسن قلائده صدور الاوراق وأجل وأكمل ما تعطر بعبير عنبره ارجاء الشبع الطباق وأمتن ما تقتنص بحبائله شوارد الاجر وأوابد الثواب وأقوى ما تقتنى به قواصى الحسنات يوم الحساب لدى الحساب حمد من منح عباده آلاء الهيه وشكر من فتح لارشاد أشقيائه أبواب السعادة الابديه فسبحانه تعالت أركانه نشر ألوية الشريعة الغراء فوق رؤس الاشهاد وبسط جل شأنه بسط الحنيفية الزهراء حتى جابت كل واد وملأت قلب كل موحد هاد وأسس قواعد الاسلام بتشييد دعائم الاحكام وجعلها مستمرة فى كل حين مشمرة فى حفظها سواعد المفلحين الى يوم الدين أما بعد فان حياض العلوم لاتزال على صفحات الدهر متدفقه ورياض الفنون مثمرة مورقة مونقه لعمر الله انها لاشرف الصنائع وأربح البضائع أربابها دائما فى ارتفاع والمشتغل بها لم يزل فى نفع وانتفاع وان أجل ما تتسابق فيه الهمم وتشمر عن سوقها فى سوق تحصيله كل قدم الاشتغال بكتب السنة المحمديه والتفرغ لمطالعة أسفار السيرة النبويه ليتخلق المطلع عليها بجميل الاخلاق ويتحلى بمحاسن شيم أربابها الذين هم خير الخلق بالاتفاق هذا وان من أنفس ما صنف فى هذا الباب وأجل ما يقتفيه ذوو الحجا والالباب السيرة النبويه التى عبقت رياها فانتشقت أنوف الموحدين وعلت رباها فأرغمت أنوف الكفرة الملحدين لعمرك انه اسفر أسفر عن الاخلاق النبويه أى اسفار وكتاب أبان عن الشمايل المصطفويه من حل وترحال واقامة واسفار

كتاب عليه بهجة وجلالة * وفيه على التحقيق حسن ورونق
فى كل سطر منه عقد منظم * ومن كل حرف نفحة المسك تعبق

وكيف لا وهى تصنيف أوحد الورى وأجل من تفنن ممن تبوأ ام القرى القدوة فى كل فن لاسيما علم الحديث والامام بين كل قوم القديم منهم والحديث

امام همام فى البلاغة بالغ * وحيد أليالدهر منفرد العصر
اذا قسته بالشمس فالشمس دونه * وان قسته بالبدر أربى على البدر
وان قسته بالبحر فالبحر مالح * وان قسته بالدهر راق على الدهر

الفهامة الالمعى والدراكة اللوذعى التقى الصالح الاستاذ السيد احمد دحلان احسن الله اليه بجميل الاحسان ولما كانت جزيلة الوضع جميلة الصنع حرية بأن تتلقى بالقبول والاقبال جديرة بأن تشد لتحصيلها الرحال رغب فى تكثيرها رغبة فى كثرة الخيرات ذو المآثر الجمة وصالح المبرات صاحب الهمة العليه والاخلاق المرضيه والشيم الانيقه والسمات الحميدة الرقيقه

فضله مجتدى لكل مجد * فى فنون الخيرات والطاعات
وحماه ملاذ كل ملم * جرعته من غصة الحادثات
كم له من شمايل وخلال * غرر فى جباه وجه السمات
أدب كامل ورقة طبع * وصفات تفوق كل الصفات

من لا يزال على مدا الزمان ذا فهم صائب ورأى سديد أعين رؤساء الجهة البحرية محمد بك سعيد فالتزم طبعها بالمطبعة الوهبيه التى هى بحسن الثناء على منشيها اللوذعى الاديب حضرة مصطفى أفندى وهبى جديرة حريه فجاءت بعناية الله رقيقة الطبع دقيقة الصنع فى غاية من التحرير والتصحيح ونهاية من التهذيب والتنقيح فجزاه الله فى تكثيرها خيرا ورفع قدره فى الدارين دنيا وأخرى آمين

وكان [illegible] وأيناع ظلمها اليوم الجليل بالمطبعة
الموسومة [illegible] بالمطابع البهية المصرية في أواخر محرم
الحرام من سنة [illegible] ثلاث [illegible] وألف
من هجرة سيد الأنام الذي استنار الكون
أنوار شموس هداه وازاح ظلام
الشرك بضوء محياه عليه وعلى آله
الكرام أفضل الصلاة
والسلام ما فاح مسك
ختام وطلع
بدر تمام
آمين
تم